الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلـــــوم الإنسانية

التحالفات الإقليمية والدولية ضد إيّالة الجزائر

1541 – 1830م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب الباحث:

عطية محمـــــد

إشـــــــراف:

أ.د. صحراوي عبد القادر

أ.د. هلايلي حنيـــــفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعـــــباس	رئيـــــسا
أ.د. صحراوي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعـــــباس	مشرفا ومقررا
د.غـربي محـــــمد	أستاذ محـــاضر(أ)	جامعة سيدي بلعـــــباس	منـــــاقشا
د. بن جبور محـــــمد	أستاذ محـــاضر(أ)	جامعة وهران -1. أحمد بن بلة	منـــــاقشا
د. بونقـاب مخـــــتار	أستاذ محـــاضر(أ)	جامعة معســـــــكر	منـــــاقشا
د.حمدون بن عـــــتو	أستاذ محـــاضر(أ)	جامعة الشـــــــلف	منـــــاقشا

السنة الجامعية: 2020/2019 م الموافق لـ1441هـ

الإهداء

إلى والديّ الكريمين

إلى أُســـــــــرتي

إلى أختي رحمها الله

إلى كل أفـــــــــراد عائلتي

إلى كل من باعوا أنفسهم لله يرجون تجارة لن تبور

ليبقى هذا الوطن حرا

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمـــــــــين الذي جعل لكل شيء قدرا وجعل لكل قدر أجـــلا وجعل لكل أجل كتابا، الحمـــــد لله الذي أفرغ علينا صبرا وأوصلنا إلى ما نحن فيـــه.

نتقدم بخالص الشكر والامتنان لأستـاذنا وقـدوتنا الأستـاذ المشـــــرف الأســـــتاذ الدكتور عبد القادر صحراوي الذي رافقنا ونورنا وأرشدنا لإخراج هذا البـحث في أبهى حلة. ونتقدم بالشـكر الجزيل لأستـــــاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور حنيفي هـلايلي الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيـمة، والشكر موصول أيضا لأعضاء لجنة المنـاقشة الذي قبلوا مناقشة بحثنا المتواضع، كما نشكر كل الأساتذة الذين أشرفوا على تدريسنا في مرحـلة ما بعـــــــد التدرج، وإلى كل الطـاقم البيـــــداغوجي والإداري بكـــلية العـلوم الإنسـانية والإجتمـــــاعية بجـامعة جيـــــلالي ليابس بسيدي بلعبـــــاس.

ولا ننســـــــى شـكر كل من ساهم في إنجاز هذا البـــحث من قريب أو بعـــــــيد.

– المختصرات الواردة في البحث:

1– باللغة العربية:

– ب ت: بدون تاريخ.

– ب د ن: بدون دار نشر.

– د م ج: ديوان المطبوعات الجامعية.

– ش و ن ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

– ص ص: صفحات متتابعة.

– مج: مجلد.

2– باللغة الأجنبية:

- C.M : Cahiers de la Méditerranée.

- C.M.M.C : Centre de la Méditerranée moderne et contemporaine.

- ENAL: Enterprise nationale algérienne de livres.

-Ibid: Ibidem.

- N: Numéro.

- Op. Cit : Ouvrage Précité.

- R M M M: Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée

- R .Af : Revue Africaine.

- R .O. M. M: Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée.

مقـــــدمة

زادت أهمية البحر الأبيض المتوسط مع مطلع القرن السادس عشر، ولا ريب أنّ نكبة الأندلس والتواجد العثماني في شمال إفريقيا كان بمثابة بداية عصر جديد في العلاقات الدولية في هذا العالم الشاسع من المسطحات المائية.
فالإمبراطورية الإسبانية كانت تُسيطر على جزء واسع من سواحل شمال إفريقيا الممتد من حجر بادس غربا إلى طرابلس شرقا، ولكن سرعان ما فقدتها لتصبح ثغورا إسلامية، بعد تحريرها من قبل العثمانيين، وعليه كانت الحرب السّمة الغالبة على علاقات الدولتين، هذه الحرب كانت قد أنهكت قوتيهما فظهرت قوى جديدة حاولت هي الأخرى إيجاد مكانة لها بالبحر المتوسط ثم الأطلسي إذْ برزت إيّالة الجزائر كقوة فاعلة في صُنع أحداث التاريخ الحديث في هذا المجال الجغرافي فاصطدمت بكل القوى إنطلاقا من إسبانيا ثم القوى الأوربية الأخرى وصولا للممالك الإسلامية بتونس والمغرب وحتى طرابلس الغرب في مرحلة أخرى. فالصراع مع دولة واحدة أو مجموعة دول متحالفة يُعد بمثابة مرحلة هامة من تاريخ الجزائر الحديث.

تعرضت إيّالة الجزائر إلى حملات صليبية متتالية طيلة العصر الحديث، و لم يقف الأمر عند هذا الحد فحكام المغارب هم كذلك شنّوا حملات عديدة، لقد نُظمت هذه الهجمات في شكل تحالفات مختلفة لضمان الإنتصار وإضعاف قوة الإيّالة، والحملات التي لم تكتسي طابع التحالف فقد كانت متزامنة على الأقل، وإذا كان التحالف موجودا عبر العصور التاريخية فإنّ وجوده في هذا العصر كان كبيرا لما تطلبته الحاجة لفرض السّيطرة والتطلع لبلوغ أهداف إستراتيجية فالتحالفات كانت كثيرة ضد العثمانيين بالجزائر لما أصبحت تشكله الإيّالة الجزائرية الناشئة من أخطار سواء على الكيانات السياسية في شمال إفريقيا أو دول وممالك غرب أوربا المتوسطية.

ظلّ الصدام بين هذه القوى والجزائر طيلة العصر الحديث ولم يكن حكام إيّالة الجزائر يجابهون هذه القوى منفردة تارة و متحالفة تارة أخرى، على أنّ إختلاف المصالح وتضاربها حال دون بقاء هذه التحالفات قائمة، فكثيرا ما وجهت هذه الدول حملات كل منها على حدا، وهذا حسب مصدرها وشكلها من أجل الظفر بمكاسب كثيرا ما كانت سياسية أو إقتصادية، وبالمقابل كان هؤلاء المتربصين من الأعداء عندما يفشلون في الوصول إلى أهدافهم يقومون بالتحالف مع قوى داخلية ناقمة ومناوئة لحكم العثمانيين بالجزائر.

عرف حكام الجزائر في فترات مختلفة كيف يواجهون هذه التحدّيات ولم يستهينوا بأي حملة موجهة ضدهم فالحزم في إدارة الأمور ومجابهة العدو كان من شيم هؤلاء الحكام على الرغم من الخسائر والأضرار التي كانت تلحق بالمدن الساحلية، وعندما تخلوا عن بعض من مسؤولياتهم إستطاع الأعداء تحقيق أهدافهم ليس في مرة واحدة فقط بل عدة مرات، و في أماكن متفرقة كمدينة الجزائر و مدينة وهران ومدينة جيجل أيضا.

– دوافع إختيار البحث :

يكتسي بحث التحالفات الإقليمية والدولية ضد إيّالة الجزائر أهمية بالغة، مما جعله محل إهتمام الدارسين والباحثين، وهو لا يخرج عن إطار العلاقات، فقد عملنا على تحديد أسبابها ومراحلها وصولا إلى نتائجها. وصمود الإيّالة طيلة ثلاثة قرون رغم جسامة الأخطار المحيطة بها أمر أثار انتباهنا ومن بين دواعي إختيارنا للبحث نذكر:

1- الرغبة الشديدة لخوض غمار هذا النوع من الدراسات التاريخية، وحُب الإطلاع على ما كتبه مؤرخو ضفتي المتوسط فيما يخص تلك العلاقات المضطربة بين الجزائر والقوى الإقليمية والدولية ، بالوقوف على الأسباب الحقيقية المفضية إليها وتحديد نتائجها المختلفة.

2- تشجيع أستاذنا المشرف على الخوض في مثل هذه المواضيع التي تتعلق بتاريخ البلاد المغاربية إبّان الحكم العثماني وعلاقاتها بالضفة الشمالية للبحر المتوسط، لتنوير دارسي التاريخ وغيرهم من المتتبعين لهذا الشأن، بما كان يدور من أحداث عطلت النمو الحقيقي لمسيرة الإنسانية نحو التقدم والرقي في البلاد المغاربية.

3- الأثر الذي تركه فينا أساتذة مرحلة التدرج بجامعة الجزائر والمرحلة التي تليها بجامعة سيدي بلعباس حول تاريخ الجزائر العثماني ومراحل تطوره الحافل بالأحداث المؤثرة في الساحة العالمية.

4- أَخذنا ببعض النصائح من طرف الأساتذة أهل التخصص و زملائنا ممن لهم خبرة وموثوق بهم في الكتابة في هذا المنحى لتجنب شح المادة العلمية بما لا يتعارض مع متطلبات هذا النوع من البحوث الأكاديمية.

5- توفر المصادر المحلية الجزائرية وا لأجنبية على حد سواء، و إسهابها في الحديث عن الحملات الأوربية والإقليمية التي كانت توجه ضد الجزائر، والتي ما فتئت تتطور إلى حروب طويلة ، ووصول العلاقات بينها إلى حدّ القطيعة وإستغلال بعض الأطراف لهذا الصراع.

6- بقاء جوانب من بحث العلاقات ينقصها البحث الدؤوب والتنقيب والتدقيق، فالكتابات التي أُنجزت حوله لم تطرح ظاهرة التحالف كوحدة موضوعية، كان عمرها أكثر من ثلاثة قرون، إنْ لم نقل أكثر على أساس إمتداد الصراع من العصر الوسيط إلى بداية الفترة المعاصرة، و من هذا المنطلق عالجنا إشكالية البحث.

7- الوقوف على نتائج هذا الصراع الذي كان يخوضه حكام الجزائر منفردين، وإنشغالهم بالدفاع فقط، وكيف أدى بهم إلى التخلي عن مسائل مهمة في ظل التطورات التي شهدتها أوربا، وإنعكاس ذلك على إستقرار الإيّالة ووجودها.

– الإطار الزماني والمكاني للبحث:

قُمنا بتحديد الإطار الزماني للبحث بداية من عام 1541م، تاريخ توجيه أوربا لحملة صليبية بقيادة الإمبراطور شارل الخامس نفسه ضد إيّالة الجزائر وبالتحديد مدينة الجزائر، وما ترتب عنها من نتائج آنية وأخرى بعيدة بالنسبة لكل القوى المتربصة بها ، حتى عام 1830م تاريخ إحتلال فرنسا للجزائر بمساعدة العديد من القوى الإقليمية والأوربية ومباركة كل من لم يستطع مدّ يد العون مباشرة ، على أننا رجعنا لفترة سابقة لهذا الإطار من خلال الفصل التمهيدي أي من بداية القرن السادس عشر ، لتوضيح أنّ أمر التحالفات ليس بالجديد بالنسبة للجزائر فقد كان موجودا في المغرب الأوسط زمن حكم الدولة الزيانية، و هذا للإحاطة بالبحث من بعض جوانبه، كالظروف الداخلية والخارجية والتحديات التي واجهت مؤسسي الإيّالة.

وفيما يخص الإطار المكاني فيشمل الرقعة الجغرافية لإيّالة الجزائر وشمال إفريقيا من المغرب إلى مصر والحوض الغربي للمتوسط وكذا دول غربي أوربا.

الدراسات السابقة:

نالت الكتابة عن تاريخ الجزائر في العصر الحديث وخاصة فيما يرتبط بعلاقاتها مع أوربا إهتمام العديد من الباحثين والمؤرخين، فسال بذلك حبر كثير في سبيل إثراء تاريخ هذا البلد حتى وإنْ كانت مساهمات كُتاب الغرب تشوبها الإتهامات والتفسيرات اللامنطقية، فإنّنا ندعو الغيورين على تاريخ الجزائر لإعادة تصحيح ما كُتب وتصويبه وفقا للحقائق التاريخية. وعليه ضمت الكتب بين دفتيها عديد مظاهر العلاقات إذْ حرص أصحابها على وصفها وتحليلها. على أنّ بعض هذه الكتابات لم تتطرق للزوايا الخفية التي أدت إلى هذا التحامل في شكل تحالفات على إيّالة الجزائر ومحاولة النيل منها. ذلك أنّ ما كُتب لا يخرج عن إطار العلاقات السياسية والعسكرية ، و قد قام هؤلاء يذكرون تلك الحملات التي وُجهت ضد الجزائر بتفاصيلها إنطلاقا من الإستعدادات الحربية إلى المعارك وعمليات القصف للمدن الساحلية وخاصة مدينة الجزائر. وبقدر ما كان الإهتمام المحلي في هذا الشأن فقد كان هناك إهتمام أوربي كبير للإدلاء بآرائهم حول هذه الحملات وإعطاء الدول الأوربية الأحقية في توجيهها مكيلين لحكام الجزائر التهم الباطلة . ومن بين البحوث التي تناولت بالدراسة لجزء من بحثنا أطروحة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر للطالب صالح حيمر الموسومة بعنوان التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1541م، وتأثيراته الإقليمية والدولية قسم التاريخ، جامعة باتنة 2010م وهي مذكرة غير منشورة.

ولا يفوتنا أنْ ننوه بالمجهودات الجبارة التي قام بها عدد من الطلبة الباحثين حول الحملات الأوربية ضد الإيّالة الجزائرية وكذا البحوث التي تعلقت بالأسرى الأوربيين حتى وإنْ لم نوفق في الإطلاع عليها كاملة فقد إحتوت على جزء هام من مادة بحثنا لكون الأسباب الرئيسية للحملات هي تحرير الأسرى والقضاء على البحرية الجزائرية. وعليه كانت هذه البحوث تتقاطع مع الخطوط العريضة للبحث قيد الإنجاز.

ومن الكتب التي كانت لنا خير جليس ودليل كتاب علاقات الجزائر للأستاذ الدكتور بوعزيز يحي فقد تضمن جزءًا كبيرا من تاريخ العلاقات بين الجزائر ودول أوربا، طيلة الحكم العثماني للجزائر، يضاف إلى ذلك ما كتبه الأمريكي جون وولف وهذا العمل ترجمه شيخ المؤرخين الجزائرين ابو القاسم سعد الله. أما ما كتبه الأوربيون عن ال بحث فهناك دراسات قيّمة أجراها مجموعة من الباحثين كانت قد صدرت ضمن أعداد المجلة الإفريقية، مثل المقال الذي كتبه شارل فيرو (Charles Féraud) في العدد 20 لعام 1876م، بعنوان هجومـــــات الإسبـــــان الثلاثة ضد الجزائر في القـــرن الثـــامن عشـــــر (trios attaques des Espagnols conter Alger au XVIII siècle)

ومن المقالات والدراسات التي أُنجزت في هذا الصدد والمقام لا يسعنا لذكرها فقد إحتوت هذه البحوث على زخم كبير من المعلومات التاريخية الهامة وفرت لنا وقتا كبيرا في إنجاز هذا البحث، في حين أنّها أحالتنا لمصادر كثيرة لم نكن على دراية بها وبذلك سهلت علينا مشقة البحث عن المادة العلمية التي تخدمنا بصفة مباشرة وغير مباشرة.

– أهداف البحث :

قبل البدء في إنجاز فصول هذا البحث بحيثياتها المختلفة توخينا الوصول إلى أهداف معينة ومنها نذكر:

1- التعرف على أوضاع الجزائر ودول الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر.

2- إدراك الأسباب المعلنة والخفية لمختلف التحالفات ضدّ الإيّالة الجزائرية.

3- تعقب المراحل المختلفة للتحالفات وتحديد نتائجها.

4- تحليل أسباب الإنتصار والهزيمة للأطراف المعنية بالصراع.

4- تعزيز مجهودات الباحثين في هذا المجال.

5- المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية حول الجزائر والعالم المتوسطي خلال العصر الحديث.

– الإشكالية:

لإنجاز هذا البحث الخاص بالتحالفات المختلفة ضد الجزائر وتتبع مسائله المختلفة والمتشعبة أثرنا إشكالية عامة تتمثل فيما يلي:

– كيف كانت ظروف إيّالة الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في النصف الأول من القرن السادس عشر؟

– ما هي العوامل المختلفة التي أدّت إلى الدخول في تحالفات ضدّ إيّالة الجزائر طيلة العصر الحديث؟

– إلى أي مدى نجح حكام الجزائر العثمانية في الحفاظ على إستقرار الإيّالة وأمنها لأكثر من ثلاثة قرون ؟

تندرج تحت هذه الاشكالية الرئيسة اشكاليات جزئية منها– فيما تكمن مظاهر هذه التحالفات ومراحلها المختلفة؟

– كيف واجه حكام الجزائر هذه التحالفات والمؤامرات التي كانت تُحاك ضدهم؟

– المنهج المتبع في البحث :

بعد جمع المادة العلمية أصبح لدينا تصورا عاما عن البحث والقضايا المتعلقة به ، ومن ثم إنطلقنا في معالجة الإشكالية وفقا لنسق البحث وتسلسله الزمني ، إذْ إتبعنا المنهج التاريخي الوصفي، الذي يقوم على إستغلال الوثائق المختلفة من المصادر التاريخية والوثائق المتنوعة لوصف مختلف الأحداث المشكلة للتحالفات سواء الدولية منها أو الإقليمية ضد إيّالة الجزائر، حيث سهل لنا عملية وصف الحملات المختلفة بدءًا من الإستعدادات الحربية إلى سير الحملات وتنفيذ الهجومات وطريقة إنسحابها أيضا، على أننا في طريقة عرضنا زاوجنا بين التفصيل في التحالفات الكبرى والعرض العام في التحالفات الصغرى.

ووظفنا كذلك المنهج التاريخي التحليلي النقدي ، فالأحداث كانت كثيرة ولكنها بقيت كامنة خلف ظواهر تبدو جلية ولكنها ليست كذلك، فعديد العوامل ومظاهر التحالفات والنتائج أيضا توصلنا إليها عن طريق التحليل. في حين كان تباين الكتابات حول الأحداث فمنها المحلية الجزائرية و المغاربية و كذا العربية وما يقابلها الغربية فرض علينا إتباع المنهج التاريخي المقارن للوصول إلى الحقائق التاريخية كما هي دون تدليس أو حجب ، لأنّ بعض الأحداث بقيت مادة خام ولم يتطرق لها المؤرخون بما فيه الكفاية، بالإضافة إلى مقارنة حملات التحالف في حدّ ذاتها والوقوف على أسباب تغير إستراتيجية الدول التي كانت تشنها. أما الإستنتاج فقد كان بأشكاله من الإستقراء إلى الإستنباط ضرورة أكثر من ملحة، فقد أخذ منّا النبش في عديد القضايا المتفرعة عن صميم البحث.

– الخطة المعتمدة في إنجاز البحث:

اقتضى بحث التحالفات الإقليمية والدولية ضد إيّالة الجزائر طيلة العهد العثماني رسم خطة معينة للإجابة عن الإشكالية المطروحة والإحاطة ببعض الجوانب، وعليه كانت الخطة تتكون من مقدمة، ومدخل تاريخي وبابين، كل باب يتكون من ثلاثةفصول، ويتكون كل فصل من عناصر رئيسية تتفرع عنها عناصر ثانوية، و أنهينا البحث بخاتمة أردفناها بعدد من الملاحق المختلفة للتوضيح ثم بمجموعة الفهارس.

ت عرضنا في المقدمة إلى الإحاطة بالبحث، وتوضيح أهميته العلمية، ثم دواعي إختيارنا له، بعد ذلك تطرقنا لبعض الدراسات السابقة التي تناولت محطات معينة من البحث ، بعدها طرحنا الإشكالية وبينا المنهج المتبع في البحث وفي الخطوة الموالية عرضنا الخطة المعتمدة، مفصلة دون إطناب، ثم عرضنا بعض المصادر والمراجع الأ ساسية التي خدمت البحث في جلّ مراحله، وأخيرا ذكرنا الصعوبات التي إعترضتنا في عملية البحث.

وفيما يخص المدخل التاريخي فقد وسمناه بالتطورات السياسية والعسكرية في الجزائر في النصف الأول من القرن السادس عشر، حيث عرضنا لمحة عن الأوضاع العامة في الجزائر، وركزنا على أهم التحالفات التي كانت موجودة ضد نواة حكومة الجزائر من قبل بعض القوى الإقليمية خاصة إمارة جبل كوكو والدولة الزيانية بتلمسان، بالإضافة إلى حالة العداء الشديد بين دويلات شمال إفريقيا من الحفصيين، الزيانيين، السعديين والعثمانيين الوافيدين الجدد، والتي طغت أحداثها على تلك الفترة، كما بينا أهم الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر وسواحلها قبل عام 1541م، لكونها سببا في توجيه أكبر حملة صليبية على مدينة الجزائر والتي يبدأ منها بحثنا.

أما الأبواب وفصولها فكانت كالآتي:

قمنا بتقسيم البحث إلى بابين على أنّ الفترة الزمنية للباب الأول تبدأ من عام 1541م، إلى غاية عام 1710م تاريخ بداية المرحلة الثانية من حكم الدايات التي شهدت استقلالا حقيقيا بعد رفض الداي علي شاوش إزدواجية المنصب المتمثل في الباشا – عَينُ السلطان العثماني على دايات الجزائر– إلى غاية 1830م تاريخ نهاية الإيّالة.

وبالنسبة للباب الأول فقد وسمناه بالتحالفات الدولية والإقليمية ضد إيّالة الجزائر ما بين 1541– 1710م ويضم هذا الباب ثلاثة فصول تشتمل على مختلف التحالفات في الفترة المحددة، عرضنا خلالها جل الأحداث التي لها صلة بالبحث وهي كالآتي:

الفصل الأول بعنوان: حملات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين 1541- 1628م، إذْ يمثل التاريخ الأخير تحريض الباي التونسي لقبائل الشرق الجزائري ضد السلطة العثمانية بالجزائر. وعليه قسمنا الفصل الأول إلى العناصر التالية:

أولا- الحملة الصليبية على مدينة الجزائر 1541م بقيادة شارلكان، عرضنا الظروف المحيطة بها وأسبابها وإستعدادات الطرفين لها و كذا سيرُ الحملة وأهم النتائج المتمخضة عنها.

ثانيا- التحالف الإسباني المغربي لإحتلال مستغانم والغرب الجزائري سنة 1559م.

ثالثا- مشروع التحالف الإسباني الفرنسي ضد الجزائر في سنتي 1559- 1560م.

رابعا- التحالف الصليبي ضد الدولة العثمانية والجزائر في ليبانت سنة 1571م.

خامسا- الحملة الصليبية على مدينة الجزائر سنة 1601م.

سادسا- تحالف أمير كوكو مع الإسبان ضد حكومة الجزائر سنة 1603م.

سابعا- الحملة الصليبية على مدينة جيجل سنة 1616م.

ثامنا- تكتل الدول الأوربية ضد الجزائر سنة 1620م.

تاسعا- تحريض باي تونس لقبائل الشرق الجزائري ضد السلطة وضبط الحدود سنة 1628م.

أما الفصل الثاني فوسمناه بـ: حملات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي 1636- 1676م، ويتكون من العناصر التالية:

أولا- التهديدات الإيطالية الفرنسية المشتركة ضد الجزائر سنتي 1636-1637م.

ثانيا- حملة الأميرال رويتر وفرسان مالطا ما بين سنتي 1654- 1657م.

ثالثا- التحالف الإيطالي الإنجليزي ضد الإيّالة سنة 1662م.

رابعا- الحملة الصليبية على مدينة جيجل بقيادة دي بوفور سنة 1664م.

خامسا- هجوم الإنجليز وفرسان ألن على الجزائر سنة 1668م.

سادسا- الحملة الصليبية عى مدينة الجزائر ما بين سنتي 1670- 1671م.

سابعا- تحالف الإسبان والمغرب مع القبائل ضد الإيّالة ما بين سنتي 1675- 1679م.

ثامنا- تحالف الإسبان مع قبائل بني عامر لإحتلال تلمسان سنة 1675.

تاسعا: تحالف المولى إسماعيل مع قبائل الغرب الجزائري ضد الإيّالة سنة 1676م.

و الفصل الثالث عنوناه بـ: حملات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي 1679م حتى 1710م، ويتألف من عناصر أساسية وهي:

أولا- التنافس الأوربي ضد الجزائر ما بين سنتي 1679- 1682م.

ثانيا- التحالف التونسي المغربي والدعم الفرنسي لهما ضد الإيّالة سنة 1105هـ/ 1694م.

ثالثا- التحالف الفرنسي المغربي ضد الإيّالة سنة 1682م.

رابعا- التحالف المغربي التونسي ضد الجزائر سنة 1691م.

خامسا- تحالف تونس وطرابلس ضد الجزائر سنتي 1699م- 1700م.

سادسا- التحالف الإنجليزي الهولندي ضد الإيّالة سنة 1703م.

سابعا- إستيلاء فرسان مالطا والفرنسيين على سفينتين جزائريتين سنة 1729م.

أما الباب الثاني فعنوناه بالتحالفات الإقليمية والدولية ضد الإيّالة ما بين سنتي 1710 إلى 1830م.

و ينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول أيضا كل فصل يغطي فترة زمنية معينة، حاولنا من خلال تقسيمه مراعاة توازن الفصول وعليه كانت كالآتي:

الفصل الرابع وعنوانه: مظاهر التحالف ضد الإيّالة ما بين سنتي 1710و1770م. ينقسم هذا الفصل إلى عناصر أساسية وهي:

أولا- التحالف والتنافس الأوربي على الإيّالة ما بين سنتي 1711- 1714م.

ثانيا- التحالف الإسباني الفرنسي لإعادة إحتلال وهران سنة 1732م.:

ثالثا- وشاية الفرنسيين بسفينتين جزائريتين لإسبانيا سنة 1741م.

رابعا- تحالف الفرنسيين وفرسان مالطا ضد الجزائر سنة 1744م.

خامسا- التحالف الصليبي بوهران ضد الجزائر سنة 1749م.

والفصل الخامس عنوانه: التحالفات الإقليمية والدولية ضد الإيّالة ما بين سنتي 1775- 1795م، عناصره هي:

أولا- حملة التحالف الصليبي بقيادة الضابط أوريلي سنة 1775م.

ثانيا- حملة التحالف الصليبي الأول بقيادة الدون أنطونيو سنة 1783م.

ثالثا- حملة التحالف الصليبي الثاني بقيادة الدون أنطونيو سنة 1784م وتداعياتها.

رابعا- مشروع التحالف البرتغالي الفرنسي ضد الجزائر سنة 1199هـ/ 1785م

خامسا- تحرير وهران الأخير سنة 1205هـ/ 1791م.

سادسا- التنافس الأوربي حول الجزائر بعد سنة 1792م.

سابعا- مؤامرات أوربا حيال السلام الجزائري الأمريكي سنة 1795م.

ثامنا- تحالف باي تونس مع ابن الأحرش ضد الجزائر سنة 1218هـ/ 1804م.

تاسعا- تحريض المغرب للدرقاوي ضد الجزائر سنة 1805م.

عاشرا- تحالف باي تونس مع باي قسنطينة ضد الجزائر وتداعياته سنة 1222هـ/ 1807م.

والفصل السادس بعنوان مشاريع ومظاهر التحالفات ضد الجزائر ما بين سنتي 1814- 1830م.

ويتكون هذا الفصل من العناصر التالية:

أولا- التحالف الأوربي في مؤتمر فيينا سنتي 1814- 1815م.

ثانيا- حملة التحالف الصليبي بقيادة إكسماوث وفان كابلن سنة 1816م.

ثالثا – مؤتمر إكس لاشابيل و التآمر على الجزائر سنة 1818م.

رابعا- المشروع الفرنسي المصري لضرب الجزائر سنتي 1829 - 1830م.

خامسا- التحالف المسيحي في موقعة نافارين سنة 1827م.

سادسا- التحالف الدولي بقيادة دي برمون لغزو الجزائر سنة 1830م.

– نقد مصادر ومراجع البحث :

إعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر التي تنوعت بين الوثائق الأرشيفية والوثائق المنشورة و المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، واستعملنا عددا من المراجع باللغة العربية واللغات الأجنبية وبعض الدراسات الهامة من أطروحات الماجستير والدكتوراة و المقالات المنشورة ضمن المجلات العلمية المحكمة التي لها صلة مباشرة بالبحث أو عالجت قضايا تتعلق بأجزاء منه.

أولا– باللغة العربية:

1 – الوثائق:

أثناء جمعنا للمادة العلمية وجدنا مجموعة من الوثائق الأرشيفية التي تخص الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر والمتعلقة بالحملات العسكرية الأوربية على مدينة الجزائر خاصة في القرن السادس عشر والتاسع عشر، وتتمثل في وثائق دفتر مهم وهي مراسلات بين سلاطين الباب العالي وبايلربايات الجزائر بشأن تحرير سواحل المغرب الإسلامي من الإحتلال الإسباني، وصدّ الهجمات الصليبية عليها.

أما وثائق خط همايون فهي عبارة عن مراسلات بين السلاطين العثمانيين ودايات الجزائر في بداية القرن التاسع عشر وحتى قبلها ولكن لم نعثر على الوثائق التي تخص القرن الثامن عشر والسابع عشر، وقد تضمنت أوامر السلاطين العثمانيين لدايات الجزائر بشأن الاحتراس من مؤامرات الأوربين أحيانا وحثهم على الإمتثال لأوامرهم فيما يخص احترام المعاهدات مع الدول الصديقة أحيانا أخرى.

2 – المصادر المخطوطة:

عثرنا على عدة مخطوطات تخص الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، خاصة في القرن ال ثامن عشر، خدمتنا بصفة كبيرة جدا، ونذكر واحدة منها على سبيل المثال لا الحصر ، وهي التي تخص الحملتين الإسبانيتين، تحت رقم 2285 بعنوان تاريخ مجيء إصبنيول في المرتين الثانية والثالثة إلى الجزائر لمؤلف مجهول، وقد أفادتنا كثيرا في معرفة تاريخ الحملتين الصليبيتين بقيادة أنطونيو بارسلو ومجرياتهما من التجهيزات الحربية وتنفيذ الهجوم والنتائج المترتبة عنهما سنتي 1783 و1784م.

3- المصادر المطبوعة:

من أهمها:- رحلة عبد الرحمن بن إدريس التنلاني إلى الجزائر العاصمة سنة 1816م، يكتسي أهمية كبيرة وهو في الأصل مخطوط موجود بخزانة تنلان بمدينة أدرار غير مرقم، لمؤلفه التنلاني عبد الرحمن بن إدريس، كان صاحب المخطوط قد حلّ بمدينة الجزائر وتزامنت إقامته بمجيء الحلمة الصليبية على مدينة الجزائر بقيادة اللورد إكسماوث الإنجليزي وفان كابلن الهولندي عام 1816م، و عليه كان شاهد عيان، إذْ يُعد المخطوط مصدرا هاما لكتابة مجريات هذه الحملة وقد زودنا بمعلومات دقيقة لم تتوفر في عديد من الكتابات، و قد حُقق مؤخرا من طرف الدكتور خير الدين شترة.

- غزوات عروج وخيرالدين لمؤلف مجهول، هذا الكتاب يسمع عنه الكثير ولكن ليس من السهل الحصول عليه وقد وفقنا الله في العثور على نسخة منه عند أحد الزملاء تعود سنة طبعها إلى عام 1934م، وهذا الكتاب يؤرخ لأحداث هامة صاحبت حياة الإخوة بربا روس، وتكمن أهميته في كتابة كل ما يتعلق بتأسيس إيّالة الجزائر والأحداث التي وقعت في تلك الفترة، وقد أفادنا في إنجاز الفصل الأول لا سيما في دراسة الحملة الصليبية بقيادة شارلكان على مدينة الجزائر سنة 1541م، فيما يتعلق بظروف التحضير لها، أي في سنوات عقد الثلاثينات من القرن نفسه.

- إتحاف ملوك الزمان بتاريخ الإمبراطور شارلكان لمؤلف مجهول، وكل ما عرفناه حوله أنّه تُرجم من الفرنسية إلى العربية من طرف أفندي خليفة، ويُعد هذا الكتاب مصدرا من الدرجة الأولى لكتابة تاريخ الحملة الصليبية على مدينة الجزائر عام 1541م، التي أشرنا إليها عند عرضنا لكتاب غزوات والكتاب يتألف من ثلاثة أجزاء، وقد إستفدنا من الجزء الأول، وصحيح أنّنا لم نستعمله كثيرا ويرجع هذا لحصولنا عليه في وقت متأخر من إنجاز هذا البحث، ولكن يبقى مهما من حيث المعلومات التي يقدمها صاحبه.

- تحفة الكبار في أسفار البحار، كتاب قيّم، تُرجم عن اللغة العثمانية مؤخرا، يكتسي من الأهمية بما يجعله المصدر الوحيد الذي يؤرخ للبحرية الإسلامية في العهد العثماني خلال النصف الأول من القرن السابع عشر. يتألف الكتاب من جزئين في مجلد واحد، أُلف من طرف كاتب جلبي الملقب والمشهور باسم حاجي خليفة، إستقينا منه معلومات هامة وكانت إستفادتنا منه محدودة وهذا لحصولنا عليه قبل إنهاء البحث بفترة قصيرة هو أيضا. أفادنا في بعض المحطات الهامة من تاريخ الجزائر العثمانية خاصة ما تعلق بالحملة الصليبية لعام 1541م، وكذلك ما تعلق بالهزيمة الكبرى التي مُني بها الأسطول العثماني في موقعة لبانت البحرية 1571م. ويُصور الكتاب أهم الفتوحات البحرية في شرق البحر المتوسط التي قادها كبار الرياس أمثال بيالي باشا والعلج علي وغيرهم.

– بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان لمؤلفه حسين خوجة التونسي المتوفى عام 1729م، مصدر مهم يتكون من ثلاث أجزاء، يؤرخ للدولة العثمانية بصفة عامة وإيّالة تونس بصفة خاصة، حصلنا عليه بعد جهد جهيد، أفادنا في الأحداث المشتركة بين الإيّالتين الجزائرية والتونسية مثل مجهودات خير الدين في الجزائر وتحريره لتونس في الفصل الأول وموقعة ليبانت وإعتداء فالونا أيضا. وعلى الرغم من أهمية الكتاب فإنّه يميل صاحبه إلى توضيح مناقب السلاطين العثمانيين. إنّ طريقة عرضه لأهم الأحداث تشبه إلى حد كبير ما يوجد في مؤلفات أخرى على غرار التحف الحليمية.

– مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، حققها الدكتور أحمد توفيق المدني، يُعد هذا المصدر بحق شاهدا لتاريخ الجزائر العثماني خلال القرن الثامن عشر، ويروي صاحبه أحداثا كثيرة لم تتوفر في عديد المؤلفات ، وقد أفادنا في مواضع كثيرة خاصة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، حول الحملات الصليبية التي شُنت في تلك الفترة وعن الإستعدادات الجزائرية، حيث ركز مؤلفه على ذكر العديد من التفاصيل الهامة التي ساهمت في إثراء بحثنا وتدعيم ما ذهبنا إليه .

– المرآة، لحمدان بن عثمان خوجة، الذي ينتسب إلى أسرة جزائرية عريقة، لها باع طويل في إدارة أمور الإيّالة ، وُلد المؤلف عام 1773م، و بحكم مكانة والده الفقيه وخاله الحاج مُحَمَّد أمين السكة، تَكوّنَ حمدان أفضل تكوين في عصره ومنه برزت شخصيته المؤثرة في الأوساط الجزائرية، إذْ يُحسب من أهم شاهدي العيان للأحداث التي عرفتها الإيّالة بداية القرن التاسع عشر، لا سيما منها العلاقات مع فرنسا وأوربا. والكتاب الذي بحوزتنا حققه محمـــــــد بن عبد الكريم الجزائري، وقد كانت إستفادتنا منه كبيرة في الفصل السادس فيما يتعلق بكل مجريات الإحتلال الفرنسي للجزائر وما لفت إنتباهنا أنّ حمدان لم يتطرق لتعداد جنود الحملة كما ينبغي ولم يذكر أيضا الدول التي شاركت فيها على الرغم من قُربه من الأحداث ومعرفته الواسعة التي تميز بها.

4– المراجع:

أهمها:– الجزائر وأوربا 1500– 1830م، لمؤلفه الأمريكي جون وولف، ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الراحل سعد الله أبو القاسم، وجون وولف من مواليد 1907م، بالولايات المتحدة الأمريكية، له مؤلفات هامة لم نعثر عليها والكتاب يمثل بحق منهلا تاريخيا لجل مظاهر العلاقات بين الجزائر وأوربا طيلة العصر الحديث، وقد لازمنا طيلة مراحل إنجاز البحث من بدايته إلى نهايته، وكان خير أنيس لنا، إذْ أرشدنا إلى عديد الحملات الصليبية غير الواردة في كتب أخرى تعد مصادر بالدرجة الأولى، ودلّنا على أمور دقيقة ساقتنا إلى معرفة خبايا تلك العلاقات المتفتحة على كل دول أوربا، وهذا من خلال عرض المترجم لها عبر فترات زمنية واضحة المعالم.

- علاقات الجزائر مع دول وممالك أوربا 1500- 1830م ، لمؤلفه الدكتور بوعزيز يحي، صحيح أنّه يوجد تشابه كبير بين هذا الكتاب وكتاب جون وولف، إلا أنّ هذا الأخير له خاصيته، فالدكتور بوعزيز في كتابه هذا ذكر أحداث غزيرة لم يذكرها قبله ممن سبقوه من المؤرخين، وقد رافقنا الكتاب كذلك طيلة مراحل البحث، وإختصر لنا الوقت في إيجاد صيغ التحالفات، كما غطينا من خلاله للمواضع التي لم نتمكن من دراستها، فضلا على أنّه لفت إنتباهنا إلى معلومات كنا نجهلها ساهمت في إثراء البحث والإلمام بجوانبه.

- الأتراك العثمانيون بشمال إفريقيا، لمؤلفه التركي سامح عزيز ألتر، ترجمه الدكتور محمود علي عامر، يُعد من أهم المراجع التي إعتمدنا عليها، في الفصل الثالث والرابع خاصة، ويؤرخ لفترة طويلة من تاريخ الجزائر العثماني، والكتاب يحتوي على أحداث كثيرة تخص موضوع البحث، نظرا لضخامته فهو يفوق 700 صفحة، وتكمن أهمية الكتاب في كون مترجمه قد إعتمد على وثائق الأرشيف العثماني التي تخص تاريخ الجزائر، وما غفل عنه صاحبي الكتابين السابقين عثرنا عليه في طيات هذا الكتاب القيّم.

- نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر لمؤلفه الدكتور جمال قنان، و هو عبارة عن وثائق منشورة تخص جوانب متعددة من تاريخ الجزائر، كانت إستفادتنا منه كثيرة فيما تعلق بالعلاقات مع فرنسا أواخر القرن السابع عشر و النصف الأول من القرن الثامن عشر، وبذلك إستقينا منه أحداث الفصلين الثاني و الثالث، ويعرض الدكتور جملة من القضايا التي تعكس مستوى العلاقات بين الطرفين وأسباب تطورها و إتخاذها هذا المنحى. و للأستاذ جمال قنان كتاب آخر يكتسي أهمية قصوى وهو كتاب معاهدات الجزائر مع فرنسا، حيث إعتمدنا عليه في الفصل الثاني أي في القرن السابع عشر.

ثانيا- باللغة الأجنبية:

وظفنا جملة من الوثائق والمصادر المختلفة والمراجع أيضا، أكثرها باللغة الفرنسية، ومن أهمها نذكر:

1- الوثائق المنشورة:

أهمها التي نشرها الفرنسي دو غرامونت (De Grammont- H.D) بعنوان مراسلات قناصل الجزائر (Correspondance des consuls D'Alger)، و تُعد هذه المراسلات مؤشرا حقيقيا تدل على مستوى العلاقات بين الدولتين، فهي مهمة بالنسبة للإطلاع على منحى مسار العلاقات في الفترة الممتدة ما بين 1690 و 1742م، حيث كانت بعد عقد إتفاقية المئة عام بين الطرفين و التي تم التوقيع عليها مباشرة بعد حملة الماريشال دوستري لعام 1688م.

وفي زمن حرج أثناء حكم الداي شعبان، عندما بلغ التنافس بين فرنسا وإنجلترا الذروة حول الإمتيازات وتنتهي هذه المراسلات في غضون سنة 1742م، حيث تُغطي فترة هامة توحي بحسن العلاقات ولكن كان هناك تواطؤ فرنسي في إعادة إحتلال وهران عام 1732م من طرف الإسبان و غيرها من المؤامرات التي حيكت ضد الجزائر.

وكنا قد إستعملنا عددا آخر من الوثائق المنشورة باللغة الفرنسية والتي تُرجمت مؤخرا من طرف مجموعة من الأساتذة و هم مشكورون على ذلك، وتعود في الأصل لأوجين بلانتي (Eugène Plantet)، والمعنونة بمراسلات دايات الجزائر مع ملوك ووزراء فرنسا، إذْ تُغطي الفترة الممتدة ما بين 1579م إلى غاية 1833م، وجاءت في ستة أجزاء، كانت إستفادتنا منها كبيرة، حيث دللنا بها على طبيعة العلاقات بين الدولتين و الأسباب التي كانت تُرجع التوتر من حين لآخر، ولازمتنا طيلة عملية إنجاز البحث.

ثانيا– المصادر:

-De Haedo (Fray Diego), Histoire des Rois D'Alger.

كتاب مهم لكتابة تاريخ الجزائر في أوائل العهد العثماني، لا يمكن لأي باحث في تاريخ الجزائر خلال هذه الفترة أنْ يستغني عنه، قام بترجمته عن الإسبانية الفرنسي دو غرامون (De Grammont)، وقد إستعنا به في الفصل الأول دون غيره من الفصول، لأنّ المؤلف كان أسيرا بالجزائر أواخر القرن السادس عشر.

- Dan (pierre), Histoire de Barbbarie et de ses corsaires, paris, seconde édition, 1646.

مُؤَلَفٌ ضخم كتبه الأب بيار دان، ذلك الراهب الفرنسي الذي حلّ بالجزائر في إطار عملية فداء الأسرى سنة 1631م، بتكليف من جمعية تنظيم الثالوث المقدس لافتداء الأسرى [1]، بما أنّ قضية الأسرى هي حجر الزاوية في العلاقات بين الجزائر والدول الأوربية. و عليه يُعد بذلك هذا الكتاب مهما من حيث معرفة الظروف المحيطة بالأسرى و حياتهم، وبقدر أهمية هذه النقطة إلا أنّ الأهمية القصوى التي خدمتنا في كيفية توظيف هؤلاء لعمليات الفداء في العلاقات من خلال توجيه الحملات البحرية للقصف قصد إرغام الجزائر على إطلاق سراح أسراهم، أو تلك المفاوضات التي كانت تجري بشأنهم. وقد أفادنا في الفصل الأول خاصة في الحملات التي وُجهت ضد الجزائر في مطلع القرن السابع عشر.

---

(1) خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر 2006-2007م، ص48.

ثالثا– المراجع:

-Marine et Marins D'Alger (1518 -1830).

كتاب ضخم جدا للمؤرخ الجزائري مولاي بلحميسي، يتألف من ثلاث مجلدات، يدرس كل ما يتعلق بالبحرية الجزائرية، وظفنا الجزء الأول والثاني في العنصر المتعلق بالبحرية الجزائرية خلال القرن السادس عشر لكون البحرية هي مؤشر العلاقات بين الجزائر و الدول الأوربية، إذْ كانت الأسباب الرئيسية للحملات والتحالفات هو نشاط الرياس الذي عَرف أوجه خلال القرن السابع عشر، حيث شهد ثلاث حملات فرنسية كبرى متتالية كانت الأولى من بينهم صليبية بإمتياز.

-Histoire D'Alger sous la domination turque (1515-1830).

يُعتبر الكتاب من أهم المؤلفات الأجنبية و الفرنسية على الخصوص لتاريخ الجزائر العثماني، حيث يدرس الشق السياسي والعسكري أكثر من أي جانب آخر، وقد خدمنا في كل الفصول، ويحتوي الكتاب على معلومات قيّمة بخصوص تجهيز الحملات الأوربية التي أوردها صاحبه بشيء من التفصيل حول عدد السفن وتعداد جنود الجيش والأسلحة وغيرها من الأمور.

Monchicourt (CH), L' Expédition de Djidjelli 1664.

هذا الكتاب لصاحبه الفرنسي مونشيكور شارل، وهو بعنوان كما هو واضح الحملة على جيجل، على أنّ عمل هذا المؤلف منشور ضمن المجلة الإفريقية، وكنا قد عثرنا عليه في المكتبة الوطنية بتونس، بعد أنْ أرشدتنا إليه مذكرة الأستاذة غطاس عائشة، وللمؤلف كتابات كثيرة حول تونس، ويقع الكتاب في 64 صفحة ولكنه يحتوي على معلومات قيّمة حول الحملة الصليبية التي قادها دي بوفور على مدينة جيجل عام 1664م في بداية عهد الملك لويس الرابع عشر وأفادنا الكتاب بصفة كبيرة ومباشرة في الفصل الثاني من حيث العوامل المفضية إلى الحملة السابقة الذكر وتعداد جنودها وعملية الإحتلال و الحرب التي دارت بين الفرنسيين وحلفائهم وقوات المقاومة الجزائرية التي إنتصرت في آخر المطاف وحررت المدينة.

كما وظفنا مجموعة من المقالات المنشورة في مجلات علمية محكمة، كمجلة الدراسات التاريخية بجامعة الجزائر2، ومجلة عصور وعصور الجديدة الصادرتين عن جامعة وهران، ومجلة الحوار المتوسطي الصادرة عن جامعة سيدي بلعباس، وبضعة أعداد من المجلة الإفريقية، ومجلة الأصالة و المجلة التاريخية المغاربية، ونذكر كذلك إستفادتنا من بعض مذكرات الماجستير والدكتوراة التي تضمنت جوانب من البحث.

– الصعوبات التي اعترضتنا في إنجاز هذا البحث:

إعترضتنا عند إنجاز هذا البحث جملة من الصعوبات والعقبات التي كانت بالنسبة لنا تحديا حقيقيا ألهمنا الله سبحانه وتعالى على تجاوزها، ومن الصعوبات المعترضة نذكر ما يلي:

– طبيعة البحث الخاص بالعلاقات بين الجزائر والدول الأوربية، الذي يفرض مضاعفة الجهد للحصول على المصادر باللغة الأجنبية، للوقوف على ما كتبه هؤلاء بخصوص الصراع بين ضفتي المتوسط خلال العصر الحديث .

– عدم حصولنا على المصادر والمراجع باللغة الأجنبية، على الرغم من توفرها ، وما حصلنا عليه وجدنا صعوبة في ترجمته خاصة بعض المجلات باللغة الإسبانية.

– تعذر علينا الحصول على بعض المصادر، والرسائل الجامعية، التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالبحث وغيرها من الأطاريح، ومنها ما وجدناه في وقت متأخر جدا.

– صعوبة الحصول على المادة العلمية الموجودة في الأرشيف، لعدة أسباب منها ضيق الوقت والطريقة التي يتعامل بها الأرشيف في تقديم عدد قليل من الوثائق في اليوم الواحد ما يفرض البقاء بالعاصمة مدة أطول.

– حصولنا على جزء قليل من مخطوط الشهب المحرقة بالمكتبة التونسية، إذْ قمنا بتصويره وعند وصوله إلينا بعد أربعة أشهر وجدنا بأنّ الجزء المنسوخ لا يشمل زمن البحث إذ يتوقف في سنة 1517م، مما حال دون الإستفادة منه أكثر.

– ضيق الوقت لإنجاز هذه الأطروحة فثلاث أو أربع سنوات، غير كافية خاصة وأنّ لدينا مسؤوليات كبيرة ملقاة على عاتقنا من التدريس بالثانوي خاصة الأقسام النهائية، وعدم خروجنا مبكرا في عطة الصيف نظرا للمهام التي كُلفنا بها في مراكز الإجراء والتجميع والتصحيح، فضلا عن متطلبات الأسرة اللامتناهية.

الطالب: عطية مُحَمَّد – قصر الحيران– الأغواط في 2019/04/04م

مـــدخل تـاريخـــي

أهـــم التطـــــورات السياسية

والعسكرية في الجـــزائر

قبل حملة عام 948هـ/ 1541م

-تمهيد.

أولا- أوضاع المغرب الأوسط نهاية القرن 9هـ- 15م و بداية القرن 10هـ- 16م.

ثانيا - التهـــديدات العسكرية ضد التواجـــد العثمـــــاني بالجزائر ما بين سنتي 1519-1541م.

ثالثا- تحطيم المقيمية الإسبانية بمدينــة الجزائر سنة 935هـ/ 1529م.

رابعا- محـــــاولات الإسبـــــان لاستعـــــادة نفـــــوذهم.

مهّدت الأحداث التي شهدها المغرب الإسلامي، في بداية القرن السادس عشر لظهور العثمانيين كقوة جديدة ترغب في السّيطرة على المنطقة، وكانوا قد إتّخذوا من مدينة الجزائر قاعدة لهم لحماية سواحل شمال إفريقيا، من الخطر الإسباني والبرتغالي، الذي كان يهدّدها باستمرار، في حين عملوا جاهدين لإنقاذ المسلمين بالأندلس من ضيم النصارى وسطوة محاكم التفتيش.

أزعج التواجد العثماني بمدينة الجزائر العديد من الزعـــامات المحلية لا سيما الحفصيين بتونس، ذلك لأنّهم إستنجدوا بالإسبان وتحالفوا معهم ضدّ العثمانيين بالجزائر، ومن ثم سواحل شمال إفريقيا. لم تكن هذه الدولة هي الوحيدة التي قامت بهذا العمل فحكام الدولة الزيانية إتبعوا المنحى نفسه، فتواجد الإسبان بمدينة وهران والمرسى الكبير يعدّ عاملا إستراتيجيا للتحالف، وبما أنّ هؤلاء قد إقترب منهم الخطر الداهم لذا اتخذوا عدة اجراءات للحماية، كما أنّ السعديين أصبحوا يترقبون الأوضاع عن كثب، فالدائرة ستدور عليهم هم كذلك، فنجدهم يتحالفون مع الحفصيين وحتى الزيانيين لكبح الزحف العثماني قبل خروج الوضع عن السّيطرة، لقد كانت الدولة العثمانية في مرحلة عنفوانها الأمر الذي سرع من عملية ضم شمال إفريقيا بتلك الصورة.

في بداية التواجد العثماني بالمغرب الأوسط كان الإخوة بربروس هم من يمثلونهم، إذْ كانوا يمتلكون أسطولا متواضعا سيكون له شأن كبير في البحر المتوسط عما قريب. وهكذا فإنّ التواجد العثماني بالحوض أضاف للمنطقة وزنا سياسيا وعسكريا بما أنّ الأوضاع العامة بالمغـــرب الأوسط كانت تشهد حالة من الحرب الدائمة بين الزعامات المحلية التي دخلت في تحالفات مع الإسبان تارة ومـــع الحفصيين والسعديـــين تارة أخرى لتثبيت سلطة كيان سياسي معين من بين هذه الزعامات.

إنّ القرن السادس عشر يعد عصر الدولتين الإسبانية والعثمانيـــة بلا منازع، فحالة الكرّ والفرّ في إطار الحرب المعلنة بينهما كانت هي السمة الغالبـــة في هذا الجزء الهام من اليابسة، ولما كانت حالة الدولة العثمانية شبه مستقرة بالشرق ركزت إهتمامها على المنطقة لضمها بسرعة خشية تجذر الإحتلال الإسباني أكثر فأكثر، وما يفسر ذلك هو ظهور مشروع ضم مملكة السعديين، وعندما أصبحت الأوضاع غير ملائمة بتجدد الحرب على حدود الدولة في الشمال والشرق تخلت عن هذا المشروع الحيوي. وعلى الرغم من أنّ تصفية الإحتلال الإسبـــاني من معظم شمال إفريقيا كان القضية الجوهرية بالنسبة لهم، إلا أنّ قضية وهران والمرسى أصبحت تقريبا ضمن المشاريع المستقبلية البعيدة شأنها شأن المشروع السابق. لقد أضفت الأحداث السابقة الذكر على المنطقة نمطا جديدا من الحكم تجلّت معالمه أكثر مع نهاية القرن، ولكن سياسة هذه الدولة لم تقض على هذه التحالفات بل تعدى مجالها إلى الدول الأوربية هي الأخرى، حيث بدت لها الفرصة ثمينة للنيل من أعدائها المسلمين وإعادة بعث مجدها الضـــائع منذ توقف الحروب الصليبية بالمشرق إبان العصور الوسطى.

أولا– أوضاع المغرب الأوسط نهاية القرن 9هـ– 15م وبداية القرن 10هـ– 16م:

مع بداية الثلث الأخير من القرن الثالث عشر ميلادي سقطت الدولة المـــوحدية التي بسطت هيمنتها على المغرب الإسلامي والأندلس لفترة قاربت القرن والنصف القرن من الزمن، وبزوالها تمزقت الوحدة السياسية للبلاد بظهور كيانات سياسية مستقلة. وهي الدولة الحـــفصية بالمغرب الأدنى ودولـــة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى؛ ولم تـــكن العلاقات بين هذه الدويلات على ما يرام، إذْ يذكر أنّها كانت في حرب فيما بينها لعدم وضوح حدودها الجغرافية التي إرتبط إستقرارها بمنطق القوة العسكرية؛ لقد كانت الدولة الزيانية، أكثر المتضررين لموقعها الوسط بين الحفصيين والمرينيين الباحثين عن التوسع غربا وشرقا.

1– الأحوال العامة بالمغرب الأوسط نهاية ق 15م وبداية ق16م:

شهد المغرب الأوسط مرحلة عصيبة خاصة مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، تمثلت هذه المرحلة في التدخلات الأجنبية الكثيرة في شؤون حكام الدولة الزيانية، كانت هذه التدخلات من قِبَلِ الحفصيين في الشرق والمرينيين ثم الوطاسيين في الغرب [1]. ولم يتوقف الوضع عند هذا الحد بل تعداه إلى السّيطرة على عاصمـــة الزيانيين تلمسان في العديد من المرّات، لقد ساهمت هذه الأمور في تردي أوضاع الدولة الزيانية في جل المجالات.

ظلّت الأوضاع السياسية متأثرة بما تركه الحكام الأوائل من بني عبد الواد ومن حَكَمَ بعدهم لم يستطع تسيير دواليب الدولة كما كانت من ذي قبل. إنّ تراجع مكانة الدولة الزيانية بسبب ضعف حكمها وتخـــلى العديد منهم على الكثير من المناطق التي كانت تحت سيطرتهم، شجع المتنافسين على المُلْكِ على إعلان الحرب على السلطة القائمة بالعاصمة تلمسان[2].

كان وقوع بعض أطراف بلاد المغرب الأوسط لزعامات سياسية محلية، جعل منها مستقلة، فغالبا لم تكن تدين بالولاء لأحد. وبذلك تشكلت مجموعة من الكيانات السياسية المتطاحنة فيما بينها على هذه الرقعة الجغرافية فَحَكَمَت عائلة الثعالبة مدينة الجزائر لفترة طويلة نسبيا [3]. ويذكر أنّ مدينة تلمسان وقسنطينة ظلتا العاصمتين القديمتين في غرب المغرب الأوسط وشرقه، وقد إعتمدتا على نفسهما في أمور الدفاع والحماية ولم يُـــعر حكامها إهتماما بما يجري من حولهم من أحداث فقد قاوم وا أي هجوم خارجي [4]، ولكن الأخـــطار باتت أكثر حدة، نظرا لتسارع الأحداث في المشهد السياسي.

---

(1) حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال السياسية)، ج1، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009م، ص49.

(2) المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 م – 1792م، مج5، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010م، ص63 .

(3) شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510 - 1541م، ترجمة جمال حمادنة، د م ج، الجزائر 2007م، ص 11.

(4) وولف جون ب، الجزائر وأوربا 1500– 1830م، ترجمة أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر 2009م، ص36.

إحتلت إسبانيا بعض ثغور سواحل المغــرب الأوسط، بداية من المرسى الكبير عام 1505م، ثم باقي الموانئ الأخرى، وبذلك زاحم هــؤلاء حكام المنطقة مما أثر على إستقرارها سياسيا، كما يَصفُها شارل أندري بأنّها أصبحت كالفسيفساء السياسية[1].

هذا عن الأحوال السياسية أما الإقتصادية فإنّ تدني المستوى المعيشي للقبائل التي فقدت مصادر رزقها المتمثلة في قطعان الماشية وذلك عندما إضطرت للترحال بحثا عن مناطق الماء والكلأ التي فقدتها لعدم إستقرار الأوضاع . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فالضــرائب التي كانت مفروضة على سكان البلاد هي الأخرى أصبحت مرتفعة، لأنّها تكاد تكون مصدر التمويل الدائم لدول المنطقة. لقد كان ذلك إجراء إنتقامي أيضا، مثل ما حدث لسكان مدينة الجزائر عندما فرض عليهم الإسبان مع أميرهم تلك الضريبة الباهضة . ولم تكن الأمــوال لإدارة شؤون الدولة بل لشراء السلم فيذكر في هذا الصدد أنّ آخر ملوك الزيانيــين كانوا يدفعون الخــراج لملوك بني مرين كشكل من أشكال الطــاعة والولاء التام[2].

وفضلا عما سبق فإنّ الموانئ التجارية النشيطة التي كانت تصدّر منها المواد المختلفة لأوربا، و بلاد المغرب الإسلامي الأخرى مثل ميناء عنابة ، ميناء المرسى الكبير وميناء هنين وغيرها ، قد وقعت تحت سيطرة قوى أخرى مثل التجار الإسبان وباتت الحركة التجارية شبه مشلولة، وهكذا تكون المواد قد نَقُصت في دخولها للأسواق المحلية نتيجة تردي الأوضاع في البحر[3].

ومن الناحية الاجــتماعية لم تكن الأمور بأحسن من السابق، إذْ كانت مظاهر العصور الوسطى لا زالت مخيّمة فالفقر كان منتشرا بسبب الحروب الدائرة في البلاد، نتيجة العوامل الإقتصادية التي ذكرناها سابقا، وحتى الغذاء لم يكن متوفرا لسيادة الجفاف لفترات طويلة ، وتحــول العديد من المناطق إلى أراض صحراوية جرداء. لقد كانت الأمراض والأوبئة كثيرا ما تفني قرى بأكملها. وهذا لنقــص الرعاية الصحية، وكثرة الحروب الجانبية بين الدول والقبائل أيضا . لقد صاحب ذلك موجات من الهجرة الجماعية خوفا من إنتقام القبائل المتعاونة مع أطراف النزاع بالمغرب الإسلامي، أو حتى مع الإسبان بوهران ومعاونيهم كقبائل بني عامر [4]، بحثا عن ظروف أفضل وهذا ما أدى إلى نـزوح سكان المنـاطق الساحلية نحو الدواخل القريبة منها خاصة المناطق الجبلية.

---

(1) Julien (Charles André), Histoire de l'Afrique du nord de la conquête arabe a 1930, Alger, 2eme édition, 1978, p 250.

(2) ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر2001م، ص ص83 - 84.

(4) حساني مختار، تاريخ الدزولة الزيانية (الأحوال الإقتصادية والثقافية)، ج2، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009م، ص ص166- 168.

(4) المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق و تقديم محمّد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي الجزائر2017م، ص14.

2- الإحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأوسط:

شهدت بلاد الأندلس في النصف الثاني من القرن الخامس عشر تغيرات هامة ألقت بضلالها على العدوة الأخرى بالمغرب الإسلامي، من بينها قيام الملكان الكثولكيان إيزابيلا ملكة قشتالة وفرديناند ملك أراغون بالإستيلاء على أراضي مملكة غرناطة [1]. إذْ تعد هذه الخطوة مؤشرا على نهـــاية سيطرة المسلمين على هذه البلاد . لقد بادرت الدولة الحديثة بتصفية المسلمين عبر مراحل، وأكملت عملية الإستيلاء على الإمارات الإسلامية التي بدأت السّيطرة عليها منذ القرن الحادي عشر ميلادي بإحتلال طليطلة عام 476هـ / 1083م[2] .

شجّعت هذه الحالة الدولة الإسبانية والبرتغال على التطلع لبسط سيطرتهم خارج شبه الجزيرة، وعليه ستكون عملية إحتلال بلاد المغـــرب الإسلامي هي الهدف المراد تحقيقه. إذْ قام حـكام الدولتين بإبرام إتفاقية ثـوردي سيـــــلاس عام 1494م [3]، تضمنت تقسيم شمال إفريقيا بينهما. وكانت مـــدينة حجر بادس المغربية [*]، هي نقطة الفصل بينهما وطلبت أي إسبانيا من البابا "إسكندر السادس" [**] أنْ يبارك لها هذه الخطوة[4]. أما البرتغال فقد إحتلت الجزء الغربي إنطلاقا من المدينة نفسها (حجر بادس) باتجاه الغرب والجنوب على طول الساحل الغربي للقارة الإفـريقية. وإنطلاقا من هذا التاريخ سوف تبسط إسبانيا سيطرتها على سواحل شمال إفريقيا وتجعل منها مراكـز عسكرية للغزو لتحقق هدفها المنشود وهو الهيمنة على البحر الأبيض المتوسط.

قضت هذه الإتفاقية برسم خارطة سياسية توضح مناطق إحتلال الدولتين لتفادي الصراع بينهما، لقد كانت في صالح إسبانيا بالدرجة الأولى ومنعت هذه الخطوة نزول المسلمين في أماكن تواجد الإسبان بالمغرب في المناطق القريبة من مدينة وهران وغيـــرها ، إذْ تم إرغام أعداد كبيرة منهم للهجرة قسرا نحو مناطق أخرى بإعانة بعض القبائل المناوئة لهم، لقد كان ذلك حافزا لهؤلاء للإنتقام من جلاديهم عندما إنظموا إلى صفوف الجهاد البحري و قدموا أشكال الدعم من الجوسسة والإرشادلإخوانهم المسلمين.

---

(1) كاربخال مارمول، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة جزر محمد، ج1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2012م، ص83 - 93.

(2) أبو راس الناصري محمد بن أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تقديم و تحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية و الثقافية، الجزائر 2005م، ص 134.

(3) الجمل شوقي عطاء الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1977م، ص77.

(*) حاضرة تقع بالمغرب على الساحل بإقليم غمارة شمالا. للمزيد، ينظر: الإدريسي أبي عبد الله محمد، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002م، ص ص532- 533.

(**) بابا الكنيسة الكاثوليكية عُين في المنصب المذكور عام 1492م حتى وفاته عام 1503م، عمل على تقوية نفوذ عائلته و تدعيم السلطة الزمنية للكنيسة ومساعدة الإسبان في مشروعهم التوسعي الإستعماري. ينظر:

José Alberto Zorrilla Amézqueta, Aeljandro VI Papa Borgia, Universitat Jaume I, 2015/2016, pp 5-30.

(4) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 72.

إحتل الإسبان المرسى الكبير الواقع غرب المغرب الأوسط عام 910هـ/ 1505م كما أشرنا إلى ذلك سابقا ليتسنّى لهم إقامة مرسى لسفنهم التجارية والحربية، وبعد ذلك قاموا بإحتلال الموانئ الجزائرية الأخرى على طول الساحـــل وبعد أربعة سنوات مَضَيْنَ حـــرض أحد الأس اقفق كغيره من رجال الدين السلطات على إحتلال مدينة وهران عام 1509م[1]، لقد سقطت هذه المدينة نتيجة التعصب الديني ، وكان عامل عدم تكافؤ القوة بين الطرفين هو المشهد الرئيسي للجو العام أثناء عملية الإحتلال، ويذكر أنّ الخ يانة مثلت دورا مهما عندما قام اليهودي قابض المكوس المدعو "أشربقوا"، بفتح أبواب المدينة على حين غرة للغزاة، هذا الأخير كان من المطرودين من إسبانيا و إشتراه حاكم المرسى الكبير بذهب كثير[2]، ثم جاء الدور على بجاية وطرابلس الغرب وغيرهما.

إتصفت الهجمات الإسبانية بالعنف والمعاملة القاسية والخشنة للسكان ، لقد أحدث ذلك حالة من الخ وف الشديد على طول الس واحل بشمال إفريقي ا[3]. مما أدى إلى نزوح سكانه ا نحو المناطق الداخلية ، خوفا على أنفسهم وممتلكاتهم، بحثا عن مناطق آمنة تقيهم شرّ المتربصين بهم، ووقفت التضاريس أيضا حائلا بينهم وبين الداخل فلم يستطيعوا توسيع مناطق إحتلالهم بعيدا عن الساحل.

ولعل الروح الصليبية كانت تأجج هذا الصراع وتزج بالرجال وإهـــدار الأموال في أتون الحرب المقدسة كما يصورها الباباوات والأساقفة أيضا، وما يثير الإنتباه أنّ هؤلاء كثيرا ما أمر وا القائمين على الكنيسة الكاثوليكية بجمع الأموال لتمويل هذه الحملات، وفي هذا الصدد تم الأمر بضرورة تحصيل الأموال من خلال جمع الضرائب [4]، لدعيم ملوك إسبانيا في حربهم ضد شعوب المسلمين بالمغرب[5]. لقد كانت هذه الحملات تستدعي توفير أمـــوال كبيرة وعدد كبير من الرجال أيضا.

لم يكتف الأعداء بإحـــتلال وهران فقد وقع إهتمامهم على مدينة بجاية الواقعة شرق مدينة الجزائر[6]، وكانت يومئذ تحت إمرة الأمير "عبد الرحمن الحفصي" فحدود الحفصيين كانت تصل إلى هذه الم ضارب غربا. وعلى ما يبدو أنّ أميرها كان في صراع مع ابن عمّه "عبد الله"، حاله حال الكيانات السياسية بالمنطقة،ك دولة بني زيان في الغرب . وعليه فإنّ التنافس على السلطة في دويلات المغرب الإسلامي كان ال سمة الواضحة في هذه الآ ونة، ولم يـكن الأمر بهذه البساطة بل كان هناك من يستنجد بالإسبان والبرتغال للظفر بالملك، لقد شجعت هذه الأوضاع المتردية الأعداء على تثبيت إحتلالهم وتوسيعه في آن واحد.

---

(1) شوفاليه كورين، المرجع السابق، ص21.

(2) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص100.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص26.

(4) Braudel (Fernand), Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 à 1577, Alger, R. Af, n°69, 1928, p201.

(5) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 72.

(6) شوفاليه كورين، المرجع السابق، ص21.

كان إحتلال مدينة بجاية عام 1510م[1]، من الناحية العمـلية هو محاصرة مدينة الجزائر من الشرق والغرب للإستيلاء عليها في مرحلة لاحقة، إنطلاقا من قاعدتي المرسى الكبـير ووهران، لقد كانت المساعدات من طرف حكام الزيانيين خير معين لهم. لقد تكرر أمر الخيانة مرات عدة ومـا حصل سابقا عند إحتلال وهران وبجاية نجده قد حدث في مدينة الجزائر. لقد كانت الخيانة قوة إضافية ساهمت بشكل كبير في ضياع المدن الساحلية الواحدة تلوى الأخرى.

طغت الروح الإنهزامية للعديد من الأشخاص القائمين على المدينة فكانت صفة ملازمة وبقـوة ، إذْ بعث أعيان المدينة وفدا لم يحدد عدده، للقائـد الإسباني الذي كان موجودا في قلعة بجـايـة وهـو "بيـدرو نافارو" "Pedro Navarro". يخبرونه بإعتراف سيادته عليهم، والأكـثر من ذلك رضوا بأداء ضريبة سنوية، هذا وأعربوا عن أملهم في حمايته متنازلين له على الجزيرة الصغيرة المقابلة للميناء، وقد بنى فوقها الإسبان قلعة حصينة أطلق عليه ا إسم البنيون (pégnon)[2].

أصبح المدفع الإسباني كشوكة في حلق المدينة يهـدّد أمّنها بإستمرار طالما أنّه منصوب باتجاهها ويتحكم فيها من مسافة غير بعيدة، وزيادة على ذلك فقد ساعد هذا الوضع في فرض ضريبة على السكان . لقد كان ذلك عاملا فتح الآفاق لهؤلاء من أجل السّيطرة على المدن الساحلية ليس بالجزائر فحسب بل تعدى الأمر إلى تونس. خاصة بعد أنْ تم الإستيلاء على طرابلس الغرب عام 1510م. لقد أصبحت إسبانيا تحكم في خط على شكل نصف دائرة من الأرض كانت تراقبها بواسطة م ـواقع عسكرية محصنة عبر أعالي ساحل الشمال الإفري ـقي بمسافة طويلة تكاد تكون كل سواحل المتوسط الجنوبية[3].

نستنتج من خلال الإنتصارات التي حققها الإسبان في وقت وجيز، وأخف الأضرار أنّها كانت تحصيلا لعوامل كثيرة سنذكر منها ما يلي:

أ– الوهن الذي أصاب الزعامات المحلية بالمغرب الإسلامي وخاصة الدولـة الزيانية، بل وهـرع بعضهم للإستنجاد بالإسبان لتوفير الحماية لهم و بأي ثمن[4].

ب– عامل الخيانة الذي كان حاضرا في كل مناسبة إحتلال ، ليس فقط من قبل اليهود بل حتى من قبل الذين تُشترى ذممهم بالأموال والذهب، لقد فتحت أبواب المدن على حين غفلة من أهلها للأعداء.

جـ– شراسة الحملات الإسبانية، التي إتصفت بالقوة والسرعة بل وكان عنصر المفاجأة أهم ما ميز هذه الحملات، كما أنّ تنظيم الجيوش وحسن قيادتها بالإستفادة من الأخطاء ساهم في تحقيق الإنتصار مرات عدة.

د– الروح الصليبية التي طبعت الحرب المعلنة من طرف الإسبان بإفريقيا بدعم كبير من الكنيسة الكاثوليكية، التي تعد محركها الأول وكثيرا ما دعمتها بالأموال ورصدت لها المكافآت المجزية.

---

(1) شوفاليه كورين، المرجع السابق، ص21.

(3) Berbrugger (Adrien), Le Pégnon d'Alger ou les origines du Gouvernement Turc en Algérie, Alger , Imprimerie Hasnaoui, 2013, p25.

(3) سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر والتوزيع الجزائر 2006، ص 35.

(4) خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة، تقديم وتعريب محمّد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للشر والتوزيع، الجزائر 1982م، ص 94.

3- الجزائر إيّالة عثمانية:

وقف الإخوة بربا روس[*] للإسبان بالمرصاد، وكان "عـروج" من المهتـمين بالمجال البحري، وقـد وجه إهتمام إخوته إلى هذا العمل؛ بدأ نشاط عروج اليومي قائدا للسفينة التي كانت تعمل في بيع مـا كان يصنعه أبوهم يعقوب من الخزف. ويُذكر أنّ تجارته هذه كانت مزدهرة في الجـزر القريبة من مثلين (مدلي) [**]، حيث كان يعمل مع أخوه إلياس الذي يشتهر بالتروي والحنكة في آرائه على عكس عروج الذي كان غير ذلك[1].

وهذا الأخير حسب الأسـير الإسباني هايدو هو أول من سمي بإسم بربا روس، ويُعد أيضا أول حـاكم تركي على مدينة الجزائر [2]. غير أنّ الأمور لن تبقى على حـالها طويلا إذْ سيسطع نجـم خير الدين الذي كان إسمه خضر كقائد للأسطول البحري الذي سيمخر عباب البحر الأبيض المتوسط، إنّ نشاط هذا الأسطول المتزايد سوف يرعب الأوربيين خاصة سكان السواحل الشمالية للمتوسط من الأناضول شرقا إلى إسبانيا غربا.

3.أ – نشاط الإخوة بربا روس في الحوض الغربي للمتوسط:

يروي لنا مؤلف كتاب إفريقيا الإسباني مارمول كاربخال بخصوص تواجد الإخوة في الحوض الغربي للمتوسط رواية مفادها أنّ الريس عروج بعد الهزيمة التي تلقاها ورفاقه على أسوار مدينة بجاية و إنسحـابه من محاصرتها ، فكر في مكان يكون قريب منها ليجعل منه قاعدة ويعيد الكرة لتحقيق أهدافه ، لذا فقد وضع مدينة الجزائر نصب عينيه. لقد كانت هذه المدينة تحت حكم "سالم بن التومي" يومئذ. ولما علم الأخـير بقدوم عروج فرّ إلى سهل متيجة، غير أنّ عروج أرسل إليه كتابا وأمنه على نفسه، بيد أنّ عروج لم يف بعهده وقام بقتله، وبذلك يكون عروج قد نجح في تنفيذ مشروعه الـرامي إلى الإستيلاء على المدينة وإقامة الحكم فيها [3]. وهناك رواية أخرى مفادها أنّ الإخوة بعد إنسحابهم من بجاية إتّخذوا من مدينة جيجل قاعدة لهم وليس مدينة الجزائر [4]، على أنّهم قدِموا من حلق الوادي وبذلك إنتقلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط. ونلاحـظ أنّ هذه الروايات غير مؤكدة دون العثور على دلائل توضح منحى هؤلاء، ومهما كان من أمر تواجد الإخوة بغرب المتوسط فإنّ ذلك أدى إلى إقامة قاعدة عسكرية لهم بمدينة الجزائر لتصبح مرسا بحريا تنطلق منه العمليات البحرية للدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي.

(*) أكبرهم عروج ويليه خير الدين، إسحاق وإليا س، تختلف الآراء حول أصل هذا اللقب (بربا روس)، فهناك من يقول أنّ عروج لقب به وهو من إسم بابا عروج وهناك من يقول أنّ خير الدين هو صاحب ال لقب، غير أنّ جلّ الكتابات تتفق في أنّ ال لقب يقصد به أصحاب اللحاء الشقراء . ينظر: حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، ترجمة وتحقيق محمّد حرب، ج1، ط1، دار البشير للثقافة و العلوم، مصر 2017م، ص ص 84 – 85.

(**) وُجد هذا الاسم كأحد النواحي التابعة للعثمانيين في شرق أوربا. ينظر: خوجة حسين، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق محمّد أسامة، ج 1، دار ابن رجب، القاهرة 2014م، ص590.

(1) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص84.

(2) De Haedo (Fray Diego), Histoire des Rois D' Alger, traduit et annoté par H-De Grammont, Alger, Adolphe Jourdan libraire, 1881, p3.

(3) مارمول كاربخال، إفريقيا، ج3، ترجمة محمّد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1989م، ص ص5- 7.

(4) شوفالي كورين، المرجع السابق، ص26.

3.ب- حكم عروج لمدينة الجزائر:

إختلف أهالي مدينة الجزائر حول تنصيب عروج حـــاكم عليهم، إذْ يُذكر أنّ بعض الأهالي قرروا مواصلة دفع الضريبة للإسبان والإحجـــام على الدخول في حرب تُجهل عواقبها وعلى رأسهم شيخ المدينة سالم بن التومي الذي تم ذكره سابقا[1]. ويظـــهر خوفه جليا من إنتقام الإسبان لا سيما أنّهم قريبين من المدينة . أما البعض الآخر فيرى أنّه من الحكمة الإستنجاد بالإخوة للتخلص من المقيمية الإسبانية التي بُنيت عام 1510م على الجزيرة[2]، وبالتالي التخلص من الضريبة المفروضة عليهم والتي كانت قد أثقلت كاهلهم على الرغم من أنّهم قبلوا بها تلافيا للحرب[3].

وَفَدَ الإخوة إلى مدينة الجزائر على الأرجح، بسبب سيطرة النصارى على سواحل المغرب[4]. وهذا بعد ما ذاع صيتهم، وبلغت شهرتهم أرجاء المتوسط بغزواتهم على سواحل أوربا، إذْ كان الحوض الغربي للمتوسط ميدانا لعملياتهم البحرية، ويذكر أنّه ذات يوم رسا الإخوة بأسطولهم الصغير بمدينة الجزائر، فـطلب منهم قاطنوها البقاء وأعلنوا البيعة لهم بالملك عليهم لإنقاذهم من الإسبان. إنّ الرغبة الشديدة لدى السكان تدل على حجم المخاطر التي كانت تحيط بهم لقد كان ذلك نتيجة لضعف دولة الزيانيين بتلمســان ودولة الحفصيين بتونس ولو كان حكام الدولتين على قدر من القوة لهبوا لنجدة هؤلاء أو هرع السكان إليهم.

يعتمد الكثير من الدارسين في قضية إلحاق الجزائر على الرسالة التي توضح استنجاد أهالي المدينة بالسلطان العثماني "سليم الأول"(1512م- 1520م)، عندما كان في القاهرة، يشرف على عملية تنظيمها بعد ضمّها للدولة عام 1517م. ومهما يكن الأمر فإنّ مدينة الجزائر كان ملوك تلمسان و إفريقية يتداولون الحكم عليها سابقا فتكون لمن غلب، ومرة يتغلب عليها مشايخها إلى أنْ دخلها العثمانيون وهذا كما أسلفنا نتيجة ضعف الأطراف السابقة[5].

ظلّ عروج ريس يقود إخوته، وفي عام 1516م حلّ بالمدينة ودخلها بسهولة وا ستقبله أعيانها ورحبوا به ترحيبا يليق بمقامه ووعدوه بمؤازرته[6]. إنّ إلتفاف هؤلاء حول القائد الجديد أعطى بُعدا إستراتيجيا في محاربة الأعداء داخلـــيا وخارجيا. وعليه دخل الإخوة إلى مدينة الجزائر دخول الفاتحين، وبعد ثلاث سنوات تقريبا جعلوا منها عاصمة لإيّالة الجزائر وحملت إسم المحروسة بعد تحطيم قلعة الإسبان ببرج الفنار بعد مرور عقد من الزمن، لقد كانت عملية صعبة للغاية ومحفوفة بالمخاطر أيضا.

---

(1) شوفالي كورين، المرجع السابق، ص23.

(2) Devoulx (Albert), La Marine de la régence d'Alger, R.Af, n°13, septembre, 1869, p389.

(3) بوشنافي محمّد، "مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط، 1512م - 1518م"، مجلة عصور، العدد 5/4، جامعة وهران، الجزائر جوان 2004م، ص279.

(4) الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، ج1، تحقيق بوعزيز يحي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2008م، ص 249.

(5) أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص ص160- 163..

(6) حاجي خليفة، المصدر السابق، 87.

سارع عروج وإخوته ومن معهم إلى ترتيب شؤون المدينة، حيث أولى عناية كبيرة لتقوية الدفاعات وتوفير الحماية الأمر الذي أزعج الإسبان وباتوا يخشون على مستقبلهم بالمدينة. وقد سارع هؤلاء إلى تقويض سلطة الإخوة حيث أرسلوا مجموعة من رياس البحر ممن يؤازرهم لتوجيه ضربة قوية تنهي حكم الوافدين الجدد ، وقد أبدى بعض الأعراب وكذا حاكم تلمسان موقف المساندة، وأرسلت إسبانيا بدورها حملة تتألف من عشرة آلاف جندي إلى المدينة وما كان على عروج إلا الإستعداد إذْ بادر إلى شحذ همم الجند الإنكشاريين وحتى المهاجرين الأندلسيين الذين إمتلأت قلوبهم من ضيم الإسبان بالأمس القريب، كما أنّ بعض القبائل والأهالي وقف معهم من أجل التصدي للحملة. ومهما يكن من أمر فإنّ القتال كان دامياً وأبدى المدافعون عن المدينة إ ستماتة قلّ مثيلها لتنتهى المعركة بهزيمة الإسبان هزيمة نكراء أُغرقت من جرائها معظم سفنهم، إلا السفينة الكبيرة التي كان يمتطيها القائد العسكري "ديقو دي فيرا " فقد نجت ولم تصب بأذى نتيجة بقائها بعيدا عن دائرة مرمى المدافع الجزائرية[1].

شغل بال الإخوة بعد ذلك سطوة حكام تلمسان عاصمة الزيانيين ، بيد أنّ ذلك كان أمرا صعبا، فمدينة تنس الواقعة على طريقهم إليها كانت لا زالت تحت حكم أمير الزيانيين المتعاونين مع الإسبان، وقد تم تحرير المدينة في شهر جويلية من عام 1517م. وبينما كان عروج هناك ينظم شؤون المدينة وصل إليه مبعوثون من تلمسان يشكو ن حاكمها "أحمد الثالث" الذي إغتصب الحكم من ابن أخيه "أبي زيان الثالث"، وشرحوا له خطر الإسبان الذي بات يهدّدهم.

هبّ عروج لمساعدة هؤلاء وإنطلق صوب تلمسان واستولى في طريقه على قلعة بني راشد بالقرب من معسكر ووضع بها حامية عسكرية نصب عليها إسحاق، ثم واصل سيره إلى تلمسان التي دخلها بعد أنْ دحر جيش الزيانيين ونصب الأمير أبو زيان الثالث مرة أخرى، ومما يشاع أنّ عروج فتك بأهالي تلمسان لموالاتهم الإسبان [2]. و بذلك أثار عروج حقد هؤلاء عليه لذا نجدهم ساندوا الأمير الذي تآمر عليه و أسروا الإنتقام منه إلى حين، لذا حاولوا قتله، وهذا ما جعل عروج يفتك بالأمير الزياني ويتخلص منه، ولكن ذلك لم ينه تواطؤ هؤلاء مع الأعداء في الخارج.

يُروى أنّ "أبو حمو الزياني" ذهب إلى مدينة وهران يستصرخ الإسبان الذين إستطاعوا أنْ يسيطروا على قلعة بني راشد، لقد كان ذلك عملا إستراتيجيا لقطع الطريق على عروج وجيشه عند العودة، ومن نتائج ذلك قَتْلُ إسحاق وضرب الحصار على المدينة حيث إعتصم عروج ومن معه من الجنود بمكان يسمى المشور بمدينة تلمسان عدة أيام وتم تضييق الخناق عليه، بيد أنّ عروج ضاقت عليه السبل وخرج ذات ليلة باتجاه السـاحل، بيد أنّ عيون الأعداء ترصدته وفضحت أمره، وتَقَفَّوا أثره حتى تمكنوا من قتله بالقرب من بني موسى في عام 1518م[3]. ونشير هنا إلى كثرة الآراء حول المكان الذي أغتيل فيه. ومهما يكن فإنّ هذه المأساة لم تكن لتحط من عزيمة خير الدين أو تثنيه على الإستمرار في حربه ضد الإسبان ومعاونيهم وتنهي وجودهم بالجزائر، هذا وقد كان يفكر في العودة لحياة الغزو البحري كما كان سابقا. وعليه ظهرت قضية إلحاق الجزائر بحكم الدولة العثمانية، إنْ لم تكن مشروعا مسبقا كما يذهب إليه بعض المؤرخين المعاصرين عندما شككوا في أمر الإلحاق.

---

(1) سالم أحمد، السّيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2011م، ص89.

(2) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ص90 - 91..

(3) حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية...، ج1، المرجع السابق، ص ص102 - 109.

3.ج – إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

فُجع الريس خير الـدين في مقتل أخويه إسحاق وعروج، ولم يعد له سند كما كان، لذا فكر في مغادرة الجـزائر بيد أنّ رَفْضَ هذا الأمر بدا جليا من طرف أعيان المدينة حيث طلبوا منه البقاء والتريث فيما هو مقبـــل عليه، خاصة وأنّ الخطر الإسباني لا زال قائما بالقرب منهم. لقد إستجاب خير الدين لطلبهم وعدل عن أمر الرحيل. ويُذكر أنّه راسل السلطان العثماني للنظر في القضية، ومنحه الحماية اللازمة. رأى بعض من الأعيان أنْ يُرسل نائبه الموثوق به وهـو "الحاج حسين" إلى جلب ما أراد من الجند والمـؤن بعد الموافقة على طلب الإلحاق. على أنْ يبقى خير الدين في المدينة ولما رجع إليه كان مصحوبا بحصان وخلعة وشارة و غيرها من مستلزمات [1]. ومهما يكن من أمر فإنّ ما يؤكد الإلحاق أيضا ما ورد في مخطوط الزهرة النائرة التي جاء فيها عن الكتاب الذي بعث به السلطان بأنّهم ممن تشملهم عنايته وتجـرسهم رعايته[2]. وهـــذا أثناء إقامته بمصر التي بقي بها ثمانية أشهر إلا أياما معدودات يدبر شؤونها[3].

كانت الرسالة مؤرخة في عام 925هـ/ 1519م، ومـلـيقبة بأمر من خير الدين، ومما جاء فيهـا: ".. ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامكم لمقامكم العالي هو أنّ خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي، إلا أنّ عقلاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذْ هدفهم هو النيل منا، ونحـن على غاية الضعف ..."[4]. ولكن الأمر الأكثر ترجيح أنّها كتبت في سنة 1518م، وأنّ الردّ وصل إلى الجزائر في 15 ماي 1519 بعد أنْ تأخر لعدة أسباب[5]. توخى خير الدين من الرسالة ربط الجزائر بالدولة العثمانية . وتُعتبر هذه الرسالة بإختصار شاهدا على أحوال الجزائر السياسية في العام نفسه، حيث أوضحت وبَيَنَتْ الكثير من الأحداث الهامة.

إنّ إنضمام الجزائر للدولة العثمانية كان بموافقة السلطان "سليم الأول"، وإنْ كان هناك ريب في الموافقة من عدمها فكيف تم إلحاق الجزائر بسلطة الباب العالي؟ ومن أرسل الألفين جندي من الإنكشارية إلى الإيّالة لحمايتها ؟ إنّ هذا الإهتمام بالإيّالة الناشئة أدى إلى تعيين خير الدين حاكما عليها برتبة بايلرباي، وهي النقطة التي إرتكزت عليها السلطة العثمانية بالجـزائر إذْ كان حُكّامها يتم تعيينهم من طرف السلط ان لفترة طويلة في بادئ الأمر. ثم تغير الوضع لعدة أسباب لعل أبرزها عدم جدوى تعيين الباشاوات من قبل العثمانيين بعد أنْ أصبحوا مصدرا للإزعاج و اهتمامهم بنهب أموال الخزينة الجزائرية و استرجاع ما بذلوه[6].

---

(1) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص93.

(2) ابن رقية الجديري بن مُحَمَّد التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق سعيدي خير الدين، ط 1، دار أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر2017م، ص109.

(3) برناز أحمد بن مصطفى، الشهب المحرقة لمن إدعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة، مخطوطة بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم05849، ورقة 21.

(4) غطاس عائشة وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر 2007م، ص 25.

(5) شوفاليه كورين، المرجع السابق، ص ص 40 – 41.

(6) الراشدي ابن سحنون أحمد بن مُحَمَّد، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر2013م، ص460.

ثانيا – التهديدات العسكرية ضد التواجد العثماني بالجزائر ما بين سنتي 1519–1541م:

كانت القوة العسكرية الإسبانية بالمقيمية بمثابة حرس لساحل الجزائر، وسدا منيعا لا يدع السفن تخرج لجلب الغنائم. ولم يتوقع الإسبان بأنّ إحكام قبضتهم على المدينة سيرتخي بتلك السرعة الكبيرة، إذْ بعد إستقرار خير الدين تغيرت الأمور كثيرا ولم يعد هناك إزعاج للسكان كما كان، لذا لن يبقى الإسبان دون تحرك.

1– حملة هوقو دو مونكادا على مدينة الجزائر سنة 925هـ/ 1519م:

لم تكن الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر جديدة بل كانت تكملة لسلسلة تلك الغارات والهجمات التي كان ينوي من خلالها الإسبان السّيطرة على المدينة وتدعيم وجودهم بالقلعة، وبالتالي فتح الطريق نحو الشرق وإستكمال السّيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتُعد حملة عام 1519م، بمثابة إجراء إحترازي يقوم به الإسبان بعدما أصبحت الجزائر إيالة عثمانية رسميا في هذه السنة. أُسندت الحملة للقائد المذكور حيث كان يشغل منصب نائب حاكم جزيرة صقلية في هذه الفترة، كان في تقديرات هذا الأخير توجيه حملة عسكرية لمدينة الجزائر لإنهاء التواجد العثماني ما دام في بدايته، أما عن عُدتها فقد كانت تتكون من 5 آلاف رجل مجهزين تجهيزا جيدا. نزلت الحملة في وادي الحراش في بداية فصل الصيف وعلى عكس الحملة السابقة التي كانت قد حلّت بباب الوادي وكانت في شهر سبتمبر أي في بداية فصل الخريف[1]. يُذكر أنّ عدد السفن كان 320 سفينة[2]. ومما يلاحظ أنّ العدد مبالغ فيه. ومهما يكن من أمر فإنّ التغييرات تدل على حرص الغزاة على تحقيق النصر.

بلغت التحرشات الإسبانية الذروة على سواحل المغرب الإسلامي، فقد إمتدت من مدينة حجر بادس غربا إلى جزيرة جربة التونسية شرقا [3]. وعليه يكون أسطول الإخوة بربروس الصغير في ضيق شديد من هذا الإحتلال الواسع وعلى ما يبدو أنّ مشروع "دو منكادا" كان يسير ببطء شديد. وبالمقابل كانت رغبة خير الدين كبيرة في إيجاد مجال بحري للتحرك، فقد إستطاع أنْ يضم ميناء عنابة في الشرق الجزائري إلى حكمه، كما عمد إلى زيادة تحصين مدينة الجزائر تحصينا يؤهلها إلى القيام بعمليات الدفاع ضد الأخطار التي بدأت في الظهور قبل مدة. رست الحملة الإسبانية الإيطالية قُبالة مصب وادي الحراش، غير أنّها لم تباشر عمليات القصف بل كانت تنتظر المدد من قبل حاكم تلمسان، فالأخير كان يمقت خير الدين لما يشكله من خطر على مملكته كيف لا وقد قتل إخوته من ذي قبل. وبعيدا عن تلك الأجواء المشحونة بين من هم يتقاسمون الحكم في مناطق الجزائر وبينما كان الأسطول راسيا في مكانه كانت قد هبت عاصفة هوجاء شتت شمله ومزقت وحدته.

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا 1500م – 1830م، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر2009م.، ص37.

(2) أبو راس الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تحقيق بوركبة محمّد، ج1، ط1، م و ف م، الجزائر 2011م، ص336.

(2) Braude (Fernand), Les Espagnols et la Berbérie de 1492 à 1577, Alger, l'imprimerie Hasnaoui, 2013 ,p59.

إرتطمت 20 سفينة بصخور الساحل، عندها إنتهز الجنود الإنكشاريون الفرصة مع الأهالي وهاجموا سفن العدو مما أفقده توازنه وولّى منهزما وترك خلفه 300 جندي و 36 ضابطا في الأسر. وكان عدد القتلى أكثر من ذلك بكثير[1] . وعليه إرتفعت معنويات خير الدين بعد أنْ أصبح ممثلا للسلطان العثماني وزادته قوة لحكمه[2].

2- تحالف ابن القاضي مع الحفصيين ضد خير الدين سنة 927هـ/ 1521م:

زادت عداوة الأمير الحفصي للإخوة عندما منعهم من التزود بالمؤن أثناء قيامهم بمحاولة تحرير مدينة بجاية. يُفسر هذا الخوف الحفصي من القوة المتنامية للإخوة من كونهم أصبحوا يشكلون خطرا حقيقيا على سلطته بتونس خاصة وأنّها لا تبعد كثيرا عن مدينة الجزائر وتقع في طريقهم نحو مقر السلطة العثمانية بالشرق، فما كان على الأمير الحفصي إلا أنْ تحالف مع أعداء خير الدين وهم الإسبان[3].

زاد خوف الحفصيين على ملكهم بتونس خاصة، وحتى نفوذهم بالمغرب الأوسط كان يتعرض للأخطار المحدقة بما أنّهم كانوا في هذه الفترة يسيطرون على شرقه وذلك بسيطرتهم على إقليم عنابة وإقليم قسنطينة، لذا لم يكن تحالفهم مع الإسبان هو الأول من نوعه ضد الإخوة حيث إستطاعوا ربط علاقات مع أمير جبل كوكو "ابن القاضي"، وذلك بعد أنْ هزم خير الدين وأخرجه من مدينة الجزائر، لقد منح أبو عبد الله السلاح لابن القاضي لذا إستطاع أنْ يحقق الإنتصار بسهولة[4]. هذه الأحداث كانت تنبيء بمصير غامض للزعامات المحلية.

لم يكن حال سكان مدينة الجزائر بالأفضل بعد خيرالدين بل تكدّر أكثر عندما بادر ابن القاضي إلى رفع قيمة الضرائب وعمد إلى نهب المدينة نهبا منظما. ومما كان يزيد من سطوته وعدم خوفه هو الإحتلال الإسباني بالقلعة. في حين كان أعداؤه يتزايدون يوما بعد يوم. وفي غضون تلك السّنوات القليلة كان خير الدين في قاعدته بمدينة جيجل شرقا يراقب الأحداث عن كثب، ومما بادر إليه هو تحالفه مع أعداء ابن القاضي حيث سيطر على سهل متيجة المحيط بالمدينة وسار حال ابن القاضي من سيء إلى أسوء، عندما هاجم أهل جبل كوكو مدينة الجزائر وقتلوا صاحبها على الرغم من أنّه من بني جلدتهم، وقدّموا رأسه لخير الدين دليلا على طاعتهم له [5]. وهكذا إستطاع خيرالدين العودة لحكم المدينة سنة 1527م، إذْ سهر على تأسيس الإيّالة تأسيسا فعليا بقضائه على المتمردين [6]، الأمر الذي ساعد على الإستقرار كما يُعطي للإيّالة بُعدا إستراتيجيا يتم من خلاله فرض السّيطرة وبالتالي إثبات وجودهم في عالم يشهد تغيرات جذرية كبيرة.

---

(1) وولف جون ، المرجع السابق، ص33.

(2) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص25.

(3) المطوي محمّد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م، ص679.

(4) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص ص 26 - 27.

(5) وولف جون، المرجع السابق، ص ص38- 39.

(6) بخدة الطاهر، "دور الأتراك في انبعاث و وحدة الدولة الجزائرية الحديثة"، مجلة عصور الجديدة عدد11- 12، جامعة وهران 2013- 2014م، ص202.

ثالثا– تحطيم المقيمية الإسبانية بمدينة الجزائر سنة 935هـ/ 1529م:

كان أهم عمل قام به خير الدين في نهاية عقد العشرينيات من القرن السادس عشر هو تحطيم قلعة البنيون إنّ هذه الحادثة لم تكن حادثة عادية بل يجب الوقوف عندها للتأمل فيها، كيف لا وهي تُعد بمثابة نهاية الإحتلال الإسباني لسواحل إيّالة الجزائر، وبقائه في المرسى الكبير ومدينة وهران. وعلى كل حال فإنّ هذا الإنتصار المحقق لم يكن ليمرّ مرور الكرام فالإسبان من عادتهم لم يكونوا ليفوتوا فرصة من هذا النوع إلا وقاموا برد فعل، ولكن ظروفهم في هذه الآونة لم تكن تسمح لهم بذلك.

كان الإمبراطور "شارل الخامس" مشغولا بحرب الفرنسيين بقيادة ملكهم "فرانسوا الأول" من أجل السّيطرة على أوربا. إنّ هذه الأوضاع وحالة الحرب المعلنة أحيانا وغير المعلنة أحيانا أخرى كانت تمليها المصالح الشخصية لهما [1] والدليـــل على ذلك هو تقرب الملك الفرنسي من السلطان العثماني "سليمان القانوني" وما نتج عن هذا التقارب من عقد إتفاق للسلم والتجارة وتنصيب قنصل دائم هناك [2]، إذْ تُعد هذه الخطوة هي اللبنة الأساسية التي بنيت عليها العلاقات بين الطرفين.

مهما يكن من أمر الحرب بين الإسبان والفرنسيين فإنّ مجهودات خير الدين كانت قد تضاعفت وبلغت شهرته الآفاق، خاصة بعد حادثة إفتكاك البنيون التي كُنا قد أشرنا إليها سابقا. فإنّ تتبع وملاحقة السفن الإسبانية أصبح أمرا مطلوبا لدى البحارة الجزائريين، ففي إحدى خرجاته أي خير الدين كان قد إستولى على 8 سفن إسبانية بقيادة الأميرال "رودريقز"[3]، ولن تتوقف أعماله عند هذا الحد بل ستزيد على ما كانت عليه وفي أماكن بعيدة عن سواحل الإيالة.

بعد مرور سنتين على إسترجاع صخرة البنيون يكون الإسبان قد فكروا في عمل عسكري ضد الجزائر، وهذا ما كان فعلا عندما وجهوا حملة ضد مدينة الجزائر، ولكن القائد الإسباني "أندري دوريا" [*] لم يكن ممن له الجرأة على مواجهة خير الدين حيث توجه بحملته نحو مدينة شرشال في سنة 1531م. بغية الإنتقام والبحث عن إسترداد الهيبة الضائعة بالأمس القريب.

---

(1) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص27.

(2)Paul(Masson), histoire des établissements et du commerce Français, dans l'Afrique Barbaresque, 1560-1793 Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Paris, librairie Hachitte, 1903,p2.

(3) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص27

(*) جنوي الأصل ولد سنة 1468م، إنضم لفرسان القديس يوحنا لمحاربة العثمانيين، ثم دخل في خدمة فرانسوا الأول إلا أنّه بعد سنة 1525م عندما تخلى فرانسوا الأول عن حكمه لجنوة إنتقل أي دوريا لخدمة شارل 5 رسميا عام 1528م، خاض عديد الحملات على سواحل الجزائر، توفي عام 1560م، أشتهر بعدائه للإسلام: ينظر بيشي رحيمة، العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية 1494 – 1574م، مذكرة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي غرداية، الجزائر2012م.، ص75.

رابعا– محاولات الإسبان لاستعادة نفوذهم:

أثّر سقوط المقيمية الإسبانية بمدينة الجزائر أثرا بالغا على سياسة شارل الخامس تجاه ملك فرنسا، ذلك أنّه لم يتوقع أحد أنْ يقدّم شارل الخامس هذه التنازلات الكبيرة لألد خصومه في أوربا في هذه الفترة العصيبة، وهو الأمر الذي يوحي بتخبط سياسة هذا الإمبراطور وتشعب إهتماماته، وبقدر ما كان هذا الحدث عظيما فإنّ وقعه كان أشد، ففي اللحظة الراهنة كانت تطغى المصالح الشخصية على كل إعتبار، ولم تكن هذه المآزق تخص فرانسوا الأول أو شارل الخامس بل حتى السلطان العثماني سليمان القانوني نفسه.

1– الصلح بين شارل الخامس وفرانسوا الأول1529م:

إذن المصلحة الشخصية أملت على إمبراطور إسبانيا ضرورة عقد سلم مع ملك فرنسا، وهو صلح كامبري (Cambrais)[1]، أو ما يسمى بسلام السّيدات، وهناك عاملان آخران أديا إلى هذا التقارب بين الغريمين والعدوين التقليديين ألا وهما:

أولا: توحيد الجهود بين قوات شارل الخامس وأخيه "فرديناند" ملك الرومان ضد المحاولات العثمانية للإستيلاء على مدينة فيينا التي تم حصارها في شهر سبتمبر 1529م، لكي لا يتم تفريق جهود الجيش بين حرب العثمانيين والفرنسيين. لقد ألقت قضية التوسعات العثمانية في أوربا بضلالها على العلاقات وأوجدت شبكة جديدة من الجوسسة للتعرف على كل تحركات الخصم، فقد كانت خيانة وزير سليمان سببا كافيا لرفع الحصار عن المدينة[2].

ثانيا: نشاط البحرية الجزائرية بقيادة خير الدين على السواحل الإسبانية لنجدة مسلمي الأندلس [3]، وعليه تيقن الإسبان من خطورة الدور الذي بات يمثله.

لم تكن هذه الهدنة الظرفية لتعمر طويلا فستنقض مباشرة بعد زوال الظروف التي أدت إلى عقدها، فبينما كان الإسبان يفكرون في الإنتقام كانت ديبلوماسية فرانسوا الأول تعمل لإيجاد إطار سياسي لعقد إتفاق معهم ما دامت العلاقات متوترة مع الإسبان، فيشاع أنّ الإتفاق بين الطرفين كان بواسطة سفير فرنسا ببلغراد "رونسون" حيث قابل الأخير السلطان في 05 جويلية 1532م، بإحتفال كبير جدا ووعد السلطان السفير بمحاربة شارل الخامس وتقديم المساعدة[4].

---

(1) سمي كذلك لتوقيعه من طرف والدة فرانسوا الأول لويز (Louise) ومارجريت أميرة الأراضي المنخفضة عمّة شارل الخامس، تضمن تخلي شارل 5 على برجنديا لفرنسا، يتنازل فرانسوا عن أطماعه في فلندرا وأرتو ويتزوج أخت شارل الخامس بالإضافة إلى إطلاق سراح أبنائه من إسبانيا مقابل مليون قطعة ذهبية ينظر: نوار سليمان عبد العزيز، محمود محمّد جمال، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر 1999م ص99.

(2) مجهول، إتحاف ملوك الزمان بتاريخ شارل الخامس، ترجمة افندي خليفة، ج2، ب ت، ص30.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص ص 41 – 42.

(4) المحامي محمّد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان 1981م.، ص217.

2- حملة أندري دوريا على مدينة شرشال1531م:

ظلّ سكان مدينة الجزائر في ضيق ونكد من جراء تعسفات ابن القاضي، ولم يهدأ لهم بال حتى رجع إليهم خير الدين لتسيير شؤونهم، ولكن مصدر إزعاج السكان لم يكن في سياسة ابن القاضي فقط بل في التواجد الإسباني في المقيمية التي توجد على القلعة، لأنّ الإسبان كانوا يفرضون ضرائب باهضة لهم بتواطؤ من ابن القاضي، لم تكن هذه الضرائب سهلة على السكان لتسديدها بل كانت أشد ما يؤرقهم.كان أول عمل ينتظر القائد الجديد القديم للمدينة هو القضاء على الإسبان ونفوذ ابن القاضي على حد ســـواء، ولكن بالمقابل كان هذا العمل يتطلّب مجهودات إضافية وكبيرة في الوقت نفسه، نظرا لحصانة القلعة الإسبانية وطول فترة إنشائها منذ سنة 1510م، وكذا النفوذ الكبير الذي كان يتمتع به ابن القاضي، فكيف سيستطيع خير الدين العودة إلى المدينة وإستعادة حكمها؟

يُذكر أنّ تاريخ عودة خير الدين إلى حكم المدينة كان في سنة 1527م، حيث بدأ تفكيره الجدي بإزالة هذا الخطر الجاثم على صدر سكان المدينة، ولن نخوض في تفاصيل القضية لأنّه ليس بموضوعنا . وبعد مُضي سنتين على قدومه كان خيرالدين على أتم الإستعداد لاسترجاع القلعة من أيدي الإسبـــــان، حيث كان له ذلك في 16 ماي 1529م[1]. وعليه قرر الإسبان بعد هذه الحادثة الإنتقام من خير الدين ومحاولة إحتلال ما فقدوه ثانية، فأعدوا العـــدة وجهزوا حملة قوامها جل سفن الأسطول الإسباني و 20 سفينة فرنسية على متنها أعداد كبيرة من الجند [2]. بينما يذكر آخر أنّ عددها كان 38 سفينة تحمل1500رجل[3]، بغية إحتلال المدينة، وقد أُسندت قيادتها لأندري دوريا، ولم يَذكر خير الدين في مذكراته أمر السفن الفرنسية بل نسبها لجنوة وعددها كان 10 فقط[4]، لأنّ في هذه الفترة كانت جنوة قد تحررت للتو من الحكم الإسباني كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

باغت جنود الحملة سكان المدينة وألحقوا بهم خسائر معتبرة فضلا عن حالات الخوف والهلع التي أصابتهم من جراء هذه الحالة. فرّ السكان وخرجوا من المدينة وخلا الجو للإسبان الذين صبّوا جام غضبهم هناك. وفي تلك الأثناء ظهرت طلائع سفن خير الدين القادمة لنجدة المدينة، ولكن بعد أنْ حرروا 700 أسير مسيحي وألحقوا خسائر معتبرة بالمدينة وأهلها[5] لقد أسر خير الدين 1900 أسير إسباني كان من بينهم أميرال فرنسي، وقبطان أيضا [6]. على أنّهم سيعاودون محاولات لضري الجزائر و لكن ليس أقل من عقد من الزمن.

---

(1) بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، دار عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009م، ص16.

(2) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ص98- 99.

(3) فكاير عبد القادر، الحملة الإسبانية على مدينة شرشال و فشلها1531م، مجلة دفاتر البحوث العلمية، العدد2، المركز الجامعي تيبازة 2013م، ص261.

(4) خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص149.

(5) De Haedo Diego, de la captivité a Alger, tradu Moliner Violle, Alger, typographie Adolphe Jourdan,1911, p223.

(6) خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص151.

البـــــــــــاب الأول

التحالفات الإقليمية والدولية ضد الإيّالة الجزائرية

خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجري

السادس عشر والسابع عشر ميلادي

فصول الباب الأول

– الفصل الأول: حمـلات التحالف ضد الإيّالة ما بين سنتي 948–1011هـ المـــــــــــوافق لـ 1541– 1603م.

– الفصل الثاني: حمــلات التحالف ضد الإيّالة ما بين سنتي 1018– 1087هـ المـــــــــــوافق لـ1609– 1676م.

– الفصل الثالث: حملات التحالف ضد الإيّالة ما بين سنتي 1091– 1120هـ المـــــوافق لـ1679– 1708م.

الفصـــــل الأول

حملات التحالف ضد إيّالة الجزائر

مـا بيـن سنـــتي

948-1011هـ

المـــــــوافق لـ

1541-1603م

عناصـــــــر الفصــل الأول:

- تمهيد.

أولا- الحملة الصليبية بقيادة شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 948 هـ/ 1541م.

ثانيا- التحالف الإسباني المغـــــربي ضد الجزائر في مــزغران سنة 966هـ/ 1559م.

ثالثا- مشروع التحـالف الصلـيبي لغزو الجـــــزائر سنتي 966هـ/ 1559- 1560م.

رابعا- التحـــــالف المسيحي ضد الـــــدولة العثمـانية والجزائر في ليبانت سنة 978هـ/ 1571م.

خامسا - الحملــة الصليبــية على مـــــدينة الجـــــزائر سنة 1009هـ/ 1601م.

سادسا- تحـــــالف أميـــــر كوكـــو مع الإسبــان ضـــــــــد الإيّـــــالة سنة 1011هـ/ 1603م.

تكْشف لنا الأبحاث التاريخية التي عرضتها مختلف المصادر عن الأحداث المتسارعة التي كانت كامنة بفعل ترسبات العصور الوسطى إذْ طفت على سطح البحر الأبيض المتوسط، وأثّرت بأشكال مختلفة على جوانب الحياة فيه لقد لاحت في الأفق معالما واضحةً لعالم لن يكون كالسابق. فعند تشكل كيان الإمبراطورية الإسبانية ومحاولاتها للسيطرة على المسطحات المائية القريبة منها بل وحتى على البعيدة، وكان التوجه الرئيسي نحو الشرق إذْ كان محفوفا بالمخاطر لإرساء قواعد للسيطرة هناك، إنّ رغبة مؤسسي الإمبراطورية إصطدمت بتوجهات العثمانيين نحو الغرب أيضا وعليه أصبحت المصالح متقاطعة بين الطرفين، وهو ما يوحي بحرب وشيكة سيكون البحر المتوسط في حوضه الغربي ميدانا لها. كما سيكون وقودها بلا شك الرجال أغلى عُملة.

على الرغم من نجاح العمليات الأولى للإحتلال الإسباني لسواحل شمال إفرقيا بفعل المساندة المطلقة التي وفرتها الكنيسة الكاثوليكية إنطلاقا من الخبرة التي كانت تكتسبها منذ البدايات الأولى للحرب المعلنة على مسلمي الأندلس، وبعد إستنفار الإيطاليين والفرسان المسيحيين أيضا لمساندة المشروع الإسباني. وبالمقابل كانت المساعدة العثمانية للإخوة بربروس كفيلة بتهديد المواقع الإسبانية المتناثرة على الساحل بل حتى للقواعد الأساسية للمسيحية في أوربا. ففي سنة 1529م؛ عندما كانت المدفعية الإسلامية تدك أسوار مدينة فيينا دكا نجح خير الدين في تحرير مدينة الجزائر من القلعة الإسبانية المهددة لها منذ عقدين من الزمن. لقد كانت هذه السنة مفصلية بحق في تاريخ الحروب بين الهلال الإسلامي والصليب المسيحي لأنّ الإسبان على دراية كبيرة بالخطر الإسلامي وما يمثله .

كانت نهاية العقد الثالث من القرن السادس عشر تنذر بتطورات جديدة على مستوى إهتمامـــات قادة الأطراف المتصارعة على البحر المتوسط وضفافه. ولعـــل أبرز مشاهد عقد الثلاثينات هي حالة الشد والجـــذب بين الطرفين فعدم تحقيق نصر عثماني في قلب أوربا وتحقيقه في الجزائر قابله كذلك إخفاق إسباني في إعادة إحتلال الجزائر و الإكتفاء بضرب شرشال والإنتصار في تونس. على إثر ذلك تيقن الإمبراطور شارل الخامس من ضرورة التحرك العاجل لوقف التهديدات التي باتت تستهدف أجزاءً واسعة من مملكته، ولن يتأتى ذلك إلا بتنازلات سيقدمها لأعدائه، إنّ هؤلاء ليسوا من المسلمين ولكن من المسيحيين أنفسهم فروح التعصب المسيحي كانت قد بلغت الذروة عندما صوروا الإسلام بأنّه خطر يهددهم جميعا.

أولا– الحملة الصليبية بقيادة شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 948 هـ/ 1541م:

بعد أنْ استعرضنا جملة من الأوضاع عن إيّالة الجزائر والإمـــبراطورية الإسبانية، لما لها من علاقة وطيدة بالبحر المتوسط بل وصلة وثيقة وتأثير مباشر في تلك الهجمات التي تعرضت لها الإيّالة الناشئة التي ما فتئت تُثْبت وجودها على الساحة المتوسطية والدولية. وعليه كانت هناك عوامل كثيرة أدت بالإمبراطور شارل الخامس إلى توجيه حملة على مدينة الجزائر ونذكر منها:

1– أسباب الحملة:

بعد تخلص العثمانيين من مضايقات الفرس، أصبح التحرك ضد الإسبان مسألة وقت لا غير. فركز هؤلاء على المضايق البحرية جنوب إيطاليا لأنّها المنفذ البحري الوحيد بإتجاه الحوض الغربي للمتوسط ومدينة الجزائر، ففي هذه الفترة كان شارل الخامس قد سيطر على تونس التي تمثل العدوّة الجنوبية لمضيق صقلية ومن يسيطر عليه فسيسيطر على البحر المتوسط، وعليه سيتحكم في أهم طريق تجاري، وذلك ما عزز البحث عن طريق بديل.

1.أ– التحرك العثماني نحو الغرب:

كان أول تحرك عثماني في هذا الإتجاه سنة 1537م، عندما أبحر أسطولهم المتكون من 400 سفينة مختلفة صوب جزيرة إيطاليا، يحمل على متنه 15 ألف جندي مزود بـ 300 قطعة مدفع، فضلا عن مختلف الأسلحة الأخرى من قربيلات ورماح وغيرها. ولما دخل الأسطول قُبالة ساحل إيطاليا كان الرعب والهلع سيّد مشهد سكانها وعلى رأسهم البابا، إذْ أُنزلت القوات بالقرب من مدينة أوترنتو، وكان الهدف العثماني هو الإستيلاء على جزر البحر الأيوني التي كانت مصدر إزعاج للبحرية الإسلامية من طرف البحارة المسيحيين وخاصة البنادقة منهم، هؤلاء كانوا يُحكمون سيطرتهم على البحر الأدرياتي. وعليه كانت آمال قائد الأسطول "لطفي باشا" كبيرة جدا للسيطرة عليها، إنّه على الرغم من توفر الإمكانيات لتحقيقها والوقت كان مناسبا للغاية مع بداية فصل الإبحار غير أنّه لم يستطع ذلك[1].

لم يستسلم العثمانيون جراء الخيبة التي أصابت قائد هذا الجزء من الأسطول فقد خطر لخير الدين معاودة الكرّة على أنّ السلطان خرج كذلك يطلب إيطاليا والبندقية وإسبانيا وميناء أوترنتو وجزيرة كرورفو عن طريقر البر . يروي خير الدين بعد دخوله للبحر الأدرياتي أنّه قضى على جزء هام من أسطول البندقية، أمّا حملة السلطان كانت قد رجعت إلى إسطنبول، لقد حفز التراجع العثماني عند نهاية فصل الإبحار البابا والملك الإسباني على التحرك لإجهاض المشروع العثماني فتحالف مع البنادقة، وعليه كانت المواجهة بين الطرفين في بريفيزا (بروزا) في السنة القادمة مع نهاية فصل الإبحار لهذا العام، أمّا المعركة فقد إنتصر فيها العثمانيون على المسيحيين إنتصارا ساحقا[2].

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص ص52 – 53.

(2) خير الدين بربا روس، المصدر السابق، ص ص181– 184.

1.ب- معاهدة نيس سنة 1538م:

ظّل شارل الخامس منشغلا بحروب ملك الفرنسيين فرانسوا الأول وعلى الرغم من التوصل إلى هدنة مؤقتة عام 1531 أو 1532م، إلا أنّها كانت ظرفية ولم تعمر طويلا. ففي السّنوات القليلة بعدها كان قد توصل إلى عقد إتفاقية معهم كانت أكثر واقعية من الأولى وهذا في سنة 1538م بمدينة نيس الفرنسية[1].

يُعْتقد أنّ هذه الإتفاقية كان لها تأثير كبير ومباشر في إطلاق يد شـــارل الخامس نحو الجنوب للقضاء على التواجد العثماني بمدينة الجزائر الذي كان يقضّ مضجعه منذ أنْ أصبحت عثمانية. وبالعودة إلى السّنوات القليلة الماضية لتفسير هذه الإتفاقية نجد أنّ فرانسوا الأول كان أسيـــر حرب لدى الإسبـــان في غضون سنة 1525م، عندما كان بأحد سجون مدينة مدريد.

لم يلبث فرانسوا الأول طويلا في الأسر إذْ خرج منه بسبب تركه لولدين رهينة لدى شارل الخامس مما حـــزّ في نفسه فجعله يتحالف مع عدو شارل الخامس ألا وهو سليمان القانوني، فأرسل له رسالة مـــع أمه يستغيث به ضد الإسبان. إنّ سعي الملك الفرنسي للتحالف مع سليمان ضد شارل الخامس لم يكن أمرا سرّيا كما توقع بل انتشرت أخباره في كل أصقاع أوربا، فسادت موجة من الغضب والتذمر من جراء ذلك، فما كان على ملك الإسبان إلا أنْ ألغى المعاهدة السابقة[2]. التي كانت تتضمن عهدا من فرانسوا الأول بالحياد في حالة ما إذا شنّ شارل الخامس حملة على مدينة الجزائر[3].

قضى التحالف العثماني الفرنسي بتنسيق الجهود للقيام بهجوم على إيطاليا في ماي 1538م، حيث أعدّ العثمانيون جيشا عظيما كما أشرنا سالفا، وكان الفرنسيون على أهبة الإستعداد للإنقضاض على إيطاليا وفق خطة محكمة وهي أنْ يتم الهجـــوم العثماني من الشرق قبالة سواحل ألبانيا والفرنسي من الغرب على أنْ يهاجم خير الدين ناحية الجنوب إنطلاقا من مدينة أوترنتو. ولكن حدث ما لم يتوقعه العثمانيون وهو إنســـحاب القوات الفرنسية في آخر لحظة، نتيجة خضوع فرانسوا لضغوط البابا "بولس الثالث" وقرر عدم خوض هذه المعركة التي كانت صفعة للعثمانيين وجنّبت إيطاليا حربا وشيكة ستتعداها إلى أوربا حتما [4]. لقد كانت هذه الأحداث دفعا قويا لمشروع إحتلال الجزائر وعديد من المدن الساحلية.

---

(1) تسمى أيضا بالإتفاق الودّي فقد تم الإمضاء عليها من قبل شارل الخامس وفرانسوا الأول في غضون شهر جويلية عام 1538م، توخى منها الإمبراطور أنْ تسمح له فرنسا بالعبور نحو الشرق. للمزيد ينظر: Braudel(Fernande), Op, Cit, p66.

(2) بسام العسلي، خير الدين بربا روس، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان1980م، ص145.

(3) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص28.

(4) بسام العسلي، المرجع السابق، ص146-147.

1.جـ- موقعة بريفيزا سنة 1538م:

أصبح خير الدين في مستهـــل عام 1536م، قائدا للبحرية العثمانية في البحر الأيـــوني بمعيّة الريّس "صالح" و"درغوث باشا"، إنّ هذا الجزء الصغير من الأسطول العثماني كان يتألف من 122 سفينة مختلفة الأحجام والأنواع كذلك. وهناك من يقول أنّه كان يتـــكون من 85 سفينة و 30 غليوطة مجهزة لعمليات التموين. وبالمقابل للرغبة العثمانية الملحة للسيطرة على غرب أوربا كما سيطرت على غرب المتوسط، كانت أوربا تعد تحضيراتها على قدم وساق لردع العثمانين على ما هم مقبلون عليه، فهم الآن أمام أمرين أحلاهما مُرْ، فإمّا مجابهة القوة العثمانية الزاحفة التي باتت نتائجها محسومة بالخسارة على أكثر تقدير، أو إفساح المجال للعثمانيين من أجل السّيطرة على هذه المناطق الإستراتيجية في إطار سياستهم الرامية إلى عثمنة أوربا، فهل سينجح الساسة الأوربيون في ذلك؟

يتكون الأسطول المسيحي من 55 سفينة بندقية و 27 سفينة لروما وفرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطـــا و49 إسبانية وقد إرتأت الجمعية المقـــدسة جعل هذه القوة تحت إمرة البحار أندري دوريا بمساعدة ضابطين آخرين لمساعدته. كنّا قد عرفنا هذا البحار الذي يراعي مصلحته الخاصة لذا كانت مدة بقائه على رأس الأسطول الإسباني طويلة، فكان دائما يتجنب ملاقاة العدو للمحافظة على سفنه وإتقاء الخسارة [1]. مثل ما فعل في مدينة شرشال منذ ثمانية سنوات قد خلت.

ومهـــما يكن من أمر هذا القـــائد فإنّ مكان تشابك الأسطولين كان بمنطقة بـــروزة أو بريفيزا(Preveza) في 1538/09/28م[2]، لقد إرتكب دوريـــا خطأ فادحا عندما أمـــر أسطوله بالتقدم نحو الأسطول العثماني مما جعله في مرمى نيران مدفعيته، كما كانت حركة سفن المسيحيين ثقيلة جدا فلم تدعها تقوم بمناورات، أمّا سفن العثمانيين فقد كانت عكس ذلك تماما. عندما إقترب الليل وأدرك دوريا بأنّه هالك لا محال أمر قادة سفنه بإطفاء الأضواء وإنسحب كعادته مهزوما يغطيه الظلام [3]. حضرتنا عند وصولنا لهذه النقطة تلك المقولة الشهيرة التي أوردها جون وولف في كتابه بأنّ أندري دوريا وخير الدين كانا ذئبين لا يأكل أحدهما الآخر فكليهما يسعى للمحافظة على سفنه[4]. إنّ الواقع يثبت المقولة بالنسبة لدوريا لأنّ إنسحاباته القادمة لن تكون ضد خير الدين و إنما في جلّ المعارك التي يحس بإنهزامه فيها، ولم يسلك خير الدين هذه الحيل إنْ صح القول والمعارك التي خاضها تشهد على ذلك .

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص53.

(2) Belhamissi Moulay ,Histoire de la marine Algérienne 1515-1830, Alger, enterprise nationale de livre,1983, p96.

(3) خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص ص188- 190.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص54.

1.د- إنفصام عرى الجمعية المقدسة:

لم يكن أحد يتوقع نهاية الإستعدادات العثمانية للنيل من حلف الجـــمعية المقدسة بهذا الشكل، فها هو الأميرال الإيطالي الأصل دوريا يتجنب ملاقاة خير الدين، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يفعلها بل عـــدة مرات كما أسلفنا وبذلك بقيت الأمور على حـــالها بالنسبة له. وفي الوقت نفسه كان السلطان العثماني يغزو المجر لإخضاعها[1].

أدت الرغبة الجامحة للعثمانيين للتوجه صـوب الغرب إلى حـــرص شارل الخامس على إيقاف هذا الزحف فقد تخلى عن أهم طموحاته القاضية بضم إيطاليا وجمهورياتها بالقوة خاصة، وأنّ أي عمل عسكري ضدّ هذه الجمهوريات سيكون على حساب قوته المـــسخرة ضد الدولة العثمانية بالدرجة الأولى ثم الأراضي المنخفضة، لذا كان عليه أنْ يتحالف مع البنادقة لكبح التوسعات العثمانية ولإتمام سيطرته على البحر وتخليص المسيحية من الأخـــطار. وعليه تكون هذه الرابطة هي أول رابطة للتحالف يقوم بها شارل الخامس بعد هزيمة بريفيزا عام 1538م[2].

بعد الإنسحاب المفاجئ لدوريا وأسطوله كان قد توجه شمالا حيث إستطاع أنْ يحتل أحد الحصون العثمانية على الساحل الدلماشي، وعـــمل على تحصينه ووضع به حامية عسكرية بعد أنْ قضى على حاميته العثمانية، إنّ الجند الموجود بالحامية الجديدة كان من إسبانيا الأمر الذي يعزز التواجد الإسباني على الأراضي الإيطالية. إنّ هذا التواجد لم يستصغه البنادقة لكونه تدخلا أجنبيا في بلادهم، وحجـــرة عثر في طريق تجارتهم البحرية فقرروا التحرك لإزاحة هذا الكابوس الجاثم على صدورهم.

تيقن البنادقة من ضرورة الدخول في سلام دائم مع العثمانين؛ خير لهم من الدخول تحت سيطرة الإســـبان ولو أنّهم من بني جلدتهم، فأرسلوا عميلا إلى إسطنبول لعقد إتفاقية سلام في هذا الشأن. لم تسير الأمور كما إعتقد البنادقة ففي السنة الموالية ظهر خير الدين بأسطوله لاسترجاع الحصن الذي فقده في السنة الماضية، حيث باغت الحامية التي كاد أنْ يفنيها عن آخرها، إذْ لم ينج من بين 3000 جندي سوى 800 فقط.

وهكـذا تخلص البنادقة من شرّ الإسبان وتم لهم عقد ما أرادوا مع العثمانيين في إسطنبول سنة 1540م حيث تحصلوا على أحقيتهم في المراكز البحرية وحرية تجارتهم نحو المشرق [3]. ولكن ذلك لم يغير من طبيعتهم العدائية نحو العثمانيين فهذه مجرد هدنة ستنتهي آجلا أم عاجلا، وسوف لن يترددوا في تقديم المساعدات لأي أوربي في الحرب ضدهم والسّنوات القادمة ستثبت ذلك.

---

(1) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص122.

(2) Braudel (Fernande), La Méditerranée et le monde méditerrané a' l'époque de PhilippeII, 2eme éd, Paris, librairie Armand colin 1966,T2, pp 226-227.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص54.

1.هـ- أسباب أخرى للحملة:

كان إشتداد الغارات الجزائرية على سواحل إسبانيا بمثابة مبرر للإسبان الذين أصبحوا يخشون على أنفسهم من القوة المتنامية لإيّالة الجزائر وهذا لإعتبارات عدة من بينها:

- ضرب العدو في مكانه خير من إنتظاره يحل بسواحـــلهم.

- نجدة مسلمي الأندلس بعد أنْ ضاقت بهم الأرض التي عاشوا عليها كم من قرن.

- الحصول على الغنائم من السفن والموانئ الشمالية للمتوسط وخاصة الإسبانية منها.

- إرباك وإجهاض أي عمل إسلامي عسكري ضد البلاد المسيحية والبحرية كذلك.

إذن هذه الأسباب جعلت من رياس البحر يشكلون خطرا كبيرا على أمن أوربا قاطبة وخاصة منها التي تطل على البحر المتوسط كجزر البليار ونابولي وغيرها. والشيء الذي يجب ذكره أنّ خير الدين كانت عملياته ناجحة كلها تقريبا وهو ما غاض ساسة أوربا فكلما إتجه صوب ميناء إلا وغنم منه الكثير[1].

يُقال أنّ خرجات خيرالدين كانت نذير شـؤم عـــلى المسيحيين وبعد رحيله كانوا قد إستبشروا خيرا بيد أنّهم لم يبقوا على هذه الحالة طويلا لأنّ خليفته "حسن آغا" كان لا يستهان به أيضا، ومن أهم ما عمل هذا الأخير هو بنائه لـ 31 غليوطة بدار الصناعة بمدينة الجزائر، مدعما بها أسطول الجزائر، وإنطلق في عمليات الجهاد البحري مكملا بذلك مشروع خير الدين، وعليه تضاعف حقـد الإسبـــان على مدينة الجزائر وأهلها، وكانت شهرتها تزداد يوما بعد يوم بل إنّ الغارات التي توقع الإسبان تراجعها قد زادت هي الأخرى[2].

لم يبق لسكان السواحل الإسبانية إلا الضغط على ملكهم لدرء هذا الخطر الذي بات يهدّدهم، إنّ هذه الأحداث التي تشهدها الآن سواحل شمال المتوسط من إسبانيا غربا إلى إيطاليا شرقا هي نفسها التي عاشها سكان المغرب الإسلامي عندما بدأت الغارات الإسبانية تتوالى على سواحلهم جنوب المتوسط، وبالتالي نجد أنّ خير الدين وخليفته حسن آغا قد نجحا في قلب المعادلة لصالحهما.

---

(1) بلحميسي مولاي، "غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر1541م"، مجلة الاصالة، العدد8، الجزائر 1972م، ص94.

(2) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص 115.

2- الإستعدادات الحربية لشن الحملة:

تسبق كل حملة عسكرية في العادة إستعدادات عسكرية مادية ومعنوية، لتكون الروح القتالية مرتفعة بغية تحقيق النصر أو تجنب الخسارة على الأقل. ولكن هذه الإستعدادات تختلف من حملة لأخرى حسب تقديرات القائمين عليها لقوة العدو، وبالمقابل هناك إستعدادات مماثلة من قبل المستهدفين، وتتأثر تحضيراتهم بمدى معرفتهم بقوة الخصم، ومن هذا المنطلق كانت التحضيرات الإسبانية والجزائرية لحملة عام 1541م كالتالي:

يعود تجهيز الحملة الإسبانية المزمع توجيهها على مدينة الجزائر إلى بضع سنين، ويتفق بعض المؤرخين بأنّها ترجع إلى عدة أحـــداث تكون من جملة الأسباب المفضية للتفكير في شنّ الحملة وإعـــلان الحرب، إنّه عـلى الرغم من إختلاف الأسباب ومنطلقاتها وجذورها إلا أنّها تكاد تكون واحدة، أو نستطيع أنْ نقول بأنّها مشتركة ونذكر منها:

أ- نجاح شارل الخـــــامس في إحتلال مدينة تونس وإنهاء التواجد العثماني بها بعد طرد خيرالدين منها سنة 1535م وهو الذي لم يمض عاما واحدا على وجوده بها، وبذلك إحتل الإسبان موقعا جد هام وبإمكانهم منع العثمانيين من ولوج الحوض الغربي للمتوسط وعزل مدينة الجزائر عن أي إتصال بهم، خاصة وأنّ فرسان القديس يوحنا يسيطرون على جزيرة مالطا[1]. لقد كان شارل الخامس واهما بأنّه سينتصر مثل ما انتصر في مدينة تونس قبل بضع سنوات[2].

وهناك من يرى بأنّ بداية التفكير الجدي للإسبان في إحتلال مدينة الجزائر كان مباشرة بعد رحيـــل خير الدين عن إيّالة الجزائر إلى إسطنبول عندما إستدعاه السلطان العثماني بواسطة كتاب أرسله مع أحد خَدَمِهِ لتعيينه على رأس البحرية العثمانية كقبودان(أميرال) بعد أنْ عزم على قتال أقـــاليم أوربا، فلم يجد خير قائد لهذه المهمة سوى خير الدين نظير ما أظهره من شجاعة في محـــاربة الأعداء. وبذلك ظنّ الإسبـــــان أنّ المدينة ستكون ضعيفة ولكن خير الدين كان قد عين أحد الرجال الأكفاء ألا وهو حـــسن آغا والذي أوصاه بأهـــل الجزائر خيرا[3]، لقد كان ذلك عام 1533م. وهو ما يعـــني أنّ حسن آغا يكون حكمه للجزائر عند مجيئ الحملة الإسبانية قد تجاوز 08 سنوات الأمر الذي منحه خبرة كبيرة للدفاع عن المدينة والبلاد ككل.

---

(1) بلحميسي مولاي، غارة شارل الخامس، المرجع السابق، ص98.

(2) Venture de Paradis, Expédition contre Alger, Alger, Imprimerie Hasnaoui,2013,p9.

(3) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص ص82 - 83.

2.أ- شارل الخامس يستنفر أوربا:

بعد توفر الأسباب المختلفة للحملة، كانت عمليات التجهيز على قدم وساق، وتوشك أنْ تنتهي وعلى صعيد آخر كان البـــابا متحمسا لهذه الحرب. حيث حشد المنـــاصرين للإلتفاف حول الحمــلة وتــدعيمها روحيا، بل وسعى لإيجاد دعم مادي لمساعدة الإمبراطور في حربه ضد الإسلام. وعليه نتذكر هنا تلك الضريبة التي كانت تجمع في أوربا لمحاربة المسلمين قبل سقوط غرناطة وبقيت بعدها[1].

لم يذكر أصحاب المصادر الذين كتبوا عن هذه الحملة الضخمة عن الأموال التي رُصدت من أجل ذلك، كما أنّهم لم يبينوا مصادر تلك الأموال، وعلى أية حال ها هي أراضي شبه جزيرة الأندلس المسلمة بالأمس والمسيحية اليوم حُكما تكون هي أول من يلبي طلب البابا في عملية جمع الأموال، كيف لا ودماؤهم التي تسري في عروقهم لا زالت تفور من حقد المسلمين الذين أصبح بعضهم بهذه الأرض مسيحي رغما عنه. وهـــاك من كان مسلما باطنيا ومسيحيا ظاهريا. ومن أبرز من أجاب دعوة البابا بعد المراسلات التي تلقوها كما أسلفنا كاردينال مدينة طليطلة ورئيس أساقفة مدينة إشبيلية وأسقف قرطبة أيضا، لقد كان هذا في سنة 1539م[2]. تجدر الإشارة إلى أنّ دعوة البابا لم تكن طلبا وإنما أمرًا بابويا للأساقفة الذين تم ذكــرهم بالإضافة إلى ملوك وأمــراء أوربا لدعم الحملة كل من مكانه وحسب إستطاعته. كما أنّ الإستجابة كانت فورية وقوية جدا من طرف رهبان جـــزيرة مالطا، فزيادة على الأموال التي كانت بحوزتهم عمدوا إلى عرض محتويات الكنائس والأديــرة من الأثاث والكنوز المختلفة للبيع بالأسواق[3].

تَدُلُّ هذه الحماسة الشديدة على حرص أوربا على كبح القوة المتنامية لإيّـــتالة الجزائر كما توضح المساعدات المالية للكنيسة الكاثوليكية بأنّ الحملة ستكون صليبية بإمتياز وعليه نجد أنّ شارل الخامس من خلال إستغلال منصبه كإمبراطور إسبانيا والأراضي المنخفضة إستطاع بدهاء كسب مزيد من الأنصار والمؤيدين لحملته المزعومة، وغــدا القائد العسكري الفعلي لحملته وأصبح بابا روما قائدا روحيا بلا منازع هو أيضا. والدعم الروحي يمثل قوة ودفعا لأية حملة عسكرية كانت، فالكثير من الحملات الضخمة تفتقر إلى السند المعنوي ولا تغنيها كثرتها عن الهزيمة شيئا، وهذه الحملة نلاحظ أنّها تخطت هذه المرحلة على الأقل في بدايتها فهل ستكون كذلك في مرحلة التنفيذ.

---

(1) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص98.

(2) Monnere au et Watbled, négociations enter CHarles Quint et KHeiredin 1538-1540, RAf, n°15, 1871, p139.

(3) حكمت ياسين،" الغزو الإسباني للجزائر في القرن16"، مجلة الاصالة، عدد14- 15، الجزائر1973م، ص250.

إنّه بغض النظر عن حماسة البابا بول الثالث أوحرص الإمبراطـــور على تنفيذ مشروعه هذا، فإنّ أمر الحملة كان مطلبا شعبـــيا ملـــحا، لما أضفي عليـــه من قدسية جعلته كذلك. فقد كانت الإحتفالات الشعبية كثيرة حتى أنّ الأجانب والسفراء والكاردنالات قد إجتمعوا مشاركين في الإحتفال بذلك[1].

2.ب- الإستعدادات المادية:

حسب السّنوات التي بقي فيها شارل الخامس يجهز حملته تكون الفترة التي قضاها في ذلك كافية لإعداد قوات ضخمة تمتلك مختلـــف الأسلحة وتقنيـــات القتال المعروفة أنذاك، ولكننا وجدنا إختلافا وتضاربا كبيرا بين المؤرخين بالنسبة للأعداد التي دونوها بخصوص تعداد الحملة وتجهيزاتها الحربية، غير أنّ نتائج المعركة في الأخير نستطيع من خلالها معرفة العدد القريب من الصحة وسنبين بعض الإحصاءات الخاصة بذلك.

أعدّ شارل الخامس جيشا عظيما من ناحية العدة والعتاد، ويُقال أنّ تعداده بلغ حـــوالي 24 ألفا من الجنود المشاة و ألفي فارس. أما السفن فقد بلغ عددها حوالي 450 سفينة صغيرة ومتوسطة الحجم، والكبيرة المعـدة خصيصا لمثل هذه الأغراض فقد كانت حوالي 65 سفينة. كل هذا خلافا لما كان تحت إمرة الأميرال الجنوي أندري دوريا المقدرة 12 ألف بحار، كانت هذه الأعداد الهـائلة من القوات تحت قيادة الإمبراطور شارل الخامس [2]، بغية إعطائها وزنا عسكريا ثقيلا وتوجيها صائبا، لعله يحقق ما فشل فيه من سبقوه وتكون له الغلبة والنصر، وبذلك تزداد سطـوته على العالم وترتفع سمعته على الأقل في الأصقاع التي تدين له بالولاء.

وبعيدا عن مآلات الحملة فالمـؤرخ التركي حاجي خليفة في كتابه تحفة الكبار لم يذكر سوى 40 سفينة كبيرة تحمل المؤن فقط[3]. وهذا ينافي ما ورد في العديد من المصادر التي تطرقت للموضوع بإسهاب، كما أنّ طبيعة هذه الحملة الصليبية التي إشتركت فيها كل أوربا والكنيسة الكـاثوليكية لا تعكس هذا العدد من السفن والعدد المشار إليه لا يكفي لنقل جنود أندري دوريا وحده. يروي لنا صاحب كتاب غزوات أنّ تعداد الحملة من السفن كان 400 سفينة ويـزيد على ذلك 50 سفينة فقط في أحسن الأحوال. ونجد أنّ العدد الوارد يقارب العـدد الأول المذكور أمّا عدد الجنود فلم يكن يقارب ما ذُكر آنفا فقد أورد بأنّ عدده كان ما يربو عن 50 ألفا من الجنود وهذا العدد ضِعْفُ ما ذُكِر حتى وإنْ حُسب عدد الفرسان وجنود أسطول دوريا فلن نصل إلى هذا العدد [4]. وهناك من يقول بأنّ العدد كان 90 ألفا[5]. يبقى هذا الرقم محل ريبة وشك وهو ما سيعزز صحة الأرقام السابقة.

---

(1) Venture de Paradis , Op, Cit,p15

(2) حكمت ياسين، المرجع السابق، ص250.

(3) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص122.

(4) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص116.

(5) المنوي محمد الفراتي الصفاقسي، تاريخ عروج رايس وأخيه خير الدين بمدينة الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم 0231، ورقة 82.

3- بعض الآراء الأخرى حول التحضيرات المادية للحملة:

بعد عرض بعض الإحصاءات السابقة نلاحظ أنّ هناك إحصاءات أخرى بعيدة عما سلف، فهذا الأسير هايدو دييقو يذكر بأنّ عدد سفن الحملة المسيحية كان ما يربو عن 500 سفينة. أما المؤرخ الإسباني بلا ستروس فإنّه يذكر أنّ عددها كان 150 سفينة لنقل الجيوش أما تلك الخاصة بنقل العتاد فكانت 100 قطعة بحرية. وهو عدد ضئيل جدا عند مقارنته بالإحصاءات السابقة، إذْ يكون هذا الأخير قد تعمد ذكر هذا العدد القليل للتقليل من حجم الكارثة التي حلّت بالأسطول الإسباني [1]. ونجد الفرنسي دو غرامونت يورد عدد 516 سفينة وعـدد سفن نقل العتاد كانت 36 سفينة، أما السفن الكـبيرة فكانت 65 وعـدد الجند فقد كان 23900 والبحـارة كان عددهم 12330 و140 فارسا مقداما و 400 من خيرة الرجال المقاتلين[2]. في حين يورد فانتور دو بارادي بأنّ تعداد سفن الحملة بلغ 516 سفينة منها 451 للشحن والنقل ومن العدد الإجمالي هناك 200 ملك لإسبانيا، أما عن عدد القوات الكُلي فقد بلغ هو الآخر 36230 رجلا[3]. نلاحظ أنّ إحصاءات دي غرامونت ودو بارادي متطابقة بالنسبة لعدد السفن أما بالنسبة للمقاتلين فهي مختلفة تماما.

وعلى كل فإنّ هذه الحملة الضخمة التي أعدها إمبراطور إسبانيا هي أكبر الحملات العسكرية خلال القرن السادس عشر ميلادي على الإطلاق، فهؤلاء كانوا يطلقون على الأسطول البحري الحربي الضخم إسم الإرمادة. إنّ الحملة لم تكن تخلو من التخطيط والإعتماد على الديبلوماسية التي كان يتمتع بها الإمبراطور فضلا على إتباعه أسلوب المراوغة للتظليل والتمويه أيضا[4]. نستشف من خلال هذه التحضيرات الكبيرة جدا بأنّ شارل الخامس وخبـراء جيشه بمن فيهم الأميرال الجنوي دوريا توحي بجسامة الأخطار التي كانوا ينتظرونها في مدينة الجزائر، خاصة وأنّ له تجـارب عديدة سابقة، فقد تعرضوا لعدة إنتكاسات في سنوات 1516م - 1519م - 1529م، آخرها في عام 1531م.

ومـا زاد من عظمة الحملـة هو وجود فيالق من الجـيوش الألمانية، الإيطالية، المالطية وجيوش الأراضي المنخفضة فضلا عن الإسبان. هذا إنْ دلّ على شيئ فإنّما يدل على قدرة المسيحيين على توحيد صفوفهم في هذه الحالات لمجابهة الأخطار المشتركة، خاصة إنْ كان مصدرها المسلمين. ومهمـا يكن من أمر الحملة فإنّ هذه الهبّة المسيحية هي أول تكتل مسيحي بعد الحروب الصليبية التي شُنَّت عل المشرق الإسلامي للإستيلاء على مقدساته فالسّنوات القادمة ستثبت مدى نجاعة مثل هذه التحالفات ضد المسلمين ولكن ليس قبل مضي ثلاثين عاما.

---

(1) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص98.

(2) De Grammont (H, d), Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), paris, Ernest Leroux Editeur, p58. 1887.

(3) Venture de Paradis , Op, Cit, pp28-29.

(4) Monnere au et Watbled, Op, Cit, p139.

4- إستعدادات الجزائر لمواجهة الحملة:

على الرغم من أنّ شـــارل الخامس كان قد أطلق العنان لجـواسيسه بالجزائر لمعرفة أحوال المدينة وأهلــها ودفاعاتها فإنّ حكام الجزائر كان لهم عيون هم كذلك، فقد وصلتهم معلومات من مصادر موثوقة تفيد بوجود ترتيبات يجريها الإسبان لغزو مدينة الجزائر وتحطيمها، ومن هذا المنطلق باشر خليــفة خير الدين حسن آغا جملة من الإجراءات والإستعدادات الحربية لمواجهة الحملة.

تُقِرُّ جُلّ المصادر التي درست هذه الحملة تلك الفطنة التي كان يتميز بها حسن آغا، فلم يكن الأخير من أولئك الرجال الذين يفعــلون ما يروا دون أخذ الرأي ممن لهم خبرة في هذا المجال. فقد إستعان ببعض الزعماء ممن لهم باع طويل في مثل هذه المواجهات، ومـن بين هؤلاء "سيدي السعيد الشريف"(شيخ المدينة) و"الحاج مامي" الذي كان من أعيان الجند ومشهود له بالشجاعة، ومن بين القادة العسكريين أيضا إستعان بالقائد "رمضان" و"يوسف" و"أرسلان و"الحاج باشا" الذي كان من أصول تركية[1]، وغيرهم مما لايسعنا المقام لذكرهم.

أما عن أعداد الجند الذين حشدهــم حسن آغا فيقول هايدو أنّ عددهم كان في حدود 3 آلاف من الجند العثمانيين والأندلسيين والأعراب [2]. ويُورد دوغرامونت أنّ عــددهم كان 5 آلاف مقاتل من الأندلسيين وألفا من الصبايحية، وهناك تقارير أخرى تفيد بأنّ عددهم كان في حدود 16 ألف رجل[3]. وهناك إحصـــاية جزئية عثرنا عليها في مذكرات خير الدين تفيد بأنّ عدد البحارة الــذين كانوا في قلعة الجــزائر(ولا ندري ما المقصود هنا من القلعة ونظنها أبراج المدينة) قد بلغ 600 بحار وصفهم بالشجاعة المنقطعة النظير، فضـــلا عن تفعيل عمليات الجوسسة للإطلاع على قوة العدو ومكامن ضعفه[4].

هذا عن ما أفادتنا به المصادر الأجنبية من إحصاءات رغم تضاربها، أما ما هو متوفر لدينا من مصادر بل وأهمها لهذا الحدث هو كتاب غزوات الذي لم يذكر عدد الجند على الرغم من ذكره للأمور المتعلقة بالدفاع عن المدينة ذكرا مستفيضا. وإنطلاقا من هذه الحملة الضخمة سوف يعتمــد حكام الإيّالة على قوات البايليكات من الجند الإنكشاري وقبـــائل المخزن وهـذا بعد التنظيم الإداري والعســـكري للجزائر، ففي هذه الفترة لا زالت قسنطينة وتلمسان خارجتان عن سيطرة الحكومة العثمانية بمدينة الجزائر.

---

(1) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص99.

(2) De Haedo (Fray Diego), Histoire des Rois D' Alger, traduit et annoté par H-De Grammont, Alger, Adolphe Jourdan libraire, 1881, p63.

(3) De Grammont (H, d), Op,Cit, p89.

(4) خير الدين بربا روس، المصدر السابق، ص201.

5- تحصين المدينة:

نَصَبَ حسن آغا ديوانا كبيرا لم يغيب فيه كل من ظنّ به خيرا من بعض علماء البلاد وصُلحائها ومشائخها وبرز هنا دوره من النـاحية النفسية حيث بدأ يطيب نفوسهم ويهون عليهم الأمر الجلل، في حين كان يستمع إلى آرائهم لعلها تكون سديدة ويستفيد منها لتحقيق إنتصار كالمرات السابقة [1]. مذكرا إياهم بإنتصارات عـــروج رايس وخيرالدين، كما إسترسل في تذكيرهم بالجهاد في سبيل الله والذود عن حمى الوطن [2]. لقد خطب حسن في أهل المدينة مذكرا إياهم بفضل الجهاد وبإنتصارهم على الكفار في مرات عدة وأنّ الله سينصرهم في هذه المرة كذلك [3]، إنّ هذه المواقف كان لها الأثر البالغ في رصّ الصفوف وتمتين عُرى الدفاع عن البلاد والعباد.

قبل الخوض في عمليات تحصين مدينة الجزائر ضدّ الخطر الـداهم كان حسن آغا قد عمد إلى إقامة عرس كبير سمع به أهالي المدينة وضواحيها، بل إلى أبعـد من ذلك حتى تهدأ النفوس وقـد توسم الأهالي فيه خيرا، بعد هذا العرس عمد حسن إلى مباشرة عمليات ترميم أسوار المدينة وأبـراجها ومـراكز الحراسة. فضلا عن الدور المهدومة، يُذكر أنّه إستعان في ذلك بحوالي 400 أسير مسيحي للقيام بهذ المهمة الشاقة والمستعجلة في الوقت نفسه. ومن أهم العمليـات التي قام بها إثارة هي تقطيعه للأشجار المحيطة بمكان نزول الحملة لكي لا يختبئ خلفه جنود العدو، وكانت بداية عمله هذا بتقطيع أشجار بستانه الذي لم يترك به شجرة قائمة[4].

كان البايلرباي كلما أتم بناءً خاصة الأبراج نصب عليه حامية مسلحة بسلاح المدفعية ورفع عليها الرايات الخضراء والصفراء المزينة بالهلال والآيات القرآنية. وكان يجوب شـوارع المدينة من حين لآخر للإطلاع عن كثب على أمور سير العمليات الدفاعية دون نقلها له مزيفة أو مغلوطة [5]. أما عمليـات التسليح فقد بادر بنفسه إلى فتح خزانة الأسلحة وقـام بتوزيعها على من لا يملك سلاحا من ساكني المدينة مع منحهم الذخيرة من الرصـاص والبـارود [6] ونصب عليهم شيخ المدينة سيدي سعيد الشريف لما له من مكانة هامة [7]. ورغم ذلك كان حسن يشرف على أهم العمليات بنفسه كي يكون على دراية تامة بأمور الدفاع، نتيجة خبرته العسكرية التي إكتسبها في الحروب البحرية.

---

(1) Belhamissi Moulay , Op, Cit, p124.

(2) قنان جمال، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 _1830م، دار هومة، الجزائر 2007م، ص 57.

(3) ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص ص112- 115.

(4) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص124.

(5) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص29.

(6) ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص114.

(7) المنوي مُحَمَّد الفراتي الصفاقسي، المصدر السابق، ورقة81.

6- تقارير شارل الخامس حول مدينة الجزائر:

تسبق في العادة قيام الحروب الكبرى تقارير إستخباراتية؛ وهـذه الحملة لم تشـذ عن هذه القاعدة، فقد أَسْند شارل الخامس مهمة الجوسسة لأشخاص خبيرين بذلك، لتفادي الوقوع في الأخـطاء وكـذا تقدير قوة الخصم، وعليـه أوفد إلى مدينة الجزائر جواسيس للإضطـلاع على أمور المدينة وتحصيناتها، كما كلف آخرين بالمهمة نفسها في مدينة بجاية. كانت هذه المعلومات تُجـمع في سرّية تامة ومـن بين ما جاء فيها:" ...يحكم الجزائر الآن حسن آغا وينوب عنه في حالة غيابه حاج باشا الصوردو... ويـوجد بمدينة الجزائر 1800 تركي ونحـو 3000 عائلة عربية و 300 عائلة يهودية. أما القـوة التي بين يدي حسن آغا وهو مـخيم الآن خـارج المدينة فهي تشمل 700 تركي و 1000 فارس و2000 من المشاة العرب ...". يعود هذا التقرير إلى أحد الجواسيس المبعوثين من طرف الإمبراطور سنـة 1533[1].

وهنـاك تقرير آخر لحاكم حامية الإسبان ببجاية قد تحصل عليه من مصادر دقيقة، أُعدَّ أي التقرير في شهر مارس عام 1536م، حول مدينة الجزائر ويتضـمن"...سكان المدينة في قلق شديد لأنّهم علموا بأنباء موثوق بها تفيد تحرك جلالتكم، وأخبرنا هؤلاء الأسرى بأنّ الأمطار الغزيرة التي إنهمرت في فصل الشتاء كانت قد هدمت صور المدينة ... وقد أقـدم السكان على ترميم ما تحـطم بكل سرعة لكن العمل لم يتم إلى الآن نظرا لعدم وجود بنائين عـارفين ويقولون بأنّهم يستعينون بالعرب المحيطين بالمدينة من أجل إنجاز العمل..."

هذا فيما يخص مدينة الجزائر أما ما ورد في التقرير عن مدينة قسنطينة التي نالت إهتماما كبيرا من قِبَلِ الإمبراطور هي الأخرى ما يلي"...ففيها 1500 من الإنكشارية يقودهم تركي إسمه "كلج علي" وبـربا روس هو الذي أرسل هؤلاء للمدينة، وبما أنّ كلج عـلي تابع لمدينة الجزائر فلا ريب أنّه سيقدم إلى مدينة الجزائر بمجرد علمه بتحرك أسطول جلالتكم.."[2]. إنّ شارل الخامس لم يغفل أمر تجميع قوات الجزائر للوقوف في وجهه.

7- عناد شارل الخامس و تصميمه على شنّ الحملة:

بلغ عناد الإمبراطور مبلغا لا يمكن الرجوع فيه ليس من باب شنّ الحملة ولكن فيما يخص تأجيلها بسبب حلول فصل الخريف؛ فلم يأبه حتى لأراء أهمّ من حفّزه على خوض الحرب وهما البابا بـول الثالث والبحار أندري دوريا متعللا بأنّ الحملة لن تستغرق وقتا طويلا في تنفيذها، وعليه لن يؤثر تَغَيُرَ الجوّ في توجيهها، فضلا عن توضيحه لهؤلاء بأنّ فرانسوا الأول لن يستطيع مهاجمة أراضيه في غيابه[3].

---

(1) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص 28.

(2) بسام العسلي، المرجع السابق، ص144.

(3) مجهول، إتحاف ملوك الزمان بتاريخ شارلكان، المصدر السابق، ص153.

على الرغم من المقدمات التي سبقت الحملة وخاصة بعد أنْ تم القضاء على التواجد الإسباني بمدينة الجزائر عام 1529م. وكل الأحداث التي جرت في الحـــوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والتـــي لا تخرج عن إطار علاقات الإمبراطورية الإسبانية مع الدولة العثمانية وسياسة هاتين الدولتين، فإنّ الأسباب الحقيقية لإعلان الحملة على الجزائر تبقى في نظرنا ناقصة وغيـــر كافية.

يتجلى عنـــاد شارل الخامس أكثر في بحثه عن الشهرة والمجد بل أنّ البحث عن العظمة هو شعور طالما راوده و كَبُرَ في نفسه أكثر من ذي قبل عندما نال من تونس، وبدت له السّيطرة على سواحل إفريقيا مســـألة وقت لا غيـر ولكن ليس قبل أنْ يُدمر مدينة الجزائر ليحصل على ما يشاء[1].

يُرجح أنْ يكون السبب المباشر للحملة هو سيطرة بحار عثماني كان يعمل في البحرية الجزائرية يـــدعى "كجك علي" على مركب إسباني مليء بالأموال والسلع كان قد أرسله شارل الخامس من إسبانيا إلى مدينة وهران التي كانت يومئذ تحت حكمهم[2]، وكان على متن المركب رجل ذو مكانة رفيعة عند قومه وعليـــه سيكون أسير مهم للغاية ولما دخل البحـــار العثماني إلى ميناء الجزائر كان قد جلب معه هذا الرجل إلى حسن آغا، وفيما يُروى أنّ هذا الأخير سأل الرجل الأسير على أحوال بلاد النصارى فأجابه عن سؤاله كما أخبره بأنّ هناك سفينة إسبانية في طريقها إلى بجاية.

ما كان على حسن آغا إلا أنْ أمر بحارته في الحال إلى التوجه للإستيلاء على السفينة، ولما وصل البحارة إليها دارت بينهم وبين طاقمها مناوشات كبيرة في عرض البحر نظرا للمقاومة الشديدة التي أبداها الإسبان، غير أنّهم إستسلموا في الأخير وأقتيدوا إلى مدينة الجزائر حيث إستقبل السكان ذلك بالأفراح والأهازيج وفرح بهم حسن آغا أيما فرح [3]، لأنّ هؤلاء كانوا يشكلون أخطر أعداء الجزائريين في هذه الفترة.

نستشف من خـــلال هذه العميلة أنّه ضرب من الخيال أنْ تكون هذه الحادثة هي سبب الحملة، لأنّ الحملة كانت جاهزة في هذه الأثناء، ونستطيع القول بأنّها كانت القطرة التي أفاضت الكأس. كما توضح لنا عمليات الغزو التي كان يقوم بها بحارة الجزائر في البحر المتوسط بداية عهد جديد في تاريخ البحرية الجزائرية، ولم تـــكن السفينتان المستولي عليهما إلا عملية واحدة من تلك العمليات الضخمة والتي تكاد أنْ تكون منظمة، أفضت أمـــر شارل الخامس إلى نكد وضيـــق شديدين مما صعب من تحركه بحرية كبيرة في عرض البحر إنطلاقا من ميناء برشلونة غربا إلى نـــابولي جنوب إيطاليا شرقا[4].

---

(1) Belhamissi Mouilay, Alger la ville aux mille canons, Alger, E.N.L,1990, p93.

(2) مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربا روس، تحقيق وتعليق حمادي عبد الله، دار القصبة للنشر، الجزائر2009م، ص220.

(3) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ، ص ص122- 123.

(4) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص95.

8- محاولات شارل الخامس شراء ذمة حكام الجزائر:

لم يتوان ملك إسبانيا في تجريب كل الطرق للفتك بالجزائر دون تحرك لإرمادته، ففي إحدى المحاولات اليائسة حاول شراء ذمة حكام الجزائر ضانّا منه أنّه يستطيع ذلك ومن أبرز من أخذه الطمع تجاههم هم:

8.أ- خير الدين:

كنّا قد أوضحنا تلك العلاقة بين الدولة العثمانية وفرنسا وحتى إسبـــتانيا، وكيف كان نسق تلك العلاقات التي نُسجت وفقا للمصلحة الخاصة، فقد إستطاعت البندقية التخلص من الرغبة الإسبانية الرامية إلى السّيطرة على شرق أوربا إنّ هذه الرغبة الملحة التي كانت تحدو شارل الخامس كان يصبو من ورائها بالدرجة الأولى إلى كبح جماح التوسع العثماني نحو الغرب، ولم تكن حادثة البندقية إلا حادثة عرضية وقعت في صلب المشروع الإسباني المزمع تحقيقه.

بعد توقيع البندقية للسلام مع العثمانيين تكون قد إتقت شرّهم على الأقل في هذه الفترة التي يريد فيها شارل السّيطرة عليهم، ولكن المشـــروع الإسباني الخاص بهذه المنطقة كان من الصعب تحقيقه، فأسباب فشل المشروع تعود بالأساس إلى نقص العتـــاد والأموال وحتى الرجال لفرض الهيمنة الشاملة على أجزاء إيطاليا وجـــزر الحوض الشرقي للمتوسط، وبدل أنْ يعمل الإمبراطور على تجسيد مشروعه بتوفير المتطلبات اللازمة، كان قد غير من مشروعه تماما من العسكري إلى السياسي، حيث أنّه بعد أنْ عَلِمَ بوجود إتصالات سرية بين ملك فرنسا فرنسوا الأول والســـلطان سليمان القانوني، وهو بالذات كان في إتصالات مع شاه إيران لشغل الدولة العثمانية على التوجه غربا. ومـن هذا المنطلق فكّر شارل الخامس في مساومة خير الدين لضمه إليه وتخـــليه عن السلطان العثماني، كان خير الدين ذكيا في تعامله مع هذا الموقف فقد أبلغ الإمبراطور بقبوله ذلك ولكن بشروط وهذا لشغله عن التفكير في توجيه حملة على الجزائر.

تُفيد الواقعة بأنّ خير الدين طلب من شارل الخامس منحه حكم شمال إفريقيا من طرابلس الغرب حتى المغرب الأقصى غربا، وهذا ما رفضه الإمبراطور لعَلِمه من خلال جواسيسه أنّ خير الدين كان يُـــطلع السلطان والملـــك الفرنسي بأمر تلك المفاوضات، وهكذا فشل الإمبراطور في إحتواء الجزائر سلميا كما فشل في إحداث شرخ في علاقات خير الدين بالسلطان، وظنّ أنّه يستطيع ذلك مثل ما فعل مع البحار الجنوي أندري دوريا منذ سنوات عندما جلبه إليه بعدما كان يعمل تحت إمرة فرانسوا الأول [1] . يُرجع بعض المؤرخين بأنّ جاسوسا فرنسيا يُدعى "رينكو"(Rincon) هو من نَقل عدم ثقة خير الدين في شـــارل الخامس، إذْ يستدلون على أنّ ابن وبنت خير الدين كانا في إسطنـــبول وهو يخشى عليهما من إنتقام السلطان إنْ هو فعل ذلك[2]. ولكن تبقى هذه الدلائل التي إرتكز عليها هؤلاء مجرد تخمينات لا غير.

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص55.

(2) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص96.

أنهى السلطان العثماني هذه المفاوضات بعد سنتين من إنطلاقها، وأمر بالقبـض على الدكتور "روميرو" (Romero) بتهمة التآمر والتحريض ضده وأودعه السجن[1]. ولم يـكن هذا الأخير لوحده من يدير المفاوضات بين الطرفين بل كان هناك أيضا القبطان "فرقارا" (Vergara) وهذا بإسـطنبول[2]. وعليه تكون المساعي الإسبانية الرامية للسيطرة على الجزائر سلميا قد وُئِدَتْ في مهدها، ولم يكن شارل الخامس لوحده من يساوم بل حتى حاكم وهران ذهب في الإتجاه نفسه، ولكن مع خليفة خير الدين حسن آغا الذي جَمّد التجارة في البحر وأرعـب سكان جنوب أوربا بأعماله البحرية[3].

8.ب– حسن آغا:

تكاد تتشابه الأحداث في القرن السادس عشر وما أكثر طمع الطامعين في مدينة الجزائر، إنّ طموحـات شارل الخامس نستطيع وصفها بالساذجة فيما كان يخص شراء ذمة خير الدين، فهذه الطموحات رغم تكسرها على صخرة شخصية خير الدين ها هو يحاول مرة ثانية شراء ذمة حسن آغا، فشارل الخامس بتلك الطريقة التي جمع بها معلومات كافية حول مدينة الجزائر نشّط ديبلوماسيته كذلك للإطلاع على شخصية خير الدين.

على غرار عمليات الجوسسة التي باشرها عملاء شارل الخامس من الإسبان في حدِّ ذاتهم ومن حاكم بجاية جاء الدور هذه المرة على حاكم وهران الذي زعم أنّه إستطاع التوصل إلى إتفاق مع حسن آغا لتسليم المدينة في حالة حصارها من طرف الأسطول الإسباني [4]. كما إدعى مؤرخو الغرب بشأن المفاوضات بين شارل الخامس وخير الدين فقد ذهبوا إلى نجاح المفاوضات بين حسن آغا والكونت "دالكودايت" معللين ذلك بما أفاد به السفير الإسباني "دون لورنزو"(Don Lorenzo Manuel) من أنّ المفاوضات كادت أنْ تنجح لولا القايد محمد أحد أعلاج الجزائر [5].

نجد أنّ الإسبان قد غاب عنهم شيء مهم وهو كُره المسلمين لهم من جراء ما إقترفوه في حق المورسكيين في السّنوات غير البعيدة الماضية فكيف بهذه السهولة يتم تسليم المدينة. ولكن هذه الرواية إذا تمعنا في محيطها نجد أنّ الإسبان لم يضعوها في حسبانهم ذلك أنّ ضخامة الحملة تتم على أنّ المواجهة التي يريد الإسبان القيام بها لم تكن هيّنة كما أنّ الرسالة التي بعث بها شارل الخامس لحسن آغا عندما رسا أمام المدينة لا تدل على أنّه يوجد إتفاق مسبق بينهما إذْ لم تشر إليه المصادر العربية ولا حتى العثمانية عدا الغربية.

---

(1) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص281.

(2) Monnere au et Watbled, Op, Cit, p140.

(3) مجهول، إتحاف ...، المصدر السابق، ص152.

(4) وولف جون ، المرجع السابق، ص55.

(5) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص97.

9- سير الحملة:

أتم شارل الخامس إستعدادته العسكرية التي كانت في نظره كافية لسحق مدينة الجزائر، وفي يوم 15 من شهر أكتوبر 1541م، أقلعت الإرمادة الإسبانية من ميناء قرطاجنة الإسباني بإتجاه وهران، حيث كانت تنتظره هناك قوة أخرى[1]. وبناءً على هذه المعطيات نجد هناك إختلافا في إبحار الإرمادة فبعض الروايات تفيد بأنّ الإنطلاقة كانت من ميناء ماهون بجزيرة مايوركا أو البليار يوم 18 أكتوبر 1541[2]. والمسافة بين مدينة الجزائر وإسبانيا ليست بالبعيدة حتى يحط الأسطول في وهران، كما أنّ صاحب كتاب غزوات لم يذكر أمر مدينة وهران خلال هذه الحملة. في يوم 20 أكتوبر 1541م كانت الإرمـــادة الإسبانية قُبالة مدينة الجزائر، على أنْ تم الإنزال في اليوم التالي بمنطقة الحامة الواقعة بين المدينة ووادي الحراش[3].

يُقال أنّه بعد نزول الجيش إلى البرّ حاول المدافعون عن المدينة التصدي لهم فكادوا أنْ يمنعوهم من ذلك، إلا أنّ الغزاة تمكنوا من نصب المتاريس، أما أهالي المدينة فقد فزعوا فزعا شديدا، من هول ما رأوا من ضخامة الأسطول وتخيل لهم على أنّه جبل إستقر قبالة المدينة، فالعامل النفسي يمثل دورا هاما في رجحان موازين الكفة لصالح طرف ما.

على الرغم من التقارير التي جمعها شارل الخامس حول حـــسن آغا، لم تكن كافية كما يجب، فالواقع أثبت بطلانها، فقبل بداية المواجهة الكبرى، لا زال الإمبراطور يُمني نفسه بأنّ حاكم المدينة سيسلمها له. وكان من أمره أنّه أرسل رسالة إلى حسن آغا ومما جاء فيها"...أيها الرجل أنت خديم من خدام بربروسة وأنا ملك إسبانيا بأســـــرها وجميع بلاد النصارى تحت طاعتي، فكيف تحدثك نفسك بمقابلتي، أَمَا تعرف أني إستوليت على مدينة تونس وأخرجت منها بربروسة لا يكاد يصدق النجاة لنفسه، وهي أعظم من الجزائر شأنا وأحصن منها بنيانا وما أقمت عليها إلا مدّة قليلة حتى دخلتها عنوة بسيفي وخرج منها سيدك هاربا فتحقق أنّ هذه المدينة سنملكها كما ملكنا تونس، كيف لا وقد قدمت بنفسي..."[4].

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الرسالة لم يتم ذكرها في المصادر الغربية حتى في أهم المصادر مثل إتحاف أهل الزمان بتاريخ شارل الخامس وغيرها، لأنّها تُظهر مدى ضعف الإمبراطور وتردّي أوضاع إمبراطوريته، ولو أنّه كان واثقا من قوته لما طلب إستسلام أعدائه من البداية، ومسألة محاولة إظهار جانب الرأفة لا يوجد لدى هؤلاء فالرأفة لو كانت موجودة لرحموا مسلمي الأندلس يومئذ.

---

(1) بلحميسي، المرجع السابق، ص100.

(2) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص28.

(3) حكمت ياسين، المرجع السابق، ص250.

(4) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص117- 118.

كان يحدو شارل الخامس أمل كبير في تحقيق الإنتصار؛ بل كان شبه متأكد من ذلك من خلال ما أخبر به مقربوه من قادة الحملة عندما قال لهم "..أنظروا إلى صاحب الجزائر كيف حدثته نفسه بقتالنا ومدافعتنا عن أخذ البلد هل هي إلا تحت أيدينا؟ وكيف يقاتلني هذا الرجل مع كثرة عساكري؟ وهل هو إلا في شـرذمة قليلة من الأتـراك وطائفة من أهل البلد لا خبرة لهم بالقتال؟ وكان من حق الرجل أنْ يطلب الأمان لنفسه ولمن معه من أبناء جنسـه ويخلي بيني وبين البلد.."[1]. وهكذا كان موقف شارل الخامس غير المتبصر من حسن آغا.

بعد كتابة الإمبراطور لتلك الرسالة التي تبقى الدراسات عنها ضئيلة، فقد بعثها مع شخـص ذو أُبهة كبيرة ونخوة زائدة ليكون دليلا على عظمة سيده يُدعى "لورنزو" [2]. ولكن حسن آغا لم يكن من أولئك الذين يتأثروا بالمظاهر فعند ما وصله الكتاب ردّ عليه بكل ثقة نفس وإعتزاز، ويّعد تضمين رسالته تجريحا كبيرا لشخص الإمبراطور ليبين له أنّه لا يخشاه ومما ورد فيها" يا كلب النصارى كيف حدثتك نفسك أنّك ملك الملوك وأنّك في مقام السلاطين العظام الذين دانت لهم الدنيا وهل أنت إلا كلب من كلاب النصارى أضعف ما في بلاد البربرية من القلاع لا تقدر على أخذها فكيف بمدينة الجزائر، ولو سمع بك سيدنا السلطان الأعظم لأرسل إليك عبيدا من عبيده في شرذمة من عسكره فاستأصلك ومن معك، ومع ذلك فإنّ في عسكر الجزائر ما يقابلك وسترى عاقبة أمرك فاجهد جهدك غير مـوفق ولا مُسدد وسيعلم الكـافر لمن عقبى الدار ولقد إستدللنا بكتابك على قلة عقلك بأنّ الإنسان لا يفتخـر حتى يفعل وقد أتيتم إلى هذه المدينة مرتين مرة في مدة عروج رايس ومرة في مدة أخيه خير الدين وقد سود الله وجوهكم في المرتين وهذه المرة كذلك إنْ شاء الله...".

سُلمت الرسالة لمبعوث الإسبان، الذي أخذها لسيده وأمر بترجمتها لأنّها كانت مكتوبة بالعثمانية، بعد علمه بما جاء فيها ضاقت السفينة بالإمبراطور وإستشاط غضبا، وأقام الدنيا من حوله، كما قرر تدمير المدينة حجرا حجر[3]، بل الأدهى من ذلك فقد قرر محو الإسلام منها نهائيا[4]. وهو ما يعطي للحملة صبغة الصليبية.

بعد تفحـص بعض الكتابات الأجنبية لم نجد أمر هذه الرسالة، ولكن صاحب كتاب غزوات أوردها بالتفصيل، وهو أهم مصدر يؤرخ للحادثة. لنتساءل هنا كيف أسقط مؤرخوهم هذا الفصل الهام من الحملة. لقد كانت مفاجئة شارل الخامس بهذه الرسالة كبيرة جدا وهو الذي ظنّ بأنّ المدينة ستفتح له أبوابها حسب تقرير حاكم وهران دالكودايت، أما المفاجئة الثانية فهي إلتفاف أهالي المدينة حول قائدهم حسن آغا.

---

(1) ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص115.

(2) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص30.

(3) مجهول غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص118.

(4) ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص115.

10- المواجهة الكبرى:

عندما تيقن الأعداء من تصميم حسن آغا وأهالي المدينة للدفاع عنها، بدأ في نصب المـدافع بمنطقة كُدية الصابون، ولما تجلى ذلك حرص البـايلرباي على أخذ الأعداء على حين غرة، فأمر حوالي 600 فارس بالهجوم عليهم ليلا، حيث باغتهم وأكـثرهم كان نائما من شدّة التعب الذي لحق بهم من جراء السفر والأمـطار المتساقطة، فضلا عن من كان ثملا، كان هجوما واحدا لم يتوقعوه، ومما يُذكر أنّه نتيجة لهذة الضربة الموجعة إختلط الأمر على المسيحيين فظنّوا أنّ الجزائريين بينهم وأخذوا سلاحهم فأصبحوا يقتلون بعضهم بعضا، في حين كانت نيران الجزائريين تصب عليه صبا.

عندما إقترب بزوغ الفجر وبدأت مدافع الأعداء ترمي قذائفها على المهاجمين لردّ الهجوم العنيف، قرّر هؤلاء الرجوع إلى المدينة بعد أنْ خلفوا ورائهم ثلاثة آلاف من القتلى فضلا عن الجرحى، كان ذلك وقعا سيئا في نفس الإمبراطور الذي زادت حدة غضبه أكثر فأكثر، فأمر القائمين على المدفعية بقصف المدينة دون هوادة وبقي على هذا الحال عدة أيام أخرى[1]، لم يورد المؤخون عددها.

مع حلول يوم 24 أكتوبر 1541م، تقدم جنود الإسبان نحو المدينة، كان هذا الفيلق بقيادة "فرناند دي قونزاف"(Fernand degonzageu)، وهكذا تبعتهم فيالق الجيش الأخرى من الألمان والإسبان وفرسـان مالطا وعندما حلّ الجيش الكبير قُبالة أسوار المدينة من الناحية الشرقية نصب مدافعه وشرع يقصفها قصفا شديـدا والأهالي في نكد وضيـق شديدين من شدّة القصف، وبالموازاة مع ذلك كان جزء من جيـش العدو قد سيطر على المرتفعات المجاورة للمدينة من الناحية نفسها ووضع قاعدته في إحداها. إنّ هذا الإصرار الإسباني على النيل من المدينة زاد أهلها عزيمة كبيرة في الدفاع عليها إلى آخر رمق، حيث وجه الجزائريون نيران مدافعهم هم كذلك صوْب الأسطول المسيحي الراسي قبالة المدينة لتفريق شمله، وعلى هذه الحال خيم الليل وتوقف هدير المدافع[2].

بعد إنقضاء هذا اليوم الطويل والعسير طلع اليوم الثاني وهـو الموافق ليوم الثلاثاء، الذي كان يوما مشهودا فالسماء أصبحت ملبدة بالغيوم، والرياح تعصف، وما هـي إلا لحظات قبل بداية الإشتباكات ثانية حتى بدأ هطول الأمطار، وزادت الرياح قوة، ودمدم الرعد، وتلاطمت أمواج البحر فكانت هائجة هي الأخرى، تتقـاذف سفن العدو على الساحل الصخري، فحطمت منها ما حطمت وأغرقت الكـثير منها، أما المؤنُ الحربية من الذخائر فأصبحت تالفة غير جاهزة للرمي[3]، وعليه أصبح العدو بلا ذخيرة الأمر الذي عجل بإنهياره وعليه كانت نهايته قريبة جدا.

---

(1) مجهول، غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص119.

(2) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص103.

(3) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص119.

بينما كانت الأمور على هذه الحال، هاجم الجيش الجزائري بقيادة حسن آغا معسكر النصارى، هجوما كاسحا وكان رَدُّ الأخيرين عنيفا أيضا، ولكن ما غفل عنه النصارى أنّ الذخيرة التي كانت بحوزتهم على وشك النـــفاذ وقد حيل بينهم وبين سفنهم حيث الذخائر الحربية، أما الإمبراطور فحاميته كانت مشكلة من 20 ألفا من الجنود خوفا على حياته. وهكذا انهارت معنويات الجيش الصليبي إلى الحضيض، والنهاية تُنذر بعواقب وخيمة طالما أنّ العاصفة لا زالت تضرب بقوة ولا أمل يلوحّ في الأفق لنهايتها. في هذه الأثناء قرر الإمبراطور النجاة بنفسه، فحاول دخول الميناء حيث أسطوله المبعثر، ففشل في ذلك عندها فكر في الإنسحاب إلى تامنفوست، وبالمقابل كان المدافعون عن المدينة يضربون فلول الجيش الهـــارب من الخلف حتى وصلت جحافلهم عند وادي الحراش الذي كان يفيض بالمياه لغزارة التساقط، ولم يجد شارل الخامس من حيلة للمرور حتى صنعوا له جسرا من خشب المراكب المحطمة ومرّ إلى أســـطوله والخيبة بادية على وجهه والحسرة تعصر قلبه المفجوع[1].

إنّ السرعة التي فرّ بها الإمبراطور من موضع تخييمه لم تدعه يفكر في سحب جيشه بل فكر في نفسه، وهذا للتخفيف من سرعته، وعليه ترك عتادا حربيا كبيرا وراءه، وعلى كُلٍّ لم يستطع الجيش الهارب بقائده الوصول إلى الأسطول البحري فوادي الحميز كان فائضا هو أيضا، ما منعهم من المرور فلم يهتدوا لحيلة سوى المبيت في العراء تلك الليلة. وفي يوم السبت وصل الجيش الصليبي إلى الأسطول، فما كان على شارل الخامس إلا الإجتماع مع أركان جيشه للنظر في الأمر لعل العاصفة تهدأ. يقال أنّ أندري دوريا هو صاحب فكرة الإنسحاب عندما برز دوره الكبير في عملية المغادرة وعدم معاودة الكرّة، في حين كان القائدين "كورتيز" و"دالكودايت" يهونان من أمر المصيبة ووقعها على الإمبراطور ويمنيانه بالإستعداد للإنتقام من الجزائريين وتدمير المدينة، خاصة وأنّه تم إستدعاء قوات إضافية للنجدة وهـــنا نجد أنّ الأميرال الجنوي لكونه خبيرا بصمود المدينة ألحّ على الإمبراطور بضرورة الإنسحاب الذي كان في يوم أول شهر نوفمبر نحو وجهة غير التي كانوا فيها[2]

هناك من يقول بأنّ الإنسحاب كان نحو مدينة بجاية التي كانت يومئذ تحت حكمهم، وصاحبها قد وعدهم بمدّ يد العـــون لهم، غير أنّ العاصفة هي التي إضطرتهم إلى المسير نحو بجاية [3]. ومهما يكن فإنّ الغزاة قد وجدوا المدينة تكابد الجوع فوجد الجنود أنفسهم يأكلون العشب والكلاب والقطط، وهجموا على الجـــالية اليهودية التي كانت بالمدينة، فشردوها بعدما إستولوا على أموالها وفي اليوم الرابع من شهر نوفمبر قرر الغزاة الإنسحاب ووجد دوريا صعوبة كبيرة في لمّ شمل جنوده[4].

---

(1) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص120، 121.

(2) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص46.

(3) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص123.

(4) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص105.

11- نتائج الحملة الصليبية لعام 1541م:

كُنّا قد أشرنا إلى ضخامة الحملة الصليبية التي قادها الإمبراطور شارل الخامس بنفسه، فكانت عُدَةُ الدفاع الجزائري وعتاده ضخمة هي أيضا، كما أنّ العاصفة الهوجاء التي هَبّت كان لها دور في نتيجة المعركة، كل هذا كان ينذر بخسائر جسيمة للطرفين وخاصة العدو وسنذكر أهمها:

أ- فقدان الإسبان لـ 16 غليوطة كبيرة و 140 جفنا وكل المدفعية والآلات الحربية التي تم إنزالها للحصار، والخيام والدروع وعدد كبير من الخيل[1].

ب- مقتل وأسر حوالي 12 ألفا من قوات التحالف الصليبي.

جـ- إنقاذ الأسرى المسلمين الذين كانوا يعملون على ظهور السفن المعادية كمجدفين.

د- غَنِمَ الجزائريون حوالي 200 قطعة مدفع، تمَّ حملها إذْ وُضعت على الحصون الحربية.

هـ- فرح المسلمون بنصر الله لهم، وعمّت الفرحة جميع أرجاء الجزائر [3]، ووصلت أصداء الإنتصار وأخباره إلى حضرة السلطان العثماني الذي أمر ببعث خلعة سنية لتقليد حسن آغا بايلربايا على حكم إيّالة الجزائر [4]. بينما إضطر شارلكان للتنازل عن عرشه لابنه وإعتزل في ديّر[5].

و- كانت للحملة نتائج عظيمة على مستقبل الإيّالة وخاصة مدينة الجزائر التي ضمنت عدم توجيه الأوربيين إليها أي حملة لمدة طويلة من الزمن. أما الإسبان فقد بقوا يتجرعون طعم الهزمية وألهتهم على الإنتقام لمدة قرنيين من الزمن.

ي- بعد الهزيمة المنكرة أصبحت السفن العثمانية تجوب السواحل الشمالية للحوض الغربي للمتوسط من ليفورنة إلى طولون إلى نيس، إذْ شكلت خطرا كبيرا على المسيحيين، أكثر من أي وقت مضى[6].

كانت النتائج المترتبة عن الحملة كارثية بكل المقاييس على الإسبان وملكهم ولكن على النقيض من ذلك فقد ظلّت مدينة الجزائر منارة إسلامية وشوكة عظيمة تغص في حلق كل من حاول النيل منها.

---

(1) بلحميسي مولاي، المرجع السابق، ص167.

(2) حكمت ياسين، المرجع السابق، ص251.

(3) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص32.

(4) مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ، ص122.

(5) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص123.

(6) Braudel (Fernande), La Méditerranée et le monde méditerrané...,Op, Cit, p227 .

ثانيا– التحالف الإسباني المغربي ضد الجزائر في مزغران سنة 965هـ/ 1558م:

بعد الهزيمة التي مُنِي بها الجيش الإسباني بقيادة الإمبراطور شارل الخامس لم تدع أي مجال للتفكير في توجيه حملة ثانية على مدينة الجزائر، ولعل الخسائر الكبيرة من عدد الجند والآلات الحربية لا سيما منها السفن حالت دون ذلك بينما نجد أنّ وطأ الهزيمة كان له الأثر الكبير في نفوس القادة الذين عايشوا الحدث وهو ما أدى بهؤلاء إلى البحث عن عمل جدي لمحو عار الهـزيمة والتخلص من آثارها النفسية بسرعة.

كان مجرد ذكر إسم الجزائر يُعَدُ كابوسا حقيقيا لدى شارل الخامس، فما بالك بتوجيه حملة ثانية عليها ذلك أنّ الهزيمة المنكرة لم تدع له التفكير مجددا في الأمر، بيد أنّه عندما تنازل لابنه عن العرش تم إحياء المشروع القديم الذي يقضي بتوجيه حملة على الجزائر والقضاء عليها، بل وكانت السرعة التي ظهر بها أكبر مما نتصور فخليفته "فليب الثاني" كان هو الآخر يبحث عن المجد ولكن ليس على حساب أي شيء بل على حساب الجزائر. ومهما يكن من أمر فإنّ إعداد الحملة بات أمرا مؤكدا ولن تكون على شاكلة حملة عام 1541م، لأنّ الأخيرة كانت قد أفنت كل شيء تقريبا، الأمر الذي جعل من القائد الإسباني بوهران الكونت دالكودايت يُفكر في طرق جديدة للقيام بهذه المهمة وعليه وجد في الملك السّعدي خير معين له فضلا عن الوعود التي قُدمت من طرف شيوخ بعض القبائل[1].

ظهر هذا العمل كنتيجة لشعور الإسبان بخطر العثمانيين الذي بات يتهددهم من حين لآخر بالقرب من مدينة وهران، بعد أنْ إستطاعوا ضمّ مدينة تلمسان في عهد "صالح رايس". هذا الأخير الذي عزم على أنْ تكون وهران هي هدفه القادم، وهو ما يُفسر تلك السرعة التي ظهر بها المشروع[2]. لقد كان هذا الهدف يعبر عما كان يختلج في نفس هذا القائد وتحمله للمسؤولية الملقاة على عاتقه.

على الرغم من أنّ شارل الخامس كان خوفه شديدا من تكرار الهزيمة إلا أنّ الكونت كان الأمل يحدوه في تحقيق النجاح ورَدِّ الإعتبار، وهو ما يعني إعادة السّيطرة الإسبانية على البحر المتوسط وإسترجاع الهيبة الضائعـــة خاصـــة وأنّ الهدف المنشود من خلال الحملة هو مدينة مستغانم وليس مدينة الجزائر. وعلى الرغم من أنّ توجيه حملة يتطلب الأموال فقد تم تجاوز هذه العقبة. كما أنّ الإسبان كانوا يقومون بمشروع آخر موازي بطرابلس الغرب إغتناما لضعف التحصينات العثمانية ما دامت في بدايتها، والأمر نفسه بالنسبة لقبائل الدواخل الليبية التي ساندت الإسبان لإزاحة العثمانيين. وهكذا نجد عقبات كبيرة تعترض سبيل العملية الإسبانية فالقوات الإسبانية لا زالت مشتتة في أوربا تحرس الحدود الكبيرة للإمبراطورية ومنه كانت نتائج العملية محسومة مسبقا[3].

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص 73.

(2) مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي و آخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1989م.، ص331.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص 74.

فتح إنتصار صالح رايس في تلمسان ومن ثم في بجاية الباب له لإتمام إنتصاراته، بل يضاف إلى ذلك غزوه لفـــاس التي نصّب عليها أحد أتباعه، وعليه همّ بإخراج ما تبقى من الإحتلال الإسباني في الجزائر بوهران والمرسى الكبير، ولكن الموت قد وافاه قبل أنْ يقوم بضرب الحصار على المدينة. ويُذكر في هذا الصدد أنّ خليفته "حسن قورصو" هو من ضرب الحصار على المدينة بعد أنْ تدعمت البحرية الجزائرية بقطع حربية أرسلها السلطان العثماني مع ابن صالح رايس الذي كان في حضرة السلطان ليخبره بإنتصار والده في تلمسان ويطلب منه مساعدته بإمدادات حربية لإتمام تحرير باقي السواحل الجزائرية.

ضرب حسن قورصو حصارا مستميتا على وهران من ناحية البحر والبر بقوة إستقدمها من الجزائر قـــوامها 3 آلاف من الجنود الإنكشاريين و 14 ألف مقاتل من بايليكات الجزائر، وما يزيد عن 30 ألفا من المتطوعين من القبائل. يذكر أنّه ضيّق على إسبان وهران وحاول السّيطرة على منبع المياه الذي يزود المدينة، في حين كانت الحاميات الإسبانية في أقصى إستعداداتها لمواجهة الحصار. لم يكن الإسبان وحدهم من يعاني من حصار القوات الجزائرية بل كانت الدولة العثمانية في ضيق شديد هي الأخرى، فالبحار أندري دوريا كان يشن هجمات على الأرخبيل اليوناني مما جعل السلطان العثماني يأمر قـــائد الحصار بالإنسحاب والتوجه بقطع الأسطول الجزائري إلى الأرخبيل اليوناني لمواجهة الأخطار المحدقة بالدولة[1].

لم يذكر جون وولف أمر هذا الحصار إذْ يشير إلى أنّه كان هناك مشروع لإسترجاع مدينة وهران، ولم يتم الشروع فيه أصلا، وبـــعد وفاة صالح رايس أُلغي المشروع برمته وأستدعيت السفن الجزائرية إلى خليج القرن الذهبي للإلتحاق بالأسطول الهمايوني[2]. لقد كان الإنسحاب العثماني حظا سعيدا للإسبان فالمؤرخ الإسباني ذكر أمر الحصار البحري للجزائر على وهران وهو ما يفيد قطع الإتصالات مع إسبانيا ووصول الإمدادات وعليه لن يترك هؤلاء هذه التهديدات تمر هكذا دون إتخاذ موقف[3]، فقاموا في السنة الموالية بتشييد برج المرسى قبالة ساحل البحر[4]، خشية تجدد أمر الحصار الجزائري.

---

(1) مارمول كاربخال، افريقيا، ج2، المصدر السابق، ص332.

(2) وولف جون، المرجع السابقن ص71.

(3) إذا كانت الدراسات تختلف بشأن الحصار المفروض على إسبان وهران، فإنّ البحرية الجزائرية كانت قد ألحقت خسائر معتبرة بالسفن الإسبانية في خليج أرزيو في 23 أوت 1558م، وهو الأمر الذي يُفسر نشاط البحرية الجزائرية لمراقبة تحركات الإسبان التي كانت ترمي لتوسعة مناطق الإحتلال، والتحرك لإعادة إحتلال طرابلس الغرب وجزيرة جربة والجزائر كما ذكرنا ذلك سابقا. ولكن نتيجة المعركة سوف تحتم على الإسبان الدخول في تحالفات مع نائب ملك صقلية الدوق دوميدينا وفرسان مالطا ونائب نابولي، وعليه تعتبر هذه الحادثة أحد أهم أسباب موقعة مزغران وتحالف الإسبان مع الملك السعـــدي والمنصور بن ابي غانم في الأيام القادمة. ينظر: سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، ط2، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر2012م، ص155.

(4) الشقراني الراشدي أحمد، القول الأوسط في أخبار من حلّ بالمغرب الأوسط، تحقيق سعيدوني ناصر الدين، ط 2، دار البصائر، الجزائر 2013، تهميش ص61.

أجهض السلطان العثماني مشروع تحرير وهران وقَبره بمجـرد وفاة صاحبه صالح رايس. وعليه كانت هذه النقطة بالذات هي بذرة مشروع الكونت دالكودايت ضد العثمانيين بالجزائر للدفاع عن آخر القلاع الإسبانية بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط، إنّ هذه الفكرة لم تكن جديدة [*]، إذْ نجد أنّ رياس البحر الجزائريين إنطلاقا من هذه الفترة سوف لن يبقوا هكذا ينتظرون قدوم الحملات الأوربية لنهب سواحلهم بل سيبادرون هم بالهجوم على سواحلـــهم ويصبحوا في حالة الدفاع وهي النقطة التي سيرتكز عليها دالكودايت عندما عزم على توسيع دائرة الإحتلال للإحتفاظ بالمدينة .

مِثْلَ ما كان مشروع صالح رايس يتطلب مساعدات حربية عثمـــانية كان مشروع القائد الإسباني بوهران يتطلب مجهودات جبارة لإحتلال مستغانم أيضا، فقد إستطاع الكونت رغم الظروف الصعبة أنْ يحشد قوات من إسبانيا ولما كان الملك السعدي [1] هو الآخر يتهدده خطر العثمانيين وافق على التنسيق مع القائد الإسباني للقيام بالهجوم على جيش الجزائر وجعله بين شقي رحى للإطباق عليه. وكان حـــال "المنصور بن غانم" كحال شيوخ قبائل طرابلس الغرب حينما إنظموا إلى الجيش الإسباني في هذه الآونة لإعادة إحتلال طرابلس، فالمنصور قام بدوره بتجنيد عدة آلاف من المقاتلين من القبائل لمساعدة الجيش الإسباني في حربه ضد الجزائر [2].

تحين الكونت فرصة رفع الحصـــار على مدينة وهران وسافر إلى وطنه طالبا الدعم من أسياده معبرا لهم عن أهمية مستغانم للبقاء في وهران وما توفره من إمكانيات للبقاء هناك وتنظيم حملة على مدينة الجزائر ويكفي بذلك شرّ العثمانيين خاصـة وأنّه علم من مصادر موثوقة حالة التنافر بين شيوخ القبائل والحكام العثمانيين وأنّهم وعدوه بالوقوف إلى جانبه كالمنصور والشريف السعدي ضدهم، على الرغم من التلكؤ الذي أُبدي حيال المشروع في البداية عندما رفضه بعض أعضاء المجلس الحـــربي متحججين بعدم صدق القبائل والشريف السعدي. إلا أنّ الإمبراطور فيليب الثاني إقتنع بالفكرة بعد أنْ ذلّلها له رئيس المـــجلس الحربي "جوان الفيكي" والماركيز "أندوجار" [3]. لقد حمل الشريف السعدي كرهه للعثمانيين منذ ضمهم لمملكة تلمسان وعاصمة ملكها فأراد بذلك التوسع على حساب المغرب الأوسط خوفا من إمتداد أطماع العثمانيين إلى مملكته [4]. لقد حصل القائد الإسباني على ما يريد، وبعد تعبئة الجيش انطلق من مرفأ مالقا نحو سواحل وهران التي خرج منها أواخر شهر أوت على رأس جيش قوامه 65 ألف من خيرة المقاتلين مزود بقطع من المدفعية إذْ توجه نحو سيرات متسترا خلف أشجار الحقول كي لا تُكشف طريقه، وفي اليوم الرابع إتجه إلى مزغران [5].

(*) نجد أمر المبادرة بالهجوم في صد الحملات الأوربية قد ظهر منذ زمن، إذْ إنتهجه المنصور بن أبي عامر عندما إنتقل من مرحلة الدفاع إلى الهجوم ووسع رقعة الدولة العامرية محققا نجاحا منقطع النظير. للمزيد ينظر: ابن عذاري أبو العباس المراكشي، البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب، تحقيق معروف عواد بشار وآخرون، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس2013م، ص ص287- 289.

(1) ظهرت الخلافات الجزائرية المغربية أكثر عند القضاء على إمارة الزيانيين للمزيد ينظر: دوصوريص دييقو، تاريخ الشرفاء، ترجمة حجي مُحَّد وآخرون، مطابع سلا، المغرب1988م، ص ص219- 221.

(2) مروش لمنور، أبحاث و دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ، القرصنة بين الأساطير و الواقع، ج2، دار القصبة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009م ص132.

(3) مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص ص332-333.

(4) الناصري أحمد السلاوي، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، ج5، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب 1955م، ص25.

(5) مارمول كاربخال، افريقيا، ج2، المصدر السابق، ص336.

حدثت بينه وبين القبائل مناوشات أسفرت عن مقتل عدد من الجزائريين يقال أنّ عددهم كان زهاء قتيل. لقد أطلق الكونت العنان لجيشه المتعطش لتخريب المدينة التي دخلها بعد أنْ غادرها سكانها خوفا من البطش والتنكيل، وكانت الوجهة الثانية للقائد الإسباني ومبتغاه؛ الذي خطط لبلوغه وهو مستغانم وقد كان في ضيق ونكـد شديدين على الرغم من نشوة الإنتصار المؤقت التي حققها في مزغران.إنّ إعتراض أعضـــاء المجلس الحربي الإسباني حيال المشروع تجسدت على أرض الواقع، واتضحت عدم جدية الحلفاء، عندما تخلو عنه، ولم يبق له سوى الإعتماد على كتائب قواته، على أنّ بعض قادة الجيش فضلوا التراجع بدل المجازفة، كان الكونت عنيدا لذا قرر أمرا غير ذاك وهو مواصلة الحرب وفرض حصار حول المدينة.

بينما كانت القوات المعادية تفرض حصارها على مستغانم سمع الكونت أنباء وصول الجيش الجزائري المتجه نحو المدينة، كان الجيش يقوده البايلرباي حسن باشا، لقد أمسى الإسبان في ورطة حقيقية فلا هم قادرين على ملاقاة خصومهم، ولا هم قادرين على الرجوع إلى وهران، فحتى الحل الأخير تعترضه مخاطر كبيرة، كان قرار إبن الكونت دالكودايت هو مواصلة الحرب، وعلى ما يبدو أنّه لم يُقدر جيدا قوة خصومه، وعلى ما يبدو أنّ قيادة الجيش أصبحت له، أما والده فقد فقد السيطرة ولم يكبح جماحه المتزايدة لصد الجيش الجزائري. إلتقى الجيشان في مزغران التي كان بالأمس الإسبان قد حطموها وتعرفوا على جغرافيتها بل الأكثر من ذلك حاولوا السيطرة على منبع الماء الذي يزود المدينة، ومهما يكن من أمر المعركة فإن الإسبان فقدوا زمام الأمور بعد أنْ شد عضد الجزائريين فيالق عسكرية جاءت من تلمسان، كما دعم شيوخ القبائل الجيش بقوات إضافية. أما حلفاء الإسبان فقد نكثوا وعدهم، وعليه أصبح أمر الكونت معقدا للغاية، وما كان عليه إلا أنْ يقوم بمحاولات للنجاة من الموت الذي أصبح يرفرف فوق رأسه. كلفت هذه الجرأة الزائدة القائد الإسباني حياته عندما رُدِسَ تحت أقدام جنده المتزاحم لولوج المدينة هربا من بطش الجزائريين[1].

كانت أهم نتيجة للمعركة هي مقتل القائد الإسباني الكونت دالكودايت، كما أنّه تم أَسر ابنه "الدون مارتان" وجّل جنود الجيش الإسباني. لقد اتضحت الخيانة الكبيرة التي تعرض لها الإسبان بعد أنْ رفض الشريف السعدي دخول الحرب بسبب تخلي هؤلاء عن والده فيما مضى، أما المنصور بن غانم بسبب تخلي أتباعه عنه خوفا من طموحاته الزائدة[2]. كان الأمير السعدي لا يزال يفكر في تنفيذ مشروعه والدليل على ذلك الفرمان الذي وصل لحاكم الجزائر من قبل السلطان يوصيه بتأمين البلاد وعدم إئتمان نواياه السيئة خاصة بعد إلتحاق الأسطول الجزائري بالأسطول الهمايوني لتحرير جزيرة مالطا [3]. إذْ يؤدي ذلك إلى تنفيذ الأمير السعدي لمسعاه أثناء هذه السانحة ويلاحظ كذلك أنّ هذا الأخير قد أخلف وعده للإسبان خشية منافستهم على الغنائم التي سيحصلون عليها عند إنتصارهم في مزغران .

---

(1) مارمول كاربخال، افريقيا، ج2، المصدر السابق، ص336.

(2) مروش لمنور، المرجع السابق، ص134.

(3) مهمة دفتري، رقم6، حكم972، تاريخ 972هـ، تعريب محمد داود التميمي، الارشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1، ب ص.

– لقد لخص الشاعر لخضر بن خلوف غزوة مزغران في قصيدة طويلة ورائعة هذه بعض الأبيات منها(*):

يَا فَارسْ منْ ثَم جَيتْ اليُومْ ... قِصـــــــــةْ مَزْغَـــــــرَانْ مَـــــعْلُومَـة
يَاعَجْلَانْ رَيضْ المِلْجُـــومْ ... رَيتْ أَجْنَـــــابْ الشَـــــــلْو مَـوْشُومَة
يَاسَايلْنِي عْـلَى طَرَادْ اليُـوم ... قِصـــــــــةْ مَزْغَـــــــرَانْ مَـــــعْلُـومَـة
يَاسَايلْـنِي كِيفْ ذَا القَـصَّـة ... بَيْـــــــنْ النَـصرانِي وخَيـــــــــرْ الـدِينْ
اجْتَمْعُوا فِي بَـرْنَا الأَقْصَـــى ... بِجَيْـــشْ أَقْـــــويَة وْ جَاوْ مَتْهـــــدْدِينْ
تَرَى سْفُونْ الرُومْ مَحْتـــرصَة ... صَبْحُـــــوا فِي المِينَـــــاء أَعْـــدَاء الدّينْ
خَرْجُوا لَكْ للبَّرْ خَرْجْ الشُومْ ... وَاتْجَـــــلَاو مَـــــنْ فُـــــوقْ المِـــــاءْ
عَبْرْ البَـارْيَة وكِيلْ القَـــومْ ... لَـــــكْ بَمْـــــــــحَالْ مُحتـــــــرمة
اسْتَعدْ السُلْطَـــانْ للحَرَكَة ... واطْلُـــــبْ الغَيْـــثْ مِـــنْ السْمـــا يَنْـــزِلْ
اسْتَوعَظْ فِي طَلَبْتَهْ وشْكَى ... ومْشَـــي لحـــــــرْمْ الثَعَالْبِي ودْخَـــــلْ
وَاسْتفتحْ بالبرّ وَ البَـــرَكَة ... قَـــــدَّمْ جَـــــاهِ المِصْطَـــفَى وَ ارْحَـــلْ
ظَلَّ يَسِيرْ بِعَسَاكْرْ وَ القَوْمَ ... وَطَـــــنُ مَتِيـــجَةَ وَلَبْـــجِ المِـــــاءِ
ظَلَّ الكَافِرُ حِينَ شَافَتْ النَاسْ ... حَقَـــــقْ فِي الجِهَـــةِ أَمْشِي مَجْـــدُوبْ
قَالُوا أَهْلْ التَدْبِيرْ لْفَرْطَاسْ ... إِذَّا انَفْـــــــدُوا ايْجُـــــــــونَا بَرْكُوبْ
ثُمَ نُقْتَلْ الرَاسْ بَعْدْ الـــرَاسْ ... حَـــــقَّ الحَـــــقُ وَ لَابْقَـــــــاتْ أَكْذُوبْ
بَاتُوا الكَفَرْةُ حَارْمِينْ النَومْ ... وَمَـــــــزَامِيرْ المِقْـــــــتْ مَعْمُـــــــــومَةْ
جَيْشْ بْلَا سُلْطَانْ غَيْرْ ايِهُومْ ... فَاقْـــــتْ بِهْ اجْنَـــــاحْ مَعْـــــــــدُومَةْ
الأَمِيرْ احْسَنْ يَومْ مَزْغَـــرَانْ ... أَحْلَـــــفْ الثَّـــــأْرْ مَـــا لَعْـــدُو تَحْقِيـــقْ
ارْجَعْ لِلْبَهْجَة عَاصْمَةْ البَلْدَانْ ... بِغْنَـــــايمْ شَتـــــــىَّ وَ نَصـــــرْ البِيـــــقْ

(*) ابن خلوف سيدي لخضر، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، جمع وتقديم بخوشة مُحَّد، دار ابن خلدون تلمسان، الجزائر 2001م، ص ص182- 188.

ثالثا– التحالف الصليبي لغزو الجزائر سنة 966هـ/ 1559– 1560م:

حَمَلَ العقد السادس من القرن السادس عشر جملة من التطورات، والتي لم تكن في الحسبان على صعيد العلاقات العثمانية الإسبانية المتوترة أصلا، ذلك أنّ العثمانيين أدركوا أهمية الطريق البحري المتجه نحو الغرب عبر المتوسط صوب مدينة الجزائر، ففكروا في تحرير طـــرابلس كما حرروا من قبل جزيرة رودس عام 1522م، وحـــرروا تونس عام 1534م، حتى وإنْ كانت ضاعت من أيديهم في السنة الموالية.

ففي صيف عام 1551م وجه السلطان سليمان القانوني حملة بحرية ضخمة على طرابلس الغرب لإفتكاكها من يد الإسبان كما كانت قاعدة لفرسان مالطا من ذي قبل. كانت الحملة تتكون من 92 مركبا بقيادة "سنان باشا " ودرغـوث باشا وكذا صـــالح رايس، وأثناء سير الحمـــلة عرج القـــادة على جـــزيرة مـــالطا حيث وصلوها يوم 1551/07/29م، بيد أنّ دفاعات الجزيرة كانت قوية جدا نظرا لقدم الحاميات المسيحية بها، وعلى كل فقد ألحق الأسطول العثماني بها خسائر معتبرة حيث أسر 6000 مسيحي، أخذهم إلى طرابلس التي تم تحريرها هي الأخرى مطلع شهر أوت في السنة نفسها، وهنا تعالت أصوات سفير فرنسا لدى حكومة الباب العالي وإحتجاجاته، عندما أكد بأنّ جزيرة مالطا ومدينة طرابلس هي ملك للفرسان لأنّ هؤلاء أكثرهم من الفرنسيين[1].

سقطت طرابلس في أيدي العثمانيين كما سقطت مدينة المهدية التونسية في أيدي الإسبان، وفي الجزائر كان صالح رايس قد إعتلى عرش إيّالة الجزائر، حيث بادر إلى تحرير بجاية هذه المدينة التي كانت من الأهمية بما كان بالنسبة للإسبان بعد وهران، وهي التي لجأ إليها شارل الخامس بعد هزيمته عام 1541م نظرا لقربها من مدينة الجزائر[2]. لقد كان صالح رايس شديد الحرص على رصّ صفوف قادة جيشه وهذا ما يظهر جليا من خلال الإنتصارات التي حققها فعقب التفرغ من تحرير بجاية كان قد هنأ القائدين "محمد" و"فرج" القائمين على سلاح المدفعية على النصر، ومنح لهما مقابل ذلك 20 ألف أقجة[3]. إنّ هذه المبادرات كانت تصنع الإنتصارات وتضيف الهيبة للقادة أيضا.

لم يكن هذا هو العمل الوحيد الذي أسداه صالح رايس للعثمانيين فقد قضى على إمارة بني زيان التي كانت متحالفة مع الإسبان ضدهم سنة 1554م، وقطعه لأي تدخل إسباني أو مغربي من ناحية هذه الدولة [4]، وبالتالي تأمين الحدود الغربية على الأقل البرية منها.

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص ص48- 49.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص71.

(3) مهمة دفتري، رقم2، حكم538، تاريخ، 963هـ، تعريب داود محمد التميمي، الارشيف الوطني الجزائري، علبة رقم1، صحيفة 59.

(4) بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص18.

قبل الخوض في مشروع التحالف لا بد لنا أنْ نتطرق إلى جملة من الأحداث ذات الصلة بالموضوع، ففي هذه الفترة كان على رأس إيّالة الجزائر صالح رايس(1552 – 1556م) الذي حقق انجازات عظيمة على الرغم من قصر فترة حكمه، ولعل أبرز هذه الإنجازات هي تحريره لمدينة بجاية وقضائه على إمارة بني زيان التي كانت متحالفة مع الإحتلال الإسباني ضد التواجد العثماني، وصالح رايس لم يكتف بما حققه في هذا المجال بل سعى إلى تجسيـــد مشروع طموح يضاف إلى تلك الإنتصارات التي حققها والتي هي وحدها كافية أنْ تشفع له في تاريخ الجزائر الحديث، يتمثل هذا المشروع في توجيه حملة عسكرية على مدينة وهران لتحريرها، ولكن القدر كان أسبق من أنْ يجسد حملته [1].

هناك من يقول في هذا الشأن بأنّه تم الشروع في حصار المدينة سنة 1556م، بواسطة حملة كبيرة قادها خليفة صالح رايس وهو حسن قورصو، فأثناء عملية الحصار كانت قد وصلته أوامر من الباب العالي تفيد بضرورة التخلي عن ذلك والإتجاه نحو الشرق لمواجهة أسطول أندري دوريا الذي كان يهدّد الجزر العثمانية بالأرخبيل اليوناني [2]. ولم يغفل السلطان العثماني على تنبيه حكام الجزائر من مخاطر الكفار وكشف نواياهم الفاسدة [3]، وعليه عمل بحارة الجزائر على أسر السفن الإسبانية ففي هذه السنة تم أسر 28 سفينة إسبانية محملة بكمية كبيرة من قطع المدفعية والذخائر [4]، ولا نظن أنّ توصيات السلطان تخص الإسبان فقط بل كانت للإحتراز من كل الدول الأوربية حتى الصديقة منها. يذكر في هذا الصدد أنّ البرتغال أمرت قائد بحريتها بإرسال السفن لمؤازرة الأسطول الإسباني [5].

بعد هذه الحادثة بسنتين تقريبا حاول الإسبان تطبيق أسلوب آخر ليقيهم شرّ الهجمات البحرية العثمانية وهـــو توسيع دائرة إحتلالهم لوهران والمرسى الكبير، بدل الاكتفاء بالبقاء وراء الأسوار والـدفاع عن أنفسهم، خاصة وأنّهم فقدوا بجاية ونفوذهم بتلمسان، وفي هذا الصدد قاد حاكم وهران حملة بحرية على مدينة مستغانم، غير أنّ حسن بن خير الدين كان له بالمرصاد وألحق به هزيمة نكراء، أسفرت عن موت الكونت دالكودايت وأسر ابنه، كما تم أسر 12 إسبانيا، وما زاد من معاناة الإسبان أيضا هو موت الإمبراطور شارل الخامس في عام 1559م، حيث خلفه إبنه فليب الثاني على عرش إسبانيا، كما كان الموت نصيب البحار الجنوي الذي طالما أزعج المسلمين في البحر وهو أندري دوريا الذي كان يعمل تحت إمرة شارل الخامس سنة 1560م[6]. وهكذا كانت كل المعطيات توحي بأنّ الإمبراطورية الإسبانية كانت تتجه نحو مرحلة الضعف والإنكماش فهل سيستطيع فيليب الثاني إسترجاع أمجاد إمبراطورية والده ؟

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص71.

(2) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص50.

(3) Belhamissi Moulay, Alger la ville aux..., Op, Cit,p68.

(4) مهمة دفتري، رقم3، حكم139، تاريخ 966هـ، تعريب فكري طونا، الارشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1، ب ص.

(5) فكاير عبد القادرّ العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية"، مجلة كان التاريخية، العدد18، 2012م، ص26.

(6) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص ص50– 51.

في ظلّ هذه الحالة كانت العلاقات العثمانية الفرنسية تتقارب من حيث وجهات النظر، فقد إستعان ملك الفرنسيين بالقوات العثمانية التي كانت تضم قوات جزائرية ضد تحرشات الإسبان على السواحل الفرنسية إنطلاقا من سواحل شمال الحوض الغربي للبحر المتوسط حيث جزر البليار مرورا بجزيرة كورسيكا وسردينيا وصولا إلى مملكة نابولي على شكل قوس للأسفل في وجه أي تحرك بحري فرنسي. وهكذا كان الأسطول العثماني مؤلفا من 120 سفينة من مختلف الأحجام والأنواع وعند بداية إبحاره كان قد مرّ بمضيق مسينا، وفي طريقه غزا خليج سالرنو وأسر 4000 رجل ثم توجه إلى نابولي وكورسيكا، ومن هناك إلى ميناء مرسيليا بجنوب فرنسا، حيث إنضم إليهم الأسطول الفرنسي وتوجها نحو جزر البليار وتم الهجوم على جزيرة مينورقة[1].

لم يكن هذا الدعم العثماني لفرنسا هو الأول من نوعه فقد قدم خير الدين معروفا للفرنسيين كما سبق وأنْ أشرنا سنتي 1543 و 1544م، عندما لم يستطع فرانسوا الأول درءِ الخطر عن نفسه [2]. ولكن لم يكن كل من الفرنسيين ولا الإسبان قادرين على المواجهة بينهما، وحتى ضد الدولة العثمانية، لذلك حاولا وعلى الرغم من مساعدتها للفرنسيين أنْ ينظرا في الخلاف بينهما ويتجاوزانه لتوحيد الجهود ضدهم، فقد تم عقد إتفاقية شاتو- كامبيرزس عام 1559م[3].

تعد هذه الإتفاقية نقطة إلتقاء للقوى المسيحية ضد العثمانيين وإيّالة الجزائر على حد سواء، وفيما يبدو أنّ هذه المتغيرات الجديدة كانت من جراء تحركات الكنسية الكاثوليكية لمنع العثمانيين من أي سيطرة غير محمودة العواقب ذلك أنّ البابا "بيوس الرابع" عمل جاهدا لتوجيه ضربة عسكرية لإيّالة الجزائر، أو بالأحرى لمدينة الجزائر وكان عليه قبل ذلك أنْ يدافع عن أتباعه من الفرسان وغيرهم بطرابلس الغرب وجزيرة جربة، وعليه نجده قد وجه حملة عسكرية قوامها 15 ألف جندي بقيادة نائب ملك جزيرة صقلية "الدوق دوميدينا"(Duc de Medina) كما شارك فيها فرسان مالطا وقوات من نابولي، كان في مواجهة الحملة الأميرال "بيالي باشا" و"علج علي" حيث ألحقوا بهم هزيمة منكرة وتم إغراق 19 بارجة حربية و 14 حاملة للجنود وأسر 500 مسيحي.

إنّ مشروع الحملة هذه التي كانت ستوجه ضد الجزائر لم تذكرها المصادر الغربية ولا حتى المحلية، وفشلها على أسوار مدينة طرابلس جعل من القائمين عليها صرف نظرهم عن إستكمال مخططاتهم الرامية إلى ضرب جزيرة جربة ومدينة الجزائر[4]، وما نستشفه مما سبق أنّ هذه الخطوة كانت في إطار المشروع الإسباني الذي تبناه هؤلاء منذ زمن، من أجل إسترجاع الهيبة التي باتت مهددة.

---

(1) بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السيابق، ص49.

(2) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص154.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص72.

(4) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص155.

رابعا– التحالف المسيحي ضد الدولة العثمانية في ليبانت سنة 978هـ/ 1571م:

تكشف لنا الجهود الحثيثة للعثمانيين من أجل تحرير تونس عن خبايا الأوضاع العامة في البحـــــر المـتوسط فبالنسبة للإسبان كان الاحتفاظ بتونس أمرا صعبا للغاية ومحفوفا بالمخاطر أيضا، وضياعها يعني ضياع أصـقاع أخرى كبيرة كانت خاضعة لهم.لم تكن القــوى المسيحية وعلى رأسها إسبـانيا غــافلة عن تنامي قوة العثمانيين فالكثير من الدلائل باتت تقلق بابا الكاثوليك لذا فأي تــأخر في إتخاذ إجراء مناسب قد يؤدي إلى مزيد من الإنكماش الجغرافي والتدهور السياسي.

1– العوامل المختلفة للمعركة:

أ– عدم قدرة أمراء تونس على تسيير أمور البلاد دون توفير الحماية اللازمة التي كان يوفرها الإسبان.

ب– وفاة السلطان سليمان القانوني عام 1566، وإعتلاء ابنه "سليم الثاني" عرش الدولة العثمانية [1]، وتوجهاته لإستكمال مشروع والده الرامي للسيطرة على البحر المتوسط، ففي ذات السياق كان قد أصدر أمرين لحاكم الجزائر الأول يحثه فيه على حراسة البلاد وحماية العباد وتوخي الحيطة والحذر من أعداء الدين [2]، والثاني يحثه على إرسال سفنه للإنضمام للأسطول الهمايوني قصد مواجهة الأعداء وعلى رأسهم الإسبان[3].

جـ– فقدان الأسطول العثماني لأهم رياسه وهو الريّس درغوث في حصار مالطا يوم 1565/06/23م، وهي محـاولة للإنتقام من فرسان القديس يوحنا المقيمين بمالطا [4]، إذْ يذكر أنّ الحصار كان خانقا مما أدى في زمن لاحق إلى تناقص عدد سكانها[5].

د– قيام ثورة البشارات بإسبانيا من طرف المسلمين ما بين سنتي 1568– 1570م بمساعدة عثمانية وجزائرية كذلك إذْ أرسلت الجزائر أعدادا من المقاتلين وكميات من الذخيرة الحربية، فضلا عن الإستعدادات التي أظهرها العلج علي باشا القاضية بضرورة تكاتف الجهود من أجل استرجاع الأندلس[6].

---

(1) خوجة حسين، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق محمد أسامة، ج2، دار ابن رجب، القاهرة 2014م، ص265.

(2) مهمة دفتري، رقم5، حكم817، تاريخ 973هـ، تعريب داود محمد التميمي، الارشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1، صحيفة313.

(3) مهمة دفتري، رقم5، حكم967، تاريخ 973هـ، تعريب فكري طونا، الارشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1، صحيفة367.

(4) الساحلي خليل، "وثائق عن المغرب العثماني، اثناء حرب مالطا1565م"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 7– 8، تونس 1977م، ص42.

(5) Brogini Anne, L'esclavage au quotidien à Malte au XVIe siècle, C.M.M.C, n°65, 2002, p3.

(6) التميمي عبد الجليل، "رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية ق16، المجلة التاريخية المغاربية"، عدد29–30 تونس1983م، ص97.

هـ– تحول الاستراتيجية العثمانية نحو الغرب ومحاولاتها للإستيلاء على جزيرة قبرص، إذْ أرسل السلطان العثماني مبعوثا إلى دوق البندقية بتاريخ 1570/03/27م، يطالبه بتسليم قبرص مقابل الإنتهاكات التي تقوم بها البحرية البندقية في تراب الدولة العثمانية[1]، إذْ تم توجيه حملة كبيرة ضدها وتم الإستيلاء عليها [2]. كل هذه الأحداث أدت في الأخير إلى تصادم القوتين الاسلامية والمسيحية في ليبانت من أجل فرض السّيطرة على البحر المتوسط.

و– بقاء الوفاق العثماني الفرنسي على حاله وما يدل على ذلك هو أمر السلطان العثماني لحاكم الجزائر بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين طالب ملك فرنسا بتحريرهم[3]. وهو ما يفسر عدم مشاركة فرنسا في التحالف علنا.

يرجع أحد المؤرخين الإهتمام الزائد للعثمانيين بجزيرة قبرص إلى تأثير اليهودي "يوسف ناس" على السلطان سليم الثاني لضرب المصالح التجارية للبندقية عام 1570م، وكنتيجة لرفض البندقية تسليم قبرص وبقاء جزيرة مـــالطا بيد الفرسان توترت العلاقات بين الطرفين إلى حد القطيعة وعليه أقـدم قادة الأسطول العثماني على إنزال جيوشه في الجزيرة التي إحتلتها دون مقاومة تذكر ولكنه لم يحتل قلعة فماقستوتا، أما البنادقة فقد غادروا الجزيرة متوعدين العثمانيين بالإنتقام مستقبلا[4].

ما يلاحظ أنّ العثمانيين لم يكملوا سيطرتهم على الجزيرة وتركوا فيها أهم قلعة قد تشكل خطرا على تواجدهم ذات يوم، وهو الأمر الذي حدث معهم قبل خمس سنوات عندما هاجموا جزيرة مالطا وتوقفوا على أسوار قلعة سانت ألم نتيجة قلة المؤونة والذخيرة الحربية وكذا إقتراب فصل الشتاء[5]، ولعل هذا الشيء قد حدث مع تونس كذلك فعند تحريرها الأول من الإحتلال الإسباني إذْ لم يتم طرد هؤلاء نهائيا من البلاد وبقوا في قلعتي حلق الوادي وسان جون [6] وهمـــا يمثلان الخطر نفسه الذي كان من قبل طالما أنّ القلعتين حصينتين للغاية.

تُعد هذه الإنتصارات العثمانية الناقصة صفعات متتالية للقوى الأوربية، فقد كانت عواصف تهب من حين لآخر تدمر قواعدهم البحرية في الضفة الجنوبية للمتوسط، وعليه كان التحرك الأوربي ضـــرورة حتمية لإيقاف الزحف العثماني نحو الغرب وضيـــاع الآمال في إحتلال مدينة الجزائر، التي كان فقدانها أشد وطئا على الإسبان، وعلى الرغم من حالة التنافر التي كانت تسود الساحة الأوربية خاصة بين البنادقة والإسبان و الفرنسيين إلا أنّهم تحالفوا في الأخير.

---

(1) هلايلي حنيفي، التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر2010م، ص27.

(2) خوجة حسين، المصدر السابق، ص ص271 - 272.

(3) مهمة دفتري، رقم5، حكم656، تاريخ 973هـ، تعريب داود محمّد التميمي، الارشيف الوطني الجزائري، علبة رقم1، صحيفة657.

(4) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص97.

(5) الساحلي خليل، وثائق عن المغرب، المرجع السابق، ص41.

(6) هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلية الجزائر2009م، ص44.

2- الإستعدادات الحربية لكلا الجانبين:

إستطاع دوق البندقية إيقاض المسيحية الكاثوليكية وتنبيهها للخطر الذي بات قريبا من أوربا، ونجد أنّ البابا أخذ الأمر على محمل الجد وراح يدعو إلى التوافق الأوربي ضد العثمانيين في بضعة أسابيـع، حيث تم إتخاذ قرار صائب لإيقاف العثمانيين عند حدهم وذلك بتشكيل حلف مقدس عسكري بقيادة دون جوان دوتريش الأخ غير الشقيق لشارل الخامس[1]. كان كل طرف على علم بما يخطط له الطرف الآخر لذا كانت الإستعدادات الحربية كبيرة للغاية .

2.أ- الدولة العثمانية:

بعد عودة العلج علي إلى الجزائر التي كان بايلربايا عليها منذ عام 1567م، وتحقيقه لنجـاحات كبيرة في كل من تونس والبحر الأبيـض المتوسط ولكنـها لم تكن كافية، فقد طلب من الدولة العثمانية مساعدته بالمال والعـتاد والرجال للإيفاء بمهمته، وبدل إمداده بما طلب فقد ورد إليه فرمان يحثه على الإبحار بسرعة لإعتراض الأسطول المسيحي بقيادة النمساوي دون جوان، كان ذلك في ربيع عام 1571، المتجه نحو الشرق. كان السلطان العثماني كذلك قد أرسل فرمانا إلى والي طرابلس الغرب يعلمه بضرورة أخذ الحيطة والحذر ومبـاشرة جملة من الإستعدادات الحربية للدفاع عن ولايته، ولما كان الأسطول العثماني يقوم بغزواته على سواحل البحر الأبيض المتوسط الشمالية الشرقية إلتقى بهم العلج علي على رأس الأسطول الجزائري المكون من 30 سفينة حربية و30 أخرى ملكا له، فأخبرهم بأنّ الإسبان يوشكون على تنفيذ هجوم على الجزائر كما علموا من أمير دوبرفنيك الذي زودهم بمعلومات مفادها أنّ الإسبان يباشرون إستعدداتهم للهجوم على الجزائر وتونس معا، وما كان على هؤلاء القادة إلا الإستعداد وأخذ القرار بالمواجهة[2].

يذكر أنّ شبكة الجوسسة العثمانية كانت تزود الصدر الأعظم "صوقلي باشا" بكل كبيرة وصغيرة عن فحوى الإتفاق بين الأطراف المسيحية وقد إتخذ جملة من الترتيبات حتى وإنْ كانت متأخرة منها محاولة الصـلح مع البندقية واستمالة فرنسا ولكنه لم يستطع ذلك، ولما فشل في مسعاه قرر الصدر الأعظم رصّ صفوفه وتشكيل أسطول من 180 سفينة إلى 200[3]، بعد أنْ راسل حاكم الجزائر وأخبره بضرورة الإستعداد والتفطن بعد سماع التحضيرات الأوربية لتوجيه حملة على شمال إفريقيا يجهل تحديد موقعها بدقة[4]. أما فرناند بروديل فقد ذكر أنّ السفن كان عددها 230 سفينة تشكل الأسطول العثماني وأساطيل الإيّالات العثمانية المغاربية كطرابلس الغرب والجزائر[5].

---

(1) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص97.

(2) سامح عزيز ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشما لية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت1989م، ص230.

(3) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص98.

(4) مهمة دفتري، رقم22، تاريخ979، تعريب داود محمّد التميمي ، الارشيف الوطني الجزائري، علبة2، ص19.

(5) Braudel (Fernande), La Méditerranée et le monde…, Op, Cit, p395.

ومهما يكن من أمر هذه الإستعدادات فإننا نجد أن مؤرخ الدولة العثمانية أنذاك قد أحجم على ذكر تشكيلة الأسطول العثماني على الرغم من قربه من الأحداث ونجده قد فصل النزاع الذي دار بين قادة الأسطول في وضع خطة للهجوم، كما وضح تعداد السفن المسيحية [1].

2.ب- القوى المسيحية:

يورد حاجي خليفة بأنّ عدد سفن المسيحيين يفوق 200 سفينة منها 100 لدويلة البندقية و 90 لإسبانيا موزعة على مناطقها خاصة الإيطالية منها مالطا ونابـــولي، وكان للفاتيكان 12 قطعة[2]. بينما تفيد مراسلة السلطان العثماني لحاكم الجزائر بأنّ الأسطول مكون من 120 قادرغة، و 70بارجة و باتشاردة ذات 35 مقعدا[3]. أما ما كان من معلومات حول التحضيرات بحوزة السلطان العثماني التي زوده بها العلج علي فهي 230 قادرغة و 70 فرقاطـــة و 28 قطعة مختلفة، كما وضع دون خوان النمساوي على رأسها وهو في طريقه إلى كروفو لتدميرها [4].

3- مجريات الموقعة:

بينما كان الأسطول العثماني يجوب أعالي البحر المتوسط الشرقي منه بحثا عن الغنائم، إذْ أبحر في بادئ الأمر من جزيرة كريت في شهر جوان نحو اليونان ثم ألبانيا، بيد أنّه أُجبر على التقهقر إلى اليونان بميناء كوروفو حتى أواخر شهر سبتمبر وكنتيجة لطول المدة التي قضاها الأسطول في التجوال دون فائدة كبيرة تذكر فقد أُصيب الجنود العثمانيين بالتعب الشديد والملل، والأكثر من ذلك بداية نفوذ المؤونة على عكس الأسطول المسيحي الذي كان يراقب الأمور عن كثب مما فتح له المجال على إرغام الأسطول العثماني على التوجه إلى مضيق ليبانت لتسهيل عملية محاصرته، وبالتالي القضاء عليه وكان للتحالف أثر في ذلك، فقد إلتقى الأسطولان يوم 1571/10/07م[5].

سار دون جوان النمســاوي نحو ميدان المعركة بثقة زائدة وجعل من سفن البـندقية الستة الكبيرة في المقدمة وفي وسط نصف الدائرة الكبيرة، وكانت كل منها تحمل 60 مدفعا، بينما كان الأسطول العثماني يشكل كذلك قوسا كبيرا تكاد أطرافه تلامس شواطئ خليج ليبانت وهــو ما أثر عليه وجعله بالكامل في مرمى نيران المدفعية الأوربية، ولما بدأ القصــف لم تكن نيران المدفعية لتوقف تقدم الأسطولين نحو بعضهما البعض وعلــيه كان التلاحم بين الطرفين.

---

(1) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ص160- 163.

(2) المصدر نفسه، ص160.

(3) مهمة دفتري، رقم7، حكم 51، تاريخ978، تعريب داود محمّد التميمي، الارشيف الوطني التونسي، علبة2، صحيفة13.

(4) سامح عزيز التر، المرجع السابق ، ص230- 231.

(5) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص99.

أصبح القتال يشكل مبارزات ثنائية رجلا لرجل، لقد إستطاع قائد الأسطول المسيحي قطع رأس قائد الأسطول العثماني وجعلها على رأس رمح كما أخذ الراية الإسلامية التي جُلبت من مكة على أنّه تم إرسالها إلى الأوسكريال. وقد نجح العلج علي في إجراء مناورة كان قد أفلت من كماشة المسيحيين وخلص السفن الجزائرية من خطر الغرق والإحتجاز والأكثر من ذلك مما لا يدع الشك بأنّه إنسحب من المعركة بعد أنْ إستولى على راية فرسان القديس يوحنا[1]. وهنا نجد إختلافا بين الكتابات في موقع قيادة العلج علي لميسرة الجيش حسب دراسة الأستاذ عبد الجليل التميمي[2]، لأنّ المؤرخ التركي حاجي خليفة يقول بأنّه كان على رأس الميمنة [3]. بالنسبة لهؤلاء القادة لا فرق بين أماكن التموقع في قيادة الحروب لأنّ الخبرة المكتسبة لديهم لها عامل أساسي في حسم النتيجة لصالحهم.

قبل الخوض في النتائج يجب أنْ نوضح أسباب هزيمة العثمانيين وإنتصار المسيحيين في هذه المواجهة البحرية التي تعد أهم المعارك البحرية خلال القرن16 على الإطلاق في البحر المتوسط.

4- أسباب الهزيمة:

أ- تمكن الأسطول المسيحي من محاصرة الأسطول العثماني في مكان ضيق تصعب فيه المناورة.

ب- عدم تكافؤ قوة الأسطولين من حيث العدة والعتاد (عدد السفن - عدد المقاتلين- نوع الأسلحة)، فالأسلحة النارية لا يملكها إلا القليل من العثمانيين وكان جلهم يحارب بالرماح والسيوف والسهام[4].

جـ- التنسيق الكبير الذي ظهر بين قادة الأسطول المسيحي [5]، على عكس قادة الأسطول العثماني والذي شهدت الروايات بأنّهم لم يكونوا على مستوى واحد من التنسيق والرأي، ولم يؤخذ برأي القادة العظماء أمثال العلج علي[6].

5- نتائج المعركة:

أ- عقد فيليب الإسباني لإجتماع في روما من أجل المضي في مسعاه لتوحيد الجهود ضد العثمانيين في 1571/12/11م، توج بعقد معاهدة جديدة يوم 1572/02/10م[7].

ب- إعتلاء العلج علي رتبة أميرال البحرية العثمانية، وتولى "عرب أحمد" إمرة الجزائر ما بين 1572 - 1574م.

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص ص89-90.

(2) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص99.

(3) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص162.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص89.

(5) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص99.

(6) سي يوسف محمد، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2009، ص ص 164- 165.

(7) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص100.

جـ– تحمس دون جوان النمســـاوي إلى إعـــادة إحتلال تونس بعد نجاحه في إعادة إحتـــلال بعض المنـــــاطق أواخر 1573م[1].

د– إقامة الإحتفالات في كل ربوع أوربا ترسيخا لهذا الإنتصار المؤقت [2]، فقد أبحر الأسطول العثماني في غضون سنتين وبدا أكثر قوة مما كان عندما بادر العلج علي إلى استبدال الأسلحة التقليدية بأسلحة نارية[3].

على الرغم من الإنتصار المسيحي إلا أنّ الجزائر إستطاعت أنْ تهضم الدرس جيدا بحيث ستكون هذه النقطة بالذات هي المحور الرئيسي الذي تسير عليه السياسة الخارجية للجزائر تلافيا لحلف آخر قد يؤدي إلى إنهاء كيان الإيّالة.

خامسا – الحملة الصليبية على مدينة الجزائر1009هـ/ 1601م:

يعج عـــالم البحر الأبيض المتوسط بمختلف سفن الدول التي تشرف على هذا المســطح الهام شمالا وجـنوبا وحتى شرقا وغربا، ولكن مع عقد الثمانينات من القرن السادس عشر كانت السفن الإنجليزية تجوب نواحيه الغربية بشكل محتشم، وكانت الملكة "إليزابيت" تبذل جهودا معتبرة لوضع قدم في هذا الجزء الهام من البحار أنذاك، بعقد إتفاقيات إقتصادية مع تلك الدول المشرفة عليه، وتوصلت في هذا المجال إلى عقد إتفاقية مع الباب العالي تتضمن السماح للشركة الإنجليزية المعروفة باسم شركة المشرق بتكليف قناصل لها للإشراف على المعاملات الإقتصادية هناك.

ولما كانت هذه السفن تلج البحر الأبيض المتوسط كانت هدفا سهل المنال للبحارة الجزائريين الذين لم يتوانوا في الإستيلاء عليها، وهذا نتيجة عدم إعتراف باشاوات الجزائر بالإتـفاق الذي تم بين الطرفين العثماني والإنجـليزي خصوصا وأنّ هذه السفن لم تكن تملك تصاريح المرور [4]. تُعد هذه المعطيـــات هي في حد ذاتها أسبابا لتحرك الإنجليز ضد إيّالة الجزائر أو بالأحـرى ضد بحارتها، ولكن قبل القيام بأي عمل كان لابد من التفاهم مع الإسبان الأعداء التقليديين للجزائر. وبالمقـابل سيكون هذا التحالف بينهم هو مبرر للجزائريين بعدم إحترام السفن الإنجليزية تحت أي ظرف من الظروف بداية من هذا التاريخ. وهكذا أصبحت جلّ الدول في حرب غير معلنة مع إيّالة الجزائر.

دشّن الإسبان مع مطلع القرن السابع عشر توجيه حملة ضخمة على مدينة الجزائر، توصف على أنّها صليبية نتيجة مشاركة قوات البابا و نابولي وتوسكانيا وجزر صقيلة وسردينيا وبارما وموديـنا ولبروطان وجـــزر البليار التي أُسندت قيادتها إلى جان أندري دوريا[5]، تتألف من 70 سفينة و 10 آلاف من الجنود[6].

---

(1) خوجة حسين، المصدر السابق، ص280.

(2) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص100.

(3) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص233.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص250.

(5) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، 157.

(6) De Grammont(H-D), Op, Cit, p141.

كان الأميرال مانسيل في هذه الفترة بميناء الجزائر الذي غادره دون تحقيق هدفه الذي جاء من أجله، وفي طريق عودته عَرَّجَ على ميناء إسبـــاني للتزود بالمؤونة كما طلب منهم منحه سفن إسبانية خفيفة للمناورة ومباغتة الأسطول الجزائري في مرابضه. وبينما هو كذلك حتى حلّت بالمكان نفسه سفن الأسطول الهولندي، على أساس أنّ الهدنة بينهم وبين الإسبـــان على وشك النهاية والأمور كانت تنذر بإنفجار الوضع. ومن هذا المنطلق لم يستطع أي من الأساطيل الثلاثة التحرك نحو مدينة الجزائر سوى الإنتظار ومراقبة الأحداث عن قرب ريثما تتضح الرؤيا.

ظلّت الأمور على ما هي عليـــه إلى أنْ طلب قائد الأسطول البحري الهولندي من الأميرال مانسيل ضرورة التحرك العاجل ضد الجزائر. إنّ هذا التحرك إعتبره الإسبان تحركا ضدهم هم كذلك، ولكن في الأخـــير كان الهولنديون قد إمتنعوا عن مرافقة الإنجليز في عمليتهم هذه غير الواضحة الأهداف، وهـــكذا قرر الأميرال مانسيل المضي قدما في تنفيذ حملته التي انتهت بهزيمته [1]، وتخـــتلف المصادر في رواياتها حول توجيه ضربة للأسطول الجزائري من عدمها إذْ فسرت ذلك بهبوب عاصفة هوجاء أدت إلى تلك النتيجة. إنّها الأسباب نفسها التي فسر بها دو غرامونت عدم توجه دوريا إلى الجزائر قائلا بأنّ الظروف الجوية لم تكن على ما يرام [2]. ولكننا نجد رواية تفيد بأنّ الأسطول حلّ قبالة سواحل الجزائر في 30 أوت وبقي هناك حتى 10 سبتمبر دون أنْ يحصل على مبتغاه خاصة تحرير الأسرى[3].

كانت حالة عدم التفاهم بين الإسبان والإنجليز وحتى الهولنديين للفتك بالأسطول الجزائري، تعود بالأساس إلى شدة التنافس حول الظفر والإستيـــلاء على مدينة الجزائر وتحقيق أطماعهم، فالفرنسيون حصلوا على إمتيازات إقتصـــادية تخص صيد المرجان، بل وتأسيس مراكز تجارية، وأطماع الدول الأخرى كانت تصب في الإتجاه نفسه وتتـــزايد من وقت لآخر[4].

تُورد المصادر الكثير عن الأطماع الإقتصادية لدول أوربا بإيّالة الجزائر، فبالمقابل كانت هذه الدول تعزف عن إمداد الجزائر بالأسلحة والسبب في ذلك يعود إلى قوانين الكنيسة حسب زعمهم، غير أنّه بعد هذه الحملة الفاشلة تيقنت دول أوربا وخاصة الدول التي تم ذكرها من ضرورة كسب صداقة الجزائر للظفر بما كانوا يطمعون فيه، حيث تم التعامل معها في مجال الأسحلة، فاشترت منهم السفن الحربية و الأسلحة والذخائر وغيرها من المعدات المختلفة وهـــم بدورهم حصلوا على الحبوب والأصـــواف وغيرها من السلع التي لم تكن ببلادهم[5].

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص257.

(2) كانت فكرة الهجوم الأولية تقتضي إستخدام ثلاثة أو أربعة سفن ويتم إقتحام الميناء ليلا وإحراق الأسطول ولكن الفكرة تم تغييرها في الأخير إذ رجحت كفة إستعمال القوة وإحـــداث المفاجأة لتدمير مدينة الجزائر بتحالف الدول وإختيـــار يوم محدد للقيام بذلك يكون في شهر جويلية قبل انقضاء فصل الإبحار ينظر: De Grammont(H-D), Op, Cit, p142.

(3) Jeronimo Conestaggio, relation des préparatifs fiats pour surprendre alger, tradui de Grammont(H-D), Alger, Adolphe Jourdan, libraire,1882, pp21-23.

(4) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص66.

(5) المرجع نفسه، ص66.

سادسا– تحالف أمير كوكو مع الإسبان ضد الإيّالة سنة 1011هـ/ 1603م:

فشلت إسبانيا في حملتها السابقة ضد الجزائر على الرغم من مساعدة بعض قطع البحرية الإنجليزية لها، بيد أنّه بعد سنتين من ذلك التاريخ لاحت في الأفق مبادرة أخرى لضرب مدينة الجزائر مجددا، على أنّ هذه الحملة الجديدة سوف تتخذ مسلكا مغايرا، فمن التحالف الدولي إلى التحالف الإقليمي الذي يمثله أمير جبل كوكو، حيث وجدت فيه خير حليف لها لعلها تحقق ما كانت تصبو إليه.

1– أسباب الحملة: متعددة من بينها نذكر:

1.أ– فشل حملة التحالف الصليبي على مدينة الجزائر قبل سنتين، وظهور التنافس الكبير بين إسبانيا وإنجلترا وهولندا وعـدم تحقيق أي طرف لأهدافه، خاصة وأنّ الحملة كانت قد شاركت فيها معظم الدويلات الإيطالية التي كانت ترمي هي الأخرى لتحقيق مرامها على حساب الجزائر.

1.ب– عدم إستقرار الأوضاع العامة في الجزائر لا سيما منها السياسية، ففي الفترة ما بين سنتي 1599 و1603م تـداول على حكـم الجـزائر أربعة باشاوات، وهم "دالي حسـن أبـو ريشة"(1599-1600م) و"سليـمان باشا"(1600- 1603م) و"الخضر باشا"(1603م)، ومن بعده "محمد قوصة"(1603- 1605م)[1]. لقد أرادت إسبانيا إغتنام هذه الفرصة لإلحاق الهزيمة بالجزائر ومحو عار الحملة السابقة.

1.جـ– ظهور تمرد داخلي قام به أمير جبل كوكو ضد حكومة الجزائر، الأمر الذي حسبه الإسبان لصالحهم وحاولوا إستغلاله بعد أنْ علموا بذلك من خلال أحد الأسرى السابقين في الجزائر وهـو "بير ماثيو"[*].

1.د– إنهزام الجيش الجزائري بقيادة الباشا سليمان كتانيا أمام القبائل المتعاونة مع الإسبان في بايليك الغرب الجزائري في مـوقعتين، الأولى في سنة 1600م، والثـانية في سنة 1601م، في موقعة جمعة الصهريج[2]. والأرجـح أنْ يكون بعد الحملة الفاشلة التي وجهت من طرف هذه الدولة في السنة ذاتها، إنتصارا يجعلهم يتحمسون لتحقيق نصر آخر على باشا الجزائر كذلك.

---

(1) بوعزيز يحي، الموجز...، ج2، ص129.

(*) أحد الرهبان الفرانسيسكان أُسر في زمن سابق لم نعثر عليه بالضبط، والجدير بالذكر أنّه مكث مدة طويلة بالجزائر وخـاصة عند أمير جبل كوكو، الأمر الذي أهّله إلى معرفة أحوال مدينة الجزائر والبلاد بصفة عامة، كما كانت له علاقات طيبة مع بعض الرياس. ينظر:

سامح عزيز ألتر، المرجع اسلابق، ص ص312-313.

(2) المرجع نفسه، ص311.

1.هـ- التحفيز الذي تلقاه الملك الإسباني من قبل الأب ماثيو لشنّ حملة على الجزائر. في ظل هذه الظروف الحالكة التي كانت تمرّ بها البلاد، إذْ كان أمير جبل كوكو قد وعد الإسبان بواسطة الأب ماتيو بالمساعدة على إنجاح الحملة في حالة تنفيذ هجوم على الجزائر، لقد أُحيط هذا الأمر بالسرية التامة [1]، ولكن الجوسسة الجزائرية لم تدعه كذلك فسرعان ما وصلت أنباؤهم للباشا والديوان.

1.و- كانت إسبانيا قد تشجعت أكثر لنفيذ مشروعها بعد معرفتها لجهود الفرنسيين منذ سنوات في تأليب الأوضاع ضد الحكومة الإسبانية [2]، وتأكدها من السعي الحثيث لها لإعادة الإمتيازات كما كانت، في حالة تحقيق تحالف مع الجزائريين ضد إسبانيا[3]. إنّ أمر هذا التحالف يبقى مجرد رأي لصاحبه ويبقى مسعى فرنسا هو تجسيد أطماعها.

2- تجهيز الحملة و سيرها:

بعد توفر الأسباب المختلفة إجتهد الإسبان في وضع خطة للإستيلاء على مناطق شرق مدينة الجزائر والإغارة عليها في غفلة من أهلها، وهذا بناءً على ما توصل إليه من أنّ الرياس لا يرغبون في إستعمال ميناء مرسى الفحم فضلا على تقدم عبد الله حفيد أمير كوكو الذي تنازل إلى الأسير السابق الذكر عن الميناء مقابل خمسين ألف إيكو، لقد تم الإتفاق بين الجانبين على تسليم المرسى والأموال في نقطة يلتقون فيها حَدَّدُوهَا مسبقا وهي أزفون(زيفون Ziffon) لقد وعد عبدالله تقديم ابنه كرهينة لقاء تنفيذ وعده، وأرسل الأب ماثيو بدوره إلى حاكم جزيرة ميورقة يحثه على تجهيز الحملة والإبحار لتنفيذ الخطة المتفق عليها[4].

لم تورد المصادر عدد سفن هذه الحملة، بيد أنّ هناك إشارة إلى أنّها كانت أربعة سفن فقط تُقل على متنها مائة جندي، والأموال المتفق عليها تم توفيرها لدوق ميورقة الذي أبحر باتجاه الجزائر [5]. ولكن حتما لم تكن بهذا العدد ذلك أنّ عدد الرجال الذين نزلوا مع الأب للتفاوض كانوا ثمانين رجلا وبقي الجيش على متن السفن، في حين كان الباشا سليمان قد أمر بمراقبة تحركات الأب الأسير بعد الأخبار التي أكدت ضلوعه في إستقـــتدام الأسطول الإسباني خاصة بعد أنْ أصبح يتردد على الرياس، وبعد وضوح نواياه إستدعاه الباشا وهدده بالقتل إنْ خالف أمره فتظاهر بعدم علمه بالموضـــوع وأنّ لا علاقة له بذلك، ولكنه عاود الإتصال بالدوق وطلب منه تنفيذ الهجوم وفقا للخطة المرسومة[6].

---

(1) Pierre Dan, histoire de Barbarie et de ses Corsaires,Paris, libraire Ordinaire du Roi, T1, 2eme édition1646, p115.

(2) De Grammonte(H-D), Op, Cit, p143.

(3) بلانتي أوجين، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا1579-1700م، ترجمة مجموعة من الاساتذة، ج1، دار الوعي، الجزائر2013م، ص61.

(4) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص 313.

(5) المرجع نفسه، ص313.

(6) المرجع نفسه، ص313.

بعد تأكد الإتصالات بين الأب ماتيو والإسبان، إستدعى الباشا فرق الإنكشارية، وبـــدأ في الإستعدادات المختلفة لصدّ الهجوم، في حين كان يحضر لهجوم كبير على أمير جبل كوكو. ولكن في آخر الأمر رأى أنّه من الضروري كسب هذا الأخير وقلب الموازين لصالحه، إذْ وعده بمبلغ مالي كبير مقابل تعاونه، ووعده أيضا بخمسين سلطانيا مقابل كل رأس إسبانية مقطوعة(*) ومائتين مقابل رأس الأب ماثيو[1].

لقد تمكن الباشا من ضرب عصفورين بحجر واحد، فمن جهة قد كسب ودّ أمير جبل كوكو الذي ما فتئ يعلن ثورته، والثانية التخلص من الحملة بأقل الأضرار. ومهما يكن من أمر فقد وصلت الحملة الإسبانية إلى مكان اللقاء المتفق عليه ونزل الأب مـــــاثيو إلى البر وبصحبته ثمانون رجـــــلا، ووجد "عبد الله" وبعض السكـــــان بإنتظـــاره وعلامات السرور واضحة على محياهم، وللتو بدأت المفاوضـــات التي إشترط فيها عبد الله تسليم المبلغ المالي أولا وبالمقابل طالب الأب بتسليم الحصن والرهينة كما إتفقا. بيد أنّ الأب كان قد تأكد بأنّه ذهب ضحية خداع [2] وبدا يماطل في التفاوض ريثما يتسنى له الفرار، ولكن لم يسعه ذلك إذْ هجم عليه عبد الله ومن معه من الجنود والسكـــان وقطعوا رؤوسهم عن آخرهم[3]. ولما طال الوقت المتفق عليه إرتاب نائب ملك ميورقة فأرسل مبوعثا للوفد خاصة بعد أنْ رأى العدد الكبير للسكان، وأخبره هذا الأخير بأنّ الجميع قد أُعدم، فأمر ربابنة السفن بالإبحار وعدم الإنتظار خشية تعرضهم لهجوم مفاجئ[4].

بعد هذه الحادثة؛ نقل عبدالله وأعـــوانه رؤوس الإسبان والأسير السابق إلى مدينة الجزائر للحصول على الأموال كما وعدهم الباشا وبدل مكافئتهم لامهم كثيرا عن إعدامهم لأنّ عملية أسرهم وجلبهم أحيـــاءً كان سيجني منها أموالا طائلة من خلال عملية فدائهم خاصة الأب ماثيو الذي لم تكن لتفرط فيه دولته مهما كان [5]. وهكـذا تم تجاوز هذا الظرف العصيب.

(*) لقد أفاضت هذه النقطة بالذات وخاصة قطع الرؤوس مقابل الأموال، حبرا كثيرا لدى المهتمين بكتابة تاريخ الحروب بين ضفتي المتوسط في العصر الحديث إذْ سيستند عليها الكثير في معالجة عوامل الإنتصار والهزيمة معا في الحروب القادمة، بل سيرتكز عليها المستشرقون لتشويه صورة الاسلام، وإلصاق التهم بالمسلمين، فتبقى هذه التصرفات تصرفات فردية لا يمكن تعميمها بأي حال من الأحوال.

(1) Pierre Dan, Op, Cit, p115.

(2) يذهب الكثير من المؤرخين وخاصة منهم دو غرامونت، إلى أنّ هذه الحادثة كانت مؤامرة منذ البداية أراد من خلالها منفذوها الأموال والإنتقام من المسيحيين، بيد أنّ الوقائع التاريخية تثبت بطلان زعمهم، فالثورة من قبل أمير جبل كوكو كانت قائمة ضد السلطة العثمانية بالجزائر وهو ما يثبت تحالف أميرها مع الإسبان، في حين ما أغفله هؤلاء هو حنكة سليمان باشا في الخروج بسلام من هذا الوضع . وبالمقابل قد نسي بأنّ الأب ماثيو في حدّ ذاته كان أسيرا في الجزائر و بفعلته هذه كان يريد الإنتقام من الذين أسروه.

(3) Pierre Dan, Op, Cit, p115.

(4) De Grammonte(H-D), Op, Cit, p144.

(5) Pierre Dan, Op, Cit, p116.

3-نتائج الحملة:

شغلت هذه العملية بال باشا الجزائر الديوان معا، بل كانت لها أصداء كبيرة، وضيعت وقتا كبيرا وجهدا لا يمكن تقديره، وعلى أية حال فمن بين النتائج التي خلفتها هذه المؤامرة نذكر:

أ- مقتل الوفد الإسباني المكون من ثمانين رجلا وعلى رأسه الأب ماثيو، وعودة سفن الأسطول سالمة إلى قواعدها بجزيرة ميورقـــة.

ب- تحقيق حكام الجزائر لنصر كبير بأقل الأضرار عندما إستطاعوا الاحتفاظ بمرسى الفحم وحـــالوا دون وقوعه في يد الإسبان ومعاونيهم، إذْ كان سيشكل خطرا على البحرية الجزائرية.

جـ- نهاية ثورة إمارة جبل كوكو التي لم نعثر على معلومات كافية حولها.

د- فشل الحملة الإسبانية الثانية في غضون سنتين، الأمر الذي يدل على سوء نية الإسبان في علاقاتهم مع الجزائر أو الإيّالات المغاربية الأخرى، وقلّة حيلتهم بإبرام تحالف إقليمي بعد أنْ كانت تؤازرها الدول الكبرى، وهو ما يـــدل على تغير الإستراتيجية الإسبانية في حروبها ضد المسلمين.

هـ- إستفادة فرنسا من فشل الإسبان وأعادت بعث مفاوضاتها من أجل إعادة فتح مؤسسة الباستيون، عندما غيرت السفير "جارماني" (Germigny) بالسفير "سافاري دوبراف"(Savary de Breves)[1]. ولولا توسط السلطان العثماني لما عادت العلاقات كما كانت، ويكون ذلك في غضون عام 1605م[2].

و- ظهور نوايا الدوق الكبير لمملكة توسكانيا بتوجيه حملة على ميناء الجزائر وتدميره وإلحاق الضرر بالأسطول الجزائري أينما حلّت سفنه، بيد أنّ تُجار مدينة ليفورنة غيروا رأيه وعليه تأجلت الحملة إلى حين، بسبب تضرر تجارتهم [3]، ولن تكون وجهتها مـــدينة الجزائر بل مدينة عنابة.

ي- توتر العلاقات أكثر بين "هنري الرابع" وفليب الثاني، بسبب مساعدة فرنسا لثورة المورسكيين ونجـــاحها في التقرب من حكام الجزائر وبالمقـــابل تردي العلاقات بين الجزائر وإسبـــانيا، هذه الأخيرة التي أصدرت قانون الطرد النهائي للموريسكيين عام 1609م[4].

لم يكن هذا التحالف هو الأخير من نوعه بل هناك تحالفات أخرى، ستزعزع إستقرار الإيالة لا محال.

---

(1) أوجين بلانتي، المرجع السابق، ص49.

(2) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص61.

(3) De Grammonte(H-D), Op, Cit, p145.

(4) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص ص316-317.

الفصـــــل الثاني

حملات التحالف ضد الإيّالة

ما بين سنتي

1087-1018 هـ

الموافق لـ

1676 -1609 م

عناصـــــــر الفصــل

- تمهيد.

أولا- حملتي فرسان سان إتيان والتــوسكان على مدينة الجزائر وجيجل ســـــنة 1018هـ/ 1609م.

ثانيا- الحملة الصليبية على مدينة جيجل بقيادة دي بو فور سنة 1025هـ/ 1616م.

ثالثا- تكتل الدول الأوربية ضد الجــزائر سنة 1029هـ/ 1620م.

رابعا- تحالف بايات تونس مع قبائل الشرق الجزائري ضد الإيّـــــــــــــالة سنة 1614- 1628م.

خامسا- التهديدات الفرنسية الإيطالية للجزائر سنتي 1046هـ/ 1636- 1637م.

سادسا- حملة الأميرال رويتر الهولندي و فرسان مالطا على الإيّالة سنة 1654- 1657م.

سابعا- التحالف الإيطالي الإنجليزي ضد الإيّـــــــــــــالة سنة 1072هـ/ 1662م.

ثامنا- الحملة الصليبية على مدينة جيجل بقـيادة دي بـوفور سنة 1074هـ/ 1664م.

تاسعا- التهـــــديدات الأوربـــــــــــية للــجزائر سنـــــــة 1078هـ/ 1668م.

عاشرا- الحملة الصليبـــــية على مدينة الجـــــزائر سـنة 1081هـ/ 1670- 1671م.

حادي عشر- تحالف الإسبان و المغرب مع القبائل ضد الإيّالة سنة 1675 - 1679م.

ثاني عشر-تحالف الإسبان مع قبائل بني عامر لإحتلال تلمسان سنة 108هـ/ 1675م.

ثالث عشر- تحالف المولى إسماعيل مع قبائل الغرب الجزائري ضد الإيّالة ســنـــــة 1087هـ/ 1676م.

تُعد فترة الثلاثين سنة بعد منتصف القرن السابع عشر مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر العسكري؛ لوقوع إعتداءات عليها. لقد شنّت فرنسا هجوما كبيرا على القواعد البحرية الشرقية، بعد فشل اعتداءاتها السابقة والمدعمة من قبل الدويلات الإيطالية، إنّ هذا الإعتداء كان بمثابة شدّ وجذب للحبل الذي قد إرتخى من قبل الأوربيين في علاقاتهم مع الجزائر، بعد حملة شارل الخامس الكبرى قبل قرن وعقدين؛ إذْ كانت قوة الفرسان الوحيدة التي لم تفتر في الحرب المعلنة ضد الجزائر. في حين كان تَغيُرْ مكان الغزو عبرة من الإسبان الذين فشلوا في تحقيق هدفهم كما أنّ موانئ الجهة الشرقية كانت لها ميزة لا تتوفر في الموانئ الجزائرية الأخرى من حيث الملاحة والحماية والثروات الموجودة بها، من مرجان وحبوب تنتجها أراضي بايليك الشرق الخصبة.

كانت فرنسا أقدم دولة تتحصل على إمتيازات إقتصادية، سياسية ودينية لدى الدولة العثمانية؛ وخاصة هنا بالجزائر؛ إذْ يعود أول عهد لفرنسا بالجزائر إلى سنة 1577م؛ عندما سُمح لها بتعيين قنصل دائم بمدينة الجزائر [1]. وبعدها تحصلت هذه الدولة على موافقة الباشاوات على إتفاقية تخص التجارة؛ وبمقتضى هذه الإتفاقية ضمنت التزود بأهم مادة لمعيشة شعبها. لقد ضمنت تدفق مواد هامة جدا كالحبوب، الصوف، الجلود وغيرها، الأمر الذي عجزت عنه دول أخرى وبقيت تعمل ما بوسعها لتحقيقه.

يُمثل هذا الحرص للنيل من الجزائر رغبة فردية جامحة. بغض النظر عن الدول والعساكر التي رافقت الحملة الفرنسية على مدينة جيجل. لقد كان الملك الفرنسي الشاب "لويس الرابع عشر" هو من يدق طبول الحرب. ولم يكن هذا الأخير أذكى من الإمبراطور شارل الخامس ملك إسبانيا والأراضي المنخفضة والإمبراطورية الرومانية المقدسة الذي أحبطت بطاريات مدينة لجزائر وهم رجالها المقاومين مشروعه التوسعي على حساب سواحل شمالي إفريقيا، فشارل الخامس دانت له أصقاع واسعة، إذْ كان يبسط هيمنته إنطلاقا من حجر بادس غربا إلى طرابلس شرقا ومن الأراضي المنخفضة شمالا إلى وهران جنوبا، فكيف لهذا الفرنسي أنْ يحذو حذوه وهو الذي لا تتعدى سلطته أراضي المملكة الفرنسية، إنّ غروره ببقاء جيشه لبعض الوقت في مدينة جيجل وخروجه مهزوما وصدى تلك الفاجعة التي حلّت به لم يدعه كبرياؤه أنْ يخلد إلى النّوم دون التفكير في الإنتقام من حكّام الجزائر الّذين مرّغوا جيوشه في تراب جيجل وغنموا كل عتاده الحربي هناك.

---

(1) أرجمنت لكوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الحليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس1970م، ص30.

أولا– حملتي فرسان سان إتيان و التوسكان على مدينة الجزائر و جيجل 1018هـ/ 1609م:

تأثّرت إيّالة الجزائر كثيرا من جراء عدم إستقرار الأوضاع وظهور الإضطرابات من حين لآخر، فلا الداي إستطاع التحكم في الوضع ولا ح ـــتى السلطان العثماني قادر على التغيير. وهك ـــذا تشجع الأعداء المتربصون بالجزائر الفرصة لتوجيه حملات عسكرية على موانئها . وما يُثير الإهتمام هو التمادي الأوربي في إلحاق الضرر بالبحرية الجزائرية إنطلاقا من الأسباب التي إتّخذوا منها حجة لذلك.

كان الدور هذه المرة على فرسان "سان إتيان" (Saint Etienne)، والتوسكانيين معا. ولم يكن هذا الهجوم بمعزل عن الحملات الأوربية التي تُشنّ كل حين على الإيّالة بل كانت مكملا لها، إنْ لم نقل بأنّها كانت على قدر كبير من التنسيق فيما بينها. لقد كان هؤلاء على علم بما يجري في الجزائر في هذه الفترة الخرجة من تمردات الإن ـــكشارية والثورات التي ما فتئت تشتعل في مناطق متفرقة من البلاد، وه ـــذا من خلال جواسيسهم وأعين ـهم خاصة الأسرى المحررين في السابق مثل ما حدث مع الأب ماثيو في إمارة جبل كوكو. وإذا كانت هذه بعض من الأوضاع التي شجعت المعتدين على القيام بهذا الفعل وإغتنام الفرصة، فثمة جملة من العوامل التي كان لها تأثير مباشر على التفكير بهذه الحملة ومن بينها:

أ– تزايد النشاط البحري للرياس الجزائريين ضد السفن المسيحية، لا سيما منها التابعة للممالك الإيطالية التي من بينها سفن الفرسان والتوسكان أيضا. وم ـــا كان على هؤلاء إلا القيام بهجومات إنتقامية خاصة ضد السواحل الجزائ ـــرية كلما واتتهم الفرصة.

ب– تحمس هؤلاء للفتك بالمسلمين، على إثر نجاح حملة توسكانيا على مدينة عنابة سنة 1607م، ونجاحات أخرى حققها هؤلاء على سواحل الجزائر لا يسعنا المقام لذكرها [1]. وك ـــذا قيام الإسبان بتش ـريد المسلمين من الأندلس وإجبارهم على الهجرة نحو بلاد المغرب الإسلامي.

جـ– إغتنام فرصة اشتغال الرياس بحرب الفرنسيين بعد حادثة سيمون دانسا [2]، وخ ـــلو الموانئ الجزائرية من الحماية التي كانت توفرها هذه السفن باستمرار خاصة في ميناء مدينة الجزائر، أما ميناء جيجل فكان قليل الحماية كما سيأتي توضيحه لاحقا.

د– بداية ظهور الدول الأورب ـــية الأخرى في عالم البحر الأبي ـــض المتوسط، على غرار الإنجليز واله ـــولنديين، الذين سيشكلون من الآن فصاعدا منافسين شرسين في المجال التجاري. ول ـــن تتوقف أطماعهم عند هذا الحد بل ستتعداه إلى الدخول في تحالفات ضد البلاد.

---

(1) سلفاتور بونو، "العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي"، ترجمة أبو القاسم بن التومي، مجلة الأصالة، العدد6، الجزائر 1972م، ص103.

(2) بلانتي أوجين، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1579–1700م، ترجمة سلامنية بن داود وآخ ـــرون، ج1، دار الوعي، الجزائر 2013م، ص62.

وهـــكذا ساعدت هذه الظروف الملائـمة للقيام بهذه الحملة، والأسباب أيضا كانت في صالحهم . ومـــا أثار إنتباهنا أنّ كلا الحملتين على الرغم من أنّهما كانتا منفصلتين، وتم تنفيذهما في مكانين مختلفين، إلا أنّهما كانتا متـــزامنتين وفي وقت واحد، الأمر الذي يحمل كم من دلالة على وجود تحالف و تنسيق مُبيت للقيام بهذا الهجوم.

نفذ فرسان سان إتيان هجومهم على مدينة الجزائر في يوم 16 من شهر أوت عام 1609م[*]، لم تذكر المصادر هذه الحملة. على أنّ المعلومات المتوفرة تقول بأنّ المعتدين إستولوا على سفينة في الميناء، وقـاموا في الغد من ذاك بالهجوم على ميناء برشك [**]، حيث قتلوا جميع حراسه وأض ـرموا النار في البلدة ملحقين بها خس ـــائر معتبرة [1]. وبغض النظر عن النتائج التي حققها هؤلاء بإعتادئهم الغادر، فإن ما يثير الإنتب ـــاه هو نقص الحراسة في الكثير من الموانئ الجزائرية خلافا لميناء مدينة الجزائر ، فميناء برشك أو شرشال وغيرهما كثيرا ما تعرضوا لهجمات من هذا النوع وهي النقطة التي سيعتمد عليها المعتدون لتنفيذ مبتغاهم مستقبلا.

بعد نجاح هجوم الفرسان كان التوسكان كذلك قد حققوا نجاحا مماثلا على مدينة جيجل، عندما تم تنفيذ الهجوم عليها في اليوم نفسه، فوجدوها دون دفاعات، مما مكنهم من الإستيلاء على ثلاث سفن، وانص ـرفوا من حيث أتوا[2]. ويعود نقص الإهتمام بأمر الدفاعات في هذه الموانئ إلى فقدان هذه المدينة لأهميتها مُذْ رَحَلَ عنها خيرالدين على الرغم من الدور الذي مثلته كقاعدة للإخوة بربا روس في تأسيس الإيّالة[3].

ومن أهم النتائج التي تمخضت عن الحملة المش ـتركة هي زيادة التكاتف بين قوة الفرسان بمختلف تنظيماتهم والتوسكان، من جهة ومـــع هؤلاء والإسبـان من جهة ثانية، لأنّ هؤلاء هم من بقي على عدائه تجاه الجزائريين. إذْ يُذكر بأنّهم سينفذون هجومات أخرى على السواحل الجزائرية للحصول على الغنائم في سنوات قريبة من هذه الحملة كما حدث سنة 1613م، على كل السواحل الجزائرية تقريبا وخاصة في ميناء أرزي ـــو حيث حرروا مائتين من الأسرى المسيحيين وأسروا عددا من الجزائريين، وتتوالى هجماتهم في سنوات لاحقة مثل ما حدث في سنة 1616م[4].

(*) بالنسبة للأحداث تعرض الأستاذ سلفاتور بونو لهذه الحملات ولم يذكر بأنّ الفرسان قد هاجموا ميناء الجزائر بل إكتفى بالقول بأنّهم هاجموا قرية تبعد عن مدينة الجزائر بحولي تسعين ميلا، وقـد أسروا بها أكثر من 500 شخص حسب الإحصاءات . وزاد على ذلك بأنّها وقعت في صيف 1610م. والملاحظ أنّ هذه التقارير التي أوردها فيها خلط بين من قام بالهجومات، إذ مرة يذكر التوسكانيين ومرة أخرى يقول بأنّهم فرسان سان إتيان. ينظر: سلفاتور بونو، المرجع السابق، ص103.

(**) مدينة ساحلية تقع غرب مدينة الجزائر، بين مدينتي شرشال وتنس.

(1)سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص325.

(2) المرجع نفسه، ص ص325-326.

(3) خنوف علي، تاريخ منطقة جيجل قديما و حديثا، ط1، منشورات دار الأنيس، الجزائر2011م، ص64.

(4) سلفاتور بونو، المرجع السابق، ص103.

ثانيا– الحملة الصليبية على مدينة جيجل بقيادة 1025هـ/ 1616م:

لم يُغير الإسبان من طبيعة علاقاتهم مع حكام إيّالة الجزائر على الرغم من الهزائم المتكررة التي تلقوها، أما الإنجليز حديثي العهد بالبحر المتوسط، فقد أصبحوا مثل الإسبان نتيجة الإتفاقية التي عُقدت بينهما، ولم يحصلوا على مبتغاهم مع أي من باشاوات الجزائر. كما أنّ ظهور السفن الهولندية في البحر المتوسط، كانت قد وفرت غنائم كثيرة للبحارة الجزائريين وعليه أي من هذه الدول كانت بين أمرين أحلاهما مر ، إما أنْ تسلك سبيل ضرب الجزائر لإنهاء سيطرة بحريتها على البحر المتوسط أو عقد إتفاقيات للسلام مهما كان ثمنها.

قبل الخوض في تفاصيل الحملة يجب أنْ نوضح بأنّ العلاقات الجزائرية الفرنسية كانت تسير من السيء إلى الأسوء نتيجة للزوبعة السياسية التي أثارتها قضية المدفعين الذين سرقهما سيمون دانسا، وم ـا ترتب عنها من مآسي للدولتين لفترة دامت ربع قرن تقريبا. ففي هذه السنة بالذات خسر صاحب سفينة فرنسية ثلاثة ملايين ليرة نتيجة أعمال البحرية الجزائرية في ظلّ فشل المفاوضات الجارية [1]. ومهما يكن من أمر فإنّ الدول الأوربية كانت تحاول دائما التكتل لضرب الإيّ ـــالة ولولا تضارب مصالحها لفعلت ذلك منذ أمد، ولم يك ـن هذا هو السبب الوحيد الذي جعل من الجزائر تتفادى مثل هذه الضربات بل تعود الأسباب إلى فطنة حكام الجزائر وحنكة ديبلوماسييها لتفادي مثل هذه المآزق.

يبدو أنّ لكل طرف أسباب للدخول في الحملة إنتقاما من الجزائر فبالنسبة للإسبان يَذكر سفير إنجلترا بإسبانيا في رسالة بعث بها إلى إحدى الدوقيات الإنجليزية يخبره بأنّ هجمات الجزائريين القوية والجريئة أحدثت هلعا وإضطرابا نفسيا لدى الحكام الإسبان وأنّ الح ـالة أصبحت لا تطاق [2]. مما جعلهم يتناسون خلافاتهم ويف ـكرون في ضرب الجزائر لقد وُصفت هذه الحروب بحروب الإستنزاف، فموارد الدولة لم تكن تكفي لتجهيز الحملات ودفع الفدية[3].

كان الهولنديون من أبرز المدعم ـــين للحملة الحالية، على الرغم من أنّ الإنجليز لم يكونوا راضين عن العمل مع الهولنديين الذين كانوا قد عاملوا البحارة الإنجليز في الشرق الأقصى معاملة سيئة، أو كما قيل عنها بأنّها وحشية[4]. لكننا لا ندري لماذا تم تناسي تلك الأحقاد واشتركوا معهم لتوجيه هذه الحملة للإستيلاء على مدينة جيجل، في حين كان للإسبان ضلع فيها، وعليه كانت الحملة جاهزة ومتكونة من سفن الدول الثلاث حيث أبحرت واستقرت على سواحل المدينة [5].لم نجد أي شيء يدلّ على مصيرها ومن المؤكد أنّها إنسحبت خائبة ذلك لأنّها لم يكن لها أي صدى.

---

(1) De Grammont(H-D), Op,Cit, p151.

(2) مروش لمنور، المرجع السابق، 229.

(3) José Antonio Martinez Torres, un Mediterraneo en movimiento esclavos y comercio en el continente Africano(S16-17-18),revista Historia y Politica, Madrid, no20, 2008, pp231-232.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص254.

(5) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص157.

ثالثا- تكتل الدول الأوربية ضد الجزائر1029هـ/ 1620م:

تعود جذور هذا التكتل إلى سنوات سابقة، حيث ترتبط بالعلاقات الجزائرية الفرنسية، فهذه الأخيرة كانت متوترة للغاية كما أسلفنا بسبب قضية المدفعين البرونزيين، وما نستطيع وصفها به أنّها كانت بين مدٍ وجزرٍ فعندما وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود بسبب مطالبة الجزائريين بإسترجاع المدفعين، عادت فرنسا إلى أسلوب القوة فتحالفت مع الهولنديين ولكن الإنجليز كانوا قد منعوا الهولنديين من عبور مضيق جبل طارق وعليه فشل الفرنسيون في توجيه حملة على الجزائر في سنة 1618م[1].

وفي ظلّ هذه الظروف الصعبة ح ـدث وأنْ إستولى الـريس "رجب" على سفينة فرنسية في خليج ليون في 14مارس1620م، تقل بضائع كثيرة، وأثناء عملية الإستيلاء نجا إثنين من طاقمها وتوجها إلى مرسيليا حيث أعلموا السلطات الفرنسية بذلك، بعدها تعالت أصوات الفرنسيين بمرسيليا ضد الوفد الجزائري بقيادة سنان باشا الذي كان موجودا هناك بشأن المفاوضات، وتطورت الأمور إلى هجوم المارسيليين على منزل الوفد الذي قُتل جميع أعضائه، فباتت العـــــلاقات أكثر تأزما[2]. على إثر ذلك أمر الملك الفرنـــــــــــسي "لويس الثالث عشر" قـــــائد بحريته "ايمانول دو غوندي" (Emmanuel de Gondy) بمحاربة الأسطول الجزائري أينما حلّ، ولكنه كان على يقين بأنّ هذه الأعمال لن تثني من عزيمة الجزائريين ما لم يتم توجيه حملة عسكرية تدمر مدينة الجزائر، ولكن الأميرال إستبعد ذلك في الوقت الراهن[3]، وهو ما يُفسر عدم مشاركة الفرنسين في هذه الحملة.

عندما وصلت الأمور إلى هذا الحد إستشاط الجزائريون غضبا وأعلنوا الحرب على السفن الفرنسية، حيث دخل هؤلاء في الحرب المعلـــنة كذلك، غير أنّ الأوربيين كانوا وكأنّهم ينتظرون إشتعال الحرب بينهما فهم كذلك إنظموا إلى صف فرنسا ضد الإيّالة وهذه الدول هي إنجلترا وإسبانيا وهولندا . وما يجب ذكره أنّ هذه الدول لم تحارب الجزائر مجتمعة في إطار التكتل بل متتالية وكأنّها تنسق الهجوم فيما بينها وه ـذا لإختلاف أهدافها. يُذكر أنّ الأميرال الإنجليزي مانسيل عندما حلّ قبالة ساحل الجزائر كان الباشا قد سارع إلى طمأنته بعدم تعرض الأسرى الإنجليز للخطر من خلال الرسالة التي بعثها له ، وهكذا تم تجنب هجوم إنجليزي وشيك قد لا تحمد عواقبه . ولكن بالمقابل حلّت السفن الإسبانية على غفلة وبادرت بقنبلة المدينة فألقت 74 قنبلة. وما يثير الإنتباه أنّ الإنجليز لم يساعدوا الإسبان في عمليتهم هذه لكونهم قد حصلوا على مبتغاهم أو أرادوا من خلال ذلك تجنب غضب الجزائريين ضد أسراهم[4].

---

(1) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن17م(1619- 1694)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر1988م، ص44.

(2) بوعزيز يحي، علاقات المرجع السابق، ص ص62-64.

(3) De Grammont(H-D), pp157-158.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص255.

رابعا– تحالف بايات تونس مع قبائل الشرق الجزائري ضد الإيّالة 1614– 1628م:

بعد إنفصال تونس عن الجزائر في أواخر القرن السادس عشر ، لم يتسن لقادة الجزائر رسم الحدود الشرقية مع تونس. إذْ يُشرف على حدود الجزائر الشرقية بايليك قسنطينة الذي يُعد أكبر الأقاليم الجزائرية، وقد تم تنظيمه في وقت لاحق مقارنة بالتواجد العثماني المبكر بمدينة الجزائر، ويُذكر أنّه تم أثناء حكم الباشا حسن قورصو الذي لم يتعد السنتين من 1556 إلى 1557م. ومن حق المرء أنْ يتساءل عن أسباب تأخر حكومة الجزائر في ضم هذا الإقليم لقد كانت هناك صعوبات جمّة حالت دون ذلك، ولعل أبرزها خضوع نواحي هذا الإقليم لقبائل ذات بأس شديد وعلى رأسها قبيلة الحنانشة المشهورة. ولم يكن الأمر كذلك فقط بل يضاف إليه حالة التنافس الشديد بين هذه القبائل، إذْ بلاحظ أنّ زعماء القبائل كان حالهم مقسوم على أمرين إمّا المحافظة على الإستقلال وبالتالي التمتع بالإمتيازات أو الدخول في طاعة العثمانيين، والأمر الأخير لا يخلو كذلك من الإستئثار بالإمتيازات، منها الحصول على مادة البارود وإمداد المحلة الجزائرية بالمؤونة عند خروجها إلى تونس. وفي هذا السياق يُروى أنّ أهالي قسنطينة منعوا حسن آغا من دخول المدينة.

بذل الشيخ "ابن الفكون" جهودا مُضنية من أجل إستتاب الأمن، بيد أنّ ذلك لم يجد نفعا. وعلى أية حال بقي الجيش خارج أسوار المدينة وخيم قربها حيث بنى قلعة سطح المنصورة الشهيرة(*). وإنطلاقا مما سبق فإنّ حكومة الجزائر بسطت سيطرتها على الإقليم تدريجيا، وعليه أصبح أكثر تنظيما من ذي قبل إبتداءً من عام 1567م(1)؛ لأنّ محلته هي الأكبر من بين المحال الأخرى (2). ولم تكن حدوده الشرقية واضحة مع الجارة تونس، مما زاد الأوضاع خطورة في بسط الأمن والإستقرار ولم تكن قضية الحدود سببفي عدم إستقرار البايليك، بل كانت هناك الأطماع الخارجية من قبل حُكّام تونس، لقد كانت هذه الأطماع جغرافية وإقتصادية أيضا ، إنّ الإستيلاء على الموانئ الهامة مثل عنابة وبالمقابل حصل الفرنسيون على إمتيازات تخص صيد المرجان (3). ومما يجدر ذكره أنّ أطرافسعت إلى الإستقلال فهذا أحد التونسيين ذهب إلى إسطنبول، يطلب تأسيس صنجق مستقل يتكون من بلد العناب والباستيون ومتبارقة وقلعة باجة(4). لقد كانت مشاكل الإقليم تزداد يوما بعد يوم خاصة بظهور الأطماع الأوربية التي لم تخص السواحل فقط بل الدواخل أيضا، لضمان التزود بمختلف المواد، كل هذا كان بفضل الفرنسي "سانسون نابلون"(5).

(*) حصن منيع يقع على مشارف مدينة قسنطينة ، يعد قلعة متقدمة للذود عن حمى المدينة . ينظر: المبارك أحمد بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق نو الدين عبد القادر، الجزائر 1952م، ص18.

(1) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص ص203– 207 .

(2) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص139.

(3) Plantet (Eugène), Correspondance Deys D'Alger avec la cour de France, T1,(1579-1700), Paris, 1889, p1.

(4) الساحلي خليل، "إحداث لواء جديد في الجزائر في أواخر ق 16م يتركب من بلد العناب وباستيون ومتبارقة وقلعة باجة "، مجلة الأصالة، المجلد 14، العدد34، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 2011 م، ص 165.

(5) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص337.

كانت الأوضاع السابقة التي مرّ بها بايليك الشرق توحي بحدوث حرب وشيكة بين الجارتين ، لقد كانت الحدود هي محرك تلك الحروب دون منازع ، ويعـود السبب الرئيسي في ذلك إلى تحالف حكام تونس مع زعماء قبائل الشرق ضد السلطة الجزئرية. وعلـيه بادر الباشوات إلى محاولة فك هذه التحالفات والقـضاء على الفتن لحماية الحدود لا سيما وأنّ هذه الفترة كانت حرجة بالنسبة لحكومة الجزائر؛ فـمدينة وهران كانت لا تزال تحت نير الإحتلال الإسباني وتطلعات ملوك المغرب لتوسيع نفوذهم في غرب الإيّالة وإعادة بعث مشاريعهم التي تعود إلى زمن تحالفهم مع فليب الثاني ملك الإسبان (1598- 1621م)، عندما إتفاقا على مهاجمة الجزائر في آن واحد دون سابق إنذار، مغريا إياه بمنحه مدينتي طنجة وحجر بادس [1].

لقد كانت هذه الهجمات تتصف بالفجائية، وتحدث من حين لآخر، بيد أنّ هذا الوضع المتفاقم لم يثن الباشا "حسين الشيخ" (1613- 1616م) في ولايته الأولى، على دفع الخـطر عن حدود الإيّالة الشرقية والغـربية. ومهـما يكن من أمر فإنّ الحرب قد إشتعلت بين القبائل الجزائرية والتـونسية بسبب البحث عن مناطق الماء والكـلأ وهذا بإختراقها الحدود مما أدى إلى تدهور العلاق ـــــات بين حسين الشيخ، وباي قسنطي ـــنة فرح ـــات باي (1588- 1608م) من جهة، ويوسف داي تونس(1610-1631م) من جهة أخرى. وكـادت الحرب تقع بين الطرفين بضاحية مدينة الكاف[*]. غير أنّ الحكمة وتـرجيح المصلحة حال دون وقوع المحضور [2]، وتم الإتفاق على أنّ وادي سراط هو الحدّ الفاصل بين الإيّالتين وكان هذا في عام 1023 هـ الموافق لـ 1614 م[3].

نستنتج أنّ الداي يوسف كان ير مي بسياسته المنتهجة، إلى حماية حدوده الغربية و إبعاد الخطر الذي باتت تشكّله القبائل الجزائرية، وخـاصة قبيلة الحنانشة ليدعم ركائز حكمه، لا سيما وأنّه كان قد وضع يده على جزيرة جربة بعد أنْ كانت بحوزة طرابلس الغرب[4]. إنّ عدم الفصل في قضية الحدود بين الطرفين الجزائري والتونسي لن يُوقف الشحناء التي دبّت بين قبائل التخوم، وسوف يؤدي لا محال إلى الصدام عاجلا أم آجلا.

---

(1) الناصري أحمد السلاوي، المصدر السابق، ص49.

(*) مدينة حصينة تقع على سفح جبل شمال غرب تونس ولا مدن بعدها حتى الحدود مع الجزائر، محاطة بالمزارع والبساتين. دارت بها معارك طاحنة بين الجزائر وتونس أدت إلى تشييد قلعة بها في غاية من التحصين، كما كانت معبرا هاما للقوات الجزائرية إلى تونس طيلة فترة الصراع. ينظر:

ابن محمد حسين الورتلاني، الرحلة الورتلانية (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، مج2، مكتبة الثقافة الدينية والمكتبة الصوفية، القاهرة 2006م، ص ص788-787.

(2) ابن أبي الدينار القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس 1386هـ، ص196.

(3) الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق الهيلة محمد الحبيب، ج2، القسم 2، دار الكتب الشرقية، تونس 1973م، ص 178.

(4) حسن عبد الوهاب حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الفنون، تونس1954م، ص 115.

– معركة الحدود1037هـ/ 1628م:

تُعتبر معركة الحدود التي وقعت بمنطقة السلوقة من بين أهم المعارك التي دارت رحاها بين إيّالتي الجزائر وتونس لكونها كانت الأولى بعد استقلال تونس عن الجزائر، و تم فيها الإتفاق على خط الحدود ورسمها، كما كانت لها تداعيات على مستويات عدة. لقد وقعت هذه المعركة في الولاية الثانية للباشا حسين (1626م- 1634م)، هذا عن الطرف الجزائري أما عن الطرف التونسي فيمثله الداي يوسف (1610 - 1637م)[1].

1 – أسبابها: هناك أسباب كثيرة سنقتصر على أهمها فقط. و نذكر ما يلي:

1.أ – قيام الشيخ ثابت بن شنوف بوغر صدر باشا الجزائر وحثه على القيام بغزو تونس وإغـرائه بالغنائم التي يمكن جنيها، نتيجة الحقد الذي كان يكنه لحكام تونس[2]، فأراد أنْ ينتقم لنفسه.

1.ب – تعقد مسألة الحدود بين الإيّالتين، في ظل غياب إتفاقية توضح ذلك، خاصة وأنّ الأمـور قد تغيرت بعد تأسيس إيّالة الجزائر وزوال حكم الدولة الحفصية، التي كانت تسيطر على أقاليم شرق الجزائر.

1.جـ– عدم إحترام شروط الإتفاق السابق لعام 1614م، الذي يُقر بتمديد مضارب القبائل الجزائرية في عمق التراب التونسي من طرف حكام تونس بُغية الحصول على مناطق أكثر ملائمة للتخييم [3].

1.د– تجرؤ باي تونس على الإيّالة، و فرضه لحالة اللاإستقرار في بايليك قسنطينة.

1.هـ– محاولة باشاوات الجزائر إعادة تونس إلى تبعيتهم بعد إنفصالها عن حكمهم، وهو مـا ترتب عنه من فقدان لنفوذ وأموال ضخمة وحـتى الهدايا الثمينة والفـاخرة أيضا.

وقعت الدولة العثمانية في مأزق كبير عندما أقدمت على إعلان إستقلال تونس وطـرابلس عن الجزائر، لأنّ أوضاع الإيّالات المغاربية الثلاثة بشمال إفريقيا لم تكن كسائر الولايات العثمانية الشرقية. هذا فضلا عن عدم إستقرار حدودها على الجبهة الشمالية الشرقية [4]، كما أنّ تغيير نظام الحكم في الجزائر لم يأت بما كانت تصبوا إليه سلطة الباب العالي، إنّ الباشاوات كانت إستقلاليتهم تزيد يوما بعد يوم، و لعـل عَامِلُ البعد الجغرافي ساهم في تكريس هذا الواقع وما سيحدث في الجزائر بعد سنوات يفسر ذلك، ولن يقـف الأمر عن هذا الحد بل سينتقل إلى تونس وبـدون تدخل العثمانيين، فهل ستكون للدولة العثمانية كلمة لإعاده هيبتها على هذه الأقاليم البعيدة عن مقر حكمها؟

---

(1) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص 353.

(2) ابن أبي الدينار القيرواني، المصدر السابق، ص 196.

(3) هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص 46.

(4) خوجة حسين، المصدر السابق، ج2، ص ص340 - 343.

2- مجرياتها:

كانت ناحية الستارة الواقعة بإحدى ضواحي مدينة الكاف التونسية ساحة للمعركة بين الطرفين[1]، إذّ تُعد هذه النقطة معبرا رئيسيا بالنسبة للجيش الجزائري عند عبوره إلى تونس [1]. و يُذكر أنّ الجيشان إلتقيا يوم 22 رمضان 1037هـ/ 17ماي 1628م[2]، وفي هذا اليوم الأول من المعركة بدّت معالم إنتصار التونسيين واضحة، أمّا جموع الجزائريين فقد تفرقت في نواحي المنطقة؛ ولعل جهلهم لشعابها أدى إلى ذلك، في حين أنّه ليس لديهم إلا من معهم من الجند، أما الجيش التونسي فكانت جلّ القبائل معه وخاصة قبيلة دريد، ما عدا قبيلة بني شنوف التي بقيت تؤازر الجيش الجزائري.

إضطر الجزائريون بعد مُضي اليوم الأول والشاق أيضا إلى طلب الأمان على أنفسهم، ولكنّ في اليوم التالي لم تظهر بوادر رأفة التونسيين بهم. وبينتها بلغت المعركة أشدّ عنفوانها وبلغت القلوب الحناجر أيضا، تغيرت المعطيات لصالح محلّة الجزائر بشكل مفاجئ ، ويُعزى ذلك إلى انحياز قبيلة أولاد سعيد وقبائل لحقتها إلى جانب لجزائريين، وعلى إثرها زاد لهيب المعركة، ولم يجد قادة الجيش التونسي من سبيل لرصّ الصفوف فرأى الداي يوسف أنّ الإنسحاب هو الحل الأنجع لتلافي خسائر أكثر فداحة [3]. ويُروى أنّ الشيخ تاج العارفين العثماني ساق وفدا وحمل على عاتقه مهمة الصلح بين الأ شقاء الأعداء كان ذلك في أوائل شهر ذي القعدة من السنة نفسها [4]، مصداقا لقوله جلّ وعلّا ﴿ **وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَى تَفِيئَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَ الله يُحِبُ اَلْمُقْسِطِينَ** ﴾[5].

وضعت الحرب أوزارها بعد أنّ خلّفت الدمار والقتلى وحالة من الحزن واليأس. وبالمقابل أبانت صمود الجزائر في وجه هذه التحالفات ونجاحها في مهمات محفوفة بالمخاطر أيضا، ولعل أبرزها في هذه الآونة استرجاع المدفعين البرونزيين؛ بعد الإتفاق مع فرنسا والتوقيع على إتفاقية للسلم والتجارة في 19سبتمبر 1628م[6]، لقد كانت هذه المخاطر كبيرة عطلت عملية بناء الإيّالة الجزائرية في بداية القرن الثاني من تأسيسها.

---

(1) المدني أحمد توفيق، محمّد عثمان باشا، المرجع السابق، ص 55.

(2) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات إبن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر و علمائها، دراسة و تح قيق فارس كعوان، ط 1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر2009م، ص 48.

(3) حسن عبد الوهاب حسني، المصدر السابق، ص 136.

(4) الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق تح تع سعد الله أبو القاسم، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987م، ص217.

(5) الآية 9 من سورة الحجرات.

(6) Edgad Rouard (De Card), Traités de la France avec les pays de L'Afrique du Nord, Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Paris, A.PE'DONE, Editeur, 1906, p15.

3– نتائج المعركة : تمخضت عن الموقعة نتائج عديدة سنوجزها فيما يلي:

3.أ– إبرام الصلح بين الإيّالتين، وفقا للشروط التي أقرها الطرف الجزائري.

3.بـ– التوقيع على إتفاقية الحدود بين الإيّالتين الجزائرية والتونسية، ومن بنودها نذكر:

بـ.1– وضع خط الحدود من الشمال إلى الجنوب؛ إذْ يبدأ الخط من ساحل البحر، حتى رأس جبل الحافة، ومن ـه إلى قلوب الثيران إلى ناحية الكرش، ثم يمر بوادي ملاق حتى يصل إلى وادي سيرات أقصى الجنوب.

بـ.2– الإقرار بأنّ كل من إجتاز الحد يُحسب من أهل المنطقة التي حلّ بها، ولا يمكن مطالبته إليها[1].

3.جـ– جمع الجزائريون من سلاح تونس 22 قطعة مدفعية، وذخائر مختلفة، خلفها جيش تونس وراءه.

3.د– إندلاع ثورة الكراغلة ضد الإنكشارية في الجزائر مرتين في سنة 1629م، وسنة 1633م[2].

3.هـ– قيام حكم الأسرة المرادية في تونس ، بعد وفاة مؤسسها "مراد الأول"(1611م-1631م)[3].

و– قُتل عدد كبير من جنود الطرفين الجزائري والتونسي على حد سواء[4]، ولم نعثر على عددهم؛ لأنّ معظم المصادر التي تطرقت للحادثة لم تذكر الخسائر البشرية.

نلاحظ أنّ الدولة العثمانية لم تتدخل لتقضي على هذه المشاكل خاصة وأنّها في البداية ، وعلى ما يبدو أنّها كانت مشغولة بردع الهجمات التي كانت تطال بَحْريتها ، إذْ نفذت سنة 1633م عدة هجومات على نقاط إنطلاق القراصنة جنوب إيطاليا [5]. ومهما يكن كانت هناك جهود ضد الخطر الخارجي مثل ما حدث، عام 1048هـ/ 1638م، عندما حلّت بتونس قطع بحرية جزائرية لمصاحبة السفن التونسية، التي تم إستدعاؤها من طرف الدولة العثمانية لحرب البنادقة، التي إنتهت بهزيمة الأسطول العثماني في موقعة فالونا " Valona"[6]، إنّ هذه المعركة البحرية كانت ضد قطع من البحريتين الجزائرية والتونسية المتوجهة للإنضمام للأسطول الهمايوني[7].

---

(1) عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص 17.

(2) Pieere (Boyer), Le Problème Kouloughli dans la Régence d'Alger, R.O.M.M, 1970, n° spéciale, pp92-94.

(3) ابن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تحقيق حمادي الساحلي و الجيلاني بن يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م، ص 50.

(4) ابن أبي الدينار القيرواني، المصدر السابق، ص 196.

(5) ابن المفتي حسين، المصدر السابق، ص51.

(6) ابن أبي السرور مُحَمَّد، نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تحقيق أبو جابر سليم، ط1، دار الهدى، مصر 2012م، ص261.

(7) للمزيد حول الموضوع ينظر: عطية محمد، "الظروف المحيطة بنكبة الأسطولين الجزائري والتونسي في فالونا 1638م"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد55- 56، تونس 2017م، ص ص273- 286.

خامسا– التهديدات الفرنسية الإيطالية للجزائر في عام 1046هـ/ 1636– 1637م:

بعد الأزمة التي عصفت بالعلاقات الجزائرية الفرنسية؛ تمّ التوصل إلى عقد إتفاقية للسلم والتجـارة بين الطرفين ومن أهم ما جاء فيها أنّ يمتنع بحارة الجزائر عن ملاحقة السفن الفرنسية، كما سُمح لهم بالرسو بالموانئ الفرنسية يدل هذا التقارب على طي صفحة سوداء من تاريخ العلاقات بين البلدين، كما يوحي بعودة العمل في المراكز التجارية الفرنسية بالشرق الجزائري وكذا الباستيون؛ هذا المركز كان يقوم بمبادلات تجارية ضخمة جدا نحو فرنسا بالأساس كما أنّ هذا النشاط يعود الفضل فيه إلى شخصية سانســون نابلون، الذي نجح في تسيير هذه المؤسسة إذْ تُعد شعرة معاوية في العلاقات الجزائرية الفرنسية، ومــا فتئ هذا الشخص يعمل لحسابه الخاص، مما أدى بتجار مرسيليا إلى الحقد عليه وراحوا على إثر ذلك يكيدون له المكائد ويدربون له المؤامرات؛ التي لا تخرج في غالبيتها على الإعتــداء على السفن الجزائرية، بصفته مديرا لمؤسسة الباستيون، وبالتــالي زعزعت هذه القضية إستقرار العلاقات بين الدولتين.

يُذكر في هذا الصدد تعرض إحدى السفن الجزائرية للقرصنة من طرف هؤلاء مما إضطر بحارة الجزائر إلى معاملة السفن الفرنسية بالمثل، وتطــورت الأمور إلى حد الأزمة عندما أقدمت حكومة الجزائر على أسر القنصل الفرنسي "ريكو"(Ricou) وكل الفــرنسيين المقيمين بالجزائر، فضلا عن الإستيلاء على السفن الفرنسية وأســر كل من عليها وهــكذا تأثرت العلاقات بين الدولتين بسبب نزوة شخصية أدت بصاحبها إلى حتــفه على أسوار مدينة طبرقة التونسية جزاء على أطماعه عام 1633م، وقــد بلغت خسائر الفرنسيين سنة 1636م الذروة، عندما أسر لهم الجزائريون أكثر من 700 شخص، مما أدى بهم إلى التفكير في مهاجمة الجزائر هم أيضا[1].

أمر "دو سوردي"(De Sourdis) القوات البحرية الفرنسية ونظــيراتها على السواحل الإيطالية كبروفانس سردينيا، صقلية وغيــرها، بضرورة ملاحقة السفن الجزائرية أينما كانت، وإنْ أمكن توحيد الجـهود لتوجيه حملة عسكرية على الجزائر، وهــكذا إتضحت نوايا رئيس الوزراء "ريشيليو" للنيل من الجزائر، غير أنّه كانت ثمة عوائق كبيرة تواجه هذا التحالف ولعــل أبرزها هو ضخامة المصاريف التي تتطلبها الحملة وكذا عدد الرجال، وعلى أية حال إستــطاع ريشيليو أنْ يشكل أسطولا بحريا لتنفيذ مبتغاه؛ وقد أقلع الأسطول متجها نحو الجزائر بقيادة الأسقف البحار دي ســوردي والدوق "داركو"، وفي طريقهم إستولوا على بعض السفن الجزائرية، ولم يصل إلى الجزائر إلا في السنة الموالية حيث رسا قُبالة ساحل المدينة التي هددها وحصل على بعض الترضيات، وبالتالي تم إحباط هذا الهجوم المنتظر [2]. وهكذا نجح باشا الجزائر في الإفلات من هذه التهديدات التي ما فتئت تلقي بضلالها على الأوضاع الداخلية للبلاد، لاسيما عندما أُستغلت هذه الظروف من قبل أطراف لإعلان التمرد والثورة، كثورة ابن الصخري التي إندلعت سنة 1637[3].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 70- 72.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص ص289-290.

(3) ابن العنتري مُحَمَّد الصالح، تاريخ قسنطينة (فريدة منيسة..)، مراجعة وتحقيق بوعزيز يحي، دار البصائر، الجزائر 2008م، ص29.

سادسا– حملة الأميرال رويتر الهولندي و فرسان مالطا على الإيّالة 1654– 1657م:

بلغت درجة التوتر على مستوى العلاقات الجزائرية الفرنسية حدا كبيرا؛ بحيث تُعد المؤشر على تحرك القوى الأوربية ضد الإيّالة، يُذكر في هذه الفترة بالذات أنّ أعمال القرصنة الأوربية ضد السفن الإسلامية وخاصة الجزائرية منها قد فاقت كل التصورات؛ ومـــن أبرز الأمثلة عن ذلك أنّ سُفُنًا عثمانية كانت قد أُرسلت إلى الجزائر في عهد الباشا "مُحَمَّد" على متنها أموالا ضخمة تعرضت لهجوم مفاجئ من طرف البنادقة؛ بقيادة الأميرال النمساوي "موسو نييقو" إنّ هؤلاء كانوا لا يفوتون أي فرصة للانتقام من الأساطيل الإسلامية، ولم تكن هذه هي الحـــادثة الوحيدة التي وقعت بل تلتها ملاحقات كثيرة ضد السفن الجزائرية[1].

لم يقف الجزائريون مكتوفي الأيدي بل أعلنوا الحرب من جانبهم، وعليه أصبح البحـــر الأبيض المتوسط ميدانا ساخنا للحروب البحرية، كما أنّه لم تكن الجزائر المستهدفة الوحيدة بل كذلك إيّالتي تونس وطرابلس الغرب؛ فقد نفذ الأميرال "دو رويتر" (De Ruyter)على الإيّالة الجزائرية هجوما تأديبيا، لعله يكسر شوكتها، وأمام هذه الحالة كانت كل الأطراف قد تكبدت خسائر معتبرة في الأرواح والعتاد والأموال أيضا.

وسع الهولنديون بقيادة الأميرال دو رويتر؛ عملياتهم الحربية في مضيق جبل طارق المنفذ الوحيد لهم على المتوسط في مطلع عام 1656م، فألحقوا بالجزائر خسائر جسيمة قُدرت بـــ 18 مركبا في المرحلة الأولى [2]. ولكن في مرحلة أخرى نستطيع أنْ نقول عنها بأنّها كانت شبه منظمة شنّ الأخير بمساعدة فرسان مالطا، الفـــرنسيين والبنادقة بقيادة "بوري موسينقو" (Bourri, Mocenigo)، ومـــونتيساش (Montsauche) النابوليطاني والجـــنويين بقيادة "ايقو فريسكوو" (Ugo Fresco) و"قريمالدي" (Grimaldi) حربًا لا هـــوادة فيها على البحرية الجزائرية، بل وهـــاجموا سواحل الإيّالة أيضا؛ حيث بلغت هذه الحرب المجنونة ذروتها بين عامي 1654 و1657م مخلفة ذعرا وخوفا كبيرا في قلوب سكان السواحل [3]. إنّ هذه الحرب تُعد امتدادا للحرب المعلنة منذ خمسين عاما من طرف "فرديناند دي ميدسيس" (Ferdinand de Médicis) دوق توسكانيا عندما خرب مدينة بونة سنة 1607م بمساعدة الفرنسيين[4]، ولم يكن سلوك الفرنسيـــين هو الأول من نوعه بل كان الأسلوب نفسه الذي كانت تلجأ إليه فرنسا عندما تكون غير قادرة على المواجهة أو تحكم علاقاتها بالجزئر إتفاقيات تمنع ذلك، لقد شكلت هذه القضية حجر الزاوية في طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية طيلة العصر الحديث.

---

(1) بوعزيز يحي، العلاقات...، المرجع السابق، ص74.

(2) فكاير عبد القادر، "علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمـــع والتـــاريخ"، العدد 1، جامعة معسكر2007م، ص ص190-191.

(3) Garrot Henri, Histoire générale de l'Algérie, Alger, imprimerie P. Grescenzo, 1910,p 486.

(4) مجهول، غزوة الطوسكانيين لبونة في سبتمبر1607م، تعريب مُحَمَّد لخضر بوبكر وسعيد دحماني، ط1، مؤسسة الرجاء للنشر، عنابة، الجزائر 2013م، ص42.

سابعا– التحالف الإيطالي الإنجليزي ضد الإيّالة 1072هـ/ 1662م:

تسارعت الأحداث أواخر عقد الخمسينات من القرن السابع عشر، إذْ كانت تُنذر بتغيرات كبيرة على الساحة السياسية والعسكرية بالجزائر. ومن مظاهر ذلك إغتنام الآغوات الفتور الكبير الذي أبداه الباشاوات في تسير الحكم في الإيّالة وأعلنـــوا من جانبهم التمرد الذي أفضى في آخر الأمر إلى تغيير نظام الحكم برمته؛ وكان من إعتلى الحكم في الإيّالة الآغا خليـــل ثم رمضان ومن بعدهما الآغا شعـــبان(1661– 1665م)؛ الذي كانت في عهده هذه الحملة وعـــلى الرغم من توتر العلاقات مع جل الدول الأوربية طلبت الدولة العثمانية مســـاندة جزء من الأسطول الجزائري لبحريتها في الحرب المعلنة ضد البنادقة، وحاولت تهدئة الأمور في الجزائر نتيجة الإضطرابات الناتجة عن تغير الحكم [1]. ويُذكر أيضا أنّ الإنجليز كانوا جد متذمرين من عمليات التفتيش لسفنهم التي يقوم بها رياس البحر الجزائريين [2] و هكذا توفرت أسباب الحملة المشتركة بين إيطاليا وإنجلترا لضرب إيّالة الجزائر.

ولكن لم يكن البنادقة هم من سيقوم بالمهمة، وإنّما كل الجمهوريات الإيطالية وخاصة منها جنوة ويخبرنا دوغرامونت في إطار إعلان الحرب أنّها تكبدت خسائر تفوق قيمتها مليوني ليرة وأُسر لها أكثر من 5000 شخص[3] ولعل أبرز الجمهوريات الإيطالية الأكثر تضررا بعد البندقية جمهورية جنوة، فهذه لم تجد من سبيل لتسيير جزء من أسطولها البحري للمتوسط للانتقام من الجزائريين، كان ذلك في غضون سنة 1661م. ومـــا أنْ مضى موسم العواصف لسنة 1662م، حتى كانت السفن الجنوية التي يفوق عددها 20 سفينة مختلفة في عرض البحر للقيام بالمهمة ذاتها بقيادة "سنتريون"(Centurione). وبالتزامن مع هذه الحركة كان الأسطول الإنجليزي أيضا في رحلة تعقب للسفن الجزائرية بقيادة الأميرال "مونتاغو" (Montague)، وعليه تحالف قادة الأسطولين وشكلا أسطولا واحدا وتم مباشرة الهجوم حيث قصفت مدينة بجاية في شهر أفريل من السنة نفسها، ومن ثم إتجه صوب مدينة الجزائر للفتك بها أيضا إذْ تم محاصرتها وكانت عمليات القصف عديمة الفائدة [4]. بعدها غادر الأسطول المشترك مياه الجزائر وهبت بعده عاصفة هوجاء عطبت بعض السفن الراسية هناك أكثر مما فعل قصف المتحالفين، ولكن فيما بعد إستطاع الإنجليز عقد إتفاقية مع الجزائر[5]، سنتطرق لها في موضع آخر. ومهما يكن من أمر فقد فشل كل من الجنويين والإنجليز في إخضاع الجزائر في هذا التحالف على الرغم من عدم إستقرار الأوضاع فيها.

---

(1) Laugier de Tassy (J.P), Histoire du royaume d'Alger, Henri du Sauzet, Amsterdam, 1725, pp. 50-51.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص322.

(3) De Grammont(D-H) Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle, 4ème partie(1646-1690), Alger, Adolphe Jourdan libraire, 1885. pp39- 40.

(4) ثابت جميلة، دور الاعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوربا خلال القرنيين 16–17م، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، الجزائر 2010– 2011م، ص45– 46.ص132.

(5) وولف جون، المرجع السابق، ص322.

ثامنا– الحملة الصليبية على مدينة جيجل بقيادة دي بوفور1074هـ/ 1664م:

كثيرا ما تتعرض المصادر إلى هذه الحملة وتصفها أنّها فرنسية محضة، ولكن الواقع غير ذلك تماما، فهناك عدد من الدول كانت لديها رغبة شديدة في القضاء على إيّالة الجزائر في هذه الفترة بالذات. من أبرزها دولتا هولندا و إنجلترا فالأخيرة كانت بينها وبين الجزائر عداوة كبيرة في البحر المتوسط.

1– ظروف توجيه الحملة:

أسر الجزائريون 62 سفينة إنجليزية في عهد رمضان آغا (1660– 1661م)[1]، بسبب قيامهم بقصف مدينة الجزائر عندما حلّ أسطولهم المتكون من 23 سفينة قُبالة المدينة للمطالبة بتجديد الصلح الذي بينهم وبين الجزائر[2]، بيد أنّ الشروط الّتي اشترطها مفوضهم لم يكن حكام الجزائر قادرين على الموافقة عليها. ومهما يكن من أمر هذه المفاوضات فإنّ المدينة قد تعرضت للقصف وأفرغ الإنجليز جام غضبهم عليها ملحقين بها خسائر ثقيلة[3].

لم تكن إنجلترا لوحدها من تريد عقد إتفاقية مع الجزائر، فحتى فرنسا في مطلع هذا العقد كانت تسعى إلى إعادة مكانتها في الجزائر، من خلال مؤسسة الباستيون التي كانت تمتلكها قبل خيانة التاجر "توماس بيكي" الذي نهب محتويات المؤسسة، وسرق أموال بعض الجزائريين الذين وضعوا فيه الثقة بعد أنْ أمّنهم، بل أكثر من ذلك فقد ساق أكثر من 80 جزائريا كأسرى باعهم في ميناء ليفورنا بثمن زهيد ليصبحوا مجدفين على ظهور سفن القراصنة الأوربين.

تعد قضية الباستيون حافزا للسلطات الفرنسية لكي تفكر بجدية في إعادة الأمور إلى نصابها، ومن أجل ذلك أوفدت المفاوض "لويس كامبون" (Louis Campon) عام 1659م لرأب الصّدع بين الدولتين غير أنّ ضعف شخصيته لم يخول له التوصل إلى حل جذري لجملة المشاكل المطروحة [4]. وعليه عادت فرنسا إلى أسلوب التهديدات إذْ كلفت الفارس "بول" بقيادة حملة ضد الإيّالات المغاربية [*] عامة والجزائر خاصة، لتحرير الأسرى وغيرها من الأمور وبعد أنْ عرج على طرابلس الغرب وتونس وتوصل معهما إلى إتفاق وصل إلى مياه لجزائر في شهر أوت 1660م، محاولا تحطيم الأسطول فتفاجئ بإستعداد البحارة لمواجهته فرجع خائبا دون تنفيذ مسعاه[5].

---

(1) قنان جمال، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500– 1830م)، دار هومة، الجزائر2007م، ص ص113–114.

(2) ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص ص 124 – 125.

(3) قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619–1830م، المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار، الجزائر2007م، ص71.

(4) محرز أمين، الجزائر في عهد الاغوات1659–1671م، مذكرة ماجستير، منشورة، الجزائر2007/2006م، ص61.

(*) كان نشاط البحرية المغاربية كبيرا في هذه الفترة، إذْ يذكر العياشي أنّه أثناء مغادرته لمدينة طرابلس بإتجاه المشرق كانت قد خرجت 06 سفن للغزو تحمل ألفي بحار، وهو ما يفسر قلق أوربا من هذه العمليات. ينظر: العياشي أبو سالم عبد الله بن مُحَمَّد، الرحلة العياشية 1661– 1663م، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي للنشر و التوزيع، الامارات العربية 2006م، ص177.

(5) Belhamissi (M)., Histoire de la marine algérienne (1516-1830), 2e éd., ENAL Alger, 1986, pp 26-27.

كان فشل لويس كامبون مشجعا لفرنسا لإرسال حملة بحرية، كما كان عجز فارسها بول في النيل من الجزائر وأسطولها، على الرغم من نجاح الأخير في مهمته في كل من إيالتي طرابلس الغرب وتونس، حافزا أيضا للعودة إلى أسلوب المهادنة و الهدايا؛ فأرسلت السيد "بيير دو رومنياك" (Pierre de Romignac) الذي جلب معه ترضيات لصالح حكام الجزائر، وعلى ما يبدو أنّ الأخير كان ذو ديبلوماسية عالية عكس المفاوض الأول.

إستطـــاع هذا الشخص وفي ظرف وجيز أنْ يعقد إتفـــاقا جديدا حول مؤسسة الباستيـــون في يوم 09 فيفري 1661م، ولكن بعد مشقة كبيرة في المفاوضات[1]. تُضاف هذه الإتفاقية إلى تلك الإتفاقية التي عُقدت منذ عام 1619م والتي تم نقضها عدة مرات. وفي الوقت نفسه تم إعادة صياغتها و تُعد إتفاقية عام 1628م هي الأرضية الأساسية لهذه الإتفاقية.

تتضمن الإتفاقية بين الطرفين الجزائري والفرنسي لسنة 1661م بنودا كثيرة ولعل أبرزها:

أ– تقديم ضمانات وإمتيازات للفرنسيين من خلال مؤسسة الباستيون.

ب– تسوية قضية الديون المتعلقة بمؤسسة الباستيون التي تسبب فيها الخائن توماس بيكي والمتمثلة في اللّزمة أو ما ترتب عن إقتراض توماس للأموال من السكان.

جـ– يمكن للفرنسيين إقامة تحصينات حول المؤسسة للدفاع ضد غارات الأعداء؛ وخاصة منهم الإسبان والإيطاليين.

د– تمتد المنطقة التي يزاول فيها الفرنسيون نشاطهم التجاري على طول الساحل، من القل غربا إلى رأس الحمراء شرقا على الحدود الجزائرية التونسية.

هـ– السماح لمدير الباستيون بإقامة أربعة رحى على الشلال المحيط بالباستيون لضمان تشغيلها في أي إتجاه تهب الريح فيه، فضلا عن إقامة رحى في كل مركز يتطلب ذلك ويحق للفرنسيين إحتكار التجارة وصيد المرجان في هذه المنطقة.

و– يتعهد مدير الباستيون بإرسال سفينتين تجاريتين مرة في كل سنة إلى ميناء الجزائر، وإنْ تعذر عليه ذلك يدفع ما يقابلها من المال لمصلحة الجمارك[2].

لم تدع سياسة الملك الفرنسي العدائية تجاه الجزائر سبيلا لتنفيذ هذه الإتفاقية؛ التي بقيت مجرد مشروع عندما إمتنع عن توقيعها[3]. وعليه أصبحت قضية ضرب الجزائر مسألة وقت لا غير.

---

(1) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص71.

(2) المرجع نفسه، ص72.

(3) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية...، المرجع السابق، ص70.

كانت المعاهدة التي أُبرمت بين الطرفين الجزائري والفرنسي قد أعادت الأمور إلى سابق عهدها ولكن لفترة قصيرة فقط؛ إذْ لم تكن كذلك بالنسبة للملك الفرنسي "لويس الرابع عشر"، ففي سنة 1664م، نتيجة مزاجه العكر ودون سابق إنذار قرر ضرب مدن السواحل الجزائرية ولعل أنظاره كانت تتجه نحو الشرق الجزائري، حيث قرر إحتلال مدينة جيجل، ولكن بعد أخذ ورد. وعلى أية حال فإنّ أسلوب لي الذراع لم يكن بالأسلوب الجديد لدى الفرنسيين بل سيكون دائما هو الحل الذي ستسلكه فرنسا لتحقيق مصالحها.

على قدر ما نحن متأكدين من أنّ نوايا حكام الجزائر في تلك الفترة كانت نوايا حسنة؛ بشأن العلاقات مع فرنسا، إلا أنّ هؤلاء لم يكونوا كذلك والوقـتائع التاريخية خير دليل. ولا يمكن أنْ نحسب تصرفات سيمون دانسا وخيانة توماس بيكي في القالة ولا حتى تصرفات الملك نفسه هي تصرفات فردية؛ بل كانت تدل في أكثر من موضع على رغبة حكام فرنسا لإخضاع الجزائر مع تزايد سطوتها يوما بعد يوم. ومن بين الأسباب التي جعلتنا نسلك هذا المنحى أنّ بعض بحارة الجزائر كانوا يقومون بالإستيلاء على السفن الفرنسية وحتى الأوربية وهي تصرفات معزولة وبالنسبة لساسة أوربا لم تكن كذلك البتة، فحالة الحرب لدى الجزائريين كانت واضحة دائما ولم يخرقوا معاهدة حتى ينكثها هؤلاء وعـــلى إثرها تقوم الحرب كما هم يفعلون الآن ويدبرون الأمور لضرب الإيّالة. وقد أخبرنا الله عز وجل عن نكثهم للعهود فقال ﴿ **وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [1].

تُعد الفترات التي كانت تلي الحرب أو تلي الأزمات بين الطرفين عبارة عن هدنة مؤقتة؛ ومجرد مراحل لرد الأنفاس وكسب الوقت[2]. إنّ تعصب الفرنسيين ومن ورائهم المسيحيين للروح الصليبية لم يكن بالجديد؛ بل إتخذ شكلا آخر في إطار العداء للمسلمين لا سيما الإيّالات المغاربية في شمال إفريقيا؛ هذه الأخيرة التي كانت تسميها بدول البرباريسك ودول القرصنة، لذا أعادت تكليف الفارس "شوفالي بول" (chevalier Paul)[*] بتوجيه حملة ثانية ضد الجزائر إبتداءا من شهر مارس و بقيت تطارد السفن الجزائرية أينما حلّت؛ إذْ استولت على 40 قطعة منها، ولكن هدفه الرئيسي ظلّ بعيد المنال وهو تحطيـــتتم أسطول الجزائر وعمرانها [3]، وعليه نستنتج أنّ هذا الفارس قد فشل في كلا المهمتين، الأمر الذي عجّل بتوجيه حملة ضدّ مدينة جيجل بدل مدينة الجزائر التي ظلت سيفا مسلطا على رقاب الأوربيين لزمن طويل كما يقول أحدهم.

---

(1) الآية 75، سورة آل عمران.

(2) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص73.

(*) لم تكن مهمة هذا الفارس تخص الجزائر وحدها، كما أنّها لم تكن الأولى بل كُلف بمحاربة كل سفن البحرية المغاربية في إطار فكرة اقترحها الأميرال دوكين على الملك لضرب الإيالات المغاربية، للمزيد ينظر: محرز أمين، المرجع السابق، ص ص60- 64.

(3) Charles Roux, France et Afrique du Nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête, T1, Paris, Librairie Félix Alcan, 1932, pp142-143.

فَتَحَ التسابق الباب على مصرعيه للنيل من الجزائر، أو لكسب ودّها من أجل الظفر بإمتيازات، فبعد تهجم إنجلترا وفشل المحاولات الفرنسية المتكررة جاء الدور هذه المرة على هولندا، فهذه الدولة كانت لها من بين القوى الأوربية علاقات مع الجزائر. إنّ هذه العلاقات كانت تتأرجح بين السلم والحـــرب، ففي مطلع عقد الستينات من هذا القرن وفي إطار الحملة الصـــتليبية على مدينة جيجل 1664م، كانت هولندا خير حليف لفرنسا بل داعم رئيسي لها ولعـــل سياسة الملك الفرنسي حالت دون تحالف كبير بين الطرفين، والشيء نفسه ينطبق على إنجلترا؛ فقد كانت هناك اتصالات بين الأطراف الثلاثة من أجل مهاجمة الجزائر و إلحاق الضرر بها غير، أنّها لم توفّق لعقد إتفاق لاختلاف المقاصد والأهداف[1].

قبل التفكير في عقد إتفاقية مع حكام الجزائر كانت هولندا تُمني نفسها بالحصول على ترضيات، وذلك بالأسلوب نفسه الذي سلكته فرنسا، إذْ كلفت الأميرال رويتر مرة أخرى للقيام بالمهمة على الرغم من فشله في المرة السابقة، وعليه إتخـــذ من مضيق جبل طارق مكانا لاعتراض سبيل السفن الجزائرية؛ حيث ألحق بها خسائر معتـــبرة في غضون سنة 1661م، بيد أنّ عدم جدوى هذه العمليات وحجم تضرر التجارة الهولندية إضطرت إلى عقد إتفاقية مع الجزائر سنة 1662م[2]، وهكذا كانت الدول الأوربية في هذه الفترة تتقرب من الجزائر لكسب ودّها وربط علاقات صداقة معها. ومهما يكن من أمر هذا التقارب فإنّ هولندا إستطاعت أنْ تعقد إتفاقا مع الجزائر من شروطه ما يلي:

أ– منعُ أي سفينة جزائرية من إرتياد موانئ الأراضي المنخفضة للتزود بالذخائر الحربية والمؤن[*].

ب– لا يُسمح لهذه السفن بالقرصنة ومهاجمة رعاياها، أو رعايا أي دولة مسيحية مجاورة لها أو حتى من حلفائها.

جـ– لا يُسمح للسفن الجزائرية بحمل مؤن أو أسرى لبيعهم ولا أنْ تحتفظ برعايا مسيحيين من أي جنسية كانت للخدمة عليها، وفي حالة دخول موانئها فإنّها تحررهم من دون فدية.

د – تُعامل الجزائر الهولنديين بالمثل في حالة دخول سفنها موانئ الجزائر.

هـ– كل رعايا هولندا ممن يُؤسرون على ظهر سفن معادية للجزائر سيتم إطلاق سراحهم إذا كانت السفن تجارية، أمّا إذا كانت السفن حربية فسيتم أسرهم وإسترقاقهم[3].

---

(1) قنان جمال، نصوص و وثائق...، المرجع السابق، ص ص121 – 122.

(2) Krieken van(G), Corsaires et marchands Les relations entre Alger et les Pays-Bas1604-1830, Paris, Éditions Bouchène, 2002, p55.

(*) واجهت دولة هولندا ضغوطا أوربية كبيرة من أجل الإمتناع عن تزويد الجزائر بالذخائر الحربية التي كانت تدافع بها عن نفسها. ولكن جهودها لم تنجح وظلت هولندا مصدرا أساسيا لجلب كل ما يتعلق بعتاد البحرية الحربي بغية شراء السلم لسفنها في البحر المتوسط. الأمر الذي يدل على فرض هيبة الجزائر ليس على مستوى البحر المتوسط بل حتى على الساحة الدولية.

(3) قنان جمال، نصوص و وثائق...، المرجع السابق، ص ص121 – 122.

2- عوامل الحملة:

لم تَخْلُ أَيُ حملة عسكرية أو هدنة سيـــاسية بين الجزائر وفـــرنسا أو حتى مع العالم الإسلامي من التوجهات الدينية؛ فالعامل الديني كان حاضرا في كل مناسبة. فالحقد ضد الاسلام كان وراء نكث العهود وخرق الإتفاقيات.

لقد أثر العامل الديني بشكل كبير في توجيه العلاقات الجزائرية الفرنسية؛ فَجُل المذكرات والتقارير السياسية السرية أو حتى العسكرية وغيرها من الرسائل التي وجهها الديبلوماسيون الفرنسيون إلى "الكاردينال ريشيليو(Armand Jean Richelieu)[*] من ذي قبل و الكاردينال "مازاران" (Mazarin)[**] وحتى إلى الملك لويس الرابع عشر خاصة بعد عام 1661م، عندما تسلم زمام أمور المملكة الفرنسية تضمنت الجانب الديني الذي كان بارزا وواضحا وضوح الشمس. ومن بين هذه التقارير ذلك الذي يخص أمور التجارة الفرنسية في البلاد المغاربية عامة والجزائر خاصـة وأهميتها والمكاسب التي يمكن جنيها، فالتقرير يُؤكد في ختامه أنّ ما حصل عليه الفرنسيون في إطار إمتياز إستغلال الباستيون في حالة بناء مساكن ومخازن وإحاطته بالأسوار والأبراج المحصنة، سيصبح في يوم من الأيام ميثاق مجـــد وشرف لخدمة الملك الفرنسي والدين معا[1].

نستشف من خلال ما سبق أنّ عمليات البناء التي تم الإشارة إليها لم تكن تتمثل في الأسوار والأبراج فقط بل حتى الكنائس وأماكن العبادة، وربما تكون هناك تقارير تحتوي على هذه الملحوظات التي من شأنها إثبات التعصب الديني بالدرجة الأولى ولكنها غير متوفرة. وعليه سنجد أنفسنا أمام مدّ صليبي لا يقل ضراوة عن السابق. بل الأكثر من ذلك أنّ النية لخرق شروط الإمتياز والتي نستطيع أنْ نسميها إحتلالا لتلك المناطق كانت متوفرة لدى كل هؤلاء ورؤساء الـــوزراء الذين تم الإشارة إليهم كانوا كاردينالات ثم أصبـــحوا سياسيين لن يتأخروا قيد أنملة لخدمة الأغراض الدينية؛ ليس في بلادهم فقط بل حتى في المناطق التي يتطلعون للسيطرة عليها في إطار حركة التبشير خاصة وأنّ فرنسا أصبحت أكثر من أي وقت مضى تتطلع لإيجاد موطئ قدم في العالم المتوسطي، إذْ يُذكر أنّها أرادت من خلال هذه الحملة تبرير عدم مشاركتها في صد زحف العثمانيين في أوربا[2].

(*) من أبرز رجال الدولة الفرنسية في القرن17م، سطع نجمه إبتداءا من عام 1614م، ثم تقلد منصب الوزير الأول للملك لويس13، ثم رئيسا للوزراء حتى تاريخ وفاته 1642م. ينظر: Hanotaux Gabriel, Histoire du Cardinale de Richelieu, Paris, librairie PLON, 1893, pp63-68.

(**) تقلد منصب رئيس الوزراء بعد موت الكاردينال ريشيليو سنة 1642م، و استمر فيه حتى توفي سنة 1661م إستطاع أنْ يجعل من فرنسا دولة محورية في العالم المتوسطي. ينظر: Aubrey(M), L' Histoire du Cardinal de Mazarin, Amsterdam, T2, chez George Gallet, 1695, p p580-600.

(1) قنان ، معاهدات الجزائر ...، المرجع السابق، ص73.

(2) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية ...، المرجع السابق، ص74.

3- مظاهر التحالف:

كُنا قد أسلفنا بأنّ الحملة على مدينة جيجل لم تكن فرنسية بل كانت مشتركة. لأنّ الكثير من المؤرخين يصفونها بالفرنسية أو يحلو لهم ذلك؛ لكون فرنسا كانت متحمسة لها، فهناك معلومات تُفيد بمشاركة العديد من الدول خلافا لفرنسا؛ ولعل من أبرز الداعمين لها البابا الذي كان ناقما على المسلمين.

كان الإنجليز أكبر المتحالفين مع الفرنسيين في المراحل الأولى لإعداد هذه الحملة، ولكن الإتفاقية التي بَيّنّاها سابقا كانت كفيلة بإنسحاب هؤلاء في وقت متأخر للحفاظ على كرامتهم، وكذلك فعل الهولنديون، غير أنّ الدراسات تشير إلى أنّ هؤلاء خفضوا من حجم مشـــاركتهم فقط؛ ولم يمتنعوا عن المشاركة في الحملة [1]. وهـــكذا شجع الإنجليز الفرنسيين ضد الجزائر خدمة للبابوية، وما يثبت ذلك هو محاولاتهم المتكررة لتحرير أسرى المسيـــحيين ككل وليس أسراهم فقط، فلا البابا ولا أي أمير مسيحي آخر يمكن أنْ يُعطي أي تأويل سيئ لهذا التحالف الذي هو بين الإنجـــليز والفرنسيين. فهو مكسب ليس بهين، خاصة أنّه سيكون لفرنسا مراكز على سواحل موريطانيا (الجزائر) لتستخدم كقواعد للمسيحيين إذا ما أراد هؤلاء العمل على استرداد البقاع المقدسة[2].

شارك فرسان مالطا أيضا في هذه الحملة على مدينة جيجل، حيث قُدر عددهم بـ 150 فارسا[3]، بإيعاز من الملك لويس الرابع عشر خدمة للمسيحية كما يدعي، وكان قد أثنى على هذه المشاركة وأشاد بها بل وأعتبرها خدمة جليلة للمسيحية، فضلا على مكـــافئتهم بالعديد من الأوســـمة خاصة لقائدهم "بيبي" [4]. لقد أثبت هؤلاء كرههم الشديد للجزائر.

هذا من جهة ونحن نرى أنّ هناك عوامل ذاتية تخص شخص الملك الفرنسي في تنفيذ الحملة التي ضربت بنود الإتفاق مع الجزائر عرض الحائط ولم تكن هذه الرغبة الجامحة لدى الملك هي الأولى من نوعها لدى الفرنسيين بل مكملة لما كان يراود الفرنسيين دائما في هذا الصدد للنيل من سيادة الجزائر. ولعل هذه المقـــدمات عن حالة الجزائر والتي تُؤخذ في نفس الإتجاه جعلت الملك يشرع في تنفيذ هذه المهمة على الرغم من درايته بالمخاطر المصاحبة لها.

---

(1) Watbeld (E), Expédition du duc de Beaufort contre Djidjeli 1664, R.Af, n° 17, 1873, p218.

(2) قنان جمال، معاهدات الجزائر ...، المرجع السابق، ص ص73- 74.

(3) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية...، المرجع السابق، ص75.

(4) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص74.

بعد أنْ قرر لويس الرابع عشر شنّ حملة على الإيّالة؛ طُرحت لديه قضية المكان الذي سيتم الهجوم عليه. لذا عمل جاهدا للحصول على معلومات لإنجاح العملية، وحمـــلة التحالف الصليبي على مدينة جيجل كانت من بين أضخم الحملات العسكرية الأوربية على الجزائر، إنّ تجهيز حملة بهذا الشكل كان نتيجة للفشل الذريع الذي منيت به الحملات السابقة، لا سيما منها حملات الإسبان. فضلا على أنّ فرسنا لا زالت لم تكشف عن نواياها الحقيقية تجاه الجزائر في عهد هذا الملك.

كلف أحد الجواسيس بالسفر إلى الجزائر لجمع المعـــلومات تكون في غاية الدقة؛ وفي مناطق متعددة على أنْ لا تكون عسكرية فقط. لقد وفد الجاسوس إلى الجزائر وكأنّه دبلوماسي من أجل القيام بهذه المهمة غير النبيلة، يذكر أنّ الوزير"كلوبير" هو من أشار على الملك بهذه القضية. ومهما يكن من أمر فإنْ الجاسوس أعد تقريرا مفصلا قدمه إلى المجلس الحربي، يتألف التقرير من معلومات تخص حالة الجزائر ومما ورد فيه:

"... إن مدينة الجزائر من أهم المدن الساحلية على الشواطئ الإفريقية. وأنّ عدد سكـــانها لا يتجاوز 30 ألف نسمة لأنّ وباء الطاعون كان قد أودى بثلث عدد سكانها سنة 1663م، وعدد عساكرها لا يتجاوز 6 آلاف عسكري دائم و نصف هذا العدد موزع على حاميات مـــدن البلاد، والنصف الآخر عبارة عن محال تجـــوب البلاد لإستخلاص الضرائب. كما أنّ عدد عساكر الحاميات لا يتجاوز الألفين في فصل الصيف، ولا يـــوجد من السكان من هم قادرون على حمل السلاح سوى الثلث، ولا يحسنون إستخدامه، وسور المدينة ضعيف التحصين به أبراج صغيرة..."[1].

وهكذا بالرغم من المعلومات التي قُدمت للمـــلك لم يكن ليثق فيها ثقة مطلقة؛ فقد أعدت تقارير أخرى مماثلة عن أوضاع بايليك الشرق. كما يقال في هذه الفترة وجه الملك حملة عسكرية على مدينة الجزائر على حيت غرة حيث استولى على 40 سفينة بميناء المدينة، وعلى ما يبدو أنّه كان يريد إلحاق الضرر بأسطزل الجزائر [2]. وهنا نجد تناقضا حول الاعدادات الأولى لهذه الحملة؛ وتعدد الرؤى الفرنسية حول مكان توجيه الحملة على الموانئ الجزائرية خاصة تلك الواقعة في الشرق حيث الأطماع الأوربية للحصول على الإمتيازات، وإسترجاع مؤسسة الباستيون [3]. لقد كان تشويشا واضحا على الدفاعات الجزائرية. كان يرمي هؤلاء من خلال عملية الإحتلال إلى التحكم في التجارة انطلاقا من إيّالة الجـــــزائر وحتى من إيّالة تونس[4].

---

(1) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص74.

(2) المدني أحمد توفيق، الداي مُحَمَّد بن عثمان...، المرجع السابق، ص59.

(3) Monchicourt(CH),L' Expédition de Djidjelli 1664, Paris, librairie Militaire de L.Baudoin, p21.

(4) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص75.

4- سير الحلمة:

بعد عزم لويس الرابع عشر على تنفيذ مشروعه ضد موانئ شرق الإيّالة، تخلى عن ضرب مدينة الجزائر على الرغم من المعلومات المتوفرة لديه. وقد كانت في صورة قاتمة كتبها الجاسوس السابق الذكر، وهي بذلك لم تعد المدينة التي شكلت رعبا للأوربيين عامة والإسبان خاصة.

قرر الملك توجيه حملة على إحدى موانئ شرق الإيّالة ليكون نقطة الهـــجوم . إعتماداً على معلومات وصلته من طرف جاسوس أوفده لمناطق شــرق البلاد يدعى "دو كلير فيل" (De Klervil)، هذا الأخير يكون قد حصل على المعلومات فيما سبق في إطار مشروع الغزو هذا، حيث تحصل هو الآخر على معلومات مهمة وبسرعة فائقة ، لقد أسدى دوكلير يفل خدمة جليلة لسيده، فتقريره ذاك أُعد من خلاله مشروع الغزو.

لقد تضمنت التقارير التي أُعدت، معلوما وافية ولا يستهان بها، غير أنها لم تتضمن أي أمر يخص مدينة جيجل بل ركز أصحابها على مناطق أخرى مثل القالة، عنابة وأشتورة[1]. ومهما تعددت التقارير إلا أنّ إختيار الفرنسيين كان قد وقع على مدينة جيجل، وهــذا لم يكن جزافا بل كان نتيجة لجملة من الأسبـــاب الإستراتيجية، العسكرية والإقتصادية نذكر منها ما يلي:

أ- تُعد جيجل معبرا هاما للطرق التجارية.

ب- كانت التجارة بها مزدهرة.

جـ- ثراء محيطها بالمواد الزراعية كالشمع، الزيت، الجلود وغيرها.

د- توفر مادة الخشب ذات الجودة العالية لإستعمالها في عمليات بناء السفن.

هـ- إمكانية جعلها قلعة حصينة والإنطلاق منها للإحتلال والسطو في حالة السّيطرة عليها.

و- ضُعف الحامية العسكرية التي كانت بها، إذْ لا يتعدى عدد جنودها 20 عسكريا[2].

ي- بُعدها عن مركز الحكومة الجزائرية وبالتالي ضمان الإحتفاظ بها بسهولة تامة.

سقط الفرنسيون في جملة من التنــاقضات كما هو واضح من الأسباب التي جعلتهم يفكرون في شن الحملة على المدينة وهذا ما سيكلفهم غاليا دون شك، لأنّهم أغفلوا باب صعوبة تضاريسها.

---

(1) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص 392.

(2) قنان جمال، معاهدات الجزئر...، المرجع السابق، ص75.

تم تجهيز الحملة على قدم وساق، وتفيدنا المعلومات بأنّها كانت تتألف من 84 سفينة، أما عدد الجند فقد كان ما يربو عن 5 آلاف، لم يتم تحديد مهامهم بالضبط، يفترض أنْ يكون ذلك في غضون شهر جويلية 1664م، ولم يأبى فرسان القديس يوحنا بمالطا إلا أنْ يشاركوا الفرنسين في مهمتهم هذه [1]. فضلا على أنّ هناك بوارج إنجليزية وهولندية انضمت للأسطول المشترك [2]. لقد كان الإنجليز في الظاهر أعداء للفرنسيين ولكن عندما يتعلق الأمر بالجزائر تزول تلك الشحناء بينهم، كما أنّ هؤلاء كانوا في سلم مع الجزائر بمقتضى الإتفاقيات التي عقدتقبل زمن يسير. فالفرنسيون لم يكونوا مثل أولائك في نكث العهود بتلك السرعة. والأمر يحتاج إلى مزيد من البـــحث والتنقيب لإنّ الكثير من الإتفاقيات لا زالت حبيسة الرفوف في دور الأرشيف. لقد كانت دول أوربا تُشارك في الحملات خدمة للمسيحية، على أنّها كانت تحمل أحيانا علم فرنسا أو الدولة المعتدية تغطية عن جنسيتها الأصلية.

عثرنا أثناء عملية البحث على إحصاءات تفيد بتضارب الأرقام فعدد الجنود يقال أنّه كان 8 آلاف، أما تعداد السفن فقد بلغ 83 سفينة. في حين كان تاريخ نزول الحملة واحد بالنسبة للكتابات. ومما يثير الإهتمام أن نزول الحملة إلى البر كان نزولا سهلا وسلسا ولم تتعرض لأي مضايقة ؛ على أنّ المصادر ذكرت تحدي القبائل للقوات المعتدية بالقرب من المدينة[3]. لقد كانت حملة التحالف بين الفرنسيين الذين يشكلون جزئها الأكبر وفرسان مالطا الحاقدين على المسلمين، بقيادة الدوق "دي بوفور" (De Beaufort). وهي حملة ضخمة مقارنة بدفاعات مدينة جيجل المتواضعة، وما يضفى على الحملة أنّها كانت مفاجئة، ولم يتوقع أحد بنزولها في المكان ذاته.

باشرت بوارج الحملة عمليات الإنزال على سواحل المدينة الهادئة يوم 23 جويلية 1664م[*]. وعلى الرغم من بساطة دفاعات المدينة إلا أنّ بطاريات الدفاع قد أحدثت رعبا في قلوب المعتدين، وأبلى المدافعون عنها بلاءً حسنا وقد أفادنا شهود عيان بأنّ عمليات المقاومة بقيت طيلة أسبوع. وعلى إثر ذلك تبخرت آمال الغزاة في دخول المدينة بسهولة على الأقل في الأيام الأولى.

بالإضافة لما أوردنا عن تجهيزات الحملة فإنّ سلاح المدفعية الميدانية ومدافع البوارج المختلفة من حيث عدد فوهاتها كانت قد أحدثت دمارًا في عمران المدينة.في حين أنّ عدد الجنود مقارنة أيضا بعدد المدافعين عن المدينة والسكان العزل حسم نتيجة المعركة لصالح المسيحيين، الذين فرضوا هيمنتهم على المدينة وضواحيها إبتداءً من تاريخ 29جويلية 1664م[4]. وما تلى ذلك من أحداث حرّكت همم الجزائريين لإعادة تحرير المدينة، لكون قضية الإحتلال هذه سيكون لها تداعيات خطيرة.

---

(1) قنان جمال، معاهدات الجزائر... ، المرجع السابق، ص75.

(2) Monchicourt(CH), L' Expédition de Djidjelli..,p23.

(3) المدني أحمد توفيق، الداي مُحَمَّد بن عثمان...، المرجع السابق، ص59.

(*) هناك من يشير إلى أنّ الحملة عرجت على ميناء مدينة بجاية فاحتله وتركت بها حامية تتألف من ألفي جندي. ينظر: خنوف علي، المرجع السابق، ص67.

(4) قنان جمال، معاهدات ، المرجع السابق، ص76.

على الرغم من إختلاف المؤرخين بشأن ردة فعل الحكومة الجزائرية بمدينة الجزائر تجاه الحملة؛ إلا أننا نرى وحسب المعطـــيات التي تفيد ببقاء المحتلين الفرنسيين ومعـاونيهم بمدينة جيجل كان ثلاثة أشهر أو ما يربو عن ذلك بقليل. فإنّ هذه المدة تُعد طويلة في نظرنا لنجدة المدينة لأنّ المعركة كانت حاسمة وجرت في أيام قلائل فقط.

وبعيدا عن هذه التعقيدات فإنّ حكومة الآغا شعبان كانت قد إستشـاطت غضبا، وهـو الذي كان يأمن مكر الفرنسيين. وهنا تحضرنا وصية خير الدين لابنه حسن عندما أوصاه بعدم الوثوق بالفرنسيين لخبرة إكتسبها عندما كان يدافع عنهم ضد شارل الخامس الإسباني في سنتي 1543 - 1544م. فقد وشي به هؤلاء للسلطان العثماني ما ترتب عن ذلك من مآسي للرجل عندما عزل مرتين من منصبه على الرغم من كفائته في تسيير أمور الدولة.

وما بادر إليه الآغا شعـبان هو تجهيز فرق من الجند بقيادة حسن آغا وزودهم بسلاح المدفعية وعجل في إرسالهم إلى مدينة جيجل؛ التي كانت تئن تحت وطأة الإحتلال المسيحي، وبعد وصول هذه الفرق كانت قد دأبت على تنظيم المقاومة ودحر المعتدين [1]. لم يتم ذكر الطريق الذي سلكته هذه الفرق العسكرية، وعلى الأجدر أنّها سلكت الطرق البحري لتسريع وصولها.

ومن جملة ما قام به قائد الجيش الجزائري؛ توزيع الأسلحة على الأهالي وتجنيد كل من إستطاع حمل السلاح. وبذلك رجحت الكفة لصالح المقاومة عندما تم مهاجمة الغزاة في معاقلهم، بعد إحكام الحصار على كامل المـــدينة. وكان هذا الحصار يضيق يوما بعد يوم على المحتلين [2]؛ حيث اضطروا في الأخير إلى المغادرة وركوب البحر يجرون وراءهم أذيال الحسرة والندامة [3]. ونجد أنّه كانت هناك عوامل مهمة سرّعت من إنهزام المحتلين وإندحارهم مخلفين عتادا حربيا هاما لا يتركه إلا من غُلب على أمره [*].

---

(1) المدني أحمد توفيق، الداي مُحَمَّد بن عثمان...، المرجع السابق، ص59.

(2) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص76.

(3) المدني أحمد توفيق، الداي مُحَمَّد بن عثمان...، المرجع السابق، ص59.

(*) يُرجع المؤرخون السبب الرئيسي لإنهزام الفرنسيين ومعاونيهم بعد الإنتصار الذي حققوه إلى تداخل الصلاحيات بين قادة الحملة. إذْ حلّ في يوم 22اكتوبر 1664م "الماركيز دو مارتيل"(Marquis de Martel) بقطع من البحرية الملكية الفرنسية جالبا معه تعزيزات عسكرية ليشد بها عضد الكونت دي بوفور ولكن الأخبار غير السعيدة التي حملت لهذا الأخير هي أمر الملك الذي يطلب منه ترك القيادة لـ دي غادانيه ويأمره بمواصلة الحرب ضد البحارة الجـــزائريين وفي غضون يومين وصلت القوات الجزائرية لتعضيد قوات الحصار وعليه سارع دي بوفور إلى عقد مجلس حربي قصد توجيه هجوم شامل على المحاصرين ولكن قادة كتائب القوات المتحالفة رفضت أوامره بحجة مخالفة أوامر الملك لويس، فما كان على دي بوفور إلا المغادرة تاركا القيادة لخلفه المذكور سابقا وأقلع بإتجاه الشرق صبيحة يوم 27 أكتوبر. في حين باشرت القوات الجزائرية دكها للقوات الصليبية حيث ألحقت بها خسائر معتبرة اضطرتها في الأخير إلى المغادرة يوم 31 من الشهر نفسه. وكان الابتعاد عن سواحل مدينة جيجل في غرة شهر نوفمبر. للمزيد ينظر: محرز أمين، المرجع السابق، ص ص80- 81.

5- نتائج الحملة:

كثيرا ما يُرجع الدّارسون نتائج الحروب والحملات العسكرية من أعداد القتلى والجرحى والغنائم، إلى ما يرويه شهود العيان سواء من المنتصرين أو المنهـــزمين. غير أنّ النتائج الأولية للحملة تعود بالأساس إلى تلك التي سجلتها المقاومة. والحـــالة التي غادر فيها العدو تحت قصف وضربات المدافعين؛ فعمليات التنظيم والتعبئة التي باشرها قائد الجند حسن آغا والمقاومة المحلية فرضت نتيجة الحمـــلة، إنّ شدة الحصار أيضا جعلت من المسيحيين يفكرون في النجاة بأنفسهم لا غير؛ بل الأكثر من ذلك لم يكن لديهم الوقت لسماع أوامر سيدهم وحتى رُسل ملكهم، الذي لم يستصغ عملية الإنسحاب دون إذنه؛ فقد قال في هذا أنّه هو من أمرها بالغزو فكيف تنسحب بدون إذن منه [1]. ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئا فالنتيجة واحدة ألا وهي الهزيمة والحسرة معا. ومنه نستخلص النتائج المترتبة عن الحملة والتي من بينها نذكر:

5.أ- خَلّف المتحالفون وراءهم أكثر من 150 قتيل و 500 أسير.

5.ب- ترك كل المدفعية التي كانت تزيد عن 100 قطعة والمعدات الأخرى بالمدينة غنيمة في أيدي الجزائريين.

5.جـ- فرار قادة الحملة من ساحة المعركة وتركهم المئات من الجنود دون قيادة في تيه وضياع كبيرين.

5.د- ذياع و انتشار أخبار الهزيمة في الجزائر وأوربا.

5.هـ- أصبح إسم جيجل يمثل بالنسبة للفرنسيين الهزيمة والإنتحار كما كان إسم خير الدين يمثل ذلك بالنسة للمسيحيين خلال القرن السادس عشر.

5.و- كل الأسرى والغنائم التي تم الحصول عليها نُقلت إلى مدينة الجزائر عن طريق البحر في أواخر شهر نوفـــمبر 1664م[2].

5.ي- عدم تمالك لـــويس الرابع عشر لنفسه من هول الهزيمة حيث سارع إلى إجراء التحقيقات اللازمة وكلف مبعوثا للإستفسار بشأن الأسباب الأخرى المفضية إليها[3].

هذا فيما يخص النتائج المترتبة عن الحملة التي كانت مأساة حقيقية للفرنسيين وحلفـــائهم حسب ما يرويها أحد الأسرى الذين شهدوا أحداث الهزيمة.

---

(1) Monchicourt(CH), L' Expédition de Djidjelli.., Op, Cit, p61.

(2) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص77.

(3) Monchicourt(CH), L' Expédition de Djidjelli.., Op, Cit, p61.

أ- نتائج الحملة حسب أسير فرنسي بمدينة الجزائر:

كان قد وقع في الأسر فرنسي يُدعى "لوقران"، في عملية إسترجاع مدينة جيجل من الإحتلال. حيث يروي أنّه خرج صباح يوم السبت من شهر ديسمبر؛ ليس بسبب العمل الشاق وإنما للترويح عن نفسه، وفي تلك الأثناء كانت عمليات نقل الأسرى والذخائر الحربية تُنقل إلى مدينة الجزائر. وفي خضم روايته يقول بأنّ الأسرى كانوا يعاملون معاملة سيئة؛ وكان بعضهم مريضا [1]. كما يخبرنا بعدد الأسرى الذين نُقلوا في ذلك اليوم. ولم يذكر عدد الأسرى الإجمالي حسب الأستاذ المدني أحمد توفيق. وأما بالنسبة للمدفعية التي نقلت في اليوم ذاته فقد كانت 32 قطعة مصنوعة من الحديد والصلب و 16 قطعة من الحديد، زيادة على قطع المنجنيق وكمية هائلة من الذخـــيرة والقذائف. ومـــا يملأ 10 محلات كبيرة من الدقيق. وتم إتلاف 800 برميل من الخمر بأمر من القائد التركي.

ويخبرنا أيضا بأنّ الجيش الجزائري الذي كان يسمه هو الجيش التركي، أنّه كان يتألف من 2500 رجل ومـا كان يسخر منه أنّ الجزائريين كانوا يملكون 3 مدافع من عيار(44- 48) رطلا فقط؛ ويستغرب أنّ هذا العدد القليل جدا أدى إلى حالة فرار جيشهم[1]. ومهما تكن هذه الأحداث التي رواها الأسير، فنحن لا نلومه في إستغرابه. وهذه آية من آيات الله التي أخبرنا فيها عن هذا الأمر بقوله عزّ و جلّ ﴿ **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[2]. وفي هذا الصدد تحضرنا حادثة كانت قد أججت نار الغيرة على الدين والـــوطن معا، عندما تجرأ الفرنسيون ورفعوا علمهم والصليب بمحارب أحد مساجد المدينة[3].

يُرجع الأسير عملية الإنتصار على أنّها كانت صدفة لا غير، وأنّ المقاومة لم تكن منظمة نتيجة الإعتقاد السائد لدى الجزائريين باستحالة التمكن من القوات الفرنسية وحلـــائها. حيث يروي تفاصيل حادثة إعدام أحد حراس الأبراج عندما تفوه بكلام أغضب قادته قائلا بأنّه من العبث البقاء أمام جيجل لتضييع الوقت. هذا ويحمل الأسير أسباب الهزيمة إلى القائد دو بـــوفور الذي استمع إلى ضباطه ولم يبادر بالخـــروج لملاقاة الحملة الجـــزائرية ولو فعل ذلك لانتصر حسب زعمه[4].

غفل الأسير الفرنسي عن قوة الجزائريين، كما تجاهل المعرفة الدقيقة لهؤلاء بخبايا المدينة وشعابها. وراح يصب جام غضبه ويكيل التهم لقائد الحملة. لقد كانت الحسرة تعصر قلب هذا الأسير كما كانت تفعل بزملائه أيضـــا، ولم نحصل على معلومات بشأن مصيره ومصير زملائه فيما بعد.

---

(1) قنان جمال، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص131.

(2) الآية 249، سورة البقرة.

(3) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية...، المرجع السابق، ص76.

(4) قنان جمال، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص131.

كانت طموحات لويس الرابع عشر، كبيرة للغاية؛ فالأمل كان يحدوه للسيطرة على الحوض الغربي للمتوسط ومن ثمّ شمال إفريقيا من أجـــل بعث التجارة الفرنسية إلى مناطق أبعد من ذلك في حالة نجاحه، ولكنها أي آماله تحطمت على صخور سواحل مدينة جيجل. وقد أصبح الآن في ورطة حقيقية وبات المخرج منها شبه مستحبلا، ما دام أنّه كان في ســـلم مع الجزائر وهو من نقضه للتو؛ ولم يكن هذا ما كان يقض مضجعه فقط؛ فأحلامه للسيطرة على القارة الأوربية قد تبخرت هي الأخرى أمام رغبة الإنجليز في السّيطرة على القارة و البحر الأبيض المتوسط هم كذلك فما عساه يعمل يا ترى؟

إضطر الملك الفرنسي إلى مساندة حُلفائه الهولنديين ضد الإنجليز عندما قامت بينهما حرب وهذا للمحافظة على المعاهدة التي أُبرمت بين الطرفين أي الفرنسي والهولندي عام 1662م[1]. وإنْ كان هذا وفاءً للهولنديين فأين ميثاق الشرف الذي كان بينه وبين الجزائريين، حيث خُرقت المعاهدة لسنة 1628م كم من مرة من طرفهم. إذن كانت المحافظة على المعاهدة مع الهولنديين تُمليها المصالح الخاصة بالدولة. والتي كانت على المحك في هذه الفترة الحرجة؛ إذْ تُعد من أصعب الفترات التي كانت تمر بها فرنسا؛ وحتى الملك الذي أمسك بزمام الحكم مؤخرا. هذا على الرغم من أنّ فرنسا لم تتوقف في إلحاق الضرر بالجزائريين، خاصة بالسفن التي كانت تجوب البحر المتوسط، إنتقاما من هزيمة جيـــجل. ويُذكر خلافا لهذه النتائج فإنّها قد تسببت في قيام فتنة بمدينة الجزائر؛ راح ضحيتها الآغا شعبان [2]. الأمر الذي كرّس أكثر من حالة اللاإستقرار في هرم السلطة وكان يُنذر بنهاية وشيكة لهذ العهد.

لقد كلفت هذه الفتنة غاليا. بيد أنّ "علي آغا" (1665- 1671م) خليفة شعبان، لم يحسبها كذلك فها هي فرنسا التي خرقت الإتفاقية تعود وتلح على الجزائر مرة أخرى لإعادة تفعيلها، وهذا لحدوث مستجدات على صعيد العلاقات الأوربية[*]. وتكمن هذه الخطوة في محاولة لضمان بقاء الجزائر محايدة، عندما قامت الحرب بين الفرنسيين والإنجليز. وهذا الحياد سيكون حجر الزاوية لبناء الإتفاقيات القادمة للتفاهم بين الطرفين حول ظهور أي خطـــر خارجي مهما كان مصدره[3].

---

(1) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص78.

(2) المدني أحمد، الداي مُحَمَّد بن عثمان...، المرجع السابق، ص59.

(*) ولكن قبل البحث عن إعادة العلاقات إلى حالة الدفء؛ كان لويس الرابع عشر لا يزال يُفكر في توجيه حملة ضد الجزائر، إنتقاما من هزيمة مدينة جيجل الشنيعة، وعليه أمر القائد نفسه دي بوفور الذي أخفق في جيجل بالخروج منذ بضع شهور لتعقب البحارة الجزائريين. إذْ أبحر من ميناء طولون في شهر فيفري 1665م ولكن لم تكن وجهته الأولى هي الجزائر فقد أرسى قبالة ميناء حلق الوادي وردّت عليه مدفعية الميناء فانصرف باتجاه الجزائر، حيث حدثت له الأمور نفسها في ميناء الجزائر فصرف نظره تلقاء مدينة شرشال التي قصفها بالمدفعية وأحرق سفينتين و غنم ثلاثة، فضلا عن قطع الأسلحة التي قدرت بـ113 قطعة بندقية. للمزيد ينظر:

De Gramont(H-D), LA FRANCE & LA RÉGENCE D'ALGER au XVII ciècle, Alger, Adolphe jourdan, librire-éditeur,1879,p228.

(3) قنان جمال، معاهدات...، المرجع السابق، ص78.

لم يتعض قادة الحملة الصليبية على مدينة جيجل، من تلك الهزيمة النكراء التي تعرضوا لها خلف أسوار المدينة. إنّ فداحة الخسائر جعلتهم يفكرون في الإنتقام من الجزائر وحتى إيّالتي تونس وطرابلس الغرب، ويبدو أنّ المغرب الأقصى لن يسلم منهم هو الآخر. ولم يكن الفرنسيون وحدهم من دفع الثمن غاليا بل حتى الهولنديين والإنجليز. لذا فإنّ دائرة العداء كانت تتسع أكثر فأكثر.

لقد كانت قضية الحرب المعلنة حربا من أجل تحرير الأسرى؛ فها هي إيّالة تونس تتعرض للخطر نفسه الذي تعرضت له الجزائر فالإنجليز والهولنديون بدأوا يجوبون سواحل البحر المتوسط بحثا عن السفن المغاربية والجزائرية على الخصوص؛ بداية من شهر نوفمبر 1665م. حيث يُروى أنّه في إحدى عمليات تعقبهم للسفن الجزائرية توجهوا بأسطولهم إلى تونس وبالضبط إلى مرسى غار الملح، بقيادة الأميرال "روبرت بلاك" الذي شرع في قَنَّبلة الميناء ملحقا به خسائر معتبرة. كما أنّ المدينة لحقتها أضرار كبيرة. وتم حرق 9 مراكب تونسية كما حرر جميع الأسرى الإنجليز والهولنديين هناك[1].

أمّا الأميرال دي بو فور فلا زالت أصداء الهزيمة تلاحقه في كل مكان وحتى في منامه؛ فنجده قد عقد العزم على الإنتقام لنفسه أولا ثم لسيده و هذا عندما أبحر يوم 17 من شهر فيفري عام 1665م، من ميناء طولون كالعادة بأسطول غير كبير العدد، مُعلنا بذلك الحرب على السفن الجزائرية، على أنّه خسر ثلاث سفن مختلفة في ميناء حلق الوادي بتونس[2].

كانت مهمة دي بوفور مزدوجة وهي الإنتقام وإمكانية عقد إتفاقية، لعله من خلالها يُعوض ما فقده في جيجل. وهذا أمر قد أشرنا إليه سابقا، وعليه نجح في عقد إتفاقية مع إيّالة تونس في 25 نوفمبر من العام نفسه وإستطاع أنْ يفرض شروطه التي تتمثل أساسا في ملاحقة السفن المعادية وعلى رأسها الجزائرية، وكذا أمور تتعلق بالتجارة والإمتيازات وحقوق الرعايا الفرنسيين[3]. نستنتج من خلال هذه الإتفاقية أنّ تحالفا جديدا عقد ضد الجزائر مما سيزيد من عدد أعدائها، ليس من قبل الأوربيين فحسب؛ بل من قبل الأشقاء بإيّالتي تونس وطرابلس وتجدد الأطماع القديمة للمغرب ولكن الأوربيين لن يكونوا بهذه السذاجة لترك الأمور تضيع من أيديهم؛ للحصول على مزيد من الإمتيازات. لقد كان البند رقم 17 هو الأخطر على مستقبل الإيّالات المغاربية، حيث يُقر بأنّ القنصل الفرنسي هو ممثل جميع الدول الأوربية التي لها علاقة تجارية مع تونس ما عدا الإنجليز والهولنديين [4]. وعليه سيترتب على هذه الإتفاقية المجحفة فتح الطريق لعقد إتفاقية مع الجزائر على الشاكلة نفسها.

---

(1) سامح عزيز، المرجع السابق، ص395.

(2) De Grammont(D-H) Relations entre..., Op, Cit, p46.

(3) روسو ألفونسو، الحوليات التونسية، من الفتح العربي حتى إحتلال فرنسا للجزائر، ترجمة وتقديم مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ، ليبيا 1992م، ص132.

(4) المرجع نفسه، ص132.

بـــ- معاهدة الجزائر و فرنسا 1076هـ/ 1666م:

حرص الفرنسيون على صياغة هذه المعاهدة الجديدة القديمة على أنّها مبادرة جزائرية وليست فرنسية. وهذا للخروج من فخ التناقضات والهفوات التي إرتكبها ساسة فرنسا وحفظ ماء الوجه؛ وهذا إستنادا إلى أنّ الملك لويس الرابع عشر كان قد إستلم رسالة من علي آغا يطلب منه إعادة السلام بين البلدين؛ حيث تُفيد المعلومات أنّ مبعوثا فرنسيا من قبل الملك كان قد وصل إلى الجزائر؛ وهو الذي أشار على علي آغا بإرسال هذه الرسالة.

سارع الملك إلى إيفاد مبعوثه الخاص "تروبير" إلى آغا الجزائر، وبعد التوصل إلى مشروع إتفاق بين الطرفين عاد المبعوث إلى سيده ليطلعه على ما تم التوصل إليه. وهنا نجد بروز رغبة فرنسا الملحة لعقد هذا الإتفاق. وكسب الجزائر كطرف معها وليس ضدها. حيث تم الموافقة على هذا المشروع مباشرة دون إعتراض. ومما يدل على ذلك توجيه رسالة إلى علي آغا يتعهد له فيها بأنّه سيحترم هذا الإتفاق؛ والملك الفرنسي لم يتوقف عند هذا الحد؛ بل طلب من الجزائر بواسطة المبعوث نفسه أنْ يقطع علاقاته مع الإنجليز وطرد قنصلها. فضلا عن الإستفسار عن علاقـــات حـــكام الجزائر بالمغرب للغرض نفسه، ممنيا إياه بالمساعدة في استرجاع مدينة طنجة من لدن الإنجليز.

نتساءل هنا لما قبل آغا الجزائر بهذا الموقف؟ إذْ سرعان ما تناسى ما كان الفرنسيون يفعلونه منذ سنوات ليست ببعيدة. يرجع هذا التغير المفاجئ في سياسة الجزائر، ولين موقفها، إلى الدور الذي كان يمثله "إسماعيل باشا" في توجيه سياسة الإيّالة خاصة الخارجية منها، وفقا لمصالحه الخاصة، من خلال رسائله إلى البلاط الفرنسي هذا من جهة [1]؛ ومن جهة ثانية يقال أنّه كان متآمرا على الجزائر مع الأوربيين[2].

لقد كانت جلّ المراسلات تتم بين إسماعيل باشا وأطراف عدة مع السلطات الفرنسية [*]؛ وعليه أفلحت فرنسا في مساعيها الرامية إلى إبعاد إنجلترا عن البحر المتوسط بأي طريقة. ولم تكن الجزائر والمغرب الدولتين الوحيدتين اللتين عقدتا معهما الإتفاقية؛ بل تعدى الأمر إلى إيّالة تونس أيضا سنة 1665م، قبل التـــوصل إلى إتفاق مع إيّالة الجزائر كما أسلفنا[3].

---

(1) قنان جمال، معاهدات الجزائر ...، المرجع السابق، ص78.

(2) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص388.

(*) لقد برز دور إسماعيل باشا في عهد الآغوات؛ إذْ أصبح يتمتع بنفوذ كبير، خاصة بعد أنْ أصبح يراسل السلطات الفرنسية مباشرة؛ بدءً من الملك لويس الرابع عشر أو كبار مستشاريه مثل كلوبير وحتى القناصل ولفترة طويلة مستغلا بذلك هشاشة الحكم في هذا العهد. للمزيد حول الرسائل. ينظر:

(3) Plantet (Eugène), Correspondance des Deys..., Op, Cit, pp 57-70.

– مضمون المعاهدة:

حكم علي آغا الجزائر(1665-1671م) في فترة حرجة سواء من ناحية الأوضاع الداخلية المتردية جراء التقاتل على السلطة، في عهد الآغوات، أو حتى على صعيد العلاقات الخارجية. فقد دشن العام الثاني من عهدته بالإتفاق مع فـــرنسا لإتقاء شرّها. هذا إنْ كان هو صاحب القرار وليس إسماعيل باشا. إنّ هذه الإتفاقية هي عبارة عن مـذكرات للسلم مع فرنســا لإسترجاع السلام وهـــي مكملة لإتفاقية عام 1628م[1]؛ تم الإمضاء عليها في 17ماي 1666م. ومن بين ما جاء فيها نذكر:

أ– إقرار السلم وإنهـــاء حالة الحرب.

ب– البت في مسألة التفتيش الخاصة بالسفن الجزائرية وهذا لتزويد الجزائريين بوثائق تثبت هويتهم[2].

جـ– إطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين بالجزائر والبالغ عددهم 1126 أسير[3].

د– دفع فدية تخص عدد الأسرى الباقي لكون أسرى فرنسا بالجزائر هو العدد الأكثر.

هـ– إقرار مبدأ المعاملة بالمثل.

و– عدم جواز أسر وإسترقاق أي فرنسي مهما كان، ثم أخذه على سفينة معادية للجزائر، سواء مســـافر أو مـــلاح أو جندي[4].

نُلاحظ أنّ شروط الإتفاقية تبدو متكافئة؛ ولا تميل لخـــدمة مصالح طرف دون آخر، كما تجدر الإشارة إلى أنّ عملية تفتيش السفن والجـــوازات كانت عملية تتجه إلى التعقيد مع مرّ الزمن نتيجة التعتيم على الجنسية الأصلية. ولكن بالرغم من التوصل إلى إتفاق بين الطرفي كان الفرنسيون لا يزالون ينتهجون أسلوبهم القديم في نقض هذه الإتفاقيات وإستعمال أسلوب القوة. ويبدو كذلك أنّ وضع الملك لويس الرابع عشر كان وضعا أقل ما يقال عنه أنّه صعب للغاية على كل المستويات[*].

---

(1) محرز أمين، الجزائر، المرجع السابق، ص82.

(2) قنان جمال، معاهدات الجزائر ...، المرجع السابق، ص80.

(3) المدني أحمد توفيق، الداي مُحَمَّد بن عثمان...، المرجع السابق، ص60.

(4) قنان جمال، معاهدات الجزائر ...، المرجع السابق، ص.81

(*) مما يدل على عدم جدية الملك الفرنسي، وغموض سياسته أنّه في سنة 1669م، عرض على حكام الجزائر التحالف ضد الدول الأوربية خاصة هولنـــدا وإنجلترا؛ بل وطلب منها قطع علاقاتها مع هذه الدول. للمزيد ينظر: غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية..، المرجع السابق، ص79.

تاسعا– التهديدات الأوربية للجزائر1078هـ/ 1668م[*]:

بعد الإمضاء على الإتفاقية بين الفرنسيين والجزائريين، كان الإنجليز منزعجين منها كثيرا، حيث بذلوا جهدا كبيرا لإبطالها. ومن بين الأمور التي قدموا عليها أنّهم أغروا علي آغا حاكم الجزائر بمنحه 30 سفينة حربية لإستخدامها ضد الفرنسيين. إلا أنّ الفرنسيين في هذه الآونة كانوا قد حصلوا على مبتغاهم بواسطة إسماعيل باشا ممثل السلطان العثماني بالجزائر؛ والنتيجة المؤكدة هي فشل الإنجليز في مسعاهم.

ومن بين ما حصل عليه الفرنسيون علاوة على ما ذكرنا هو إعادة فتح الباستيون؛ وتعيين الجنرال "جان أرنو"(Jen Arno) مديرا له. إنّه بالرغم من الإتفاق المبرم، فإنّ أعمال الجهاد البحري لم تتوقف بالنسبة للبحارة الجزائريين، وظلّت قائمة ضد الفرنسيين [1]، ولكن ليست بالدرجة الكبيرة التي تؤدي إلى خرق الإتفاقية. لقد شكل الباستيون نقطة هامة في المفاوضات الجزائرية الفرنسية المستقبلية، لذا كانت الدولة العثمانية حريصة على تنفيذ أوامرها من قبل حكام الجزائر بخصوص هذه المؤسسة[**]، بيد أنّ هؤلاء كانوا يرون عكس ذلك تماما نتيجة عوامل عديدة من أهمها إتقاء غضب القبائل التي تبيع منتوجاتها الفلاحية للمؤسسة.

ورد إلى إسماعيل باشا في سنة 1667م، فرمانا من الباب العالي حول الأخطار التي كانت تهدد الجزائر وما يلزمها من عمليات الدفاع. وهنا نجد تناقضا حول هذه المسألة فيما يخص شخصية إسماعيل باشا فكيف سيخدم الباب العالي وهو يتآمر مع الفرنسيين ضد الجزائر !! ومهما يكن من أمر فإنّ الجواب تضمن عرضا مفصلا عن الأخطار التي كانت تُحيط بالجزائر من ناحية تمرد العربان برا ومن ناحية القوى المسيحية بحرا، كما بيّن الخسائر الكبيرة في جيجل قبيل سنوات قد خلت. وقد ذكر أنّه في الطرف الغربي كانت ثلاث دول تستعد للهجوم على الجزائر وهي تنتظر الفرصة المواتية لذلك. ويبدو أيضا أنّ هذه القوى الثلاث كانت هي دولة هولندا، إنجلترا و الفرسان المسيحيين [2]. و ما دام أنّ هؤلاء لا يمثلون دولة ستكون فرنسا هي الدولة المعنية، لأنّ الغموض الذي يلف شخص الباشا اسماعيل يجعل من كل الإحتمالات ممكنة.

(*) على ما يبدو أنّه يوجد إختلاف في الكتابات حول هذه التهديدات فيما يخص دعم الأميرال ألن للإنجليز، إذْ يخبرنا الدكتور بوعزيز يحي بأنّه ضمن الحملة الإنجليزية بينما يقول المؤرخ التركي عزيز ألتر بأنّه مستقل عن الحملة وتحالف معها. كما يورد بوعزيز يحي أنّ هذه الحملة التقت بالبعثة الفرنسية – بقيادة الكونت دي فيفون (De Vivonne) التي هددت حكام الجزائر– في مدنية الجزائر في الوقت نفسه، على أنّ حلولهما كان في سنة 1669م . ومن المستبعد أنّ يكون هؤلاء قد نسقوا جهودهم ضد الإيّالة. ينظر بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص ص81-82

(1) سامح عزيز، التر، المرجع السابق، ص396.

(**) حرصت الدولة العثمانية على عدم السماح للأجانب؛ سواء أصدقاء أو أعداء بالبناء على أراضيها مهما كان السبب. غير أنّ ظروف إستقرار موظفي المؤسسة، يتطلب ايجاد المأوى؛ سواء بالبناء أو الايجار. للمزيد حول الباستيون ينظر: لعريبي إسمهان، "الباستيون الفرنسي بالقالة من خلال مراسلات محلية مخطوطة"، مجلة عصور، العدد17، جامعة وهران الجزائر2012، ص36.

(2) سامح عزيز، التر، المرجع السابق، ص396.

كان إسماعيـــل باشـــا قد حذّر من التهديـــدات التي كانت تحفّ الجـــزائر فقد أصبحت حقيقـة. ففي 09 أكتوبر 1668م، حلّت قُبالة سواحل مدينة الجزائر قوة عسكرية بحرية متكونة من فرسان "ألن" (Allen) ترافق الأسطول الإنجليزي مشكلة تهديدا كبيرا للجزائر ووعيدا ينم عن تحد واضح. ولتلافي هذا التهديد الشديد اللهجة أمر علي آغا بإطلاق بعض الأسرى الإنجليز[1].

بعد النجاح الذي حققه قائد الأسطول الإنجليزي وفرسان القديس ألن، ظنّ هؤلاء بأنّ الجزائريين يخـــافونهم ولم يضعوا في الحسبان الجانب الإنساني الذي يمليه الدين الإسلامي في هذا الصدد؛ وراحوا يدبرون حملة أخرى علهم يحصلون على أكثر مما حصـــلوا عليه في العام الماضي. ففي 12 أفريل 1669م[2] عاودوا الكرّة على مدينة الجزائر للحصول على ترضيات، وإطلاق سراح الأسرى الآخـــرين. ولعل مطالبهم تكون قد زادت عن حدها طالما حسبوا الموقف الجزائري بذلك الحساب. ونتيجة لهذا فإنّ الموقف في الجـــزائر قد تغير على الأقل تجاه هؤلاء؛ على الرغم من أنّ المفاوضين كانوا أنفسهم، حيث أظهروا تصلبا كبيرا إزاء المطالب الإنجليزية أثناء المباحثات. وهكذا خرج الوفد الإنجليزي خالي الوفاض بعد خمسة أيام من المفاوضات الشاقة بين الطرفين[3].

يُذكر أنّ الفرسان والإنجليز عادوا من حيث أتوا، وفي قرارة أنفسهم كان قصف المدينة هو الحل الوحيد.
ففي شهر سبتمبر عادوا إلى الجزائر بأسطول متكون من 25 سفينة، وبادروا بإطلاق النار على حراس الميناء الذين ردوا بالمثل على هذا التعدي الخطير[4]. وبعد هذه الحادثة إنضم الإنجليز بسفن أخرى للفرسان وشرعوا يطلقون النار هم أيضا محاولين الإنتقام من حكام الجزائر شرّ إنتقام؛ على عقدهم إتفاقية سلم وتجارة مع أعدائهم الفرنسيين.

وهكذا دارت معركة حامية الوطيس بين الطرفين كان ميناء الجزائر ميدانا لها. وعلى إثر ذلك غادر المعتدون الميناء بعد هبوب عاصفة هوجاء خافوا من أنْ تقذفهم وسفنهم على الساحل، ليكونوا لقمة سائغة للجزائريين في حين نجدهم قد كبّدوا إيالة الجزائر خسائر معتبرة في الميناء من السفن والرصيف والمدينة على حد سواء، وهم كذلك لم يسلموا من الخسائر[5].

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص396.

(2) De Grammont(H-D), LA France la régence D'Alger au XVII.., Op, Cit, p232.

(3) سامح عزيز التر، المرجع الاسبق، ص397.

(4) De Grammont(H-D), Op, Cit, p232.

(5) ابن عبد الكريم، مقدمة كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، لابن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق محمّد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007م. ص17.

عاشرا– الحملة الصليبية على مدينة الجزائر 1081هـ/ 1670– 1671م:

لم ينس الإنجليز وفرسان ألن خسائرهم التي لحقت بهم أمام مدينة الجزائر. فصورة عناد المفاوضين الجزائريين لا زالت راسخة بأذهانهم. ففي السنة الموالية للهجوم السابق نجدهم يعاودون الكرة ولكن ليس بالطريقة نفسها ذلك أنّهم تناسوا نزاعاتهم الأوربية ودخلوا في حلف أقل ما يوصف به أنّه صليبي مقدس. تشكل هذا الحلف أساسا من قوات فرسان مالطا، هولندا، صقلية وإنجلترا؛ وحتى الفرنسيين أعدائهم التقليديين. ولسنا ندري لماذا إنضم هؤلاء لهذا الحلف فهم كانوا قد عقدوا إتفاقية مع الجزائر منذ 1666م. ولكن طبيعتهم كانت دائما تجعلهم سباقين للنيل من الجزائر بطريقتهم الخاصة، بعيدا عن أي عملية تقضي على أطماعهم. كما أنّ الآغا علي كان متساهلا معهم.

تحرك الأسطول الضخم، وفي نفس قادته هدفين إثنين يتمثلان في ملاحقة السفن الجزائرية أينما كانت وتحطيم عنفوان مدينة الجزائر. وبعد مسيرة غير طويلة حلّ الأسطول بميناء الجزائر ولكن بعد أنْ سارع الآغا إلى تحصينه ورص الصفوف بوادي الحراش، وما أنْ برز الغزاة حتى عمّ الخوف والهلع في نفوس السكان[1].

لم نجد مجريات هذه الحملة في المصادر المختلفة؛ ولكن يبدو أنّها لم توجه إلى مدينة الجزائر بل تم توجيهها إلى مدينة بجاية نتيجة إستعصاء الجزائر عليهم، كما أنّ الإنجليز أخفقوا في عملياتهم لمرتين سابقتين الأولى كانت 1669م والثانية كانت 1670م. وعلى أية حال كان الأسطول بقيادة الأميرال الإنجليزي "ادوارد سبارغة" (E. Spragga) الذي حلّ قُبالة المدينة في شهر مارس من عام 1671م، وباشر الهجوم على الميناء مضرما النار في 12 مركبا بحريا[2].

كانت نتيجة هذا الإعتداء الغادر هي هجوم الجزائريين على القنصلية الإنجليزية بمدينة الجزائر. وتخريبها وإلقاء القبض على موظفيها، وعلى رأسهم القنصل؛ حيث تم إيداعهم السجن. وعلى إثر ذلك صعّد المعتدون من هجومهم و اتجهوا صوب الميناء ثانية محاولين الإنتقام؛ وكأنّ الجزائريين هم من بدأوا بالعدوان؛ حيث دخلوا الميناء بعد اختراقهم للحاجز الحديدي وقاموا بإحراق 9 سفن راسية هناك، وإغراق باقي قطع الأسطول الجزائري. ويقال أنّ الجزائريين هم من أغرق السفن خوفا من الإستيلاء عليها أو إحراقها [3]. وهناك من يشير إلى أنّ الإنجليز أحرقوا ثلاث سفن فقط[4]. بيد أنّ تعقبهم للسفن الجزائرية بقيادة "الكونت فيفون" (Comte de Vivonne)، أدى إلى أسر 6 سفن أخرى[5]. وهنا نجد أنّ الأسطول قد دُمر بالكامل ما عدا تلك السفن التي كانت تعمل خارج الميناء.

---

(1) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص398.

(2) ابن عبد الكريم، المرجع السابق، ص18.

(3) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص398.

(4) ابن عبد الكريم، المرجع السابق، ص18.

(5) De Grammont(H-D), LA FRANCE LA RÉGENCE D'ALGER au XVII.., Op, Cit, p232.

ألقت هذه الحملة الصليبية بضلالها على إيّالة الجزائر؛ فالأوضاع كانت تتجه من سيئ إلى أسوء. ونحن بدورنا نلاحظ أنّ سيـــاسة الحكم في الجزائر لم تكن رشيدة بما فيه الكفاية في عهد الآغوات فالمتغيرات التي كانت تمس هرم السلطة بالجزائر فتحت عليها تجدد أطماع الدول الأوربية. لقد كان تراجع دور هؤلاء الحكام في تسيير دواليب الدولة يقابله عمل بحري كبير كان يقوم به رياس البحر الجزائريين ضد السفن الأوربية، التي كانت تحارب بلا هوادة السفن الإسلامية. ففي غضون هذه السّنوات بلغت تهديدات الجزائريين درجة لم يستطع ساسة أوربا تحملها. إذْ بلغت هجماتهم البحر الأدرياتيكي عندما هاجموا جمهورية البندقية سنة 1664م. وبعد سنتين كانوا قد أسروا أعداد كبيرة على سواحل أوترانتو ونـــابولي وغيرها؛ ولم تنقطع عمـــلياتهم بل كانت تتزايد كل عام وتتوسع أيضا حيث أصبحت مناطق الحـــوض الشرقي للمتوسط الشمالية والغربية منها ميدانا لها[1].

زاد هذا الأمر من حدة التوتر بين الطائفتين العسكريتين الجزائريتين الإنكشارية ورياس البحر. خاصة عندما أظهر آخر الآغوات علي آغا ليونة كبيرة حيال البنود، التي تم إضافتها للمعاهدة الجزائرية الفرنسية لسنة 1666م؛ عندما نجح المفاوض الفرنسي "دي مارتل" في فرض شروطه على آغا الجزائر. لم تكن هذه الشروط بالهيّنة في نظر الرياس؛ فقد دلت على ضعف شخصية الآغا علي. ولسنا ندري لماذا بادر بتلك السرعة لتنفيذ هذه الشروط عندما عاقب البحارة الذين زعم دي مارتل أنّهم المتسببون في الخسائر التي لحقت البحرية الفرنسية. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وافق على بند خطير آخر وهو إلغاء حق الجزائر في تفتيش السفن الفرنسية[2].

لقد كان المفاوض الفرنسي ذكيا في إقناع الطـــرف الجزائري بالشروط الجديدة؛ عندما تعلل بإنهاء المشاكل والعمل على إستقرار العلاقات بين الطرفين. وهـنا نتساءل هل كان الجزائريون هم من يقوم بخرق هذه الإتفاقيات أم الفرنسيون؟ إنّ المتتبع لسياسة فرنسا تجاه الجزائر وإنتهاجها للأسلوب العسكري في كل مرة، يستنتج حتما بأنّ هؤلاء الفرنسيون كانوا يُخلطون أمور الحرب والسلم كلّما تغيرت موازين العلاقات بين الجزائر والدول الأوربية الأخرى؛ ولم يهمهم أبدا أمر الوفاء والإلتزام بالمعاهدات.

ومهما يكن من أمر فإنّ حالة التذمر في الجزائر قد بلغت درجة الإحتقان، الذي ينبئ بالإنفجار. فقد إعتبر رياس البحر معاقبة علي آغا لزملائهم، إهانة لا تغتفر. وهكذا توفرت الظروف لإعلان التمرد والإمساك بزمام الأمور من جديد. في حين لم يكن الإنكشارية ينظرون لسيدهم الآغا بعين الرضى؛ فإضطراب الأوضاع كانت مكلفة لأرواحم ومكتسباتهم هم أيضا. وعليه تم ترتيب عملية للتخلص منه؛ حيث أغتيل في خريف سنة 1771م؛ وإعتلى مكانه الدولاتيلي "حسن التريكي" (1671- 1682م) سدّة الحكم في الجزائر، إيذانا ببداية عهد جديد هو عهد الدايات[3]. كما هو عهد جديد أيضا بالنسبة للدول الأوربية التي ستعيد حساباتها مع الجزائر.

---

(1) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص400.

(2) محرز أمين، المرجع السابق، ص83.

(3) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السابق، ص55.

حادي عشر– تحالف الإسبان والمغرب مع القبائل ضد إيّالة الجزائر1675 – 1679م:

لم يكن يتوقع آخر الآغوات بمصيره المشؤوم، نتيجة الفعل الذي إقترفه في حـق رياس البحر؛ وهـو بذلك كان يُنفذ رغبة الفرنسيين، هؤلاء الأخرين لم تكن كذلك تطلعاتهم ستنتهي عند هذا الحد؛ بل سيتمادون في أطماعهم التي من شأنها الإضرار بمصالح الجزائر، لاسيما على مستوى العلاقات الخارجية، فالإنجليز والهولنديون وكذلك الإسبان لن يهدأ لهم بال هم أيضا للحصول على مبتغاهم. الأمر الذي سيدخل حكام الجزائر الجدد في متاهات لا يمكن الخروج منها إلا بالمواجهة المباشرة. فضلا عن إنشغالهم بتحسين الظروف الداخلية المتهالكة.

– ظروف التحالف:

أثرت العمليات البحرية للـرياس كما أسلفنا على البحرية الأوربية، بيد أنّ تضارب مصالح أوربا لم يدع لها سبيل لتوحيد جهودها ضد إيّالة الجزائر مثل ما حدث بعد معركة ليبانت. لقد كانت هذه الموقعة على الرغم من الهزيمة والخسائر التي لحقت بالدولة العثمانية نعمة كذلك؛ عندما اختلفت مصالح الدول المنتصرة في من يقود هذه التحالفات مستقبلا. لقد كان ذلك طيلة قرن تقريبا؛ فقد ظهرت في هذه الآونة ملامح تحالفات ليست بالشكل السابق في ليبانت إذْ خرجت أساطيل الدول الأوربية كالفرنسيون والهولنديون والمالطيون والصقليون وحتى الإنجليز والبابا أيضا كان له سفن مشاركة في حملة عام 1670م. دون سابق إنذار، لملاحقة السفن الجزائرية أينما أبحرت والإيقـاع بها علها تنهي سطوتها على البحر المتوسط وتبعث تجارتها بارتياح[1].

زادت هذه الأمور من حدّة الأوضاع المتفاقمة التي أشرنا إليها. ولما كانت هذه الدول في سباق مع الزمن للحصول على مآربها في الجزائر قبل الحصول عليها من قبل دولة أخرى من جهة. وعدم قدرتها على مجابهة الجزائر. إضطرت إلى تنفيذ تهديداتها منفردة تارة ومشتركة مع بعض الأطراف الداخلية تارة أخرى؛ على أنّها كانت متوالية وكثيرا ما حلّت قُبالة سواحل الجزائر هنا وهناك لتشتيت تركيزها الدفاعي، الأمر الذي نستطيع أنْ نصنفها من خلاله أنّها كانت متحالفة لإستغلالها عامل الزمن.

عَبَّرَ لويس الرابع عشر عن تذمره من الحملة الإنجليزية التي أسلفنا ذكرها خوفا من أنْ تحصل على ترضيات لم يتمكن هو من خلال قوته العسكرية ولا ديبلوماسييه من الحصول عليها. قائلا في هذا الصدد" إنني قلق من سماع الحركة البحرية الإنجليزية، بينما لم يقم الأسطول الفرنسي إلا بالقليل.." [2]. وهكذا حاول الفرنسيون إستغلال هذه الحالات لتنفيذ مسعاهم. فقد جددوا قضية أسراهم الموجودين في الجزائر؛ هذه القضية التي كانت شرارة في تغيّر الحكم برمته في الجزائر لقد كانت هذه الورقة الرابحة بالنسبة لهم.

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص398.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص330.

وقبل الخوض في هذا الإتجاه نجد أنّ الإنجليز كانوا أذكياء فقد إغتنموا إعتلاء الداي "حسن" سُدة الحكم. وهو الذي لن يكون مثل الآغا علي بالنسبة للفرنسيين؛ حسب المعلومات التي أوردها وولف، وإذا سلمنا بأنّ الحملة على مدينة الجزائر كانت سنة 1671م. نجد أنّ الأسطول الإنجليزي بقي قُبالة الجزائر مهددا إياها، مما أدى بالداي إلى طلبهم لعقد إتفاقية تُرضي الطرفين، لقد أُضيفت بنود أخرى للإتفاقيات السابقة، تخص الأسرى وضمان حرية النقل البحري التجاري بين ضفتي مضيق جبل طارق[1].

يبدو لنا أنّ هذه التنازلات التي قدمها الداي الجديد للإنجليز، وهو الذي يخبرنا عنه المؤرخ التركي ألتر بأنّه كان شيخا مسنا تدرج في الرتب العسكرية حتى صار دايا، بيد أنّ صهره بابا حسن هو من كان يُدير جلّ أعماله [2]. إنّ هذه الإتفاقية التي عقدها للتو مع الإنجلـــيز كانت نتيجة الخوف من تكرار تجربتي القصف السابقتين اللتين قام بهما قائد الأسطول الإنجليزي؛ فقد دمّر عددا من السفن الجزائرية في مينائي بجاية والجزائر.

وُصفَ الداي الجديد بعدة مواصفات توحي بقوته وشدة مراسه، ولكننا خلافا لما ذكرنا فإنّه في حالة المقارنة بين الإتفاقيتين الإنجليزتين، وظروف توقيعهما؛ نجد أنّ القصف الذي قام به هؤلاء على مدينة الجزائر لم يكن في مثل المرة السابقة، لا من ناحية قوة الأسطول وشـــدة القصف أو من ناحية الخسائر المسجلة. وهنا نحن لسنا بصدد مقارنة الحملتين ولكن نحن بصدد مقارنة موقفي حكام الجزائر؛ فرمضان آغا لم يهادن الإنجليز عندما عرضوا عليه شروطا مهينة للجزائر سنة 1660م. بل أظهر صلابة في موقفه إنطلاقا من معرفته بالقوة التي كانت تمثلها دفاعات الجزائر؛ إذْ تم إلحاق خسائر معتبرة بالعدو في الأرواح والعتاد [3]؛ فلماذا الداي الجديد قدم هذه التنازلات الخطيرة؟ وهو الأمر الذي سيفتح عليه بابا لا يمكن سده؛ فالعلاقات بين الجزائر وفرنسا وإنجلترا لا يمكن أنْ تكون على مستوى واحد؛ فثم حادثة يجب أنْ نذكرها لتفسير ما أقدم عليه الداي. يروي لنا المؤرخ التركي ألتر أنّ بابا حسن لم يدع مجالا لتقرب الفرنسيين من حماه الداي بسبب أسره لسفينتين فرنسيتين واحدة للدوق دي بوفور والأخرى ملك للكـــومندور بول لأنّه في حالة صفاء العلاقات بين الداي وفرسنا سيكون بابا حسن مضطرا لإرجاع السفينتين لمالكيهم[4].

كما أننا نجد إختلافا واضحا بشأن الصلح مع الإنجليز، فالأمريكي وولف كما أوضحنا أظهر ضعف الداي تجاه الإنجليز ولعلها الحالة نفسها التي ستتعرض لها الإيّالة سنة 1816م، في حين بين صاحب الزهرة النائرة أنّ الإنجليز هم من كان يلح على الداي عقد الصلح سنة 1679م بقوله: " ..إلى أنْ جاء الإنجليز وصار يحلل على الصلح، فلم يقبلوا منه حتى قبل شروط أهل الجزائر..." [5]. ومهما يكن من تاريخ عقده؛ فإنّ الداي كان قد قدم تنـــازلات بحق لهم وهو الذي لم يتزحزح عن منصبه لأكثر من عقد، فما الذي ليّن موقفه؟

---

(1) وولف جون، المرجع نفسه، ص329.

(2) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص415.

(3) التلمساني الجديري، المصدر السابق، ص19.

(4) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص415.

(5) التلمساني الجديري، المصدر السابق، ص19.

وسوف لن نكون مجحفين في حق الداي، لأنّ حكمه شهد إستقرارا فقدته الإيّالة منذ عقود؛ والأحداث التي جرت قبل أشهر كانت لا زالت هي الأخرى ماثلة له؛ كما أنّ القادم كان أعظم؛ فقد ألمت بالجزائر محن متوالية فمن الهجمات الأجنبية زاد وباء الطاعون الطين بلة [1]. وغدا أمر الداي وصهره من نكد إلى نكد أشدّ، فهل سيدرأ عن الجزائر الأخطار الأجنبية بتنازلاته هذه ليلتفت إلى أحوال الرعية المتردية؟ أم سيزيد الأمور تعقيدا؟

لقد أثبتت السّنوات التي تلت هذه المحن بأنّ الداي أو بالأحرى صهره لم يعد كما تصوره الإنجليز. ففي إطار قضية الأسرى أظهر المفاوض الإنجليزي تماطلا كبيرا في تقديم الأموال، نتيجة فراغ الخزينة الملكية، مما أغضب الداي وحمــله على تصعيد لهجته تجاه هؤلاء. ففي سنة 1674م عندما بعث برسالة للملك الإنجليزي "شارل الثاني" (1660-1685م) يطلب منه إرسال الأموال للفدية، هدده بقوله" إذا لم تفدهم سنرسل إليك قنصلك ...وسيكون ذلك فرصة لإنهاء السلام معك..". لقد كان المكلف بهذه العملية السيد "ناربورو" في طريقه إلى الجزائر حاملا معه أموال الفدية[2]. لم يكن حزم حكام الجزائر مع إنجلترا فقط بل حتى مع فرنسا، إذْ كان خطاب الداي مع الفرنسيين يحمل نوعا من التهديد أيضا ولكن فرنسا كانت قد قبلت بشروط الجزائريين لِتَحَرُجِ وضعها في أوربا، وما أنْ تحسنت أوضاعها حتى عادت إلى سابق عهدها، ونست ما تم التوصل إليه عند إقدامها على حجز الأسرى الجزائريين الفارين من قبضة جلاديهم الإسبان[3]. وهذا ما تضمنته إحدى رسائل القنصل الفرنسي إلى دوقية مرسيليا[4].

يُذكر أنّ الفرنسيين قد تحسنت أوضاعهم في أوربا؛ بعد أنْ كانت حرجة كما أسلفنا، وعليه سيجعلون من قضية الأسرى الجزائرين قضية تفاوض لا محال. كما أنّه تم إقحام إسبانيا في الصراع بينهما، وكعادتهم سيجدون مبررات لفعلتهم هذه عندما قالوا بأنّها معاملة بالمثل جراء أسّر الريّس "حسين ميزمورتو" لعدد من الفرنسيين، كانوا على متن سفينتين واحدة من جنوة و الأخرى من ليفورنة [5]. كانت الأمور ستسير على أحسن حال بيد أنّ ما أقبل عليه الفرنسيون عندما حلّ الأميرال "ميراس" على رأس الأسطول الفرنسي لإفتداء الأسرى و بداية المفاوضات، فقد وقعت حادثة كانت قد نسفت هذه الجهود، تتمثل الحادثة في تسلل عشرين أسيرا فرنسيا إلى الأسطول الذي نقلهم وغادر مياه الجزائر وبصحبته القنصل خوفا على مصير مجهول ينتظره. وعلى أية حال تكون هذه القضية قد بلغت مسامع الأوربيين لا سيما منهم أعداء الجزائر خاصة الإسبان الذين يتطلعون لتنفيذ هجمات على السواحل الجزائرية [6]. الأمر الذي سيشجع الجزائريين على إعادة التفكير في مضايقة الإسبان بوهران.

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص415.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص332.

(3) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية...، المرجع السابق، ص80.

(4) بلانتي أوجين، ج2، المرجع السابق، ص66.

(5) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية، المرجع السابق، ص80.

(6) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص ص416-417.

ثاني عشر– تحالف الإسبان مع قبائل بني عامر لإحتلال تلمسان 1086هـ/ 1675م:

لم يغفل حُكام الجزائر عن قضية تحرير وهران والمرسى الكبير حتى في أحلك الظروف؛ لذا بقيت إسبانيا عدوا رئيسيا لا يمكن مهادنته. وبما أنّ هذه الدولة كانت تستعمل الأساليب نفسها التي تنتهجها الدول الأوربية الأخرى؛ فقد كان لها أسرى جزائريون ومسلمون على سفنها؛ كما إتضح في قضية الأسرى الفرنسيين التي وتّرت العلاقات الجزائرية الفرنسية، وكان لا بد لدايات الجزائر أنْ يسيروا على النهج نفسه الذي سار عليه الباشاوات؛ خاصة أنّ عهد الآغوات كان عهد إضطرابات ولم يدع لذلك سبيلا.

ومهـــما يكن من أمر عهد الآغوات فإنّ قضية الإسبان وإحتلالهم لوهران؛ قد عادت وبقـــوة لتصنع مشاهد بداية عهد الدايات، ذلك لأنّ الإسبان على ما يبدو أرادوا إستغلال أوضاع الجزائر المضطربة هم كذلك، عندما خرجوا لتأديب القبائل المتعاونة مع "إبراهيم باشا" (1656- 1659م) الذي ضرب حصارا على وهران سنة 1658م، وقد ساندته في ذلك القبائل التي ضاقت ذرعا بالإحتلال الإسباني. وكانت تقوم بعمليات إستنزاف شبه مستمرة لثروات البلاد؛ ولكنه أخفق في ذلك [1]. ويضاف إخفاق إبراهيم باشا هذا لأسباب تغير النظام من الباشوات إلى الآغـــوات وبعيدا عن تغيّرات الحكم فإنّ الإسبان لم يفوتوا هذه الفرصة، لإعادة هيبتهم والإبقاء على مصادر تموينهم وتمويلهم أيضا. فقد قرروا في الأخير الإنتقام من القبائل التي آزرت إبراهيم باشا في حصاره السابق[2].

كان خروج الإسبان وحلفـــائهم في سنة 1660م، وبالا عليهم إذْ إتجهوا في بادئ الأمر نحو الغرب بإتجاه مسرغين ثم تسالة إلى جبل ماكره. تم إختيار هذا الطريق تجنبا لهجمات القبائل المعادية لهم مع أنّهم رجعوا إلى سيق التي باشروا فيها قتل السكان وسلبـــهم أموالهم. وكان الشيخ "الممدود عدّة" قد قام بحركة إلتفاف حولهم بمنطقة سيق حيث هجم عليهم هجوما كاسحا وأثخن في قتلهم، ولم يسعهم إلا الفرار إلى وهران للتحصن خلف أسوارها، متكبدين خسائر فادحة هم وحلفائهم من القبائل العربية[3]. وهكذا فشل الإسبان في محاولة توسيع إحتلالهم فهل سيعتبرون من هذه الهزيمة المنكرة؟

---

(1) تومي الطاهر، العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنيين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر 2015م، ص ص290-291.

(2) شعر الإسبان بالقوة بعد رفع الحصار عن وهران، إذْ كتبوا للممدود عدة بن الصحراوي رايس يتوعدونه وقومه، وكان نزار العبدلاوي جد الونازرة قائد العرب لدى الإسبان يحرضهم على الإنتقام وعليه كانت الحرب بين الطرفين تلوح في الأفق. ومن بين القبائل التي وقفت إلى جانب الممدود عدة الجشم الشراقة والغرابة وهبرة، البرجية، بنو شقران وغيرهم. وقد إستعد للحرب بسهول سيرات والغمري وسيق ومن زبوجة المولى إسماعيل إلى المقطع، في حين كان من بين العرب التي وقفت إلى جانب الإسبان كرشتل، حميان، غمرة، بنو زيان، الونازرة، قيزة، شافع، أولاد عبد الله، أولاد سليمان، أولاد على وغيرهم من قبائل بني عامر.ينظر: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج2، تحقيق بوعزيز يحي، دار البصائر للنشـــر والتوزيع، الجزائر2009م، ص226.

(3) الزياني ابن يوسف محمّد، دليل الحيـــران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق، المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر 1978م، ص148.

كان الإسبان على دراية تامة بجسامة الأخطار التي تنتظرهم، فالحرب بينهم و بين الجزائرين كانت سجالا مرة لهم ومرة عليهم. لقد كانت نقطة قوتهم تكمن في حصونهم وأبراجهم بمدينة وهران والمرسى الكبير؛ هذه الأبراج التي يقول عنها المشرفي بأنّ بعضها كان من تفكير الأعراب؛ كبرج مرجاجو، عندما أهداهم شيخ حميان فكرة بنائه بل وأمدهم بالماء من أجل ذلك[1]، لذا حتمت عليهم قلة الموارد من المياه والمنتوجات الفلاحية والحصار الجزائري من حين لآخر توسيع مناطق الإحتلال، ولم تزل هذه الفكرة تختمر في أذهان قادة الجيش الإسباني خلف الأسوار حتى ينفذوها. وعليه سوف لن يدعوا هذه الهزيمة تمر دون ردة فعل.

كنا قد أشرنا إلى القبائل التي وقفت إلى جانب الإحتلال الإسباني في هجوم عام 1660م؛ وعلى الرغم من الهزيمة التي مُني بها الطرفان؛ إلا أنّ قادة الإسبان حاولوا هذه المرة تغيير استراتجيتهم في التوجه نحو تلمسان بعد أنْ ضمنوا تحالف القبائل السابقة[2] معهم لعلهم يحصلون على ضرائب [*] إضافية وغنـــائم وإخضاع مناطق جديدة تمدهم بما يحتاجونه، وهو ما يدل على أنّ وضعهم كان يزداد سوءا يوما بعد يوم. وعليــه بعد توضيح الظروف التي أنتجت هذا الوضع نستطيع أنْ نبين أهم أسباب الحملة الإسبانية على تلمسان.

1- أسباب الحملة:

1.أ- خوف الإسبان من توحيد جهود حكومة الجزائرية والقبائل العربية؛ التي تعرضت لبطشهم سابقا، خاصة وأنّ الحكم في الجزائر كان يبدو أكثر إستقرارا من السابق.

1.بـ- توالي الهجمات الأوربية على مدينة الجزائر والتي آخرها كان هجوم الإنجليز عام 1671م.

1.جـ- إعلان بعض القبائل تمردها على الإسبان ورفضها لدفع الضرائب التي كانت عليها[3].

1.د- الإنتقام من البحرية الجزائرية التي كانت تهدد السواحل الإسبانية باستمرار. ولم يستطع الأسطـــول الإسباني بقيادة "ماغلانيز" (Magellenez) ثنيها على ذلك [4]. فضلا على أنّ الأسطول الهولندي بقيادة "توماس هيس" ملن يجوب سواحل أوربا الغربية عل المتوسطي و الأطلسي متربصا بالجزائريين[5].

---

(1) المشرفي عبد القادر، المصدر السابق، ص ص27-28.

(2) للمزيد حول موضوع القبائل المتعاونة و المتحالفة مع الإسبان. ينظر: المشرفي عبد القادر، المصدر السابق. ص15 و ما بعدها.

(*) كانت هناك ضرائب عديدة تدفعها القبائل العربية للإحتلال الإسباني، مقابل توفير الحماية لهم. ولعل أهمها ضريبة السغور وتسمى بضريبة عرب السلام (moros de paz). أما الضرائب الأخرى منها الثمن والترجمانة والرومية وغيرها، كان شيوخ القبائل هم من يتحملون مسؤولية جمعها، بعد إعلانهم الخضوع للإحتلال الإسباني بوهران بواسطة سجلات رسمية وضعت لذات الغرض، وهناك من يقول بأنّ اليهود يقومون بجمعها. للمزيد ينظر: فكاير عبد القادر حملتا الدون انطونيو بارثيللو على إيّالة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر من خلال مخطوط تاريخ مجيئ إسبانيول، مجلة عصور الجديدة، العدد 1، جامعة وهران الجزائر2011م، ص244. وأيضا ينظر: دغموش كاميلية، المرجع السابق، ص80.

(3) تومي الطاهر، المرجع السابق، ص193.

(4) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص417.

(5) Krieken van(G),OP, Cit, p68.

هـ- انتشار وباء الطاعون في مدينة وهران وأحوازها؛ مما كان له أثر بالغ على الحياة بمختلف مناحيها، حيث قضى على ثلاثة آلاف من ساكنيها، وهو ما إضطر قادة الإحتلال للخروج بحثا عن المؤن[1].

2- سير الحملة:

أفضى التّحالف بين جيش الإحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير وقبائل التحالف على تحرك عسكري بإتجاه تلمسان. وقد أُسندت قيادة هذا التحالف لقائد مدينة وهران الدون "أنيقودي طوليدو" [2]، وعليه تم الهجوم على أحواز مدينة وهران ضد القبائل العربية المعادية لهم؛ إذْ أسرفوا في قتلها وسبيها وغنم مواشيها وثرواتها، وكان ذلك في شهر جوان من عام 1675م[3]. لقد كان الهجوم في أواخر فصل الربيع، وهو فصل جني المحاصيل، ولدى الإسبان علم تام بثروات البلاد وخيراتها من خلال جواسيسهم، لذا لم يكن خروجهم للغزو عشوائيا. وبالمقابل نجد أنّ المصادر أحجمت عن ذكر القبائل المتحالفة مع الإسبان قبيلة قبيلة. وبعد تمكن الإسبان من الوصول إلى مدينة تلمسان هبّ السكان هبة رجل واحد، وأوقفوا زحف الإحتلال ولكـــن ليس قبل أنْ تتدعم صفوفهم بقوات من الجيش الجزائري[*]؛ حتى وإنْ كانت هذه النجدة قد وصلت بعد عملية صدّ المهاجمين، وعليه لم يجد قائد الجيش الإسباني ومعاونيه من سبيل سوى الرجوع إلى قواعدهم بوهران، وهكذا سجل الإسبان إنتكاسة أخرى تُضاف إلى سجلهم الحربي. ومهما يكن من أمر فقد أسفرت الحملة على نتائج مختلفة.

3- نتائجها:

3.أ- تحول خروج الجيش الإسباني ومحاولة توسيع إحتلاله إلى حصار مفروض عليه، فاقت مدته ثلاث سنوات فضلا عن انتشار وباء الطاعون أكثر من السابق.

3ب- تفاقم أوضاع الجيش الإسباني أكثر بعد الهزيمة؛ وفقدانه لمزيد من الدعم والتحالف عندما حاول قادته الخروج مرة ثانية عام 1678م ولكنهم فشلوا كذلك[4].

3.جـ- ظهور بوادر جزائرية جديدة ومحاولات جريئة لتحرير مدينة وهران والمرسى، خاصة بعد ظهور شخصية الباي "شعبان الزناقي" (1679- 1686م)[5].

---

(1) دغموش كاميلية، المرجع السابق، ص133.

(2) تومي الطاهر، المرجع السابق، ص194.

(3) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص417.

(*) نلاحظ أنّ أسباب إختيار تلمسان هو توهم الإسبان بأنّ دفاعاتها ستكون ضعيفة، ما دامت بعيدة عن عاصمة البايليك ووقوعها على الحدود مع المغــرب وأنّهم سيحرزون إنتصارا سهلا قبل وصول النجدة من الجزائر.

(4) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص417.

(5) بوعزيز يحي، وهران، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1985م، ص ص86-87م.

ثالث عشر– تحالف المولى إسماعيل مع قبائل الغرب الجزائري ضد الإيّالة 1087هـ/ 1676م:

لم تتغير نظرة أمراء المغرب لحكم العثمانيين بالجزائر منذ أنْ أقاموا بها حكومة تابعة لهم في بداية القرن السادس عشر. وظلّ السعديون يكنون العداء لهم، بل زاد العداء كثيرا بعد القضاء على إمارة بني زيان بتلمسان فالسعديون لم ينتظروا قدوم العثمانيين إليهم بل هاجموا تلمسان كم من مرة خشية توسعاتهم، فالحضور العثماني في فاس إبان عهد صالح رايس وبعده بقليل، عندما أقدم عناصر من الجيش العثماني على إغتيال "مُحَمَّد الشيخ" سنة 1557م[1]؛ أظهر تطلعات العثمانيين لضم المغرب وقطع الطريق أمام النفوذ الإسباني، أو أي تحالف من شأنه يقوض سلطتهم بالجزائر[2] خاصة وأنّهم يحتلون وهران، وهذا ما يُفسر المساعدة الكبيرة التي أسداها العثمانيون لهم في موقعة وادي المخازن سنة 1578م. ونجد أنّ نظرة صاحب السفارة إلى إسطنبول التمقروتي، إذْ يصف العثمانيين بوصف يوضح مكانة العثمانيين بالنسبة للسعديين بقوله" .. والعثمانيين من جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وسورا للإسلام... وإنْ كانوا إنما حملوا الإمارة وقلدوا الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هم أحق بها وأهلها وهم موالينا وسادتنا الشرفاء.."[3]. وبعد سنتين من الحادثة التي ذكرناها نجد أنّ الملك السعدي "أبو عبد الله" يدخل في تحالف مع الإسبان ضد الإيّالة في مزغران كما أسلفنا، وعليه لم يخرج الملوك العلويون عن نهج السعديين إبتداء من المولى "زيدان" ثم المولى "رشيد"، وها هو أخوهم الثالث المولى "إسماعيل" (1672-1727م)[*] يجدد حملات المغرب على غرب الإيّالة بتحالفه مع بعض القبائل لتجسيد مشروعه التوسعي.

1– عوامل الحملة:

1.أ– إغتنام فرصة تواجد فيالق من الجيش الجـــزائري وبعض القبائل الموالية للسلطة محاصرة للإسبـــان بوهـــران والمرسى الكبير.

1.ب– إعادة بعث المشروع التوسعي، والتخلص من الإتفاقية التي أقرّها أخوه مولاي الرشيد من ذي قبل[4].

1.جـ– وقوف حكومة الجزائر العثمانية مع "ابن محرز" ابن أخ المولى إسماعيل، الأمر الذي حسبه الأخير تدخلا في شؤون بلده ومحاولة لضرب إستقراره[5].

---

(1) داهش مُحَمَّد علي، الدولة العثمانية و المغرب إشكالية الصراع و التحالف، دار الكتب العلمية، بيروت2011م، ص39.

(2) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ج1، مؤسسة فيصل للتموين، تركيا1988م، ص307.

(3) التمقروتي علي بن مُحَمَّد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق الشاذلي عبد اللطيف، المطبعة الملكية الرباط، المغرب2002م، ص135.

(*) من أشهر ملوك الدولة العلوية بالمغرب الأقصى حكم لمدة طويلة فاقت نصف قرن (1672-1727م). للمزيد حول حياته ينظر: ابن زيدان عبد الرحمن الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الإقتصادية بالرباط، المغرب1937م، ص29.

(4) هلايلي حنيفي، أوراق...، المرجع السابق، ص60.

(5) داهش مُحَمَّد علي، المرجع السابق، ص76.

1.د– قدرة المولى إسماعيل على تكوين جيش كثير العدد، أطلق عليه جيش عبيد البخاري بعد توحيد المغرب نتيجة التقاتل على السلطة وتفرق أهله(*).

وهكذا توفرت الأسباب للمولى إسماعيل بأنّ يوجه حملته على الجزائر، مستغلا كل الظروف المواتية بالنسبة له والمتفاقمة بالنسبة للجزائر.

2– سير الحملة:

آزرت قبائل بني عامر المولى إسماعيل في حملته على الغرب الجزائري في سنة 1676م[1]؛ وقبائل أخرى كذلك فقد ذكر منها صاحب الإستقصاء زيادة على بني عامر، ذوي منيع، حميان، دحيسة، المهاية، العمور، أولاد جرير سقونة، الجشم[2]؛ إذْ يروي لنا بأنّها كانت محاولة لإستثمار موقف هذه القبائل السلبي من السلطة العثمانية بالجزائر على الرغم من الإضطرابات التي كان يشهدها المغرب. بعد أنْ تم تجهيز الحملة توجه المولى إسماعيل صوب الشرق عابرا للحدود الجزائرية الغربية وعليه يكون بذلك قد اخترق بنود إتفاقية التافنة التي تبين الحدود بين الطرفين. ومهما يكن من أمر فقد وصل الجيش المغربي إلى وادي الشلف وخيم هناك بمنطقة تسمى القويعة [3]. نلاحظ أنّ المسافة التي قطعها الجيش المغربي متوغلا في أراضي الجزائر تعد كبيرة، وهو ما يعد تراخيا من طرف الحكومة العثمانية بالجزائر عن حماية الحدود، لأنّ الأمر لا يتعلق بهذه الحادثة أو هذا المكان فقط، فالحدود الشرقية كانت تتعرض من حين لآخر إلى إختراقات كما سيحدث في نهاية هذا القرن عندما يحاصر آخر بايات المراديين مدينة قسنطينة لأكثر من ثلاثة أشهر دون أنْ ترسل الجزائر النجدة لإنقاذها. ومهما يكن من أمر المسافة المطوية من طرف الجيش المغربي، فإنّ الطرف الجزائري كان قد بدأ في التحرك ويُعزى ذلك إلى الخطر الذي كان يهدّد البايليك دائما من طرف الإسبان؛ فالإعتداء على تلمســـان وما إنجر عنه من تخريب وتقتيل لم تمض عليه إلا سنة واحدة.

بعد أنْ عسكر المولى إسماعيل وجيشه بالموقع المذكور آنفا، هجم عليه الجيش الجزائري بعد أنْ أسدل الليل خيوطه، وكان سلاح المدفعية له وقع كبير على الجيش المغربي، ولما مضى نصف الليل انسحبت قبائل بني عامر من الجيش وبقي الجيش المغربي وحده. وهكذا إنفصمت عُرَى التحالف الهش قبل بداية المعركة الحاسمة وتُرك المولى إسماعيل يواجه جحافل الجيش الجزائري؛ إذْ لم يسعه المجال للمناورة وأصبح الإنسحاب السبيل الوحيد لنجاته[4].

(*) بعد إعتلاء المولى إسماعيل عرش المغرب الأقصى كان على علم بالمخاطر التي تهدد بلاده من طرف الأوربيين وحتى العثمانيين في الشرق، وكنتيجة للأوضاع السائدة في المغرب عمد إلى تكوين جيش عندما باشر عملية توحيد المغرب وضم أجزائه غير الموحدة خاصة وأنّ الدولة العلوية كانت لا زالت في طور التأسيس إذْ كان يتألف من المماليك والحراطنة والسود الأحرار، أُطلق على هذا الجيش عبيد البخاري عندما منح لأفراده نسخة من كتاب صحيح البخاري، وقال لهم أنا وأنتم خدام لسنة الرسول ﷺ. للمزيد ينظر: الناصري أحمد أبو العباس، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري، ج7، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب 1955م، ص ص56– 59.

(1) هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص60.

(2) الناصري أحمد أبو العباس، المصدر السابق، ص 59.

(3) داهش محمّد علي، المرجع السابق، ص76.

(4) الناصري أحمد أبو العباس، المصدر السابق، ص 59.

قفل المولى إسماعيل راجعا؛ يجر أذيال الخيبة والهزيمة، وطموحاته لتجسيد مشروعه التوسعي ذهبت أدراج الرياح في هذه الحملة الفاشلة. وعليه نستنتج أنّ هذه الهزيمة كانت لها عوامل.

3- أسباب الهزيمة:

3.أ- الإستعداد الجزائري الجيد والخبرة المكتسبة بسبب الحرب المعلنة على الإسبان منذ السنة الماضية.

3.بـ- التفوق في السلاح بالنسبة للجزائريين خاصة المدفعية؛ على عكس الجيش المغربي الذي كان عدده كبيرا جدا ولم يكن ذو تسليح جيد.

3.جـ- إنسحاب قبائل بني عامر من ساحة المعركة، لأسباب تبقى مجهولة ! والأرجح هو خوفها من الإنتقام الجزائري خاصة بعد أنْ كان هدير المدافع يعلو على كل صوت.

3.د- عدم معرفة قادة الجيش المغربي بطبيعة الأرض الجزائرية، وبالتالي صعوبة المناورة على عكس الجيش الجزائري الذي كان يعرف الأرض شبرا بشبر وكسب المعركة لصالحه منذ البداية.

لم تكن هذه كل الأسباب التي أدت إلى هزيمة الجيش المغربي؛ بل هناك عوامل أخرى لا يسعنا المقام لذكرها وعلى أية حال وبعد نهاية هذه الحملة الفاشلة تمخضت عنها عدة نتائج.

4- نتائج الحملة:

4.أ- إعادة العمل بإتفاقية التافنة التي تنطوي على معالم الحدود القديمة بعد إقرار المولى إسماعيل بالهزيمة[1].

4.بـ- إستقرار العلاقات بين الجزائر والمغرب، حتى مطلع العقد الأخير من هذا القرن، عندما عاود المولى إسماعيل الكرّة على حساب الجزائر في عهد الداي شعبان؛ الذي هزمه شرّ هزيمة، وهذا بعد أنْ وسع من تحالفاته مع تونس وطرابلس للنيل من الجزائر[2].

4.جـ- خروج الإسبان مرة ثانية للإنتقام من القبائل المعادية لهم، في سنة 1678م ملحقين بها خسائر جسيمة في الأرواح والأموال والمحاصيل الفلاحية والمواشي[3].

على الرغم من حداثة المولى إسماعيل بالحكم و إنهزامه؛ إلا أنّه كانت لديه تطلعات لبسط سيطرته على أقاليم غرب الجزائر، ولن تكون هذه المرة هي الأخيرة بل ستكون بداية لسلسلة من الهجمات خلال عهده الطويل.

---

(1) الناصري أحمد أبو العباس، المصدر السابق، ص 59.

(2) صحراوي عبد القادر وعطية مُحَمَّد، "مشروع توحيد الإيّالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688- 1695م"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 15-16 جامعة سيدي بلعباس، الجزائر2017م، ص554.

(3) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص418.

الفصـــــل الثالث

حمــلات التحالف ضد الإيّالة

ما بين سنتي

1090– 1120 هـ

الموافق لـ

1679– 1708 م

عناصـــــــر الفصــل الثالث:

- تمهيد.

أولا- التنـافـــــس الأوربـــــي ضـد الجـــــــــزائر سنة 1679- 1682م.

ثانيا- التحـــــــــالف الفرنسي المغربي ضد الإيّالة سنة 1093هـ/ 1682م.

ثالثا- التحـالف المغـربي التونـسي والـدعم الأوربي لهما ضــد الجزائر سنتي 1102هـ/1691م.

رابعا- التحالف التونسي المغربي والدعم الفرنسي لهما ضد الإيّالة الجزائرية سنة 1105هـ/ 1694م.

خامسا- تحالف تونس وطـرابلس ضـد الجـزائر سنة 1111هـ/ 1699م- 1700م.

سادسا- التحـالــف الإنجلــيزي الهولندي ضد الإيّـالة سنـــــة 1114هـ/ 1703م.

سابعا- التحــرير الأول لمدينة وهــران والمرسى الكبير سنة 1120هـ/ 1708م.

ثامنا- إستيلاء فرســـــان مالطا والفرنسيين على سفينتين جزائريتـــــــــــين سنـة 1141هـ/ 1729م.

كان الإعتقاد السائد لدى الكثيرين بأنّ الجزائر لن تتمكن من استرجاع أمنها و هدوئها بعد حكم الأغوات غير الطويل، فبعد أنّ عاد الحكم إلى فئة رياس البحر كانت الأمور قد تغيرت تماما، وهؤلاء لم يكن تفكيرهم مثل رياس القرن السادس عشر أو رياس النصف الأول من القرن الذي يليه، فقد فسحوا لطائفة الجند الانكشاري المجال للحكم؛ إذْ ظهر ذلك جليا بعد نهاية حكم الحاج حسين ميزومورتو. هذا الأمر كانت تخشاه القوى الأوربية بل طالما أقلقها فالفرنسيون الذين خسروا معركة البقاء في مدينة جيجل و انصاع مَلكهم لويس الرابع عشر إلى رغبة الجزائر في فرض مكانتها و الدفاع عن ممتلكاتها، كان الإنجليز و حلفائهم الهولنديون يسعون إلى التقرب بكل الوسائل لمنع إنفراد الفرنسيين باستغلال سواحل البلاد وموانئها بغية التجارة وغيرها من الأمور.

وأمام تزايد النفوذ المزدوج الانجلوهولندي لم يسع فرنسا إلا إيجاد مخرج من الضيق الذي باتت تعانيه، من جراء تزلف أعدائها للدايات. وعليه رجعت إلى إستعمال القوة كما كانت تفعل من ذي قبل، متناسية بذلك شروط الإتفاقية السابقة التي كانت هي من ألحّ عليها، بل خفضت من لهجتها ومطالبها من أجل التوقيع عليها، مباشرة بعد انعقاد إتفاقية بين الأطراف الثلاثة السابقي الذكر. وكانت هذه الدولة قد وجهت ثلاث حملات إثنتين منهما متتاليتين وأخرى بعد خمس سنوات إبّان العقد التاسع من القرن السابع عشر، تُوصف هذه الإعتداءات الفرنسية بالقاسية جدا ولكنها لم تفلح في الوصول إلى مبتغاها، بيد أنّ الخسائر التي طالت مدينة الجزائر والبحرية معا كانت خسائر كبيرة جدا يصعب تقديرها.

وفي ظلّ هذه الأحداث الخطيرة كانت إيّالتي تونس وطرابلس الغرب ودولة العلويـــــن بالمغرب، تتربص هي الأخرى بالإيّالة؛ فكل قوة إقليمية من هذه القوى الثلاثة كانت لها مآرب خاصة، فالصراع بين الجزائر وتونس كان قد بلغ الذروة في هذه الفترة، و لم يجد بايات تونس غير التحالف مع الطرابلسيين للفتك بداي الجزائر الذي أرغمهم على تأدية الأموال و الهدايا. أمّا أبناء الشريف فكانت علاقاتهم مع حكّام الجزائر متوترة للغاية، وعند اعتلاء المولى إسماعيل سارع إلى تنفيذ رغبة أجداده القاضية بالتوسع باتجاه الغرب على حساب أراضي الإيّالة الجزائرية.

ومما لاشكّ فيه أنّ حكّام الجزائر كان لديهم الخبرة بما يكفي لرد كيد هؤلاء، فالحملات الأوربية المتتالية على مدينة الجزائر والإنتصار عليها جعل من السهولة بمكان خوض حروب ثانوية كهذه، على الرغم من أنّ الفرنسيين كانوا يزودون أعداء الجزائر من البايات التونسين أو الجيوش الإسبانية بالعتاد والرجال، والأهم من ذلك كله الخبراء العسكريين. لقد كان هذا التآمر السري مفضوحا لدى الجزائريين، فطبيعة الفرنسيين لم تتغير منذ القرن السادس عشر في تعاملاتهم مع حكّام الجزائر وبحارتها، لقد أشغلت هذه الاعتـــــــداءات المتوالية حكـّام الإيّالة عن مسائل أكثر حيوية وجعلتهم يعوضون تلك الخسائر الملحقة بهم، رغم إنتصاراتهم في كل مرة بدل القيام بمشاريع نافعة وعليه أصبحت مهمة الجيش الجزائري أثناء الحكم العثماني مهمة دفاعية بالدرجة الأولى، قائمة على تقوية الدفاعات والثغور وغيرها والتجييش وشراء العتاد ما من شأنه إفراغ الخزينة التي بدأت حقا مداخيلها بالنضوب شيئا فشيئا في هذه الآونة.

أولا– التنافس الأوربي ضد الجزائر1679– 1682م:

إتسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية بالتوتر تارة والتقارب تارة أخرى، وهذا نتيجة إخلال فرنسا بشروط الإتفاقات في كل مرة وتحججها بأسباب واهية، فالتصرفات الأحادية التي كان يقوم بها الرياس كانت معزولة، فبحّارتها أيضا كانوا يقومون بالأفعال نفسها، و ما يشد الإنتباه أنّ فرنسا وبالرغم من أنّها كانت هي من تنقض الإتفاقيات كانت هي كذلك من تقوم بمحاولات لإعادة العمل بالشروط السابقة، بواسطة تهديداتها اللامتناهية، بيد أنّ دايات الجزائر لم يكونوا من أولئك الذين يخشون التهديدات، وما يُقدم للأوربين من تنازلات كان نتيجة ظروف قاهرة تمر بها الإيّالة، تلافيا لمشاكل أكثر وليس خوفا، كما كان يفسرها الأوربيون، مثل ما حدث مع الأميرال الإنجليزي "سبارغا".

ولم يتمكن حكام البلدين من إعادة السلام، بسبب تعنت الفرنسيين عندما غدروا بالجزائريين أثناء مبادلة الأسرى وأرسلوا بدل الجزائريين أندلسيين مصابين بأمراض مختلفة، وحتى الملك لويس الرابع عشر على الرغم من إلحاح القنصل "بيير لوفاشي" على إرجاع الأسرى الأتراك الذين تم إلقاء القبض عليهم أثناء هروبهم من السفن الاسباينة؛كان قد قرر عدم إرجاعهم، بل زاد على ذلك بقوله" ...إقامة معاهدة مع هؤلاء اللصوص لا تليق بملك فرنسا ..."[1]. لقد بلغت الهجمات الأوربية على إيّالة الجزائر الذروة؛ ولا يمكن وصفها بتلك الحدة التي بلغتها؛ فبعض منها كان منفردا والسبب في ذلك يعود إلى محاولات الحصول على ترضيات أو إنتصارات خاصة؛ دون مشاركة وتحت عَلَمِ دولة أخـــرى وإنْ حدث العكس تضطر إلى الدخول في تحالفات، ويبقى الهدف المنشود من وراء ذلك هو النيل من الجزائر.

بقيت الجزائر شامخة ولم تنحن لهذه الهجمات المتتالية؛ و كذا التهديدات، فهذا أحد المعاصرين يقول عنها بأنّها على الرغم من كونها لوحدها كانت تحارب العالم أجمع [2]. وفي إطار هذا السياق عينت فرنسا مفاوضا وأرسلته إلى الجزائر يُدعى "فرانسوا دو ترويير"، وعلى ما نظن هو الذي توصل إلى الإتفاق السابق لعام 1666م، حتى أُعتبر أنّه سينجح في كل مهماته التفاوضية، وعليه كان يستعمل أسلوب الترهيب بتبليغ الداي بأنّ ملكه سيرسل الحملات العسكرية لضرب مدينة الجزائر، وأنّ ملكه لويس الرابع عشر يسعى لإنهاء خلافاته مع أوربا للتفرغ للجزائر.

يبدو أنّ تهديدات ترويير كان لها مصداقية ففي العام نفسه كان قد حلّ أسطول حربي فرنسي قبالة ميناء الجزائر يتكون من 8 بوارج حربية؛ وطالب الداي بتحرير الأسرى والإعتذار على ما حصل، وفي تلك الأثناء فرّ 46 أسير مسيحي، مما أدّى بالداي إلى المطالبة بإرجاعهم ولكن المفاوض قطع الإتصالات خوفا على حياته وتبخرت كل آمال الفرنسيين للحصول على مطالبهم[3].

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص418.

(2) Mercier (Ernest), Histoire de L'Afrique Septentrionale, 3T, Paris, Ernest leroux, édition,1891, T3,p253.

(3) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص82.

1- الإتفاق الجزائري الهولندي 1091هـ/ 1680م:

قبل الخوض في هذا الإتفاق يُذكر أنّه بتاريخ 11مارس 1679م، تقدّمت فرنسا بمشروع إتفاقية مع الجزائر تضمنت 13 بندا، أهمّها كان يخص التجارة والأسرى [1] ، كان هذا العرض من الأهمية بما كان؛ وللأسف لم نعثر عليه في كتاب المراسلات لأوجين بلانتي، على أنّ هذه المراسلات كانت من طرف الداي؛ وليس العكس حيث انقطعت في الفترة ما بين سنتي 1675م و1683م.

لم يكن الهولنديون هم وحدهم المتضررين من عمليات رياس البحر الجزائريين؛ بل حتى الإنجليز، وهؤلاء كانوا قد جربوا منطق القوة ضد حكّام إيّالة الجزائر، ولم يفلحوا، لقد كان هذا قبل ثلاثة عشرة سنة قد خلت. ومهما يكن من أمر فإنّ التحالفات التي جعلت من الإنجليز يبرمون الصلح مع الجزائر هو توصل الهولنديين لذات الغرض، هذا فضلا عن تعكر صفو العلاقات الجزائرية الفرنسية. وتشير الإحصاءات أنّ خسائر الإنجليز في البحر المتوسط من قِبَلِ البحرية الجزائرية كانت كبيرة جدا، حسب إحصاءات مختلفة، حيث بلغت ما يربو عن 350 مركبا، و 6000 أسير[2]، وتُعد هذه الخسائر جسيمة إذا ما تم مقارنتها بخسائر الدول الأخرى.

لم يكن هناك خيار آخر أمام هؤلاء غير الإستسلام للأمر الواقع؛ الذي يتمثل في وجود قوة بحرية مسيطرة في البحر المتوسط في هذه الفترة، هي البحرية الجزائرية، فقد تُوج التقارب بعقد إتفاقية مخزية بالنسبة للطرف الإنجليزي؛ إذْ كانت تقريبا كل شروطها لصالح الجزائريين. وعلى أية حال فهي تُشه إلى حد كبير شروط الإتفاق مع الهولنديين ويصفها القنصل الفرنسي لوفاشي بأنّها كانت مَعَرَّةً للإنجليز [3]. لم يخرج هذا الوصف عن إطار الحقد بين القوتين وتنافسهما الواضح على الجزائر.

لا يخفى على أحد ذلك التنافس السري بين القوى الأوربية؛ لكسب ودّ الجزائر، طالما أنّ بحريتها كانت في أوج قوتها، فالإنجليز كانوا جد قلقين من التقارب الجزائري الهولندي كذلك، لأنّ السفن الإنجليزية كانت هي الغنائم بالدرجة الأولى للبحارة الجزائريين، وهولندا كانت قد أمّنت حركتها البحرية في المتوسط، أما فرنسا فعلاقاتها لا زالت غامضة وهذا ما إضطر الإنجليز إلى القبول بالإتفاق السابق[4]، وعليه كانت المصالح الإقتصادية أو بالأحرى الحصول على الغنائم هي القضية الأساسية للجزائريين، وبالتالي ستتحول أنظار البحارة الجزائريين للإستيلاء على السفن الفرنسية وتعقّبها أينما حلّت؛ ولا شكّ سيكون ذلك وبالا عليها.

---

(1) Edgad Rouard (De Card), Op, Cit, pp37-39.

(2) مروش لمنور، المرجع السابق، ص ص343- 344.

(3) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص19.

(4) جون وولف، المرجع السابق، ص338.

شهدت نهاية القرن السابع عشر حروبا بحرية ضارية في عرض البحر المتوسط، هدفها الرئيسي هو الحصول على الغنائم، ولم تكن هذه الحرب مقتصرة على الدول المطلة عليه بل تعدت إلى دول أخرى؛ كالإنجليز والهولنديين إنّ هؤلاء رسموا أهدافا تقضي بايجاد موطئ قدم لسفنهم البحرية في العالم المتوسطي، وعليه وجهوا هذه السفن لتمخر عبابه. ومن المؤكد أنّ هؤلاء كانوا على علم بأنّ الأسطول الجزائري يكاد يسيطر على عرض مياه هذا المسطح الشاسع.

وبعد وُلوج سفن الدّولتين إلى المتوسط تضررت بشكل كبير، بل كانت غنائم سهلة المنال للجزائريين وعليه فقدوا أعدادا كبيرة من السفن، فضلا عن البحارة الممتازين، من أمثال البحار الهولندي رويتر، هذا ما جعلهم يعقدون صلحا مع الجزائر لتلافي خسائر فادحة. وتسنى لهم ذلك في 01ماي 1680م، إذْ تتكون الإتفاقية من 21 بندا أهمها:

أ– تزويد الجزائر بالمدافع الكبيرة والذخيرة الحربية منها (500 برميل بارود و500 قذيفة).

ب– تزويدها بالصواري والمراكب البحرية.

جـ– إمدادها بلوازم السفن من الحبال والقلاع والحبال الحديدية (الكوابل).

د– تجديد المعاهدة كلّ عام[1].

هـ– طلب توضيحات حول معاملات اليهود مع بني جنسهم في الجزائر وأمستردام[2].

كانت فرنسا منزعجة حيّال هذا التقارب غير المتوقع، فبادرت إلى إرسال وفد عنها، للنظر في قضية العلاقات بين البلدين، يترأّسه الأميرال "دوكين" و "هايت"؛ محافظ البحرية الفرنسية، وشخصيات أخرى مهمة، لم يكن التفاوض من أجل قضية واحدة بل كانت قضايا متعددة الجوانب، وكانت قضية تحرير الأسرى قضية رئيسية، لأنّ هؤلاء عند حلولهم بالجزائر كانوا يصطحبون عددا كبيرا من الأسرى الجزائريين ليتم تبادلهم. ومهما يكن من أمر فقد دخل الوفد في مفاوضات عسيرة، وفجأة غادر الوفد الفرنسي دون سابق إنذار، وأرجعوا معهم الأسرى الجزائريين محبطين [3]. لقد كان تخوف الفرنسيين في محله لأنّ هولندا نجحت في إبرام إتفاقية مع المغرب كذلك في 13ديسمبر 1682م[4]، كما نجح الإنجليز في عقد إتفاق مع الجزائر سنذكره في أوانه. ونستنتج من مغادرة الوفد الفرنسي النقاط التالية:

أ– تصلب الموقف الجزائري في المفاوضات لكي تبقى السفن الفرنسية هدفا للجزائريين.

ب– عِلْمُ الفرنسيين بالإتفاقين الجزائري الهولندي والجزائري الإنجليزي بعد حلولهم بالجزائر.

جـ– إستفزاز الجزائر لكي تكون هي من تُعلن الحرب ثم إتخاذ إجراءات ضدها.

د– إغتنام الفرصة للي ذراع الجزائر والحصول على إتفاق قبل توقيع الصلح مع الإنجليز.

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص84.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص336.

(3) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص84.

(4) اليفرني محمّد الصغير، روضه التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تحقيق بن منصور عبد الوهاب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط1995م، ص ص91- 96.

2- الإتفاق الجزائري الإنجليزي 1093هـ/ 1682م:

لم تتطور الأمور على صعيد العلاقات مع فرنسا، على الرغم من الحرب المعلنة بينهما، من جراء توقف المفاوضات السابقة، ولم تكن السفن الإنجليزية لقمة سائغة كما تصور رياس البحر الجزائريين، ذلك أنّ أمورا أخرى قد طرأت ولعلها تكمن في تغير إستراتيجية الأسطول الإنجليزي التي أصبحت أكثر فاعلية عندما آلت إمرته للأميرال "آرثر هربرت" (Herbert-A)، إستطاع هذا القائد أنْ يأسر مركبين جزائريين، كما أجبر طاقم سفينة ثالثة ذات قوة 14 مدفعا على اللجوء للشواطئ ، بيد أنّه لم يجبرها على الإستسلام أو حتى الدخول في مفاوضات، لقد أضحى هذا القائد يُشكل تهديدا حقيقيا للأسطول الجزائري[1].

تلبدت سحب الحرب في الأفق ثانية بين الجزائر وفرنسا، وبقي المارسليون ومن ورائهم الملك لويس الرابع عشر يتجاهلون مطالب الجزائريين[2]. لذا حاول الإنجليز اغتنام تلك الفرصة بعقد إتفاق مع الجزائر للإبقاء على حالة التنافر مع الفرنسيين[3]. في حين كان الأسطول الإنجليزي خلافا لما ذكرنا؛ قد ألحق بالبحرية الجزائرية خسائر معتبرة، ليس لكثرتها و إنما لطبيعتها، فقد تم أسر سفينة الحصان الذهبي ذات 39 مدفعا، ووردة الجزائر 22 مدفعا، وجنوة الكبيرة ذات 36مدفعا، فضلا على أسره لـ 900 شخص بين جزائريين وأتراك وحرّر 200 أسير مسيحي.

لم تُثن هذه العقبات إبرام الإتفاق، فكل منهما كان ميالا للسلم، ولكن كان هناك ما يدعو إلى التروي فقد حدث أنْ أخبر بعض التجار الإنجليز الداي "بابا حسن" بأنّ الأسطول الإنجليزي لن يظل طويلا في البحر المتوسط لإرتفاع التكاليف، غير أنّ الرغبة في عقد السلم لدى الداي كانت أشد وطأ من همس التجار الإنجليز [4]، وما شجع الملك "شارل الثاني" على ذلك هو تلك الرسالة التي بعث بها الملك المغربي يخبره فيها بضعف الجزائر ومدينة سلا المغربية[5]. لسنا ندري إنْ كانت هذه المعلومات صحيحة فكيف يغري الملك الإنجليز بأحدى مدن مملكته !!

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص ص338- 339.

(2) بقيت العلاقات متوترة بين الجزائر وفرنسا لمدة ثلاث سنوات تقريبا، أي من تاريخ أسر الريس حسين ميزومورتو لعدد من الفرنسيين؛ وتلا ذلك مشاحنات بين الطرفين إلى أنْ امتنع المارسليون على إعادة الأسرى الجزائريين، وفي هذا الصدد كان قد وفد دوكين إلى مدينة الجزائر وقابل الداي والديوان عارضا عليهم بعض المظالم التي زعم أنّ الفرنسيين قد تعرضوا لها، كما عرض عليهم جملة من المطالب. ولكن تفشي وباء الطاعون وإنفجار مخزن البارود في غضون شهر فبراير1681م، كان قد عكّر سير المفاوضات، بيد أنّها استؤنفت في الأشهر اللاحقة من السنة نفسها، عندما أُرسل وفد ثان يتزعمه هايت وتورفيل للمطالبة بتوقيع المعاهدة، التي تضمنت بالأساس أنّه من غير الممكن أنْ يكون الفرنسيون عبيدا بالجزائر من هذه اللحظة فصاعدا، فوافق الديوان بشرط أنْ يطلق كذلك سراح الأسرى الجزائريين الذين قضوا مدة طويلة في الأسر. لقد علم حكّام الجزائر من خلال رسائل للأسرى بأنّهم قد أُعيدوا لسفن الأسطول المتجه نحو الشرق كمجدفين وعليه عمّ في الجزائر سخط عام وقرر الديوان في 18 أكتوبر من السنة نفسها إعلان الحرب على فرنسا، فرياس البحر الجزائريين كانوا في هذه الفترة قد أسروا 300 مسحي و حجزوا 29 سفينة فرنسية. للمزيد حول الموضوع ينظر:

De Grammont (H, D), Histoire d'Alger ..., Op, Cit, p247.

(3) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص19.

(4) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص84.

(5) قرباش بلقاسم، "تاريخ الجزائر العثمانية في الكتابات الإنجليزية"، مجلة عصور الجديدة، العدد11-12، جامعة وهران 2013-2014م، ص239.

وعليه إنطلقت المفاوضات وتُوجت في الأخير بإتفاقية بين الطرفين يوم 10 افـــريل1682م، وتتألـــف من 22 بندا [1]. كانت الإتفاقية الموقعة السالفة الذكر هي أساس العلاقات بين الدولتين و كنا قد عثرنا على بنود هذا الإتفاق كاملة بعد عملية بحث شاقة. ويشد الإنتباه أنّ أمير البحر الإنجليزي كان قد أوصى حكومة بلاده ببعض النصائح التي يكون هؤلاء قد عملوا بها وهي سياسة جديدة بالنسبة لهم، ومن أبرز توصياته نذكر:

أ– تنصيب الضابط جونيفيل قنصلا في الجزائر.

ب– ضرورة الإبقاء على بعض السفن من الأسطول الإنجليزي تجوب عرض البحر المتوسط؛ من مضيق جبل طارق حتى حتى سواحل شمال إفريقيا.

جـ– رفع مرتب القنصل الإنجليزي في الجزائر، و منحه أموالا للرشوة، للمحافظة على السلام مع الجزائريين وتدفع الحرب مع الأمم الأخرى، إذْ يتم توفير أموال ضخمة في حالة تلافي الحرب.

د– على القنصل أنْ يختار مترجمه الخاص بنفسه[2].

سبق توقيع هذه الإتفاقية، توقيع الهولنديين لإتفاقية مع حكّام الجزائر في سنة 1680م[3]، وقد تشابهت بنود الإتفاقيتين إلى حد كبير، خاصة ما تعلق بإمداد الجزائر بالعتاد المختلف للسفن والذخائر الحربية من المدافع وغيرها [4] ومن بين بنودها نذكر:

أ– تخلي الأميرال الإنجليزي عن 350 سفينة لصالح الجزائريين؛ كان رياس البحر قد غنموها.

ب– إطلاق سراح الأسرى الجزائريين وإمداد الجزائر بعتاد حربي ومؤن كبيرة[5].

وعلى ما يبدو أنّ الفرنسيين ستصبح سفنهم غنائم للبحارة الجزائريين، لذا وصفوا إتفاقية الإنجليز بالمخزية جدا وتمنوا كم من مرة عدم التوصل إلى عقدها.

---

(1) قرباش بلقاسم، المرجع السابق، ص231.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص340.

(3) سعت هولندا ومن بعدها إنجلترا إلى توقيع إتفاقيتين كل على حدا مع الجزائر، إذ تم بموجبها شراء الحبوب ذات النوعية الجيدة من الجزائر مقابل بيعها الأسلحة والذخائر، فالهولنديون حسب الإتفاقية المؤرخة في 1ماي 1680م، تعهدوا بتزويد الجزائر بالبارود والصواري والكابلات والقاذفات والبنادق. للمزيد حول الموضوع، ينظر Paul(Masson), histoire des établissements et du commerce Français, dans l'Afrique Barbaresque, 1560-1793 Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Paris, librairie Hachitte, 1903, p157.

(4) بلانتي اوجين، مراسلات دايات الجزائر...، ج1، المرجع السابق، تهميش ص291.

(5) نايت بلقاسم مولود بلقاسم، شخصية الجزائر وهيبتها الدولية قبل 1830م، ج1، ط1، دار الامة، الجزائر 2007م، ص190.

ثانيا– التحالف الفرنسي المغربي ضد الإيّالة 1093هـ/ 1682م:

إرتبطت العلاقات الجزائرية الفرنسية إرتباطا وثيقا بتلك الأحداث التي كانت تمرّ بها أوربا، لذا فالتأثير كان مباشرا على الجزائر، وفي هذا الإطار سارعت فرنسا إلى تقليم أظافر أعدائها، خاصة الإسبان الأعداء التقليديين ثم الهولنديين، الذين عقدوا للتّو معاهدة مع الجزائر، وصقلية والمدن الإيطالية الأخرى. ويُذكر أنّ العلاقات العثمانية النمساوية كانت متوترة هي الأخرى [1]. لقد كانت فرنسا على يقين من أنّ عمليات الأميرال "دوكين" لن تكون كافية لإخضاع الجزائر، و كنتيجة لذلك عمد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، إلى عقد إتفاقية مع أعداء الجزائر والمتربصين بها، ألا وهو الملك المغربي المولى إسماعيل العلوي، ففي يوم 29 جانفي 1682م، أمضى الملكان الفرنسي والمغربي على إتفاقية سان جرمان، وتم الإقرار فيها على ضرورة التعاون بين الطرفين[2]، وبالتالي توحيد الجهود ضد الجزائر[*].

نستشفّ من خلال هذا الإتفاق الثنائي أنّه كان بمثابة تحالف ضد إيّالة الجزائر، لأنّ السبب الرئيسي الذي إدعته فرنسا لضرب إيّالة الجزائر هو ما ورد في إحدى رسائل القسيس جان لوفاشي في عام 1681م، التي تضمنت تقريرا جاء فيه" ..لا تزال قوات البحرية الجزائرية تساعد قراصنة سلا (جمهورية أبي الرقراق) على النزول بميناء مدينة الجزائر وبها تباع الغنائم التي أُخذت من الفرنسيين، وعندما تَدَخَلْتُ بخصوص هذه المظالم لدى السلطات كانت إجابتهم بأنّ هؤلاء القراصنة إخوانهم في الدين، ويمكن في كثير من الحالات تقديم لهم يد العون والمساعدة وإذا اقتضت الظروف أمددناهم بسفننا عند الحاجة..." [3]. لقد رأت السلطات الفرنسية أنّ نشاط بحارة سلا في عهد المولى إسماعيل قد زاد أكثر مما كان، وعليه كانت السفن الفرنسية والأسرى الفرنسيين والمسيحيين غنيمة لهم [4]، الأمر الذي جعلها تتخذ هذه الخطوة للتقليل من حجم خسائرها، وحتى لقطع التقارب الإنجليزي الهولندي مع المغرب، فالدبلوماسية الفرنسية كانت ليست غافلة عن تزايد نشاط البحارة وتزايد نفوذ الدول الأخرى.

لم تكن هذه الأسباب الوحيدة التي دفعت بفرنسا إلى الدوس على شروط الإتفاقية السابقة لعام 1666م بل هناك سبب آخر كان له التأثير الأكبر لدفع فرنسا للقيام بهذه التصرفات، يتمثل في المكانة السياسية الفرنسية التي تضعضعت في القارة الأوربية في محاولة منها لردّ الإعتبار لهذه الهيبة الضائعة[5].

---

(1) خوجة حسين، المصدر السابق، 398.

(2) حنيفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص61.

(*) ينفي التازي عبد الهادي أنْ يكون المغرب قد دخل في تحالف مع الفرنسيين ضد الجزائر، ولكن كيف نفسر الهجوم المغربي أثناء أو بعيد حملة دوكين لعام 1682م. للمزيد حول الموضوع ينظر: التازي عبد الهادي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب الأقصى من أقدم العصور إلى اليوم، مج 9، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، مصر 1988م، ص ص13-14.

(3) حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2007م، ص122.

(4) Jacques Caillé, Le consul Jean-Baptiste Estelle et le commerce de la France au Maroc à la fin du XVIIe siècle, R.F.H.O.M, paris1959, N°162,V46, p9.

(5) وولف جون، المرجع السابق، ص343.

أما بالنسبة للمغرب فقد كان هذا التحالف نتيجة لطموحات ملكه الزائدة بالتوسع على حساب الجزائر؛ إذْ نجده قد فشل في تحريض سكان تلمسان على الثورة ضد حكم الجزائر والأكثر من ذلك هزيمته في وادي الشلف عام 1676م[1]. وعليه كانت لديه نية للإنتقام والتحالف مع أعداء الجزائريين الذين باتوا كثر في هذه الفترة. وعليه لن يفوت فرصة كهذه.

1- دور فرنسا:

بعد أنْ اقتنع لويس الرابع عشر برأي وزيره في ضرورة التحرك العاجل لضرب مدينة الجزائر، يكون المنادون بتفادي أسلوب الحرب قد فشلوا فشلا ذريعا في مساعيهم، ومن أبرز هؤلاء القس لوفاشي، كما ذكرنا ذلك سابقـــا وحتى مدير الباستيون و كلاهما يعملان في الجزائر[2]، لقد كان لكلا الشخصيتين المعارضتين مآرب وعلى الأجدر لم تكن مصالح وطنية بالدرجة الأولى؛ يظهر ذلك من خلال منصبيهما فكل الدلائل تشير إلى أنّهما يحاولان المحافظة على إمتيازاتهما لا غير. وحتى ديوان الجزائر كان يعاني من مشاكل جمة، ولعل أبرزها عدم قدرة الداي على إدارة شؤون الإيّالة نتيجة تقدمه في السن، ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي ثبتت فيها نوايا الملك الفرنسي لويس تجاه الجزائر، فهي على أكثر تقدير إحدى سمات شخصيته المتعجرفة والمتهورة؛ فالمحاولات المشابهة لهذه كانت كثيرة، إذْ تُذكرنا بالتريبات والحماس الشديد، الذي صاحب حملته على مدينة جيجل منذ ثمانية عشر سنة قد خلت.

إعتلى "ابرهام دوكين" (Abraham Du Quesne)، قيادة الأسطول الملكي الفرنسي للقيام بهذه المهمة النبيلة حسب زعمه، وعلى أي حال تألفت الحملة من 33 مركبا بحريا وبضعة آلاف من الجنود، و كانت قد غادرت ميناء طولون في يوم 12جويلية 1682م، ويذكر صاحب الزهرة النائرة أنّها كانت تتكون من 60 مركبا مختلفة الأنواع والأحجام، وأنّها أتت على دفعتين[3]. ومهما يكن من أمر تجهيزات الحملة فقد وصل الأسطول قُبالة سواحل الجزائر يوم 23 من الشهر نفسه، إذْ عرج على مدينة شرشال وشرع في قصفها، و كلفته هذه الهجمة ما بين 40 قتيـــلا وجريحا في حالة خطرة، كما وجد نفسه قد ضيع وقتا كبيرا للوصول إلى مدينة الجزائر هدفه الرئيسي لتدميرها [4].

لسنا ندري نوايا دوكين الحقيقية، ولكن من خلال هذه العميلة كان له هدفان أساسيان يقوم بهما يتمثل الأول في إبراز عضلاته وقوته على الميناء الصغير لإخافة القائمين على دفاعات مدينة الجزائر، وأما الثاني يكون هذا الأميرال له نية التخريب وإلحاق الأذي بالجزائر وطنا وأهلا، بيد أنّ تخميناته كانت خاطئة، وظل دوكين يستعرض قواته قبالة مدينة الجزائر التي وصلها يوم 29 من الشهر نفسه لعله يجد مكانا ملائما لقصفها.

---

(1) حنيفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص61.

(2) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص85..

(3) التلمساني الجديري، المصدر السابق، ص20.

(4) De la Ronciére (M-CH), le bombardement d' Alger en 1683 d' après une relation inédite, Paris, I.N.F, 1916, p8.

وبما أنّ الداي وديوان الجزائر كان لا يحبذ الحرب بل يرجح كفة السلم من خلال عرض السلم على هذا القائد الذي منعته كبرياؤه من ذلك وجعلته يتحدى دفاعات المدينة، ولا يبالي بعرض التفاوض طالما كانت الجزائر هي التي أعلنت الحرب على فرنسا وليس العكس كالمرات السابقة. والسبب يعود إلى خرق فرنسا لإتفاقية عام 1666م عندما أسرت عددا من الجزائريين وفشلت كل الجهود الديبلوماسية لاستعادتهم.

هناك فترة زمنية بين وصول الأسطول الفرنسي إلى ميناء الجزائر وبداية قصف المدينة؛ بالقنابل حسب المصادر وجون وولف يروي لنا أنّ بداية القصف كانت يوم 20 أوت، بينما كان وصوله إلى الميناء يوم 29 من الشهر الفارط[1]. ولسنا ندري الوقت الذي قضاه دوكين أمام مدينة الجزائر يجوب مياهها شرقا وغربا؛ خاصة أنّه كان رافضا لمبدأ التفاوض كما أنّه يعرف جيدا طبيعة الجزائريين والشروط التي قد يقدمونها. لقد وصف لنا ابن زاكور الذي كان موجودا حينئذ وصول الحملة وحجمها بقوله" ...وغص بسفائن النصارى بحرها...[2]، دلالة على كثرتها.

ومهما يكن من أمر فإنّ دوكين قد إقتنع في الأخير بقصف المدينة، وعليه شرع في ذلك دون انقطاع إذْ أمطرها بوابل من القنابل المختلفة الأحجام، وظلّ على هذه الحال حتى تاريخ الثاني عشر من شهر سبتمبر [3]. يُلاحظ أنّ الأمر الذي كان يحفز دوكين على عدم التفاوض تلك الثقة الزائدة بنفسه ومعنوياته المرتفعة، بل ويقينه بأنّ المدينة ستستسلم حال بداية القصف، وأنّ حملته ستنجح لا محال ما دام يحوز على سلاح جديد وهو مـــدفع الهاون، الذي كان يطلق قذيفة ضخمة من المتفجرات على مسافة 1350مترا[4].

يروي المؤرخ الامريكي دائما أنّ القصف كان أيام 20-21-22 من شهر أوت ثم يوم 26، أما يوم 30من الشهر نفسه فقد تم تجريب مدفع الهاون الذي أطلقت من خلاله 140 قذيفة على المدينة. وفي تلك الأثناء يُذكر أنّ قوات المقاومة الجزائرية حاولت الهجوم على الأسطول المعتدي، ولكن كثافة النيران التي كان يطلقها لم تدع لهم سبيل لذلك، وظلت الأمور على حالها. و كان دوكين قد يئس من صمود المدينة وعدم فائدة سلاحه الجديد، لا سيـــما وأنّ فصل الخريف قد اقترب، حيث الأحوال الجوية تكون غير مساعدة على الإبحار إطلاقا، ففكر في الإنسحاب بدل المجازفة بالبقاء دون جدوى، أو سيصبح لقمة سائغة للبحارة الجزائريين عند هبوب الرياح الشمالية. وعليه غادر الأسطول المهزوم مياه مدينة الجزائر يوم 12 سبتمبر، على الرغم من محاولات الداي بابا حسن للتفاوض وإنهاء أمر القصف غير أنّ عجرفة دوكين حالت دون ذلك، و كانت المدينة قد تعرضت لخسائر كبيرة للغاية[5].

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص344.

(2) ابن زاكور مُحَمَّد الفاسي، رحلة ابن زاكور، تحقيق مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، الناشر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011م، ص74.

(3) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 19.

(4) حنيفي هلايلي،أوراق...، الرجع السابق، ص61.

(5) وولف جون، المرجع السابق، 344.

– نتائج الحملة:

خلّفت الحملة نتائج وخيمة على كلّ المستويات؛ وبالنسبة للطرفين، وعلى الرغم من فداحة الخسائر التي تعرضت لها مدينة الجزائر، فإنّ وقع الفشل في الإستيلاء على المدينة كان أكثر أثرا من أعمدة الدخان المتصاعد منها سواء على الفرنسيين أو على ملكهم، ونصنف نتائجها حسب كل طرف كما يلي:

أ– الجزائر:

أ.1– مقتل 500 شخص.

أ.2– تسجيل خسائر معتبرة في ميناء الجزائر من الرصيف إلى العتاد والسفن[1].

أ.3– تحطيم 500 بناية[1]، في حين يورد صاحب الزهرة النائرة أنّ عددها ما يربو عن 200 منزلا في ليلة واحدة وفي ليلة أخرى هدموا جامعين وحمام ومنزل[2].

أ.4– وصف أحدهم بأنّ الأضرار التي لحقت بمدينة الجزائر بالطفيفة، سواء ما كان في الميناء، أو حتى في بناياتها[3].

ب – فرنسا:

ب.1– إصابة الملك لويس الرابع عشر ووزيره كلوبير بخيبة أمل كبيرة، نتيجة الفشل الذي صاحب الحملة والحلم الذي تبدد للقضاء على المدينة؛ كابوس فرنسا والمسيحية.

ب.2– عدم فعالية مدفع الهاون، السلاح الذي عوّل عليه دوكين والفرنسيين في تدمير المدينة[4].

ب.3– تكبد الفرنسيين لخسائر مادية معتبرة[5].

ب.4– حصول دوكين على لقب ماركيز وهبة مالية تقـــــدر بحوالي 100 ألف فرنك نظير خدماته في الجزائر وجزيرة صقلية وغيرها من المناطق المستهدفة بالنسبة لفرنسا[6].

ب.5– العزم على توجيه حملة فرنسية أخرى بقيادة الماركيز دوكين نفسه في السنة الموالية.

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص344.

(2) التلمساني الجديري، المصدر السابق، ص20.

(3) ابن عبد الكريم محمّد، المرجع السابق، ص19.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص344.

(5) ابن عبد الكريم محمّد، المرجع السابق، ص19.

(6) وولف جون، المرجع السابق، ص344.

2- دور المغرب:

عندما كانت المدفعية الفرنسية تدك حصون مدينة الجزائر دكا، كان وضع الدّاي والدّيوان معا لا يحسدهم عليه أحد، ففي هذه الأثناء كان المولى إسماعيل المغربي (*) قد أمر بإعداد محلة كبرى للزحف على مدينة تلمسان [1] و كله عزم على الإنتقام لهزيمته ومساندة الجزائر لابن محرز أحد مناوئي حكم الملك المغربي (**). وفي هذا المقام يخبرنا أحد المؤرخين المغاربة عن هذه الحملة بقوله"..وفي عام ثلاثة وتسعين وألف،، توجه السلطان لحركة الشرق، فنهب بني عامر، ورجع لمكناسة، وأمر بإخراج أهل الذمة من المدينة، وبنى لهم خارجها ببريمة، ثم بلغه أنّ الترك جاؤوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل، وأنّ كلامهم مع ابن محرز راسلهم وراسلوه، وبلغه أيضا ذلك من خليفته بمراكش، فكتب له أنّ يبقى في حراسة أحمد بن محرز، إلى أنّ يرجع من حركة تلمسان، وخرج بالعساكر للقاء الترك.." [2]. نستنتج من خلال ما سبق أنّ حملة الملك المغربي على تلمسان لم تكن مرة واحدة فقط بل كانت لمرتين وفي سنة واحدة هي 1682م، على أنّ الحملة الثانية هي التي كانت متزامنة مع الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر.

أرسل الدّاي بابا حسن بحامية عسكرية عن طريق البحر لنجدة مدينة تلمسان، حيث تظافرت جهود الحملة العسكرية الجزائرية المرسلة مؤخرا بمعية أهالي تلمسان من هزيمة جيوش الملك المغربي [3]. كانت عمليات الدفاع عن عاصمة الإيّالة وحدودها الغربية تتطلب مجهودات أكثر، وهذا ما لوحظ في إدارة الدّاي بابا حسن للأزمة، إدارة تظهر الحزم والتحكم في الوضع، خاصة وأنّ المواجهة كانت ضد تحالف بمكانين مختلفين، الأمر الذي سيشتت دفاعات الجزائر لا محال. وحسب التقديرات يتضح أنّ المواجهة ضد المغرب كانت بعد رحيل دوكين عن مدينة الجزائر مباشرة لأنّ الحامية إذا كانت قد بعث بها الدّاي فحتما ستنطلق من ميناء مدينة الجزائر؛ الذي كان محاصرا في هذه الفترة. على أنّ دوكين لن يكون هذا آخر عهده بالجزائر فسيعود إليها العام المقبل.

(*) لم نعثر على تاريخ الهجوم المغربي بالضبط، وما يجب الإشارة إليه أنّ علاقات المولى إسماعيل المغربي كانت على ما يرام مع ملك فرنسا لويس الرابع عشر وحتى مع الجزائر في بداية حكمه ولكن توترت العلاقة مع داي الجزائر للأسباب التي سنذكرها لاحقا. أما مع فرنسا فقد بقيت مستقرة وكانت هناك سفارات كثيرة بين الجانبين خاصة في الفترة التي تلت هذه الحادثة، الأمر الذي يثبت مرة أخرى بوجود تحالف بين الطرفين ضد الجزائر. ينظر: ابن زيدان عبد الرحمن العلوي، العلائق السياسية للدولة العلوية، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط199م، ص ص49-50.

(1) الضعيف مُحَمَّد الرباطي، تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق العماري أحمد، ط1، دار المأثورات، الرباط 1986م، ص65.

(**) تعد ثورة الأمير أحمد بن محرز بن المولى الشريف وابن أخ المولى إسماعيل، واحدة من أهم الثورات الداخلية التي نشبت على إثر التقاتل على السلطة بالمغرب الأقصى، بسبب أنّ صاحب الثورة كان واليا على فاس، ورفض بيعة عمه، وهو ما جعله يعلن الثورة، ويخبرنا التازي بأنّ حكّام الجزائر كان لهم تأثير في إستمرار هذه الثورة عندما إتصلوا بابن محرز وساندوه بشرق المغرب، وظن المولى إسماعيل بأنّ ثورة ابن أخيه قد انتهت بعقد إتفاقية مع الجزائر، ولكن الملك المغربي إكتشف إتصالات سرية ومنظمة بين الجزائريين وصاحب الثورة بالجنوب المغربي سنة 1681م، إذْ اعتبره موجه ضده بالأساس كما حسبه تدخلا في شؤون مملكته الداخلية، وعليه سارع بالاحتجاج لدى السلطان العثماني مُحَمَّد الرابع. ينظر: اليفرني مُحَمَّد الصغير، المصدر السابق، ص ص 68- 70. و أيضا: التازي عبد الهادي، المرجع السابق، ص13.

(2) حنيفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص61.

(3) الزياني ابو القاسم، الظريف ...، المصدر السابق، ص165.

3- التعنت الفرنسي و توجيه الحملة الثانية 1094هـ/ 1683:

كنّا قد توصلنا إلى جملة من النتائج المتمخضة عن حملة دوكين الأولى على مدينة الجزائر، والتي كانت مخيبة لآمال الملك ووزيره أيضا. وعلى العكس من ذلك بالنسبة للجزائريين فقد كانت إنتصارا عظيما لولا جسامة الخسائر المادية والخوف الذي ملأ قلوب قاطني المدينة. إنّ الهزيمة التي تلقاها لويس الرابع عشر جعلته يُفكر في حملة ثانية عله ينتصر فيها، وينتقم من الجزائريين ويسترجع كرامته الضائعة. لقد كان لحملة دوكين مآرب أخرى خلافا لما ذكرنا؛ فقد كان همه الأكبر تعويض تلك الخسائر التي لحقت به ليس في الحملة السابقة فقط بل حتى في هزيمة مدينة جيجل، فقد كانت الخزينة في حاجة ماسة للأموال. وعليه قرر ملك فرنسا إرسال حملة أخرى على مدينة الجزائر، كلّف الأميرال دوكين بقيادتها للمرة الثانية، إذْ شرع في تجهيزها عام 1683م، مع اقتراب فصل الإبحار، لأسباب مختلفة نوجزها فيما يلي:

أ- إعادة توجيه ضربة سريعة ومفاجئة علها تقضي على المدينة التي لا زالت تلملم جراحها ولم تعد تحصيناتها كالسابق.

ب- توفر الإمكانيات لدى هؤلاء لتجهيز حملة كبيرة بقوات جديدة وعتاد ضخم.

جـ- عدم ترك الفرصة للجزائريين لإعادة ترميم ما دُمر في الحملة السابقة.

د- عِلم الملك من مخبريه بأنّ الأوضاع في الجزائر لم تكن على ما يرام، الأمر الذي أثار حماسه.

هـ- إرتفاع معنويات قائد الحملة بعد حصوله على لقب ماركيز والأموال أيضا.

تم تجهيز الأسطول بما يكفي للقيام بالمهمة، إذْ كان يتكون من 43 سفينة[1]، بينما يخبرنا دائما صاحب الزهرة النائرة بأنّ سفن هذه الحملة لم تأت إلى الجزائر دفعة واحدة، إذْ وصلت مجموعة تتكون من 06 سفن في بادئ الأمر وبقيت قُبالة سواحل مدينة الجزائر زهاء 20 يوما، حتى وصلت باقي قطع الأسطول وشكلت مع الأولى 60 قطعة و30 من الأغربة و 07 سفن كبيرة خاصة بالقصف[2].

والملاحظ أنّ الفرق بين الإحصاءات السابقة كبير جدا، فمجموع عدد السفن التي أوردها التلمساني يقارب 100 قطعة بحرية مختلفة، وما أورده الدكتور بوعزيز يحي هو أقل من نصفها، الأمر الذي يدعو إلى البحث والتحري أكثر في تعداد سفن الأسطول. ومهما يكن من أمر الاختلافات فقد أبحر الأسطول من ميناء طولون كعادته باتجاه مدينة الجزائر في شهر جوان[3]، وما يدعم ذلك رواية أخرى تفيد بأنّه وصل سواحل الجزائر يوم 18جوان1683م[4].

---

(1) ابن عبد الكريم محمّد، المرجع السابق، ص20.

(2) التلمساني ابن رقية، المصدر الاسبق، ص21.

(3) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص85.

(4) De la Ronciére (M-CH), Op, Cit, p13.

كان الأميرال دوكين شبه متيقن من أنْ يأخذ المدينة على حين غفلة من أهلها؛ لأنّه عندما بقيت له مسافة قريبة من مياه ميناء الجزائر إنضمت إليه خمس بوارج حربية فرنسية كانت في ميناء القالة بقيادة الماركيز "دامفريفيل"، الذي تلقى أوامره من دوكين للمشاركة في الهجوم، لم ينتظر دوكين أي فعل بخصوص بداية المفاوضات بل شرع مباشرة في قنبلة المدينة فور وصوله[1]، وهو ليس بسلوك جديد أو غريب فحسب، فالرجل في السنة الماضية رفض المفاوضات من أصلها. إنّ استدعاء القوات الفرنسية لم يقتصر على قوات البحرية بالقالة بل وصلت في غضون يوم 14جويلية، أي بعد 25 يوما تقريبا من وصول القطع الأولى، قوات أخرى تقدر بـ 16 سفينة بقيادة الفارس "نوي"، حيث أعطى للأسطول وزنا أثقل للتأكيد على مطالب الملك لويس الرابع عشر[2]. نلاحظ أنّ المدة الزمنية هي تقريبا التي ذكرها التلمساني.

بالمقابل هناك من يقول عكس ما ذهبنا إليه بخصوص المفاوضات، فالدّاي بابا حسن كان قد بعث بالقسيس بيير لوفاشي إلى الأميرال دوكين بغية التفاوض، وتزويده بالشروط التي يطلبها الجزائريون للصلح، لكن يقال أنّ دوكين امتنع عن تقديم كرسي للجلوس لهذا المبعوث الهرم والمريض أيضا، ولم تأخذه به رأفة، بل زاد على ذلك بأنّه يعلم أنّه تركي أكثر منه مسيحي[3]. أثناء عملية البحث لم نستطع تحديد إرسال لوفاشي للأميرال دوكين إذا ما كان قبل أو بعد بداية الفرنسيين للقصف إذْ يُفيدنا الدكتور يحي بوعزيز بأنّ دوكين فور وصوله إلى ميناء الجزائر طلب من الدّاي إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين والأوربيين على حد سواء، وإنْ كان هذا الأمر غير مؤكد فإنّ الأكيد أنّ دوكين أمر الدّاي بأنْ يبعث بمفاوض رسمي بدلا من القسيس لوفاشي، فبادر الدّاي إلى إختيار مفاوض جديد وهو "ريبولي" الذي نجح في التوصل إلى إتفاق بشأن الأسرى وتوقيف القصف، ولكن القصف لم يتوقف إلا مدة قصيرة كانت قرابة 24 ساعة.

إلى هنا كانت الأمور تسير بشكل جيد، خاصة عندما نزل الأميرال إلى الأرض لتوقيع الصلح، وهذا بعد إطلاق سراح 570 أسيرا[4]، وتذكر الأستاذة غطاس بأنّ عددهم كان 150 أسيرا فقط[5]. ونلاحظ أنّ الفرق بين الإحصائيتين كبير جدا. ومهما يكن من أمر فإنّ مرافقي دوكين وهما هايت ودولومب، كانا قد إشترطا مبالغ مالية ضخمة كتعويض عن خسائر الحملة، قُدرت أنذاك بـ 15 ألف جنيه[6]. وهو المطلب نفسه الذي طالبوا به المرة الأولى عندما حددوا التعويضات بـ 800 ألف إيكو[7]. كان من الطبيعي أنْ يرفض كبار الرياس هذا الشرط المجحف بردة فعل عنيفة جدا، تمثلت في إغتيال الدّاي بابا حسن من طرف جماعة يقال أنهم أتراك وتنصيب داي جديد[8].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص85.

(2)De la Ronciére (M-CH), Op, Cit, p14.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص344.

(4) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص85.

(5) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص84.

(6) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص85.

(7)De la Ronciére (M-CH), Op, Cit, p14.

(8) التلمساني ابن رقية، المصدر السابق، ص21.

وفي سياق إغتيال الداي يُذكر أنّه عُيّنّ حسين ميزومورتو قائد البحرية أنذاك دايا، و كان أحد الرهائن الذين بعث بهم الدّاي السابق لدوكين لضمان النزول إلى اليابسة وتنفيذ الشروط، ففي الوقت الذي كان فيه ميزومورتو على ظهر السفينة الفرنسية وطول إنتظار دوكين للرّد الجزائري خاصة وأنّ الأخير سئم من الإنتضار وعدم إستسلام الجزائريين طلب حسين مقابلة دوكين فسمح له بذلك إذْ أخبره بأنّه يستطيع تسوية المشكلة في ساعة لا غير، و أطلق سراحـــه وبعد دخوله لمكان الإجتماع بادر إلى قتل الدّاي وتولى شؤون الدفاع عن المدينة[1].

بعد أنْ عاد ميزومورتو إلى مقر الإجتماع وتم التخلص من الدّاي بابا حسن الذي أذعن لشروط الفرنسيين، قرر المجتمعون رفع العلم الأحمر دلالة على إعلان الحرب، وبعدها شرع في قصف الأسطول الفرنسي من البطاريات المنصوبة قرب الميناء، ولكن إستعصاء الأمر أدى بالدّاي إلى إرسال وفد لقائد الأسطول الفرنسي، يُنذره بأنّ إستمرار القصف سيودي بحياة القنصل الفرنسي و كل الفرنسيين الموجودين بالمدينة، غير أنّ دوكين منعته عجرفته من أخذ هذه التهديدات على محمل الجد وواصل قصفه للمدينة[2].

يبدو أنّ دوكين ورجاله كانوا واثقين من إحراز النصر، وهذا أمر لم يكن بالجديد ليس بالنسبة للأميرال بل حتى بالنسبة للفرنسيين. وحدث معهم ما حدث في المرة السابقة عندما كانت ذخائرهم الحربية رديئة ولم تجد تطلعاتهم نفعا لتدمير المدينة بمدفع الهاون، إذْ جاؤوا هذه المرة بسلاح جديد علّهم ينهون عهد سيطرة الجزائر على البحر المتوسط. إنّ هذا السلاح كان يتكون من قنبلتين ضخمتين تزن كل واحدة منهما 9 آلاف رطل[*]، وتحتوي كذلك على 84 قنطارا من البارود.[3]. أثناء قصف المدينة وفي اللحظة التي سيطر فيها ميزومورتو على الحكم عمّت المدينة إضطرابات عارمة أدت إلى اعتقال القنصل لوفاشي بمقر القنصلية الفرنسية، واقتيد إلى قصر الدّاي مكبلا بالأغلال. كانت تهمته التآمر على الجزائريين من خلال إرساله إشارات لأسطول بلده بواسطة أعلام كان يلوح بها[4].

لم تكن التهمة الموجهة للقنصل لتغتفر خاصة وأنّ حالة المدينة، أصبحت لا يرثى لها، وعليه ما بقي للداي الجديد سوى تنفيذ تهديداته التي أطلقها من قبل في ظل تجاهل دوكين للمطالب الجزائرية، لقد اتخذ الدّاي قرارا خطيرا يتمثل في وضع القنصل في فوهة المدفع الذي أرداه أشلاءً، ولم يكن القنصل هو الوحيد الذي أُعدم بهذه الطريقة بل أَعدم عدد آخر من الفرنسيين أيضا.

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص425.

(2) المرجع نفسه، ص425.

(*) نرى أنّ وزن القنبلتين مبالغ فيه كثيرا، فحجم المدفع الذي سيقذفها كيف سيكون؟

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص345.

(4) سامح التر، المرجع السابق، ص426.

أثرت هذه الحادثة على المفاوضات بل وقضت على كل أمل للتوصل إلى حلّ يرضي الطرفين، وباتت كل محاولة لرأب الصدع أو إمكانية التفاوض ثانية مصيرها الفشل. وعليه بدأت علامات الهزيمة الثانية لهذا الأميرال الذي لا يحسن التعامل إلا بلغة العنف واضحة وانصرافه أصبح قضية وقت لاغير، وبالمقابل ستظل الجزائر مستعصية على الفرنسيين وسيضطرون إلى التفاوض مرغمين [1]. تضاف هذه الهزيمة إلى الهزائم التي لاحقت دوما الملك لويس الرابع عشر، الذي لم يحقق أي إنتصار أثناء حكمه لفرنسا ضد الجزائر.

-نتائج الحملة الثانية:

تمخض عن حملة دوكين الثانية لعام 1683م، عدة نتائج نوجزها فيما يلي:

أ- تحطم رصيف الميناء وعدد كبير من المباني[*].

ب- هلاك 400 شخص[2].

جـ- إطلاق سراح 150 أسير فرنسي[3]، على أنّ عدد الأسرى الفرنسيين الكُلي بالجزائر كان يبلغ حوالي 500 أسير.

د- إغتيال الدّاي بابا حسن وتولي الحاج حسين ميزمورتو الحكم في سنة 1683م[4].

توصّل الطرفان إلى عقد إتفاقية بينهما بوساطة عثمانية، إذْ وفد إلى الجزائر المفاوض "دوتورفيل" في غضون شهر أفريل 1684م، وتمكن من عقد الإتفاقية في 25 من الشهر نفسه، لقد كانت قاعدة للتوقيع على إتفاقية 1689م لمدة مئة عام[5]، المسماة بإتفاقية السلم المئوي، ويعود نجاح المفاوض الفرنسي إلى المبعوث العثماني كابجي الذي ألحّ على الدّاي ضرورة القبول بالشروط والتوقيع على الإتفاقية. و ككل مرة إنزعج الإنجليز والهولنديون من هذا التقارب لذا حاولوا جاهدين عرقلته بكل الوسائل ولكن دون جدوى[6].

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، صص345. 346.

(*) تختلف المصادر حول حجم الدمار الذي حلّ بالمدينة، إذْ كان قصفها مرتين أثناء حملة دوكين لعام 1683م، مرة في عهد الدّاي بابا حسن ومرة في عهد خلفه الحاج حسين، وعليه كان حجم الدمار هائلا، فمن بين الإحصاءات الواردة بخصوص المنازل والدكاكين المهدمة كانت تتراوح ما بين 800 و 2000 تم إصابتها. ينظر، غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص85.

(2) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص20.

(3) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص84.

(4) التلمساني ابن رقية، المصدر السابق، ص21.

(5) Edgad Rouard (De Card), Op, Cit, pp 52-55.

(6) وولف جون، المرجع السابق، ص349.

ثالثـ التحالف المغربي التونسي والدعم الأوربي لهما ضد الجزائر 1102هـ/1691م:

ظّل المولى إسماعيل المغربي يتربص بالجزائر من أجل تنفيذ مشروعه التوسعي، إذْ استغل الضربة التي تعرضت لها مدينة الجزائر من طرف الأميرال دوستري وثورة الإنكشارية على الدّاي الحاج حسين ميزومورتو. و كعادته الملك المغربي كان يعرف مدى قوة إيّالة الجزائر وهو لن يستطيع القيام بأي حركة دون الرجوع إلى التحالفات قصد تشتيت قوة الجزائر وتركيزها وكذا إنتباهها. وفي هذه المرة وجد في البـــاي التونسي خير معين له على ذلك وهو الباي "محـــمد" (1675-1696م)[1]، لم يكن الباي التونسي هو الوحيد الذي آزر إسماعيل فكذلك الإنجليز والهولنديون ساهموا في توجيه ضربة قاصمة لإيّالة الجزائر نتيجة تخوفهم وقلقهم الشديد حيال التقارب الجزائري الفرنسي[2]، على إثر الإتفاقية التي تم توقيعها بين الطرفين بتاريخ 24 سبتمبر1689م، والتي قضت بتسوية معظم المسائل العالقة[3].

لجأ المولى إسماعيل مرة أخرى لإستعمال القوة ضد إيّالة الجزائر، وفي قلبه هذه المرّة روح الإنتقام من قبائل بني عامر التي خذلته في حملته عل الإيّالة عام 1776م، وهو لم ينس هزيمته بعد، كما كان تأديب هذه القبائل من أولويات هذه الحملة لكي يوقفها عند حدّها نتيجة عدم وضوح موقفها من العثمانيين بالجزائر وإعلان مساندتها له [4]. وعليه أرسل جيشا عظيما قوامه 10 آلاف من المشاة و 3 آلاف فارس في سنة 1691م، نحو وهران[5]، وجعل قيادته لابنه زيـــدان ولسوء حظ هذا الأخير كان من يحكم الجزائر واحدا من أعظم الدّايات وهو الدّاي شعبان(1688-1695م)، الذي ردّ على هذه الهجمة ردا خاطفا هزم من خلاله الجيش المغربي الذي فرّ هاربا إلى ما وراء الحدود باتجاه مدينة فاس.

كانت المعركة لصالح المحلة الجزائرية التي قتل منها قرابة مائة جندي فقط، بينما كان عدد قتلى الجيش المغربي زهاء 5000 قتيل، بيد أنّ أهم نتيجة لهذه الموقعة هي عقد إتفاقية بين الطرفين بطلب مغربي ووساطة رجال الطرق الصوفية في مدينة وجدة حيث تم الإقرار فيها على جملة من النقاط أهمها:

أ- إعتراف ملك المغرب بالحدود بين الطرفين المتمثلة في وادي ملوية.

ب- توقيف الإعتداءات والتحرشات العسكرية المغربية على تراب الإيّالة.

جـ- إلتزام الملك المغربي بدفع ضريبة سنوية لصالح خزينة الجزائر.

د- ضرورة تخلي الملك المغربي على جيوشه غير الأساسية[6].

---

(1) فارس مُحَّد خير وعامر محمود على ، تاريخ المغرب العربي الحديث(المغرب الاقصى و ليبيا، ج1، منشورات جامعة دمشق2000م، ص95.

(2) حنيفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص62.

(3) غطاس عائشة، العلاقت الجزائرية الفرنسية...، المرجع السابق، ص88.

(4) حنيفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص62.

(5) داهش مُحَّد علي، المرجع السابق، ص79.

(6) حنيفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص62.

رابعا– التحالف التونسي المغربي والدعم الفرنسي لهما ضد الجزائر1105هـ/ 1694م:

شهد العقد الأخير من القرن السابع عشر تطورا خطيرا بخصوص أمن الجزائر وإستقرارها، فبعد الحرب المعلنة من طرف الأوربيين، جاء الدور هذه المرّة على الجيران، وعليه كَثُر أعداء الجزائر في هذه الظروف الصعبة. إنّ إقبال الأشقاء في كل من تونس وطرابلس الغرب والمغرب أيضا على الدخول في تحالف ضد الإيّالة، سيزيد الوضع تفاقما ذلك أنّ الأحوال كانت مضطربة وبوادر الإستقلال عن سلطة الباب العالي كانت تلوح في الأفق، ولم يبق للباشوات إلا انتظار الفرصة المواتية و إعلانه من جانبهم.

إنّ الدخول في تحالف إقليمي ضد الإيالة لم يكن أمرا جديدا بالنسبة لبايات تونس، إذْ يذكر أنّه كان هناك صراع مرير بين إيالتي الجزائر وتونس، والحرب بالأساس كان وقودها الجند الإنكشاري المتواجد على تراب الإيّالتين في إطار سياسة التجنيد لفرض الأمن والإستقرار. لقد كانت هذه الحرب خارجة عن نطاق الأهالي. وحكّام هذه الإيّالات وجندهم المتكون من الأتراك والمماليك هم المتسببون فيها[1]. إنّ الجند الذي زجُّ به في أتون هذه الحروب لم يكن من قبائل العرب أو أهالي المغرب إلا نادرا، فالكثير من القبائل وقفت موقفا محايدا تجاه هذا الصراع ولن تدخله إلا إذا تم الإعتداء عليها ورأت مصلحة في ذلك.

ورثت إيالة الجزائر ذلك التحامل الذي يعود إلى مراحل متقدمة من تاريخ المغرب الإسلامي. و مهما يكن من أمر فإنّ استتاب الأمن في إيالة تونس بعد التقاتل على السلطة سيؤدي إلى توتر العلاقات مع الجزائر [2]. أما طرابلس فكانت أمورها مستقرة تماما بعد التخلص من العناصر المكدرة لصفاء الجو، الأمر الذي انعكس على علاقاتها الخارجية أيضا ليس مع الجزائر وإنما مع أعدائها[3].

هناك تناقض حول أطراف هذه الحرب حيث يذكر الكثير من المؤرخين أنّ إيّالة طرابلس الغرب كانت طرفا ثالثا فيها إلى جانب الجزائر. على أنّ صاحب كتاب التحفة المرضية لم يذكر أمر تحالف الجزائريين والطرابلسيين في هذه المعركة، واكتفى بذكر إندلاع الحرب بين داي الجزائر وباي تونس، عام 1105هـ/1694م[4]. بسبب أنّ باي تونس رفض دفع ما عليه من مستحقات مالية لصالح خزينة دايات الجزائر، الأمر الذي أزعج الداي شعبان مما حدا به إلى إعلان الحرب لتأديب الباي المتمرد عن طاعته[5].

---

(1) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص 141 .

(2) خوجة حسين، بشائر...، ج3، المصدر السابق، ص18.

(3) فيرو شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي،ترجمة محمّد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ليبيا 1994م، ص ص 221 – 225.

(4) ابن عبد الكريم، المرجع السابق، ص25.

(5) Devoulx (Albert), Tachrifat, Recueil De Notes Historiques, Alger, Imprimerie du Governement, 1852, p11.

1- أسباب التحالف ومجريات الهجوم:

لم يكن هذا التحالف من فراغ بل كان له أسباب مختلفة، ولعل جذوره تعود إلى جهود الباي التونسي السابق الذي حلّ بالجزائر من أجل طلب تدخلها وإعادته للحكم ثانية بعد إستبعاده منه. ولما كان الباي مُحَمَّد المرادي يُقدر جيدا قوة خصومه رأى أنْ يعقد إتفاقا مع المولى إسماعيل المغربي لتنفيذ هجوم واحد وضرب إستقرار الإيّالة، ولن يتسنى ذلك أيضا إلا إذا وجد مصدرا لجلب الأسلحة حيث حصل على دعم فرنسا، وهكذا مدّت هذه الدولة التونسيين بما يحتاجونه[1].

غُرّ باي تونس بقوته و كثرة مؤازريه، حيث تجرأ على قطع الضرائب التي أقرّ بها سابقا لحاكم الجزائر. عندما قضوا على الثورات التي كانت ضد البايات المحسوبين عليها، كحال الباي ابن شكر [2]. وبالمقابل قام داي الجـــزائر وباي تونس المتواجد بالجزائر بكتابة كتاب تم إرساله إلى خليل الطرابلسي يخبرانه فيه بأنّ الباي مُحَمَّد المرادي ينوي توجيه حملة ضد الإيّالتين الجزائرية والطرابلسية للسيطرة عليهما[3].

سلّم خليل الأرناؤوطي وداي طرابلس مُحَمَّد الإمام بما ورد في الكتاب الوافد إليهما، إذْ بادرا إلى إعداد جيش كبير العدد، وتم توجيهه إلى الجزائر، عن طريق البحر ما دامت الطريق البرية ستمر حتما بأراضي تونس ، حيث نزل بميناء عنابة و كان الجيش الجزائري ينتظره هناك، لقد كانت حملة ضخمة مجهزة بعتاد كبير بقيادة الداي شعبان وخليل، وعبر الجيش الحدود الجزائرية التونسية باتجاه الشرق في غضون سنة 1694م[4].

لم يكن باي تونس غافلا عن هذه التحركات، بل كان هو الآخر قد أعد جيشا وسارع إلى توجيهه نحو الغرب لتأمين حدوده وصدّ المهاجمين، كان الطرفان قد إلتقيا في مدينة الكاف التونسية، وهذه المدينة كانت هي نقطة عبور الجيش الجزائري وحتى التونسي في حالة إندلاع حرب بين الطرفين [5]، ولما كان جيش الجزائر وطرابلس عظيما وبمجرد إلتحام طرفي الحرب حتى تفرقت جنود تونس في الأرض أمام جحافل المهاجمين، ولم يسع الباي سوى الهروب إلى عاصمة ملّكه[6]، لقد كان ذلك يوم 5 ذو القعدة من سنة 1105هـ/1694م[7]. إنّ نتيجة المعركة كانت محسومة مسبقا نظرا لعدم تكافؤ القوة بين الطرفين ويُضاف إلى أسباب الهزيمة فرار عرب أولاد سعيد وقبائل أخرى.

---

(1) قنان جمال، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص142.

(2) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 25.

(3) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص 141.

(4) ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج1، ج2 ، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس2004م، ص 63.

(5) Devoulx(A), Tachrifat, op. cit, p11.

(6) Maggil (M,Thomas), nouveau voyage a Tunis, publié en 1811, Paris, editeur de dictionnaire des sciences médicales, 1981, p76.

(7) خوجة حسين، بشائر ...، ج3، المصدر السابق، ص18.

2- نتائج المعركة الأولى:

كان للمعركة صدى كبير وأثر بالغ على إيّالة تونس بالخصوص على عكس الإيّالتين الأخرتين، ومنها نذكر:

أ- عزم قادة الجيش الجزائري والطرابلسي على الزحف نحو مدينة تونس ومطاردة فلول جيش الباي الهارب نحو العاصمة.

ب- إستعداد سكان مدينة تونس لما ينتظرهم خاصة لما سمعوا عن قوة الجيش القادم نحوهم، إذْ بادروا إلى جمع المؤن وتحصين دفاعات المدينة[1].

جـ- فرار الداي علي (1689- 1694م) ورمضان باشا إلى أوربا دون إستشارة الباي[2].

د- حصل الجيش الجزائري على غنائم وفيرة خلفتها جحال الجيش الهارب[3].

هـ- وصول الجيش الجزائري والطرابلسي إلى مدينة تونس وفرض حصار خانق عليها[4].

بعد مضي شهر من هزيمة مدينة الكاف وصل الجيش الجزائري وحليفه إلى أطراف حاضرة تونس، ونصب حولها حصارا خانقا يقال أنّه بقي لمدة ثلاثة أشهر كاملة، وفي أثنائه كانت المدفعية هي لغة التواصل بين المحاصرين وحكومة الباي، وكان إطلاق النار كثيفا من الجانبين. لقد كان الخوف واليأس سيد الموقف خاصة وأنّ الأمور لم تتغير ولم يحصل الفرج ولا شيء من ذلك يلوح في الأفق، كما أنّ المؤن والذخائر التي تم جمعها في طريقها إلى النفاد ولن تعمر طويلا وباتت الأمور اسير من سيئ إلى أسوء.

كانت سمعة الباي المرادي في مهب الريح، فالقبائل التي خانته بالأمس لم تتوقف عند هذا الحد بل ساندت المهاجمين في حصارهم المفروض على المدينة، هذا وقد وصلت أخبار إلى الباي تفيد بأنّ مرسى غار الملح حيث توجد به مخازن الأسلحة التونسية والذخيرة المعول عليها؛ وكذا قطع من الأسطول البحري، أصبحت تحت سلطة الباي السابق مُحَمَّد ابن شكر [5]، وزيادة على ذلك فإنّ زعماء القبائل إعترفوا بسلطته، وانحازت له جميع العربان [6]. لسنا ندري إنْ كان هذا الأمر صحيح أم مبالغ فيه خاصة وأنّ الباي المحاصر لم يستسلم بعد.

---

(1) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص 142.

(2) خوجة حسين، بشائر...، ج3، المصدر السابق، ص18.

(3) ابن ميمون مُحَمَّد الجزائري، المصدر السابق، ص 25.

(4) مقديش محمود، المصدر السابق، ص136.

(5) ابن يوسف الصغير، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تحقيق الطويلي أحمد، مج1، المطبعة العصرية، تونس2009م، ص ص258- 259.

(6) خوجة حسين، بشائر ...، ج3، المصدر السابق، ص18.

3- نتائج الحصار:

كانت الأسباب التي ذكرناها سابقا كافية لثورة الرعية ضد الباي مُحَمَّد المرادي، لذا كان الفرار هو الحل الأنسب لينجو بحياته، ولما بقيت أيام قلائل من شهر ربيع الأولى من السنة نفسها قرر الفرار، وعند خروجه كان قد توجه تلقاء القيروان. بيد أنّ قاطنيها أوصدوا أبوابها في وجهه و منعوه من دخولها، و عليه انطلق نحو الجنوب و ظلّ هائما يتوارى من القوم في فلوات الصحراء.

في حين أنّ عُقلاء مدينة تونس إتصلوا بالداي شعبان و طلبوا منه عقد الصلح بشروط سخية لم يكن ليرفضها هو وصاحبه خليل الأرناؤوطي. كما تم تنصيب الباي السابق ابن شكر كحاكم على البلاد في منصب الباي، في حين تم تولية داي جديد مكان إبراهيم خوجة الذي عيّنه الباي السابق [1]، وهذا لعدم معارضة سياسته وضمان ولائه هو الآخر. لقد كان هذا الباي الجديد ممتن للداي شعبان نظير مساعدته ولم يكن الأخير المستفيد من هذا النصر؛ فالفرنسيون حصلوا على إمتياز صيد المرجان بجزيرة طبرقة التونسية أيضا. هذا وأنّ البارون ألفونسو روسو قد أشار إلى أنّ حكّام الجزائر أرادوا تحقيق مآرب من خلال إنتصاراتهم التي حققوها في تونس، تتمثل في التوسع على حسابها، مستندا على وثيقة مؤرخة في سنة 1693م[2].

لم يكن بوسعنا الحصول على هذه الوثيقة الهامة التي تُدين داي الجزائر، غير أنّ الواقع يثبت غير ذلك تماما ولو أراد الجزائريون مثل ما ذهب إليه هذا المستشرق، لفعلوا منذ زمن بعيد، فالحدود الجزائرية التونسية قضية فُصلت منذ عام 1628م، عندما وقعت معركة الستارة بين الطرفين، ولم تطرأ أي خلافات بشأنّها فيما بعد، على عكس الحدود الغربية، ولو كان حكّام الجزائر لهم أطماع كما يدعي؛ فإنّ عملية تغيير الحدود ستكون سهلة طالما أنّ بايات تونس معظمهم كان يتم تنصيبهم من طرف الجزائر إلا نادرا. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ المحير في هذه القضية هو لماذا لم يُرغم داي الجزائر شعبان باي تونس (ابن شكر) على تعديل إتفاقية الحدود واكتفى بالأموال و الهـدايا فقط، ما دام في موقف قوة وسيطرة.

وفيما يخص إمتياز صيد المرجان فإنّ حكام الجزائر كانوا يحصلون على نسبة معتبرة من مرجان طبرقة كما هو واضح في مراسلات بايات قسنطينة في أواخر القرن الثامن عشر [3]. ولم نعثر على تاريخ محدد يُفيد بداية الإستفادة من هذه المادة الحيوية التي كانت محل أطماع فرنسا ودول أوربية أخرى، إنّ الحصول على ضرائب صيد المرجان بسواحل شمال غرب إيّالة تونس لا تعني بأنّها تابعة للجزائر.

---

(1) خوجة حسين، بشائر...، ج2، المصدر السابق، ص18.

(2) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص 142.

(3) مراسلات بايات قسنطينة، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم1641، ورقة 6.

إقتحم الجيش الجزائري مدينة تونس بعد الحصار الطويل عنوة، و كان الخوف سيد المشهد فما عسى الداي شعبان يفعل بالسكان الذين أنهكهم الحصار والمصير المجهول، وقد إرتكب الجنود الذين دخلوا المدينة تجاوزات خطيرة إذْ يقول ابن غلبون بشأنهم"... ثم أنّ أهل الجزائر دخلوا مدينة تونس وارتكبوا بها أمورا شنيعة من القتل والنهب والفسق وغيره..."[1]. ومن الأمور الأخرى الخطيرة أيضا أنّ ابن شكر الباي الجديد أقرّ بدفع الأموال لداي الجزائر، إنّ هذه السياسة التي سيسلكها الباي ستكون لها عواقب على مستقبل الإيّالة لا محال.

لم تكن هذه الأموال زهيدة بل كانت ضخمة جدا لا يستطيع الباي دفعها كما وعد، على أنّ مداخيل البحرية التونسية لم تكن معتبرة؛ و كان جل ما يجمع لتسيير أمور الإيّالة عن طريق الضرائب المفروضة على سكان المدن والأرياف في ربوع الوطن التونسي؛ خاصة من المنتوجات الفلاحية والحيوانية من الصوف وغيره [2].

بعد أن تمّ فرض الإستقرار والأمن في مدينة تونس وتولية باي جديد؛ عزم الداي شعبان على الرحيل إلى الجزائر بعد تحقيق ما جاء من أجله [3]. أما الباي الجديد فقد سلك سياسة مالية خاصة لتحصيل الأموال التي وعد بها سيده وإلا ستكون عاقبة أمره لا تحمد [4]. قبل أنْ يفترق الجيشان الجزائري والطرابلسي ظهر خلاف كبير بين القائدين حول تقسيم الغنائم والأموال التي حصل عليها داي الجزائر.

يعود أمر الخلاف إلى أنّ داي الجزائر قد اعتبر الغنائم البحرية التي حصل عليها خليل الارناؤوطي من مرسى غار الملح كافية لقاء عمله هذا، بيد أنّ هذا الأخير كان يطمع في غنائم مدينة تونس، و كاد أنْ يتطور الخلاف إلى حرب بين القائدين، حيث أمر الداي شعبان جنده بإلقاء القبض على الباي خليل [5]، بيد أنّ الأخير غادر ميناء غار الملح بسرعة كبيرة ولولا إبحاره لأُفني أسطوله الذي أتى على متنه بواسطة بطاريات الميناء التي قصف منها الجزائريون سفنه [6]. يظهر هنا أنّ الغنائم كان لها دور كبير في قيام الحروب لقد كانت محفزا هاما بلا شك.

---

(1) ابن غلبون الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب (التذكار)، تعليق الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ، ص 155.

(2) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص 143.

(3) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 25.

(4) مقديش محمود، المصدر السابق، ص137.

(5) لم يكن هذا الخلاف بسبب الغنائم فقط، بل يعود في الأساس إلى طبيعة شخصية الباي خليل، فهذا الأخير يذكر أنّه إستطاع بدهاء كبير أنْ يستولي على الحكم في طرابلس الغرب، إذْ يخبرنا أحدهم بأنّه كان منفيا في إسطنبول عند حماه المدعو مُحَمَّد الامام، وتمكن في إحدى المرات من العودة إلى طرابلس حيث تغلب على خصومه. وعندما اعتلى منصب الباي إستدعى حماه و نصبه دايا على البلاد، ليوطد حكمه ويتخلص من المعارضين. بعد هذه الحملة إستطاع ربط علاقات مع باي تونس مراد الثالث، وهذا بعد صفاء العلاقات وإستقرارها، إذ تغير الأمر وتم تشكيل تحالف عسكري ضد الجزائر، سيكون الإنتقام سببه الرئيسي والحصول على الغنائم هدفه المنشود. ينظر: ناجي محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام الأدهم ومُحَمَّد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، ب ت، ص ص 157- 158.

(6) ابن غلبون، المصدر السابق، ص155 .

كان الباي ابن شكر في توديع الداي شعبان مقدما له تحية تقدير وإجلال، عندما كان يهم بالعودة إلى الجزائر عن طريق البر، بعد أنْ أشرف على إرسال جزء من الجيش عن طريق البحر، كان هذا في مطلع عام 1695م، إنّ ابن شكر لم يكن يمت بصلة للأسرة المرادية، و كان في نظر من هم أحق بالملك منه أنّه مغتصب لمنصب الباي؛ لذا لم تكن له شرعية على الرعية كما ينبغي. ومعالم الثورة ضده كانت ترتسم يوما بعد يوم، لا سيما وأنّه رفع من قيمة الضرائب المفروضة على الرعية؛ للإيفاء بالوعود التي قطعها على نفسه للداي شعبان[1].

بمجرد أنْ تأكدت الرعية من رحيل القوات المعادية؛ حتى أعلنت الثورة على الباي مُحَمَّد ابن شكر، هذا الأخير الذي كان يُفكر في الاستنجاد بالداي مرة ثانية؛ كما فعل في المرة الأولى، بيد أنّ ضباط الجيش الذين كانوا يرافقون الداي شعبان عزموا أنْ لا يتكرر ما حصل معه، وتطور الأمر إلى أكثر من ذلك عندما هدّدوا الداي شعبان نفسه بيد أنّ شخصية الداي لم تكن تحسب أي حساب لهؤلاء الجند، وكان في قرارة نفسه العودة إلى تونس وإحلال الأمـــن والإستقرار، طالما تطلّب الوضع ذلك، خاصة وأنّ الأموال والهدايا التي حصل عليها كانت كافية لإعادة الكرّة.

كان غياب الداي شعبان فرصة ذهبية للمتربصين بالجزائر من الأعداء؛ لتنفيذ مخططاتهم، ففي سبتمبر 1694م، إغتنم الإنجليز هذه الفرصة وتقدموا بطلب إلى أعضاء ديوان الجزائر، يقضي بإعلان الحرب على فرنسا مقابل أموال يدفعونها وعتاد حربي يقدمونه. وعلى الرغم من أنّ العرض كان سخيا جدا إلا أنّ الديوان رفضه ولكن الإنجليز لم يسأموا من رفض الديوان، بل عرضوا الأمر كذلك على الداي لما عاد إلى الجزائر، حيث رفضه هو الآخر. يكمن السبب الرئيسي في إقدام الإنجليز على هذا العمل في تمكن الفرنسيين من إسترجاع مؤسساتهم بالقالة، بعد أنْ انتهت عقود إستغلال الإنجليز لها في السنة نفسها؛ إذْ كانت عشر سنوات، وتم الحصول عليها بعد الحملتين الفرنسيتين.

فشل الإنجليز ولكن فرنسا نجحت في إعادة عقد إتفاقية مع حكّام الجزائر في الفترة ذاتها. لقد كان التنافس كبيرا بين الأوربيين للظفر بعقود إمتيازات في الجزائر؛ خاصة على السواحل الشرقية. كل هذا كان إغتناما للمشاكل التي كانت تتخبط فيها الحكومة الجزائرية لا سيما المالية منها. وعندما آل الحكم للداي أحمد بعد إغتيال شعبان ولن يطول حكم هذا الداي أيضا رغم محاباته للفرنسيين، ومن مظاهر ذلك إقراره بضرورة الحفاظ على المؤسسات الفرنسية، وعدم المساس بها، كما وافق على دمج شركة الرأس الأسود بطبرقة ومؤسسة القالة في مؤسسة فرنسية واحدة [2]. إنّ هذا الأمر يثبت إستفادة الجزائر من العائدات المالية التي كانت تجنى من إمتيازات صيد المرجان بجزيرة طبرقة التونسية. على أنّ تصرفات الداي شعبان وحكّام الإيّالات المغاربية الثلاثة والحروب الدائرة فيما بينها أدّت إلى إنزعاج السلطان العثماني الذي شجب ذلك وعبر عن امتعاضه الشديد تجاه ما يحدث [3]. وسوف لن تبقى الأمور على ما هي عليه فحكومة الباب العالي لن تبقى دون تحرك.

---

(1) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 25.

(2) بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص92.

(3) Plantet (Eugène), Correspondance des Deys D'Alger, op, cit, p441.

5- نهاية الحرب 1106هـ/ 1695م:

لم تبق حكومة الباب العالي مكتوفة الأيدي تجاه هذا الصراع إذْ عبرت عن سخـــطها في العديد من المـــرّات وإذا كانت قد اكتفت بالتنديد في معظم المناسبات الماضية ففي هذه الحادثة قررت إرسال وفد لتقصي الحقائق والوقوف على الأسباب الكامنة وراء هذه الحرب، كان الوفد على أكثر تقدير يتألف من شخصين فقط، وقد حملتهما الحكومة مسؤولية إلزام حكام الإيّالتين بتغليب المصلحة العامة ومعالجة الأمور بحكمة وتروي وعدم الرجوع إلى حالة العـــــداء السابقة. يُذكر أنّه أُرسل "جاري مُحَّد باشا" مبعوثا لحكام طرابلس الغرب، و"عمر باشا" مبعوثا لداي الجزائر [1]، لقد كان ذلك في عهد السلطان "أحمد الثاني" (1691م- 1695م)[2]. إنّه بالرغم من قيام الحرب بين الإيّالات الثلاث إلا أنّ الباب العالي إستثنى باي تونس من هذا التدخل، ويُروى في هذا الصدد أنّه كان مؤيدا للباي مُحَّد قبل بضعة أعـــوام وأنّ المعتدين هم من يجب إيقافهم عند حدّهم [3]. إنّ مبررات التدخل العثماني كانت تُمليها حالة اللاإستقرار وخير دليل على ذلك إنفراد مُحَّد الإمام بحكم طرابلس عن طريق القوة دون أي إستشارة من أصحـــاب القرار؛ لقد كانت الإيّالات المغاربية تتمتع بنوع من الإستقلالية وستزيد عن حدّها مستقبلا لا محال.

تُعزى حالة تباعد سياسة حكام إيّالات شمال إفريقيا عن سلطـة الباب العالي إلى جملة من الأسباب لعل أبرزها بُعد المسافة بين هذه الإيّالات ومقـــر سلطة الدولة إذْ ستكون الأمور بعيدة عن أعينهم. كما حدث في عدة مناسبات أثبتت غياب الرقابة وانفلات الأمـــور على الرغم من معارضة هؤلاء إذْ لم يكونوا يملكون القوة بما يكفي لفرض هيبة الدولة عدا تلك الممارسات التي من شأنها الضغط لإجبارهم على تنفيذ الأوامر.

والمثال السابق المتمثل في إستيلاء مُحَّد الإمام على مقاليد الحكم في طرابلس يثبت ما ذهبا إليه. كما أنّ ضُعف شخصية السلاطين العثمانيين؛ واشتغالهم بأمور غير تسيير دواليب الدولة فاقم الأمور، حيث تُركت هذه المسؤليات لأناس آخرين غير مبالين بما سيحدث نتيجة لقرراتهم غير الصائبة في الكثير من المسائل، و يُخبرنا المؤرخ التونسي خوجة حسين عن شخصية السلطان الذي حدثت في عهده هذه الحرب بقوله"... ولما استقر السلطان أحمـد و حضور الوزير لأخذ البيعة له...وسار الوزير لمدافعة جيوش المشركين ومقابلتهم...بلغه الخبر بأنّ السلطان أحمد تمكن منه ومن عقله جماعة من المفسدين... أهل السراية الخائنين وأغروه على الفتك بالوزير المذكور وقالوا له أنّ خزائنك أفرغها...وصرفها فيما لا يغني...وقالوا له أنّ هذا الرجل يريد أنْ يتصرف فيك كما تصرف في أخوك..." [4]. إنّ أمر الدولة كان سيئا للغاية وكرس حالة الركود التي كانت سمة هذا القرن.

---

(1) فيرو شارل، المرجع السابق، ص 234.

(2) خوجة حسين، بشائر...، ج2، المصدر السابق، ص417.

(3) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص141.

(4) خوجة حسين، بشائر...، ج2، المصدر السابق، ص417.

اندلعت الثورة في مُدن كثيرة من البلاد التونسية على غرار سوسة والقيروان؛ وحتى الجنوب إلتهب نار الثورة فيه، إنّ مرد هذه الثورة بالدرجة الأولى هو سياسة الباي ابن شكر المحسوب على الجزائر، عندما لجأ إلى الرفع من قيمة الضرائب المختلفة على الرعية التي كانت تدفع الثمن باستمرار، لقد أصبحت قضية التخلص من هذا الباي الذي نازع أصحاب الحكم ملكهم ضرورة قصوى في اليوم قبل الغد. ذلك أنّ شخصيته كانت ضعيفة ولن يستطيع تسيير الأمور إلى إذا دعمته الجزائر مثل ما كان يحدث مع آخر الأمراء الحفصيين عندما وفّر لهم الإسبان الحماية اللازمة. لم تكن الثورة نابعة من فراغ فقد نفخ الباي مُحَمَّد المرادي في رمادها لعله بنتهز الفرصة ويسيطر على مقاليد الحكم مرة أخرى، لا سيما أنّه قد لقي أنصارا يؤازرونه ويدعومنه في مسعاه هذا.

بقي ابن شكر في منصبه حوالي خمسة أشهر فقط، حيث قام الباي محـــمد المخـلوع سابقا بتعبئة الجـــيش والزحف على مدينة تونس إذْ دارت هناك معركة غير متكافئة بين البايين الغريمين، انجلت على إنتصار الباي مُحَمَّد وفرار ابن شكرا إلى الجزائر التي قطعها مارا إلى مدينة فاس، بعد أنْ فتك بالعلماء وظلم الناس ظلما كبيرا كان ذلك في شهر رمضان 1106هـ الموافق لـ عام 1695م، وقد بادر أي الباي مُحَمَّد إلى إصلاح أحوال البلاد [1]. هذا بشأن الوضع الدخلي أما على صعيد العلاقات الخارجية فكان لا بد من مهادنة الداي شعبان، لذا سارع إلى خطب وده من خلال الوفد الذي أرسله للقيام بالمهمة برئاسة خطيب جامع الزيتونة و"مُحَمَّد فتاتة" المفتي و"مُحَمَّد خوجة" كاتب الديوان، أعرب له فيها عن بقاء العلاقات كما كانت مع سلفه؛ بيد أنّ الداي غضب ولم يجب الوفد لمطالبهم.

لقد كانت مهمة هذا الوفد صعبة للغاية فالظروف التي كان يمر بها الداي لم تدع له سبيلا للنظر في الأمر لأنّ الداي لم يكن يهمه أمر من يحكم تونس أكثر مما يهمه دفع الضرائب. وعليه همّ الوفد بمغادرة الجزائر غير أنّ الأمور سارت بسرعة كبيرة وانتقل الحكم من الداي شعبان الذي قُتل مما حدى بالوفد إلى عرض القضية على الداي الجديد "أحمد باشا"(1695- 1698م) الذي لم يكن كسابقه وقبل بمطالبهم وانبرى بذلك الصلح بين الإيّالتين[2].

لقد كانت ثَمَ عوامل ساهمت في رأب الصدع بين الإخوة الأعداء ذلك أنّ الداي أحمد أُنتخب من قبل ضباط الجيش ليُسير أمور الدولة شكليا ولم يكن صاحب همة وعزم، لقد كان هرما ومريضا أيضا واقتصرت مهمته على التوقيع على القرارات فقط. لقد كان الحكم في درجات متدنية للغاية [3]، إذْ لم يعمر هذا الداي إلا ثلاث سنوات في منصبه وتوفي بعدها ليخلفه الداي حسن شاوش في فترة قصيرة كذلك [4]. لم يكن يُراع في تنصيب الدايات أدنى شروط الأمر الذي فاقم الأوضاع أكثر من أي وقت مضى ليس بإيّالة الجزائر فحسب بل في تونس و غيرها.

---

(1) المسعودي أبي عبدا لله مُحَمَّد الباجي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، ط2، مطبعة بيكار، تونس 1323هـ، ص 110 .

(2) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص 145.

(3) هلايلي حنيفي، أوراق...، المرجع السابق، ص136.

(4) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص94.

خامسا– تحالف تونس و طرابلس ضد الجزائر1111هـ/ 1699م– 1700م:

وكما أسلفنا بشأن عدم الإستقرار في لجزائر كانت تونس أيضا تُسير بالطريقة ذاتها، فقد ظلّت السلطة في الجزائر وتونس سلطة مـزدوجة فحكم الباي أو الداي كان يرافقه حكم لصيق من قبل الباشاوات المعينين من قبل الباب العالي. ويُذكر أنّه في عهد "رمضان باي" التونسي(1696 - 1699م) حكم معه الداي "مُحَمَّد خوجة" وهو الذي أُرسل سابقا إلى الجزائر، وتوصل إلى إبرام صلح مع حاكمها. لقد توخى هذا الباي من خلال ذلك فرض الأمن لنشر السكينة والإطمئنان في البلاد التونسية.

إنّه على الرغم من أنّ الباي رمضان كان حريصا على إستقرار الإّيالة، إلا أنّ طبيعة شخصيته الميالة للخـلوات والإنقطاع عن متابعة الحكم ساهم في تردي الأوضاع مما أدى إلى ظهور التنافس على السلطة من جديد، وكان أبرز من يريد منصب الباي "مراد الثالث" بن أخيه علي، إذْ عمل هذا الأخير على الإطاحة بعمه بعد أنْ جمع حوله أنصارا وسار بهم نحوه، يُقال أنّه قبض عليه وقدم على أمر خطير يتمثل في فقئ عيني عمه وأودعه قلعة حصينة بعيدا عن العاصمة تونس[1].

أما أمر الرعية وعلى ما يبدو أنّها كانت مغلوبة عن أمرها وقد سئمت من حالة الحرب القائمة بين أمراء هذه الأسرة، ولكن بالمقابل أقدم الكثير من سكان تونس على مبايعة مراد بايا وهو في سن الثمانية عشر عاما فقط [2]. إنّ الأمر لن يتوقف عند هذا الحد بل سيفتح باب التنافس على مصرعيه وأكثر من السابق.

يخبرنا المؤرخ التونسي حسين خوجة عن هذا الباي غير المتبصر بأنّه ارتكب أخطاءً فادحة في بداية حكمه إنتقاما ليس من أعدائه بل حتى من مقربيه المشكوك فيهم [3]. وبدل أنْ يهتم بتدبير شؤون البلاد ويصلح ما أفسدته الحرب في السنوات السابقة إذْ كادت مظاهر الحياة اليومية أنْ تتوقف عندما دمرت الكثير من الدور والمرافق الأساسية للحياة لقد كانت حربا مدمرة بلا شك. وبدل هذا راح ينبش في العلاقات المتوترة مع الجزائر ولن يتسنى له القيام بأي شيء إلا بعقد تحالف خارجي، ولم يجد هذا الباي ضالته إلا في باي طرابلس إلحاقد على الجزائر هو الآخر؛ هذا الأخير لم يكن يمثل على باي تونس أدنى خطر مثل ما كان في عهد "مُحَمَّد المرادي" [4]. وهكذا توفرت الظروف للقيام بحركة جديدة ضد الجزائر لا أحد يتوقع نتائجها من بين هؤلاء.

---

(1) خوجة حسين، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق مُحَمَّد أسامة، ج3، دار ابن رجب، القاهرة 2014م ، ص18.

(2) مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومُحَمَّد محفوظ، ط 1، مج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م ، ص143.

(3) خوجة حسين، بشائر...، ج3، المصدر السابق، ص19.

(4) De Grammont(H-D), Correspondance Des Consuls D'Alger (1690-1742), Paris, Ernest Leroux Libraire-éditeur, 1890, p79.

1 – الحملة التونسية الطرابلسية المغربية لغزو الجزائر1699م:

لا بد أنّ لكل حملة من الحملات العسكرية أسباب عديدة منها ما هو بعيد ومنها ما هو قريب، ومهما يكن من أمر الأسباب وإختلافها، فإنّ الأوضاع التي ذكرناها سابقا قد صنعت الأسباب التي أدت إلى هذا التحالف الخطير ضد الجزائر. ومن بين هذه الأوضاع تلك المتعلقة بالأمور المالية التي كان بايات تونس يؤدونها لصالح خزينة الجزائر فكان بعض البايات يبادرون إلى الإمتناع عن دفعها لعدة أسباب منها عدم القدرة على جمعها واضطراب أحوال البلاد كما أنّ بعض السنوات العجاف لا تترك لذك ذخيرة من أجل الإيفاء بوعودهم، في حين إذا كان لا بد من جمع تلك الأموال فإنّها ستكون على حساب الرعية. وعليه فالأوضاع المتهالكة ساهمت في مزيد من تأزم العلاقات بين الطرفين.

ويُذكر أنّه على الرغم من تمرد بايات تونس على حكام الجزائر إلا أنّ ذلك لم يكن إلا ظاهريا أما ما يدور في أذهانهم وتُرجم على أرض الواقع عكس ذلك، فالباي مراد هذا كان قد حاول من ذي قبل أنْ يتقرب من داي الجزائر "حسن شاوش باشا" وأرسل له هدية ثمينة ولكن الداي اعتبر ذلك محاباة للتخلص من التبعات المالية وردّ الهدية لصاحبها مما أغضبه وأدخل في نفسه الحقد والإنتقام. هذا عن بعض الأسباب العامة، وفيما يخص السبب المباشر لهذه الحرب هو روح الإنتقام الذي طبعت شخصية هذا الباي، إذْ كان بينه وبين لجزائر ثأر ذلك أنّ أباه قُتل بسبب الجزائريين عندما كانوا في حرب معه[1]. ومهما يكن من أمر فقد جَهّز حملة ضخمة وسار على رأسها إلى الجزائر، تألفت من 12ألف جندي، و 4 آلاف فارس، ومن المدافع[*] 32 مدفعا[2]، وهناك من يقول 25 مدفعا فقط[3]. لقد كانت هذه أول حملة تونسية توجه ضد الجزائر وتعبر الحدود، الأمر الذي يدل على عزم هذا الباي للتخلص من التبعية للجزائر، لقد كانت مؤشرا خطيرا على مستوى العلاقات الجزائرية التونسية.

كان لا بد للباي أنْ يحتل عاصمة بايليك الشرق لذا حاول أنْ يحيطها بنوع من الســـرية[4]. ولكن الإستعدادات الجزائرية التي كانت بانتظار الحملة التونسية المشتركة تدل على علم الجزائريين بها كما أنّ ضخامتها لم تدع من شك لذياع أخبارها، ومهما يكن من أمر فقد وصلت الحملة مدينة قسنطينة ودارت بضواحيها معركة كبيرة أسفرت عن هزيمة الجيش الجزائري، وهو ما لم يحدث من ذي قبـــل، لقد هُزمت قوات الباي علي خوجة وولّى الأدبار مسرعا[5]. خلفت المعركة 500 جندي إنكشاري من خيرة الجيش الجزائري[6].

---

(1) حسن عبد الوهاب حسني ، المصدر السابق، ص123.

(*) ما يلفت الإنتباه أنّ صناعة المدافع كانت في تطور مستمر خاصة مدافع الحصار المجرورة برا. للمزيد حول صناعة المدافع ينظر: الرياش ابراهيم بن أحمد، العز و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع، ترجمة الحجري أحمد بن قاسم، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1511، ورقة 105.

(2) المجموعة 3190، الملف الأول، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة 53.

(3) النائب أحمد بك الانصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، مكتبة الفرقاني، طرابلس، ب ت، ص279.

(4) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 26.

(5) المسعودي الباجي، المصدر السابق، ص112.

(6) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص 148 .

2 – موقعة العلمة 1112هـ/1700م:

قضى الباي التونسي فترة من الرّاحة عقب الإنتصار الأولي الذي حقّقه، ولما تم ذلك عزم على إقتحام مدينة قسنطينة، ولكن سكان المدينة قد علموا بأمر هزيمة الجيش الجزائري، لذا فقد جمعوا من المؤنة ما يسدّ حاجاتهم للذود عن أنفسهم أثناء الحصار المتوقّع[1]. لقد أخطأ مراد الثالث عندما ظن أنّ المدينة ستفتح له أبوابها، وبعد مضي شهر كامل كان المحاصرون قد سيطروا على القلعة التي تشرف على المدينة، واستولوا على الأسلحة المختلفة التي كانت فيهـــــا ولم تظهر بوادر فك الحصار الطويل. صُدم الباي التونسي من شدة المقاومة الجزائرية التي منعته من إقتحام المدينة، على الرغم من قوة الحملة التي كان يشرف عليها، لذا اتخذ قرارا يقضي بالإستنجاد بالجيش الطرابلسي [*] الذي كان يقوده خليل الأرناؤوطي، هذا الأخير الذي تخاصم مع الدّاي شعبان سابقا، لقد لبى هذا القائد هذه الدعوة بسرعة كبيرة وجاء إلى الجزائر وتحت إمرته 1500 فارس[2].

كانت الجزائر في هذه الفترة العصيبة تمرّ بمرحلة خطيرة جدا، إذْ كان هناك تحاملا كبيرا عليها، ففي هذه السنة شنّ المولى إسماعيل هجوما على الغرب الجزائري، وهاجم التونسيون والطرابلسيون الشرق كذلك [3]. وإذا رجعنا إلى سبب التحالف الأول نجد أنّ قائد جيش طرابلس وافق على مساندة الباي مراد، كان في إطار إنتقامه من الجزائريين الذين منعوه الغنائم في تونس، كما كان الطمع في الحصول على غنائم وفيرة يُعد سببا آخر لا يقلّ أهمية، وحتما سيحصل على نصيبه من غنائم هذه الحملة في حال نجاحها.

وصلت أنباء الحملة وحصار قسنطينة إلى مدينة الجزائر، وما كان ينقص الجزائر من مشاكل قد حصل عندما أقدم الإنكشارية على قتل الدّاي، ونصبوا بدله دايا آخر وهو "الحاج مصطفى أهجي" (1700م- 1705م)[4]. لقد كانت ثقة الأعداء بنفسيهما زائدة عن حدها، إذْ يُذكر أنّه عندما اقترب الجيش الجزائري إنطلقا لاعتراض طريقه، حيث اشتبكا في السهول الواقعة بين قسنطينة وسطيف، في ربيع الأول 1112هـ/ أكتوبر 1700م[5]. وفي تلك الأثناء هاجم الملك المغربي جبل هيدور بالقرب من وهران كعادته، على رأس جيش قوامه 50 ألف فارس، للإستيلاء على المدينة ولكن المحتلين منعوه من الإقتراب منها، بيد أنّ غزوته هذه كان مآلها الفشل الذريع، وعلى إثرها غير من خطة هجومه نحو مناطق أخرى من البايليك عوض الرجوع إلى مملكته دون تحقيق أي هدف[6].

---

(1) حسن عبد الوهاب حسني، المصدر السابق، ص123.

(*) من غير المعقول أنْ يكون طلب العون من طرابلس في هذه الفترة فقط، و لو سلمنا بذلك كم سيستغرق الوقت لتعبئة الجيش و التوجه إلى الجزائر.

(2) المجموعة 3190، المصدر السابق، ورقة 53.

(3) المجموعة 3205، الملف3، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة53.

(4) De Grammont, Correspondance Des Consuls D'Alger, op. cit, p50.

(5) خوجة حسين، يشائر ...، المصدر السابق، ص19.

(6) الزياني ابن يوسف مُحَمَّد ، المصدر السابق، ص151.

كانت الأوضاع التي تمرّ بها الإيّالة الجزائرية، صعبة للغاية كما أوضحنا ذلك سابقا. فمن غير الممكن أنْ تبقى حكومة الدّاي بمدينة الجزائر دون تحرك ضد الباي التونسي المحاصر للمدينة لمدة طويلة، ومهما تكن الأسباب التي من شأنها تعطيل التحرك كبعد المسافة بين المدينتين مثلا أو وجود مسائل أخرى ذات أهمية بالغة لا يمكن أنْ تكون هذه هي ردّة فعل الدّايات حول التحالف الإقليمي غير المسبوق على تراب الإيّالة .

يُروى أنّ القوات الغازية بعد اشتباكها مع الجيش الجزائري في المكان المذكور سابقا، كان النصر منذ البداية يلوح في الأفق لصالح جيش الجزائر؛ وقد أثخن هذا الجيش في قتل التونسيين؛ ولم يتمالك الباي مراد نفسه عندما رأى ما حلّ بقواته وما كان عليه إلا الفرار لينجو بنفسه إلى بلده، وفي طريقه أفرغ غيضه في مدينة القيروان عندما أباحها لجيـــشه [1]. وهناك من يقول أنّه تركها لحليفه خليل الطرابلسي [2]، الذي لم يظهر أمره وبقي بعيدا عن ساحة المعركة ثم انسحب تاركا حليفه في مأزق كبير لقد كانت النتيجة مسبقة لهذه التحالفات غير المبنية على الأسس الصحيحة، ولم نجد أرقاما تفيدنا في نتائج هذه المعركة عدا تلك المتعلقة بالأسرى الذين بلغ عددهم 2000 أسير تونسي[3].

توجه الدّاي مصطفى نحو الجزائر بعد الإنتصار الكبير الذي حقّقه، ولم يكن ذلك آخر إهتمام للداي فقد أراد كبح الزحف المغربي، وامتناع الملك عن دفع الضرائب ولم يكن هذا فحسب بل تجرأ على الدخول في تحالف مع باي تونس للفتك بالجزائر هو الآخر. سار الباي على رأس قوة قوامها 6 آلاف جندي، وألف فارس، و كان جيش المغرب يتكون من 50 ألف فارس، لقد كانت قوة عظيمة بحق، ولكن الدّاي مصطفى إنتصر عليهم في وقت وجيز استغرقته المعركة، حيث قَتل خلالها 3 آلاف من المغاربة وغنم 5 آلاف من خيولهم الأصيلة[4].

ساهم الإنتصار الأول على حلفاء الجهة الشرقية في رفع معنويات الجيش لينتصر على المولى إسماعيل، لقد تمكّن الدّاي مصطفى من ممارسة سلطته دون إزعاج أو قلق كبيرين مثل ما حدث مع أسلافه. وقد رأى أنْ ينصب "أحمد بن فرحات" بايا على بايليك الشرق وأوكل له مهمة القبض على الباي مراد وشدد عليه أنْ يقوم بمهامه على أحسن وجـــه وقد نُصِّبَ خلفا للباي "علي خوجة" الذي أُستشهد أثناء حصار التونسيين للمدينة [5]. لقد شهدت الجزائر خلال هذه الفترة انتشار وباء الطاعون الذي أتى على ما يقارب 45 ألف شخص[6]، وبالرغم من هذه الأوضاع المأساوية إلا أنّها لم تؤد إلى نهاية التحالفات ضد الجزائر، فالمتربصون من الأعداء لم يحققوا مآربهم في البلاد وتبقى الدسائس المحرك الرئيسي لهذه التحالفات.

---

(1) حسن عبدالوهاب حسني، المصدر السابق، ص123.

(2) النائب أحمد بك الانصاري، المصدر السابق، ص ص279- 280.

(3) هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص48.

(4) ابن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 27.

(5) De Grammont, Correspondance Des Consuls, op. cit, p74.

(6) ابن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 27.

3- تدّخل الدولة العثمانية وفرض الصلح 1112هـ/1700م:

لسنا ندري ما هو الدعم الذي قدمه قائد الجيش الطرابلسي للباي التونسي حتى منحه تلك المكافئة، و كان الأجدر به أنْ يعاقبه على خذلانه ويمنعه من المرور إلى بلده، ولكن الباي لم يكن همه هذا بل كان شغله الشاغل هو الإنتقام من أعدائه الجزائريين، لذا حاول لملمة جراحه لإعادة بناء جيش يكون قادرا على المجابهة وتحقيق ما كان يصبو إليه هذا الباي الذي أدخل البلاد في دوامة لا مخرج منها [1]. وما كان عليه في هذا الصدد إلا طلب الجند من الدولة العثمانية وبسرعة كبيرة.

كانت الدولة العثمانية على دراية بالحرب القائمة بين الايّالات؛ لذا فإقامة الصلح كانت ضرورة ملحة أكثر من التجنيد، أوفد الباي مراد التونسي لطلب الجند آغا الصبايحية "إبراهيم الشريف"، وعندما وصل إلى إسطنبول كان قد إلتقى مع وفد جزائري أرسله داي الجزائر لذات الغرض، وحينما تقابلا الــوفدان هناك في مجلس السلطان العثماني "مصطفى خان الثاني"(1695م- 1703م)، استنكر السلطان حالة الحرب التي لا طائل منها إلا الخراب. آمرا إياهم بضرورة الصلح وتناسي الأحقاد [2]. بيد أنّ الباي مراد لم يعر إهتماما لهذا الصلح [3]، طالما أنّ الدولة العثمانية لم تجبه لطلبه، وهو أمر ليس بجديد عن طباع شخصيته.

يقال أنّ هذا الباي منعته كبرياؤه من الإنصياع لأوامر أسياده فيما يخص التوقف عن هذه المشاحنات التي أهلكت الحرث والنسل، ولم تكن الجزائر هي المتضرر الوحيد من جراء سياسته بل حتى البلاد التونسيـــة التي خربها وعاث فيها فسادا كبيرا، خاصة وأنّ عزيمته لم تفتر ولا أمل قريب يلوح في الأفق يدل على نهاية حكمه الذي وُصف بمواصفات لا تليق بحاكم متبصر.

وما حدث سابقا مع داي الجزائر سيتكرر مع هذا الباي، فالأصوات المناوئة له كانت تتعالى أكثر فأكثر كل يوم، لا سيما من قبل الجنود الذين عبروا عن سخطهم وذاقت بهم الأوضاع أكثر من أي وقت مضى، ومن بين هؤلاء آغا الصبايحية إبراهيم الشريف، الذي كان ذراعه الأيمن، فكيف ستكون حالة الآخرين تجاهه؟ لقد كان هذا الباي يتخبط في تسيير البلاد ولا يدري ماذا يفعل. وانطلاقا من هذه النقطة رأى إبراهيم الشريف في التخلص منه ضرورة ملحة وفي أقرب وقت ممكن لإتقاء شره. وكان رفض الباي للنصـــــــائح التي أسداه إياها الآغا سببا كافيا لقتله خاصـــة وأنّ سياسته كانت مبنية على مقارعة الجزائريين دون سواهم. وهناك من يقول بأنّ قضية التخلص من الباي كانت بايعاز من الدولة العثمانية عندما حرضت الآغا على الفتك بالباي[4].

---

(1) خوجة حسين، بشائر...، ج3، المصدر السابق،ص 19.

(2) المسعودي الباجي، المصدر السابق، ص113.

(3) المصدر نفسه، ص113.

(4) هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص48.

سادسا– التحالف الإنجليزي الهولندي ضد الإيّالة 1114هـ/ 1703م:

قبل الخوض في هذا التحالف يجب علينا أنّ نوضح ما آلت إليه الأمور في إيّالة الجزائر، إذْ بعد الإنتصار الذي حققه الدّاي شعبان على باي تونس والإنتصار الثاني الذي كان من نصيبه أيضا على المولى إسماعيل الملك المغربي، كانت أوربا تتنافس لعقد إتفاقيات مع داي الجزائر أو تجديد القديمة منها، ففي عام 1694م، عندما تقدم الفرنسيون للداي أحمد (1695- 1698م)، بطلب لاستعادة مؤسسة الباستيون لصيد المرجان والتصدير بعد انتهاء مدة الإمتياز الإنجليزي في السنة نفسها، كان هؤلاء يطمحون إلى تجديد عقدهم مع الدّاي ولكن الأخير رفض كما رفض الدّاي شعبان من قبله، على الرغم من سخاء العرض المقدم له، فضلا على تحريض الدّاي لكي يعلن الحرب على فرنسا، وعليه تكون جهودهم قد ذهبت أدراج الرياح [1]. يُذكر أنّه في هذه الآونة كادت كل من فرنسا وإنجلترا أنْ تجرّ الجزائر لمساندة طرفي الحرب في أوربا، لولا السياسة الحكيمة للداي حينما تفطن لهذه المكيدة[2].

ومهما يكن من أمر التزلف الإنجليزي إلا أنّ الفرنسيين إستطاعوا بدورهم تجديد الإتفاق القديم يوم 04مارس1698، يخص تسوية الخلافات السياسية والإقتصادية، ولعل أهم بنودها يتمثل في تحديد صلاحيات القناصل الفرنسيين وإطلاق الأسرى الفرنسيين وأمور الحرب والسلم، و كذا مؤسسة الباستيون [3]. ولكن أطماع الفرنسيين كانت أكثر مما يمكن حصرها، إذْ طالب التجار الفرنسيون الدّاي بمنحهم مراكز لصيد المرجان والتصدير في شرشال وقد قُوبلت بالرفض ثانية. وبعد موت الدّاي عام 1698م، أعادوا الطلب نفسه من الدّاي الجديد[4].

وصل الدّاي "الحاج مصطفى" إلى كرسي الدّايليكية بعد الدّاي السابق "بابا حسن"، وما كان يُعكر صفو العلاقات بين الدولتين تلك الأعمال البحرية الخارجة عن السّيطرة لبعض البحارة الفرنسيين، فعلى إثر ذلك سارع الكونت "بونشتارترين" إلى الدّاي يُعرب فيها عن إستعداده للتكفل بأي شيئ طارئ من شأنه أنّ يقلق السلام بين البلدين[5]. كانت هذه المراسلات بناءً على حادثة هروب يهوديين بأموال شركة الرأس الأسود بتونس إلى إسبانيا، وفي خضم هذه الأحداث وصل إلى الجزائر الإنجليزي الكومودور "بينك" (le commodore Bink)، وتحت إمرتـــه 5 مراكب بحرية من أجل عقد إتفاقية إقتصادية على الخصوص لدولته والهولنديين مثل التي هي للفرنسيين، وقد جوبه بالرفض القاطع لأنّ العلاقات مع فرنسا كانت متينة، ولا يوجد ما يدعو إلى إتخاذ أي إجراء منافي للجو السائد [6].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات..، المرجع السابق، ص92.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص371

(3) Edgad Rouard (De Card), Traités de la France..., Op, Cit, p4.

(4) بوعزيز يحي، علاقات..، المرجع السابق، ص ص93- 94.

(5) بلانتي أوجين، المرجع السابق، ج1، ص 41.

(6) بوعزيز يحي، علاقات..، المرجع السابق، ص 94.

لم يكن حرص الفرنسيين هو الوحيد الذي طبع جو هذه الفترة بل يقابله حرص الدّايات هم كذلك، ولما كانت الأمور كذلك فإنّ سياسة التفضيل بين الدّول الأوربية التي انتهجها الدّايات، وخاصة مع قنصلي إنجلترا وهولندا قد أدّت إلى نقمتهما على عدم التعامل بالطريقة نفسها بينهما وبين قنصل فرنسا، مما جلب نقمة هؤلاء، حيث تم إخبار بلديهما بما كانا يعانونه في ظل التقارب الفرنسي، لذا سعيا جاهدين إلى الظفر بالحظوظ نفسها أو ضرب إستقرار الإيّالة(*)، ففي سنة 1703 قرر القبطان الإنجليزي بينك إستعمال القوة رفقة الهولنديين ضد إيّالة الجزائر، لعله يحصل على ما كان يريد(1).

إنّ القنصل الإنجليزي كان على دراية تامة بدور الهدايا في مثل هذه المواقف، وعليه فقد أخبر ملكة إنجلترا بهذا الأمر كما أوصاها بأنّ ترصد أموالا للغرض نفسه من خلال قوله" ...إنّ زوجات وزراء السلطات الجزائرية كن طماعات كما كنّ صاحبات تأثير فهن يحتجن أيضا إلى الهدايا..". وهكذا فقد ابتذل قنصل إنجلترا وهولندا والتجار الأوربيين هدايا كثيرة للداي وحاشيته من الملابس الجميلة والساعات الحائطية واليدوية والمسدسات والخواتم والمرايا والفواكه المجففة والخمور المعتقة والمعجاين الراقية. كل هذه الهدايا وقد تم رصد أموال باهضة لم يشر إلى قيمتها(2).

إنّنا إذا أجرينا عملية حسابية بسيطة بقيمة الهدايا، فحتما سنجد أنّ الأموال التي تم تقديمها كانت كبيرة بما يكفي لإسالة لعاب الدّاي ووزرائه، مقابل الحصول على ما يريدون، إنّ هذه الهدايا التي حصل عليها حكّام الجزائر لم يتلقوها من الفرنسيين الذين يتمتعون بمكانة لائقة .

لقد حظر القبطان بينك كما أسلفنا إلى ميناء مدينة الجزائر وطالب الدّاي بعقد إتفاقية مع الإنجليز والهولنديين على شاكلة الإتفاقية مع الفرنسيين خاصة الإقتصادية منها، في الشق المتعلق بالتجارة ولكن الدّاي لم يستجب لطلب هذا القائد(3).

(*) تعدت العلاقات الجزائرية الفرنسية كلّ التوقعات، فالحرب التي كان يخوضها لويس الرابع عشر في أوربا حاول أنْ يقحم فيها الجزائر بأي شكل من الأشكال آخرها الإمتناع عن عقد أي إتفاقية مع أعدائه، ولكن تغير حكّام الجزائر من حين لآخر أثّر على إستقرار العلاقات بين البلدين، وعليه بقيت الجزائر في منأى عن أي تدخل خارجي قد يضر بمصالحها، ومهما يكن من أمر فإنّ الحرب في أوربا قد وضعت أوزارها بعقد مجموعة من الإتفاقيات منها إتفاقية ريسويك في 20 سبتمبر1697م، التي وضعت حدا للمشاكل التي بدأت منذ عام 1689م، مع كل الدول الأوربية خاصة منها إسبانيا وإنجلترا إذْ كل واحدة منها عقدت إتفاقية مع فرنسا. إنّ حالة الهدوء والإستقرار النسبي التي طبعت الساحة الأوربية ألقت بضلالها على العلاقات الأوربية الجزائرية، لذا كان التنافس على أشده فيما بين هذه القوى للظفر بمعاهدات تغطي طموحاتها. للمزيد حول الموضوع. ينظر:

Eugene Sue, Histoire de la marine française, T4, E2, paris, entièrement revue par l auteur, au depot de la librairie,1845, p374.

(1) بلانتي اوجينن، المرجع السابق، ج1، تهميش، ص47.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص371.

(3) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص94.

إنّه بالرغم مما كان يشكله الكومودور الإنجليزي بينك من تخويف للدّاي والحصول على موافقته بشأن الإتفاقية إلا أنّ الدّاي ظهر بموقف متصلب للغاية،كما جاء في رواية الدكتور بوعزيز يحي، ولكن ما أورده الدكتور ابن عبد الكريم مُحَّد منافي لذلك فقد أوضح بأنّ الدّاي وافق على إبرام الإتفـــاقية وزاد على ذلك بأنّها كانت تخـــص الســـلم وقضايا تجارية.

يُضاف إلى ذلك بأنّ الوضعية المالية للجزائر في هذه الفترة لم تكن مريحة فضلا عن الإشتغال بحرب تونس والمغرب الأقصى، وبالرغم من ذلك فقد فكر الدّاي في تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير، و لكن كان للقنصل الفرنسي رأي آخر فقد ألحّ عليه بعدم القيام بذلك مبينا له بأنّ هذه العملية ستكلفه غاليا، وأنّ ما يقبضه الدّاي من إسبانيا مقابل بقائها في وهران سيتم خسارته[1].

يُلاحظ أنّ الضغط الذي كان يقوم به القنصل الفرنسي كان له أهداف خفية، وتكمن هذه الأهداف في أنّه من مصلحة فرنسا أنّ تبقى إسبانيا قوية وتحتفظ بوهران والمرسى الكبير، كي تتمكن من السّيطرة على مضيق جبل طارق وهذا لمنع الإنجليز من الولوج بسهولة لعرض البحر المتوسط، والأيام القادمة ستثبت ما يخشاه الفرنسيون، لقد كانت الديبلوماسية الإنجليزية تعمل جنبا إلى جنب مع البحرية للضغط ليس على الجزائر فقط، بل حتى على الإيّالات الأخرى كالإيّالة التونسية[*]. وعلى أية حال فإنّ الملكة "آن"(Anne)، وحسب كتابات ابن عبد الكريم دائما تمكنت من عقد إتفاقية مع داي الجزائر، حصلت بموجبها على تسهيلات للقيام بالأعمال التجارية [2]، وبذلك تكون إنجـلترا قد افتكت ما كانت ترمي إليه منذ زمن بفضل سياسة قنصلها.

نستنتج أنّ الأمور لن تكون على ما يرام في البحر المتوسط، وعودة الصراع الأوربي ضد الجزائر لا مـفر منه ما دامت الجزائر في علاقات سلمية مع إنجلترا، وعليه ستضمن حرية ملاحتها وتجارتها أيضا في هذا المجال البحري، إنّ الأموال التي حصل عليها داي الجزائر ووزرائه من لدن الإنجليز لم تسد عجز الخزينة؛ فالحروب الهامشية مع الجيران وما أحدثته الحملات الفرنسية منذ خمسة عشرة عاما قد خلت، فضلا عن تراجع مداخيل الخزينة من عائدات النشاط البحري قد سرعا في نفاذ الخزينة من الأموال وهو ما يُشكل معضلة قد تعصف بحكم الدّاي في أية لحظة.

---

(1) ابن عبد الكريم مُحَّد، المرجع السابق، ص27.

(*) في غضون هذه السنة مثلت البحريتين الإنجليزية والهولندية خطرا كبيرا على بحرية الإيّالات المغاربية، فالحرب القائمة فيما بينها انهكت قواها، بل وشجعت القوى الأوربية على التجرأ عليها، إذ حلت 5 سفن انجليزية قبالة سواحل قرطاج ثم لحقت بها أخرى هولندية وطالبت من الباي التصديق على إتفاقية مجحفة في حين توجهت 06 سفن مشتركة إلى الجزائر للمطالبة بالإتفاقية نفسها، الأمر الذي يوضح مدى الضغط الذي كان يعانيه حكّام الايالات المغاربية من لدن الدول الأوربية دون توقف. للمزيد حول الموضوع ينظر:

plantet (Eugène), Correspondance des Beys de Tunis et des consuls de France avec la coure, T3, (1770-1830), paris, ancienne librairie, 1899, p87.

(2) ابن عبد الكريم مُحَّد، المرجع السابق، ص28.

حدث أنّ التقارب الإنجليزي الذي جُسد رغما عن أنف القنصل الفرنسي وهو ما كان يخشاه دائما من بلوغ الإنجليز وحلفائهم عرض المتوسط من غربه إلى شرقه ها هو يتحقق، بل أنّ ما كان للفرنسيين من مراكز تجارية أصبحت محل أطماع الوافدين الجدد إلى هذه الأصقاع من العالم البحري الجديد بالنسبة إليهم. إنّ المعارك ضد الجيوش الفرنسية لا زالت قائمة، بل أخذت تتطور وما زاد الأمور تعقيدا هي تلك المعركة التي حصلت في خليـج ملاقة بين البحريتين الإنجليزية والفرنسية عام 1704م، حيث تبادلا فيها الطرفان طلقات المـدافع دون إحراز أيّ نصـر شامـل ولكن الإنجليز تمكنوا من إقامة مركز دائم للمراقبة بمضيق جبل طارق إذْ يُعد ذلك نصرا لهم بالتأكيد[1].

بالرغم من الاختلافات الواضحة بين الكتابيتين حول عقد الإنجليز لإتفاقية مع الجزائر من عدمها إلا أنّ الفرنسيين كانوا على علم بتلك الهدايا الثمينة التي حصل عليها الدّاي، وهو ما تؤكده الرسالة التي بعث بها "دارندا" إلى "الكونت بونتشارترين" في جانفي 1705م، يخبره فيها بأنّ الإنجليز يحاولون التقرب من الدّاي بكل الوسائل بقوله"..إنّ الإنجليز يقدمون الكثير ويمكنهم دفع القضايا إلى أبعد من ذلك، إنّهم ينفخون بقوة في النار ويتحكمون فيها بقدر ما يمكنهم، وأنّ شيئا من الملاطفة والإكرامية للداي من قبل الملك سيؤتي أُكله ويمكنه جذب بعض الإهتمام..[2].

رمى الفرنسيون بكل ثقلهم في طريق الدسائس الإنجليزية، فأطماع هؤلاء في السّيطرة على المتوسط زادت من توثيق الصلات بين ملك فرنسا وداي الجزائر، بل جعلت من الفرنسيين يهتمون أكثر من أي وقت مضى بالإتفاقيات وتطبيقها، و كلما تغير القنصل أو حتى الدّاي يتم تجديدها خوفا من الاقتراب الإنجليزي الهولندي، وبالتالي ضياع مصالح فرنسا وهيبتها. لقد أثّرت الحرب المستمرة بأوربا على العلاقات مع الجزائر بل وجعلت منها قاعدة خلفية لتموين رحى الحرب الدائرة بأوربا، ففرنسا لم تكن هي الأخرى في موقف يجعلها تعلن الحرب على كل الجبهات فمصلحتها تقتضي الإبقاء على الإتفاقية مع هولندا كذلك لتموين الحرب أو تموين الأعداء بالأسلحة وهنا نقصد الجزائر. لقد كانت وضعية تتطلب نوعا من الذكاء الديبلوماسي أو قوة بحرية كبيرة، وعلى ما يبدو أنّ المتضرر من هذه الحرب هم الإسبان بالدرجة الأولى بلا شك[3].

لم يكن تأثير الحرب الأوربية على العلاقات فحسب، بل تعداه إلى تقلص النشاط البحري لإيّالة الجزائر، لقد كانت سيطرة الإنجليز على مضيق جبل طارق تنبئ بمستقبل سنوات عجاف ستقبل عليها الجزائر، ففي السّنوات الأولى من هذا القرن كادت أنْ تنعدم عمليات الغزو، فضلا على أنّ في سنة 1703م، ضربت الجزائر مجاعة مما زاد الأمور تعقيدا والأوضاع تفاقما[*].

---

(1) وولف جونن المرجع السابق، ص374.

(2) اوجين بلانتي، مراسلات، ج1، المرجع السابق، ص82.

(3) Eugene Sue, Histoire de la marine française, Op, Cit, p p445-449.

(*) على الرغم من سيادة حالة الجفاف والمجاعة والجراد التي ضربت البلاد المغاربية ككل، كانت الشركة المارسيلية تصدر القمح إنطلاقا من شرق الجزائر، لكن تلك الأموال لم تسد عجز الخزينة العامة، مما عجل بنهاية حكم الدّاي. ينظر: مروش لمنور، المرجع السابق، ص ص376-377.

سابعا– التحرير الأول لمدينة وهران و المرسى الكبير 1120هـ/ 1708م:

بعد استعراضنا لمختلف التحالفات المذكورة سابقا استوقفتنا قضية تحرير وهران والمرسى الكبير، هذه القضية التي شغلت حيزا كبيرا من اهتمامات كم من واحد من المؤرخين الجزائريين أو غيرهم، لقد استوقفتنا هذه الحادثة لكونها لم تخلو هي الأخرى من تحالف يكشف عاملا مهما كان قد أطال الإحتلال الإسباني للمدينة، ولكننا نلاحظ أنّه عندما حانت اللحظة الحاسمة تم تخطي كل العوائق والحواجز لبلوغ هذا الهدف الأسمى.

لا شك أنّ تولي "مُحَمَّد بكداش" منصب الدّاي يُعد مكسبا ثمينا للإيّالة التي كانت تمر بمرحلة عصيبة؛ فالدولة العثمانية لا زالت تفرض الرّقابة من خلال إزدواجية المنصب، والدول الأوربية تناور من أجل مصالحها، وعلى هذا الأساس كان عزم الدّاي يفوق كل هذه التحديات لا سيما بعد حثه على تحريرها من طرف العلماء [1]، لقد كانت أولويات سياسيته التركيز على تخليص وهران والمرسى من براثن الإحتلال، وما شد أزر هذا الدّاي هو باي الغرب الجزائري "مصطفى بوشلاغم المسراتي" وصهره "أوزون حسن"؛ الذي ولاه قيادة الجيش وبَلَّغَ الجند بأنّه خليفته عليهم [2]. لم تكن قضية وهران قضية خاصة ببايليك الغرب الجزائري أو البايات لقد أصبحت قضية وطنية بإمتياز فعرف المشاركون في عملية التحرير حجم المسؤوليات الملقاة على عاتقهم، وراح كل واحد منهم يجتهد لبلوغ الهدف الرئيس حتى من طلبة العلم شاركوا في معركة التحرير، ولم يكن هناك خطة تقضي على التواجد الإسباني بالمدينتين سوى فرض الحصار لإضعاف من بداخلها، وهذا بقطع الامدادات التي كانت تصلهم من المتحالفين معهم وفي قول أحد الشعراء في فرض الحصار ومدح الدّاي الأبيات التالية:

وَنَصَبْتَ مِنْ حَوْلِهَا مَدَافِعُ ... لِلرَّمْيِ كُلَّ السِرِ مُدَافِعُ

وَمِنْ عُواتِ كُورهَا فِي الجَوِ ... كَنِعَمِ رَجْمٍ مِنْ سَمَاهِ يَهْوِي

تَلْمَعُ مِنْ خِلَالِهَا البَوَارِقُ ... وَ وَقْعُهَا أَمْضَى مِنْ الصَوَاعِقِ [3].

لن نتطرق لعملية تحرير وهران بالتفصيل، وسنكتفي بأمر المدد الذي وصل للإسبان المحاصَرين في المدينة إذْ يخبرنا صاحب الأرجوزة، بأنّه أثناء عملية الحصار وصلت سفن مالطية وهي حتما ستكون من قبل الفرسان بقوله "... وفي أثناء هذا الحصار ورد على الكفار مدد من مالطة في سبعة مراكب فاحتمت به أكتافهم وتقوى شيطانهم .. فخرجوا من البرج مع من طلع في قسمتهم من ذلك المدد، وحفروا صغيرا في مقابلة صفير المسلمين الأول ثم أسرّوا منه بعض الليالي على صفير المسلمين على حين غفلة فكانت الدائرة عليهم..." [4]. نجد أنّ هؤلاء الفرسان قد ظلوا أوفياء للإسبان، وفقدان وهران والمرسى سيؤدي إلى مزاحمتهم في جزيرة مالطا كذلك أو البحر المتوسط، ومهما يكن من أمر المدد والدعم فقد تم تحرير وهران بالكامل يوم 20 جانفي 1708م[5].

---

(1) أبو راس مُحَمَّد الناصري، الحلل السندسية في تاريخ(شأن) وهران و الجزيرة الاندلسية، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم3182، ورقة 16.

(2) ابن ميمون مُحَمَّد الجزائر، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق ابن عبد الكريم مُحَمَّد، الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007م، ص210.

(3) الجامعي عبد الرحمن، أرجوزة الحلفاوي، تحقيق حساني مختار، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، الجزائر 2003م، ص ص93-94.

(4) المصدر نفسه، ص ص103- 104.

(5) ابن عبد الكريم، المرجع السابق، ص30.

ثامنا– إستيلاء فرسان مالطا والفرنسيين على سفينتين جزائريتين1141هـ/ 1729م:

بعد استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير عام 1708م، عمت الأفراح أرجاء الجزائر، وفرح السلطان العثماني بذلك أيضا، وبدت الجزائر و كأنّها تعيد مجدها التليد وسلطتها من جديد على البحر المتوسط، ففي عام 1724م اضطرت دولتا السويد وهولندا إلى عقد الصلح مع داي الجزائر بعد مفاوضات شاقة.

يذكر المؤرخ التركي عزيز سامح التر بأنّ الهولنديين اغتنموا الفرصة لعقد الصلح عندما إعتلى "كرد عبيدي باشا" حكم الجزائر سنة 1724م، وبقي كذلك حتى 1733م، باذلين الأموال والهدايا الكثيرة في سبيل ذلك؛ فقد دفع السويديون 3000 قرش نقدا، فضلا عن الهدايا التي تمّ تقديمها من أجل تحويل الإتفاقية من مؤقتة إلى دائمة [1]. أمّا الهولنديون فلم يستطع مبعوثهم الأميرال "غودين" (L'amiral Godin) إقناع الدّاي كرد عبدي بعقد الإتفاقية فغادر خاوي الوفاض والحسرة تملأ قلبه [2]، ولكنهم لم يستسلموا للأمر الواقع؛ ففي شهر ماي من السنة نفسها حلّ بالميناء الذي كان يرسو به الأميرال الهولندي سابقا سفير هذه الدولة وتزامن نزوله بأرض الجزائر قدوم مبعوث عثماني في مهمة سياسية، ويُذكر أنّ السفير جاء من أجل قضية غير تلك التي جاء من أجلها الأميرال سابقا، وهي الحصول على أموال كتعويض عن السفن التابعة لجمعية أوستاند بعدما إستولى عليها رياس البحر الجزائريين.

لم يورد المؤرخ أي تفصيل حول هذه البعثة، كما أنّه لم يشر إلى طريقة إقناع السفير الهولندي للداي الجديد بالإمضاء على إتفاقية الصلح واكتفى بالقول أنّه ..بموجب المعاهدة التي عقدها الهولنديون مع الجزائريين أصبحوا أكثر الدول التي تتحرك في البحار ولكن بحرية محدودة[3]. إنّ هذه المعاهدة التي خولت هولندا بالتحرك بحرية في عرض المتوسط توحي بتغير جديد في سياسة الجزائر مع تعيين الدّاي الجديد، لقد كانت الحرب في المتوسط ظاهريا حربا بحرية لإثبات الوجود، ولكنها كانت في الأساس حربا إقتصادية لشحن القمح الجزائري وتصديره، وهذه الحرب تتطلب عملا ديبلوماسيا حاذقا وجهدا عسكريا كبيرا[*].

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص474.

(2) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص96.

(3) سامح التر، المرجع السابق، ص474.

(*) بعد عام 1726م، عادت حركة التصدير من موانئ شرق الإيّالة إذْ بلغت جملة الحمولات 10 آلاف حمل سنويا في السّنوات ما بين 1726 -1729م تشير الإحصاءات الخاصة بتصدير الحبوب في سنة 1738م إلى أنّ الإنجليز قد شحنوا 38 سفينة و 2000 قنطار من الصوف، ويفيدنا إحصاء آخر بأنّ الإنجليز في السّنوات الواقعة ما بين 1708م – 1732م قد شحنوا من وهران ما بين 7 و 8 آلاف طونو من القمح ولم يكن هؤلاء وحدهم بل شحن الفرنسيون كذلك 30سفينة من القمح إنطلاقا من ميناء وهران حسب رسالة مؤرخة في شهر جويلية 1729م. و كان الفرنسيون قد احتجزوا سفينة هولندية مشحونة بالقمح الجزائري سنة 1730م. لقد كان الإنجليز والهولنديون منافسين شرسين للفرنسيين حسب المعطيات السابقة، فسيطرة الإنجليز على مضيق جبل طارق خولت لهم الظفر بنصيب من الحبوب الجزائرية خاصة في الفترة التي كانت فيها وهران محررة، الأمر الذي يؤكد الخيرات التي كانت إسبانيا تنعم بها فضلا على تضارب المصالح الأوربية التي كانت تدفع بكل شيئ في سبيل الحرب للحصول على التموين بالقمح وغيره . ينظر: مروش لمنور، المرجع السابق، ص ص 388- 389.

بحلول عام 1729م وبعد طي صفحة الخلافات مع دولتي السويد وهولندا لم يبق إلا فرسان مالطا يغيرون على سفن الجزائر خاصة والسفن الإسلامية عامة، دون هوادة وأينما كانت بالبحر، إذْ كانوا للتو قد إستولوا على سفينتين جزائريتين، لم نعثر على معلومات بشأنها. ولا غرابة في ذلك ما دامت هذه الفئة من الفرسان تجاهر بعدائها للجزائر، ولكن ما يثير العجب سلوك الفرنسيين الذين ساعدوهم على عملية الإستيلاء [1]، لقد ظلّ الموقف الفرنسي غامضا تجاه الجزائر فمن جهة تتهمها بخرق الإتفاقيات ومن جهة ثانية نجدها هي من تختلق المشاكل في السر وتحاول إصلاحها، لقد كان ظن الفرنسيين بأنّ إلحاق الضرر بالجزائريين بطرق غير مباشرة لن يصل إلى مسامعهم بيد أنّ ظنهم لم يكن في محله.

يدعو الأمر إلى عدم إئتمان شرّ الفرنسيين مهما كانت الإتفاقيات المبرمة معهم، فقد كانوا يلجأون إلى مثل هذه الأفعال الخسيسة غير مبالين بمشاعر الجزائريين؛ ودائما كانوا هم من ينقض الصلح ويعودون للتو طالبين الصلح من جديد ناسين ما اقترفوا من أخطاء جسيمة، والشيء الذي يدعو إلى الحيرة والتساؤل لماذا كان دايات الجزائر يقبلون عقد الصلح من جديد؟ و كمثال على ذلك فقد وجدنا أنّه في عام 1719م وبالضبط في شهر نوفمبر كان مجلس الدولة الفرنسي قد أمر "دوسول" للمرة الثانية بإجراء مفاوضات مع الدّاي؛ وقد تم التوصل إلى إتفاقية جديدة تحل محل إتفاقية عام 1689م، المسماة إتفاقية السلم المئوي، ولم تكن هذه هي الإتفاقية الوحيدة المبرمة، فقد تساهل داي الجزائر مع المبعوث الفرنسي "ميشين" (Maichens) عندما طلب منه السماح لفرنسا بإقامة مراكز تجارية لصيد المرجان والتجارة بغرب البلاد، خاصة بوهران بعد تحريرها، وهذا للحد من النفوذ الإنجليزي المتزايد في الجزائر [2].

وبذكر الإنجليز يلاحظ أنّ أطماعهم قد زادت عندما تم طرد الإسبان من وهران، وهو ما يُفسر القلق الفرنسي من الإهتمامات الزائدة للإنجليز بالسواحل الغربية للجزائر، وفي هذا السياق نجد أنّ القنصل الإنجليزي كان قد أقام الأضواء وبعض التزيينات على دار القنصلية عندما عمت أفراح تحرير وهران والمرسى بالجزائر، و كل هذه الأفعال كان يرمي من خلالها هذا القنصل لإستمالة أعضاء الديوان الجزائري. ويذكر أنّه عندما دخل وهران بعد تحريرها كان قد عين بها جواسيس ليكونوا عيونا له [3]، وعليه باشرت سفنهم شحن الحبوب كما أوضحنا ذلك آنفا.

لم يفوت داي الجزائر الأعمال الفرنسية غير المبررة من طرف الفرنسيين دون عقاب؛ إذْ أمر رياس البحر الجزائريين بالإستيلاء على السفن الراسية بميناء الجزائر، حيث تم القبض على بعض منها فقط ولاذت الأخرى بالفرار كما أمرهم بملاحقة السفن الفرنسية أينما كانت، وهناك بعض التقارير تشير إلى أنّه تم الإستيلاء على بعض السفن الفرنسية في سواحل بروفانس [4]، إنتقاما منهم على صنيعهم السابق.

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص474.

(2) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص96.

(3) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص459.

(4) المرجع نفسه، ص475.

البـــــــــاب الثاني

التحالفات الإقليمية والدولية ضد الإيّالة

خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر هجري

الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي

فصول الباب الثاني

– الفصل الرابع: حمــلات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي 1123– 1162هـ الموافق لـ 1711– 1749م.

– الفصل الخامس: حمــلات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي 1189– 1222هـ الموافق لـ 1775– 1807م.

– الفصل السادس: حمــلات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي 1229– 1246 هـ الموافق لـ 1814– 1830م.

الفصـــــل الرابع

حمــلات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما

بين سنتي

1123– 1162 هـ

الموافق لــ

1711– 1749 م

عناصـــــــر الفصــل

- تمهيد.

أولا- التحـــالف والتنـــافس الأوربي على الإيّـالة ما بين سنتي 1711-1714م.

ثانيا- التحالف الإسباني الفرنسي لإعادة إحتلال وهــران سنة 1144هـ/ 1732م.

ثالثا- وشاية الفرنسيين بسفينتين جزائــريتين لإسبانـــــيا سنة 1154هـ/ 1741م.

رابعا- تحالف الفرنســـيين وفرسان مالطا ضد الجـــزائر سنة 1157هـ/ 1744م.

خامسا- التحـــــالف الصليــبي ضــد الجـــــــــزائر1162هـ/ 1749م.

انقضى القرن السابع عشر وتمكن حكام الجزائر من مواجهة تحالف إقليمي كبير لم تشهده الإيّالة من ذي قبل وذلك عندما اغتنم حكام إيّالتي طرابلس الغرب وتونس وملك المغرب الأقصى الفرصة لإنهاء حكم العثمانيين بالجزائر منتهزين فرصة انهماك الدّايات بترميم ما دمرته الحملات الفرنسية المتتالية قبل سنوات، الأمر الذي زاد من معاناة الجزائر ففي الوقت الذي كان من المفروض على الأشقاء – وهم قبل ذلك جيران من الدرجة الأولى– الوقوف إلى جانب الإيّالة؛ راحوا ينظمون حملات عسكرية للقضاء عليها، ولم تكن هذه الحملات إلا من دسائس االقناصل الأوربيين.

كان تعاقب الزمن في العصر الحديث يقابله تطور حاصل في ميادين شتى، لا سميا منها تطور تقنيات الملاحة مع تطور العلوم المساعدة لها كعلم الفلك والجغرافيا. لقد كانت هناك أمم ليس لديها حدود بسواحل المتوسط ترغب في ايجاد موطئ قدم لها به، هذا المسطح الذي أصبح ميدانا خصبا للتجارة البحرية، وبقي محافظا على مكانته المعهودة على الرغم من ظهور طريق رأس الرجاء الصالح الطويل، على لأقل في هذه الفترة بالذات. تصدرت هذه الأمم دولة هولندا الدانمارك وإنجلترا، إنّ هذه الأخيرة إستطاعت فرض هيمنتها على أهم المعابر المتوسطية. وخاصة مضيق جبل طارق المدخل الوحيد له على المحيط الأطلسي وكذا مضيق صقلية الذي يؤهل من يتمركز فيه إلى السّيطرة على حوضي المتوسط، فقد أنشأت هذه الدولة قواعد عسكرية ثابتة بالمضيقين لا ينازعها عليهما أحد.

إن الولوج إلى عالم المتوسط يفرض نمطا خاصا من العمل، فالبحرية الجزائرية خاصة والإسلامية بصفة عامة كانت تنشط عبر هذه الأصقاع الواسعة من عالم البحار. وعليه شكلت السفن البحرية طرائد صيد وفيرة للرياس المسلمين كما كانت السفن الإسلامية صيدا ثمينا للبحرية الأوربية. ولعل النتيجة الهامة التي حصلت في هذه الفترة هو ظهور التنافس الأوربي على الحصول على الإمتيازات بسواحل شمال إفريقيا، بين فرنسا التي كان لها الأسبقية في الظفر بالمكاسب الإقتصادية والوافدين الجدد.

عملت الأطراف المتصارعة على المتوسط من خلال إبراز قوتها البحرية العسكرية واستغلال دهاتها السياسيين لفرض نمط خاص، فقد غابت تماما أعتى قوتين مثلتا عهد السّيطرة المطلقة، فلا الإمبراطورية الإسبانية غدت قادرة على توجيه حملات كالتي وجهتها في مطلع القرن السادس عشر ولا حتى إستطـــاعت الذود عن مناطق إحتـــلالها بوهـــــران والمرسى الكبير، والدولة العثمانية أيضا كانت قد فقدت حكمها بشكل شبه تام على إيّالة الجزائر، عندما مُنع مبعوثها من النزول على أرضها لممارسة مهامه كسابقيه.

أولا– التحالف والتنافس الأوربي على الإيّالة 1711– 1714م:

لعل من أبر الأمور دقة في تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية تلك المسألة الخاصة بتعيين الباشاوات العثمانيين إلى جنب الدّايات، لقد ألقت هذه القضية بظلالها على العلاقات العامة للإيّالة، إذ مع اعتــلاء الدّاي "علي شاوش" (1710- 1718م) سدة الحكم في الجزائر في منصب الداي؛ بادر إلى القضاء على إزدواجية الحكم بإلغاء منصب الباشوية[1]، الذي ظل موجودا منذ أنْ آل الحكم إلى الآغوات عام 1659م، عندما أصرّت الدولة العثمانية على بقاء منصب الباشا إلى جانب الآغوات ثم الدّايات كعين تضل ساهرة لمراقبة هؤلاء الحكام، وعــلى ما يجري بهذا الجزء القصي من أرضها.

وفي سنة 1711م لم يستقبل الدّاي علي شاوش الباشا الجديد "ابراهيم باشا"، واضطره إلى الإنسحاب من ميناء الجزائر إلى ميناء القل إذْ بقي هناك حتى مات حسرة بسبب طريقة طرده، في حين لم يكن الدّاي علي مغفلا فقد أغدق على السلطان العثماني الكثير من الهدايا القيمة لينال لقب الباشا، وقد حصــل على ذلك وأصبح هو الــدّاي والباشا في آن واحد، واتبعه الدّايات الذين حكموا من بعده على الشاكلة نفسها[2]، لقد كان حكم الإيّالة يتجه للخروج عن سيطرة العثمانيين.

كادت الجزائر أنْ تتورط في جو مشحون من العلاقات المتوترة ستكون له تداعيات خطيرة لا محال، ولكن الدّاي إستطاع أنّ يغلق هذا الباب وبالتالي تجاوز هذه المحنة والمشاكل التي تطال الإيّالة، ونجد بالمقابل الدول الأوربية لا زالت تمارس سياستها المعهودة والموسومة بالعداء الشديد تجاه حكام الجزائر، ولكن ليس مع كل هذه الدول فالعلاقات مع فرنـــسا كانت مستقرة نتيجة الإتفـــــاقية التي عقــدت عام 1689م، المسماة بإتفاقية القنصل الفــرنسي "مارسيل قيوم" (Marcel Guillaume)، وتوّجت بمعاهدة أخرى عام 1694م[3]، في عهد الدّاي شعبــان الذي كانت له مراسلات كثيرة معهم كما أوضحنا ذلك سابقا.

أمّا العلاقات مع الإنجليز والهولنديين لم تكن كذلك؛ فهؤلاء لم تهدأ لهم بال، طالما كان هناك تقارب جزائري فرنسي، فقد بدأوا يفكّرون جديا في طرق لوأد هذا التقارب مهما كانت، فتارة يدعمون الجزائر ويزودونها بمختلف المؤن الحربية من ذخيرة وحبال وصواري وغيرها؛ ويتوددون إليها، وتارة أخرى يفكرون في ضربها من أجل اخضاعــها [4]. فهل ستبقى الأمور على عهدها أم أنّ الحليفين الأوربيين سينقلبان على الجزائر.

---

(1) ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري، رحلة ابن حمادوش (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)، تحقيق سعد الله أبو القاسم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007م، ص120.

(2) بوعزيز يحي، الموجز..، ج2، المرجع السابق، ص43.

(3) غطاس عائشة، علاقات الجزئر...، المرجع السابق، ص88.

(4) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص91.

بعد أنْ استعرضنا حالة العلاقات العامة التي طبعت الساحة السياسية والعسكرية في الجزائر والحوض الغربي للبحر المتوسط، وبما أنّ الجزائر كانت أوضاعها مستقرة على مستوى هرم السلطة، فقد إلتفت الدّاي هذه المرة إلى مدينة وهران والمرسى الكبير لتحريرهما مع نهاية العقد الأول من القرن الثامن عشر. بحيث ستزداد الأمور تعقيدا بعودة التوتر مع الأعداء التقليديين للجزائر وهم الإسبان، وبما أنّهم كانوا يحتلون المدينة فإنّ العلاقات بينهم وبين الجزائر كانت مقطوعة بل أنّ الجزائر لم تكن مهتمة بها، لاسيما أنّ الإسبان ليس لديهم أي نية في توجيه حملة على مدينة الجزائر ولكن قضية إحتلال وهران لم تكن غائبة من أذهان الجزائريين.

فتحت قضية تحرير وهران في آخر العقد الأول من القرن الثامن عشر الباب لعودة الصراع القديم مع العدو الأول للايّالة، ولم يكن هؤلاء يملكون الامكانيات نفسها التي هي للإنجليز والهولنديين للتحرش بالجزائر. إذْ تعود الأسباب التي أدت بالجزائر في التفكير الجدي في تحرير وهران والمرسى الكبير بعد أنْ بقيت تحت أيدهم قرنين من الزمن إلى حكم الدّاي "مُحَمَّد بكداش" الذي يُروى بشأنه أنّه كان قد تولى منصب الدّايليكية سنة 1707م/1118هـ عندما رجـع مع مجموعة من الجند المنفي ودخلوا إلى مدينة الجزائر ليلا حيث أطاحوا بالـــدّاي الذي كان يحكم انذاك وهو الدّاي "حسين خوجة باشا"(1705- 1708م)، وعلى إثر ذلك انتـخب مُحَمَّد بكداش دايا جديدا على الجزائر[1]، وبدت هيبة الدولة هدفه الرئيس المراد تحقيقه.

ساعد وجود الباي "مصطفى بوشلاغم المسراتي"(1690- 1733م)[2] على رأس بايليك الغرب الجزائري إلى الدقع يهذه القضية إلى الأمام. لقد كان مقر حكمه في مدينة مازونة، ما أهله إلى نشر عيون له على الإسبان وأعوانهم مما سمح له بتشكيل تحالف كبير ضدهم[3]. بدأ الدّاي مُحَمَّد بكداش في مضايقة الإسبان عندما أمر الباي بضرب حصار شديد على المدينة وقطع التموين عليها، تمهيدا لإقتحامها وكان من جملة ما أقبل عليه الدّاي هو إرسال وزيره وصهره في الوقت نفسه "أوزون حسن" على رأس جيش جـــرار من مدينة الجزائر، في حين كلف فرق أخرى بالذهاب عن طريق البحر انطلاقا من مرسى أرزيو. وهكذا دارت معارك كبيرة بين الطرفين[4]. لم نجد تاريخ إقلاع الجيش بالضبط من مدينة الجزائر بقيادة أوزون حسن ولا المعلومات عن عدده وعدته، حيث أنّ هذه الأعداد تفيدنا بشأن حجم المعركة التي ستدور بينهما. و كلما نستطيع قوله أنّها كانت أعداد كبيرة من الجند نظرا لذهابها عن طريق البر والبحر معا، كما أنّ المهمة التي تنتظرهم لم تكن سهلة حتى يتم الإستخفاف بها.

---

(1) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، مقدمة كتاب التحفة المرضية، المرجع السابق، ص29.

(2) غطاس و أخريات، الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص226.

(3) Pierre Boyer, Historique Des Benie Amer D'Oranie Des Origine Des Senatus Consulte,Paris, O M M, N° 1, V24, 1977, p53.

(4) ابن عبد القادر مسلم، أنيس الغريب و المسافر(تاريخ بايات وهران المتأخر)، تحقيق بونار رابح، ش و ن ت، الجزائر 1974م، ص15.

عندما وصل الجيش إلى وهران إلتحم بقوات باي الغرب الجزائري التي كانت بانتظاره، وأول ما قاموا به هو ضرب حصار على المدينة، للتضييق على المحتلين و قطع الإمدادات عنهم، وبات الخطر يتهددهم في كل لحظة [1]. لم نستطع معرفة إنْ كانت جهة البحر محاصرة أم لا، على الرغم من أنّه كانت هناك قوات إنتقلت إلى المدينة عن طريق البحر، ويذكر أنّها وصلت إلى ميناء أرزيو فقط على أكثر تقدير. ولكن هناك إشارة تفيد بأنّ جنود الجيش الجزائري كانوا يسارعون إلى أسر أكبر عدد ممكن من أولئك النصارى الذين عجت بهم المراكب البحرية في طريق فرارهم إلى إسبانيا. ومهما يكن من أمر فإنّ المعركة كانت حامية الوطيس وسالت على إثرها أودية من الدماء، وبدت علامات النصر تلوح في الأفق لصالح الجزائريين، إذْ نالوا الشهادة والغنـــائم كذلك، حتى إستطاعوا في الأخير إلحاق الهزيمة بالإسبان وطردهم من المدينة عن آخرهم يوم الجمعة 26 شوال 1119هـ 19جانفي1708م[2].

كان هذا الإنتصار العظيم مصدر فرحة وبهجة لكل من شارك في عملية التحرير وخاصة بالنسبة للداي الذي عبّر عن ذلك بإرساله لهدية ثمينة للسلطان العثماني تتمثل في مفاتيح ذهبية. ومن جملة التدابير التي أقيمت هي نقل مقر حكم بايليك الغرب الجزائري إلى وهران بعد أنْ كان في مدينة معسكر [3]، وهناك من يقول أنّه كان في مازونة وعلى أيّة حال كانت العاصمة تتنقل بين هذه المدن، بالإضافة إلى قلعة بني راشد ومستغانم[4]، ولم تكن قضية العاصمة مهمة بقدر ما كان إبعاد الخطر عنها هو الأهم، فالمسافة تظل قريبة جدا بين هذه العواصم. وهكذا كُتب النصر لجيش الجـــــزائر وإستطاع الدّاي بكداش أول مرة أنْ يوحد البلاد تحت سلطة العثمانيين منذ أنْ وطأت أقدامهم أرض الجزائر، و يبدو أنّ هذا الإنتصار الذي يُظهر مدى القوة العسكرية للإيّالة لن يخيف الأوربيين بل على العكس من ذلك. فالتنافس عليها زاد أكثر مما كان عليه وباتت قضية ضرب مدينة الجزائر قضية وقت لا غير.

أصبحت إسبـانيا من جديد مصدرا للإزعـــاج وطرفا في التحـــالفات الممكن عقدها مستقبلا ضد الجزائر لا سيما و أنّها غير قادة على توجيه حملة بمفردها ضد الإيّالة منذ حملة شارل الخامس أواسط القرن الماضي، وهو الأمر الذي يجبر حكام الإيّالة على إعادة حساباتهم وفقا لما تمليه المصلحة العامة والمتغيرات الجديدة، من أجل أخذ الحيـــطة والحذر فعلى الأرجح فقدان الإسبان لنفوذهم بالجزائر لن يكون حسرة في قلوبهم هم فقط بل سيؤجج نار الحقد من جديد للدفع بمشاريع التحالف ضد الجزائر إلى الأمام. وعليه ستسابق هذه الأمم الزمن من أجل تحقيق مآربهـــــا ولو اضطرت الدخول في تحالفات لا ترغب فيها.

---

(1) الاغا بن عودة المزاري، طلوع...، ج2، المصدر السابق، ص234.

(2) المصدر نفسه، ص235.

(3) ابن عبد الكريم محمّد، المرجع السابق، ص29.

(4) المرجع نفسه، تهميش، ص30.

اتسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية بالصفاء طيلة العقد الأول من القرن الثامن عشر، وما يدل على هذا الصفاء النشاط البحري الفرنسي باتجاه موانئ الإيّالة، فالشركة الفرنسية هيلي المرسيلية كانت في قمة نشاطها البحري التجاري وأرباحها سجلت أرقاما قياسية من خلال تجارة الحبوب المصدرة إلى فرنسا باتجاه ميناء مرسيليـــا ولوهافر وفي هذا الصدد عقدت إتفاقية يوم 14 أوت 1710م، تقضي بتزويد أسطول الشركة الإفريقية بالجزائر بمواد التموين لسفنها من حبال وصواري وغيرها عند إتجاها إلى الجزائر لشحن الحبوب، ويذكر أنّ هذه العمليات أي عمليات الشحن قد استفادت منها البحرية الجزائرية هي أيضا[1].

لا يخفى على أحد أنّ هذا التقارب بين الطرفين كادت أنّ تفسده أطماع الإنجليز والهولنديين معا، في حين كان الفرنسيون يبتذلون الهدايا للمحافظة على تناغم هذه المصالح؛ فالقنصل الفرنسي كان قد أهدى داي الجزائر قطعة من القماش الراقي، كما بارك له إنتصاره في وهران على الإسبان، في حين كان القنصل الإنجليزي قد أهداه هدية أفضل من تلك التي أهداها له القنصل الفرنسي، قدرت قيمتها بـ 500بياسترا، كل هذا من شأنه إيجاد موطئ قدم للتجارة بالجزائر، وكذا بالحوض الغربي للمتوسط، ومـــا تجنيه من أرباح تجارية وخاصة الـــتزود بالحبوب وأعلاف الخيول والدواب لإستكمال حربهم الأوربية ضد آل هابسبورغ في إسبانيا.

إستفادت إنجلترا من هذا التقارب إذْ كانت حوالي 40 سفينة في مدة سنتين الماضيتين من جملة السفن الإنجليزية التي طاردتها البحرية الفرنسية قد وجدت في ميناء وهران قاعدة آمنة لها بعد عودته إلى حكم الجزائر، ولو كان بيد الإسبان لكانوا لقمة سائغة لهم، ويضيف جون وولف أكثر من هذا إذْ يخبرنا بأنّ الإنجليز إستطاعوا منع العديد من عمليات الشحن إنطلاقا من الجزائر إلى فرنسا في عهد لويس الرابع عشر، بل وتجرؤوا على إغراق سفينة فرنسية في ميناء عنابة، عندما كان الميناء ملكا لهم، ويظهر ذلك من خلال عدم اكتراث داي الجزائر بما يجري للفرنسيين في الشرق الجزائري من طرف البحرية الإنجليزية، حيث يرجع ذلك إلى خوف الدّاي منهم[2].

يظهر أنّ التسابق بين القوى الأوربية الثلاثة المذكورة سابقا؛ كان لا يفتر وهو ما يفسر بقاء العلاقات بين الأطراف الأجنبية والجزائر غير مستقرة لتضارب المصالح، فهؤلاء كانوا دائما ينقضون عهودهم ويتنكرون لمواقفهم فالطرف الفرنسي عادة ما يكون حريصا على بقاء العلاقات صافية ما دام هناك تزلف إنجليزي أو هولندي لداي الجزائر. وما يدل على ذلك؛ الحادثة التي تعرض فيها بعض الفرنسيين لهجمات القبائل بالقالة وأضروا كثيرا بالمصالح الفرنسية ولم تقطع فرنسا علاقاتها مع الجزائر، بل عملت على إصلاح الأوضاع ومطالبة الدّاي بمنع هؤلاء وغيرهم من العودة لهذه الأعمال التي أضرت بمصالحهم [3].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر ...، المرجع السابق، ص95.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص ص379-380.

(3) Paul Masson, Op, Cit, p273.

يُذكر في هذا الصدد أنّ أزمة حادة قد وقعت بين الجزائر وإنجلترا، عندما كان قنصلها لا يلاقي صعوبات كبيرة في إدارة مصالح دولته في ظل التقارب السابق بين الطرفين، فالعديد من السفن التي ليست من ضمن البحرية الإنجليزية ولا يوجد على متنها أي انجليزي، كانت ترفع علم هذه الدولة، وهو ما أثار حفيظة بحارة الجزائر ورياسها، فهذا العمل لا يمكن وصفه إلا بالعمل المشين وغير اللائق. ويعود سبب الأزمة إلى هجوم قرصان إنجليزي يدعى "نوريس"(Norris) على سفينة جزائرية ذات 12 مدفعا، أردى نصف طاقمها بين قتلى وجرحى وكاد أنّ يغرق السفينة أيضا، ولكن تهديدات الدّاي كانت أقوى من مدافع السفينة الإنجليزية المعتدية الأربعة والأربعين، حيث هدد القنصل بقتل جميع الإنجليز الموجودين في الجزائر، وعليه سارع القنصل إلى إطلاع حكومته بحقيقة عملية القرصان غير المبررة وجدية التهديدات؛ فسارعت الحكومة إلى إرسال الضابط "بالشين"(Bulchen)، محملا برسالة إلى داي الجزائر لإصلاح ما أفسده القرصان وأحضر معه هدايا قيّمة، كانت كفيلة بإطفاء غضبه، في حين تعهد بمعاقبة الفاعل [1].

أما الملك الفرنسي وفي إطار المحافظة على مصالح بلاده في الجزائر، والوقوف في طريق الدسائس الإنجليزية كان قد أطلق سراح عدد من الأسرى الجزائريين سنة 1711م، وأرسلهم إلى الجزائر على متن باخرة تسمى(Fleuron) وفرض سيطرته على شركة هيلي المرسيلية السابقة الذكر، حيث غير إسمها نتيجة تزايد نشاطها واتساعه، إلى الشركة الإفريقية (la compagnie d'Afrique). وهذا بُغية قطع الطريق أمام الإنجليز والجنويين على حد سواء، ففي سنة 1714م، حلّ الأميرال الفرنسي"دوكين مونير" (Duquesn Monier) بالجزائر، وطلب من الدّاي منع الجنويين من ارتياد ميناء القالة، حيث تم الموافقة على طلبه وقام بمنعهم من الاقتراب من الميناء المذكور وكذا مينائي عنابة وطبرقة أيضا.

ولكن الأمور لم تبق على حالها بل تعقدت أكثر عندما توفي الدّاي علي شاوش عام 1718م وتجددت على إثر ذلك أطماع الإنجليز إذْ أصبحت تهدد مباشرة المؤسسات التجارية الفرنسية بالجزائر في كل وقت وحين [2] وأضحت الخسائر من نصيب التجار الفرنسيين حتى غدو يفكرون في التخلي عن تجارتهم بمنطقة الرأس الأسود التونسية نهائيا والتركيز على إمتيازاتهم بالجزائر [3]. كاد هذا التسابق المحموم للمحافظة على المكتسبات أو إيجاد منفذ لتحقيقها بين القوى الكبرى إلى أنْ يرجع العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى نقطة البداية قبل ثلاثين سنة قد خلت، عندما حلّ قبالة مدينة الجزائر الأميرال "دوستري" وأمطر المدينة بالقنابل، وما أعقبها من عقد لإتفاقية عام 1689م، لقد كان النفوذ الفرنسي يتأرجح بتذبذب العلاقات، التي غالبا ما تأثرت بتغير الحكم في الجزائر، إنّ عزيمة هؤلاء لم تفتر إطلاقا على الرغم من القوة والحزم التي أبداها كم من واحد من الدّايات.

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص 380.

(2) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص96.

(3) Paul Masson, Op, Cit, pp278-279.

عملت فرنسا كل ما في وسعها للبقاء صامدة أمام الأطماع الإنجليزية. ففي عام 1719م، أوفدت الضابط "دوسول" (Dussault) إلى الجزائر من أجل إيجاد مخرج لحالة الإعتداءات المتكررة على المؤسسات التجارية الفرنسية بالشرق الجزائري، في حين كان الأميرال دوكين راسيا في ميناء الجزائر مصوبا مدافعه نحو المدينة للضغط على الدّاي الجديد "مُحَمَّد بن حسن باشا" (1718- 1724م)، لتنفيذ مساعيهم، بيد أنّ الأمور لم تتغير وبقيت على ما هي عليه، وهو ما اضطر الطرف الفرنسي إلى إعادة إرسال المفاوض دوسول مرة ثانية إلى الجزائر في نوفمبر من عام 1719م، إذْ توصل الطرفان إلى ضرورة الإلتزام بشروط الإتفاق المئوي الممضى عام 1689م، وهذا يوم 23 ديسمبر1719م[1].

كان هذا الإتفاق الأخير قد فتح للفرنسيين باب الطمع أكثر وراحوا يطالبون الدّاي بمراكز أخرى تجارية على سواحل غرب البلاد، عندما وفد إلى الجزائر الفرنسي "ميشين"(Maichens) سنة 1724م، طالبا من الدّاي منحه تراخيص لإقامة مراكز تجارية بوهران وغيرها من المدن الساحلية، على غرار التي لهم بالشرق، ويندرج هذا الطلب في سياق التنافس مع الإنجليز الذين باتوا يدعمون مراكزهم البحرية في مضيق جبل طارق وميناء ماهون الإسباني[2].

على إثر النجاح الذي حققه الفرنسيون في الجزائر؛ بكسب العديد من المراكز التجارية، حاولت هولندا أنّ تقوم بالشيء نفسه، من خلال إرسال "الكونت سومرديك"(Somerdik)، كاتب أميرال البحرية الهولندية على متن بارجة حربية ترافقه ثمانية قطع حربية، لإخافة الدّاي والضغط عليه من أجل عقد إتفاق للسلام والتجارة، مقابل عرض سخي، يتكون من 25 صارية، 14 مدفعا، كميات من الرصاص، 4 أسلاك و 400 قنطار من البارود، بالإضافة إلى 400 شفرة سيف و 400 مسدسا[3]. لا يفوتنا أنْ نُشير إلى أنّه قبل هذه التهديدات حلّ وفد هولندي للغرض ذاته ولكن الدّاي علي شاوش قد رفض العرض[4].

تُعد الهدايا التي تسلمها الدّاي وأعضاء الديـــوان من قبل القنصل الفرنسي "ديبراند"(Durand) الذي جلبها من مرسيليا المتمثلة في الفواكه، الكستناء، المربيات، البرقوق المجفف وغيرها سببا في قبولها، فقد أمضى مع الفرنسيين على الإتفاقية. بيد أنّ تغير الحكم من الدّاي مُحَمَّد إلى الدّاي "كرد عبيدي" كان قد غير المفاوضات لصالح الهولنديين الذين وقعوا مع الدّاي إتفاقية سلم هم كذلك[5].

---

(1) Garrot(H), Op, Cit, p p563-564.

(2) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر..، المرجع السابق، ص ص96-97.

(3) بلانتي اوجين، ج1، المرجع السابق، تهميش ص261.

(4)يوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص97.

(5) بلانتي اوجين، ج1، المرجع السابق ، تهميش ص261.

ثانيا– التحالف الإسباني الفرنسي لإعادة إحتلال وهران 1144هـ/ 1732م:

لم يكن هذا التحالف جديدا بين الطرفين فالفرنسيون لم يفوتوا هذه الفرصة للإنتقام من دّايات الجزائر الذين ساهموا بشكل أو بآخر في إلحاق الضرر ببحريتهم، طبعا هذا حسب زعمهم، إذْ بعد مضي ثلاثة سنوات كان الإسبان لا زالوا يفكرون في إحتلال مدينة وهران والمرسى الكبير كذلك. وكنتيجة للخسائر التي تكبدها هؤلاء عندما خرجوا من المدينة سنة 1708م، حيث قتل لهم أكثر من خمسة عشر ألف جندي فضلا عن الأسرى الذين يقدر عددهم بالآلاف أيضا، لقد كان هؤلاء بحاجة ماسة إلى مساعدة ودعم أوربا ولن تكون هذه المساعدات إلا من طرف الفرنسيين أكثر الأوربيين المتربصين بالجزائر، وللأسف هم أكثرها إستفادة من خيراتها في إطار الإمتيازات الممنوحة لهم. فقد دفعت إتفاقية أوترخت (Utrecht) المنعقدة في سنة 1713م، بين أطراف الحرب الأوربية دفعا قويا للملك الإسباني من أجل إعادة إحتلال وهران والمرسى الكبير، لقد كانتا حسبه عنصرا هاما لازدهار مملكته قبل فقدانهما[1].

1– أوضاع البلدين قبيل الإحتلال الثاني لوهران:

للتدقيق في عملية إحتلال وهران من طرف الإسبان للمرة الثانية، أيْ بعد مُضي أربعة وعشرين عاما على تحريرها وبقيت تحت سلطة العثمانيين بالجزائر، وبعد قرنيين تحت سلطة الإسبان، فيجب علينا قبل الخوض في الحادثة أنّ نوضح ما كانت تمرّ به كل من إيّالة الجزائر وكذا مدينة وهران وحتى دولة إسبانيا.

1.أ – أوضاع الجزائر:

كنّا قد أسلفنا فيما مضى أنّ دّاي الجزائر في هذه الفترة هو كرد عبدي باشا[*]، إذْ شهدت الإيّالة في عهده نوعا من الإستقرار أكثر مما كان عليه قبلها، فكانت طائفة رياس البحر رهن إشارته، كما أنّ طائفة الجند كانت هي الأخرى ملتفة حوله وبدت الأمور مع وصوله إلى الحكم تظهر صلابة الموقف الجزائري؛ ليس مع الدولة العثمانية فقط وإنما مع الدول الأوربية التي لها علاقات مع الجزائر منها السويد وهولندا وغيرهما. ويذكر أيضا أنّ الدّاي عبدي الذي وصل إلى الحكم عن طريق التعيين من طرف الديوان كان أعضاؤه يساندون كل قراراته ولم تكن لديه مشاكل تعرقل تسييره للحكم[2].

---

(1) Fey Henri Léon, Histoir de Oran, Oran- Alger, Typographie Adolphe Perrier, 1858, p142.

(*) حكم الدّاي كرد عبدي باشا الجزائر ما بين 1724– 1733م، كان عسكريا يتمتع بشخصية قوية، غير أنّه مدمن على تناول الافيون مما يجعله متقلب المزاج ، الأمر الذي جعل الدول الأوربية تتسابق لإعادة علاقاتها مع الجزائر. ينظر: سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص473.

(2) هابنسترايت ج أو، رحلة العالم الالماني ج أو هابنستراريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ– 1732م)، ترجمة سعيدوني ناصر الدين، دار الغرب الاسلامي، تونس2008م، تهميش ص22.

لم يدع الدّاي عبدي باشا الشك يتسلل إلى قلبه، فقد كان يقتل كل من يشك في أمره، خاصة بعد أنّ اكتشف بأنّ قاتل الدّاي السابق وخزناجيه كان يخطط لجعل الحكم وراثيا في الإيّالة، وهذا بعد أنّ عثر على أوراق خاصة به تتضمن ذلك، كما أنّ مؤامرته هذه إمتدت إلى أقاليم الإيّالة، ما يدعو إلى الريبة بشأن إندلاع ثورات قد تعصف بحكمه في أية لحظة[1].

ظلّ الحزم هو السيف الذي أشهره الدّاي ضد خصومه وهو ما يبرر طول فترة حكمه، وفي سياق رفضه للتدخل العثماني في شؤون الجزائر كان السلطان العثماني يريد تغيير حكم الدّاي عبدي بداي آخر يتبع أوامره؛ خاصة بعد أنّ تعالت أصوات الأوربيين التي شكت الدّايات للسلطة العثمانية مع بداية القرن الثامن عشر. ومع بداية حكم الدّاي علي شاوش الذي طرد الباشا العثماني عام 1710م، وانفرد بالسلطة بحصوله على لقبي الدّاي والباشا في آن واحد، تظهر رغبة الدولة العثمانية في إعادة حكم الجزائر إليها ففي سنة 1729م، أمرت "مُحَمَّد باشا" بالتوجه إلى الجزائر كحاكم عليها؛ حيث وصلها في 20 من شهر جوان من السنة نفسها. ولم يكن هذا الأخير وحده بل كان بصحبته كبير البوّابين وبعض الموظّفين. وهو ما يوحي بإرادة الدولة العثمانية بتغيير كلّي في جهاز الحكم، أو على الأقل تغيير الدّاي لتلافي التأثير من قبل الموظفين الموجودين في حال ما إذا أبقت على الموجودين من قبل، فالمؤامرات كانت لا تخرج عن نطاقهم، لقد كان الدّاي على علم بهذه الأمور، إذْ بعد وصول السفينة بعث إليها المفتي ليخبر طاقمها والدّاي الجديد بالرسو برأس ماتيفو، وأنّه لن يتنازل عن الحكم ،كما هددهم في حالة مخالفة الأوامر أنّه سيقوم بقصف السفينة.

على الرغم من هذا الموقف القوي إلا أنّ الدّاي كان يخشى الدولة العثمانية، وما يدل على ذلك أنّه أمر الديوان لكتابة رسالة إلى السلطان العثماني"أحمد الثالث" (*) وأرسلها مع كبير البوابين، بعدما خصص له سفينة أخرى تنقله إلى إسطنبول لتفادي الإطلاع عليها من قبل الدّاي المبعوث [2]. كانت الدول الأوربية على علم بهذه الأحداث فجواسيسهم في كل مكان، وهو ما جعلهم يحسبون ألف حساب للداي كرد عبدي، الذي اضطرهم إلى الإذعان لقراراته. ولم يكن بوسعهم المناورة البتة، ومع حلول عام 1730م، كانت كل الدول الأوربية قد اتمت عقد إتفاقياتها مع الجزائر باستثناء فرسان مـالطا[3]. وبخصوص إسبانيا فقد كانت سواحلها الغربية عرضة لبحارة الجــزائر [4]، لاسيما وأنّ مدينة وهران والمرسى الكبير أصبحتا نقطة إنطلاق لهم نحوها إذْ شكلتا مرفأين هامين نتيجة قرب المسافة[5].

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص390.

(*) شهد حكمه عدم الإستقرار سنة 1718م و عام 1730م، و توتر العلاقات مع عدة دول. ينظر: Encyclopedia of the Ottoman Empire Gábor Ágoston Georgetown University, Washington, D.C, p25.

(2) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص475.

(3) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص97.

(4) مروش لمنور، المرجع السابق، ص ص434- 444.

(5) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص444.

ظل الدّاي عبدي متعنتا في قراره، ولكن السلطان العثماني كانت أوامره أشد وقعا من صلابة الدّاي المعهودة فقد أجبر الإيّالات المغاربية على التوقيع على إتفاقية مع النمسا [*]، لقد تضمنت بندا ينص على أنّ أي إتفاق قادم لا يكون إلا بموافقة الدولة العثمانية بواسطة الفرمانات. وفي هذا الصدد يُذكر أنّ بحارة كل من إيالّتي تونس وطرابلس الغرب كانوا قد استولوا على سفينة نمساوية، فطالبت هذه الدولة حكام الإيّالتين بضرورة التقيد بالشروط المتفق عليها مع الباب العالي، وهذا بعد أنْ وافق باي تونس على هذه الإتفاقية، وتعـــذر على كبير البوابين السفر إلى طرابلس لإبلاغهم بما ينوي السلطان العثماني فعله، ولكن تم توصيل الأوامر بسرعة كبيرة إلى حاكم طرابلس ووافق عليها بدوره.

كان كبير البّوابين قد ذهب إلى الجزائر أولا لإبلاغ الدّاي عبدي بمحتوى الإتفاقية، ولكن الأخير رفضها رفضا قاطعا، مما جعل السلطان العثماني يحمل المبعوث المسؤولية كاملة في هذا الفشل، وقام بعد ذلك بإرسال فرمان آخر يتضمن نوعا من التهديد غير المباشر بقوله "...قبل إطاعة الجميع للفرمان الهمايوني، فإنّ الفساد والخـــلاف انتشر وظهر الفساد...". وبعد وصول هذا الفرمان إلى الدّاي وافق عليه، وعيّن القبطان "مصطفى باشا" ليعقد الصلح مع النمسا، بيد أنّ الدّاي تراجع عن رأيه مما اضطر السلطان العثماني إلى قطع كل المساعدات والحماية عـــن الإيّالة، بل وحرم كلّ سفنها من الرسوّ بموانئ الدولة العثمانية بالبحر المتوسط. وعليه قرر الدّاي العدول عن رأيه والإذعان لطاعة السلطان العثماني، وغيـــر السلطان فرمان التهديد بآخر عفا من خلاله عن الدّاي [1]. لم يكن الدّاي حازما كما كان قبل بضع سنين؛ ففي هذه الفترة كان على وشك بلوغ عتبة 90 عاما، بالإضافة إلى أنّه كان مريضا [2]. وإذا أضفنا إلى هذه الحالات إدمانه على تعاطي الأفيون كيف سيكون حاله يا ترى؟ هل سيستطيع إتخاذ قرارات صائبة؟

كاد الدّاي أنّ يجلب للجزائر أعداءً جددا؛ هي في غنى عنهم، لا سيما في هذه الفترة الخرجة، التي كانت تمرّ بها الدولة، إبتداءً من السلطان العثماني الذي اعتلى للتو عرش الدولة وهو "محمود الأول" (1730- 1754م)[3]. و كل الممالك الواقعة تحت تأثيره. إنّ هذه الأوضاع لم تكن سريّة طالما أنّ سببها الرئيسي هو عقد إتفاقية مع دولة أوربّية وهي النمسا، فالإسبان كانوا توّاقين للوصول إلى هذه المآزق التي من شأنها أنْ تُضعف الإيّالة، بل وتكسر شوكتهـــا ولعلها ستكون فرصة سانحة لإعادة إحتلال وهران واسترجاع الهيبة الضائعة.

(*) كانت الإتفاقية تتويجا للحرب بين الدوليتن في البلقان حول مناطق عدة منها صربيا، البوسنة، الهرسك والشيا وغيرها. ينظر:

Gilchrist John, History of the Turks, London, James Blackwood, 1856, pp272 - 274.

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص ص377- 381.

(2) المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص446.

(3) يلماز أزتونا، المصدر السابق، ج2، ص607.

1 .ب – أوضاع مدينة وهران 1708– 1732م:

بعد أنّ تمّ استرجاع مدينة وهران والمرسى على يد الدّاي مُحَمَّد بكداش والباي مصطفى بن يوسف المسراتي إذ يُشهد لهذا الأخير بأنّه أول من وحد بايليك الغرب لأول مرة تحت سلطة العثمانيين، ولم تكن وهران وحدها خارج عن سيطرة هؤلاء، بل كان قد ضم قبلها مازونة وتلمسان، اللتين كانتا تحت سلطة بايين مختلفين، وجعل من وهران عاصمة للبايليك، هذه المدينة التي بادر إلى إعادة إعمارها[1].

ظلّ الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي بايا على بايليك الغرب الجزائري حتى بعد إحتلال وهران ثانية من قبل الإسبان، وهذه النكبة لم يكن يتوقعها البتة، فالجيش الذي كان تحت إمرته مؤلف ما بين ثلاثة أو أربعة آلاف جندي من الكرغولية وثلاثين ألف مقاتل من الأعراب والفاسيين، إنّ هذه الفرقة الأخيرة كانت تحت القائد الهولندي "ريباردا" والمهدي "سرسرى الشريف". لقد كانت مزودة بمختلف الأسلحة إذْ وجد في موقع المعركة مائة وثمانية وثلاثين مدفعا منها ثمانية وسبعين برونز وسبعة هاون [2]. وتُبين إحصائية أخرى بأنّ عدد جنود الجيش الجزائري كان 22 ألف مقاتل عربي وألفي تركي أثناء إقتحام مدينة وهران[3].

أورد المؤرخ التركي هذا العدد من الجند في بايليك الغرب الجزائري، إذْ بين أنّهم من فئة الكرغولية ولم ينسبهم للإنكشارية، وبالنظر إلى هذا فإنّ الكرغولية كانوا أكثر إرتباطا بالوطن من الإنكشارية، ولعل هذا هو السبب الذي كان يزعج الحكام العثمانيين من إمكانية إقدام هذه الفئة على التمرد والإنفصال ذات يوم [4]. ويفسر الاعتماد عليهم بقلة الجند الانكشاري الذي يتأثر بمستوى العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية، ففي هذه الفترة بالذات كنّا قد بينّا درجة القطيعة بين الطرفين نتيجة تعنت الدّاي عبدي باشا ورفضه لأوامر السلطـــــان العثماني، وهو ما أدى إلى تناقص عدد المجندين .

كانت هذه الظروف العصيبة التي تمرّ بها الإيّالة وعلى الرغم من صفاء العلاقات بين الطرفين إلا أنّ الوقت يكون قد فات على جلب أعداد من المجندين لتقوية صفوف الجيش تحسبا لأي طارئ، في حين كانت السرعة التي نفذت بها إسبانيا مشروعها الإستعماري فاقت التوقعات. يلاحظ أنّ أعداد الجند بين الطرفين كانت شبه متساوية ولكن معظمها لم يكن نظاميا، عدا فرق الكرغولية، فضلا على أنّها لم تكن متمرسة على قتال الأجانب أو خاضت حربا على هذه الشاكلة، فالإسبان كانوا ذوو خبرة لما سبق من تجربتهم في الحرب الأوربية الآنفة.

---

(1) بوعزيز يحي، وهران ، سلسلة المدن تاريخية، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1985م، ص92.

(2) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص482.

(3) Viollet Alphonse, Histoire des Bourbons D' Espagne, Paris, lacour et maistrasse imprimeurs libraires, 1843, p108.

(4) حنيفي هلايلي، بنية الجيش الانكشاري، ص80.

1.جـ- أوضاع إسبانيا:

اتسم حكم "شارل الثاني" بالضعف الكبير، لدرجة أنّه لم يكن يقدر على حماية رعاياه خارج الإمبراطورية المترامية الأطراف، لقد كانت وفاته سنة 1700م، تنذر بقيام حرب أوربية(*)، أقل ما يقال عنها أنّها طاحنة حول أحقية من يحكم عرش إسبانيا بين الأسترين الهابسبورغية النمساوية والبوربوينة الفرنسية، يمثل كل من الجانبين شارل الثالث وفيليب الخامس؛ وقد انقسمت أوربا إلى قسمين، بتدخل دول أخرى في هذه الحرب [1]، الأمر الذي فتح الباب أمام داي الجزائر مُحَمَّد بكداش لتحرير وهران في أواخر العقد الأول.

لقد كان تحرير وهران والمرسى الكبير بمثابة النكبة التي حلّت بالمسيحيّة قاطبة، وليس على الإسبـــان فقط ولم تدع لهم عيشا هنيئا ولا بالا هادئا حتى يُعيدوا أمجادهم الضائعة في إفريقيا. فأرواح من قاتلوا من أجلها قبل قرنين من الزمن أو قبل ربع قرن لا يزال يتذكرها الكثير من بني جلدتهم. وفي غضون عامي 1725- 1726م، عندما كانت العلاقات في أوج توترها بين الدّاي والسلطان العثماني كانت إسبانيا تبحث عن مخرج لعزلتها في ظل تداعيات الحرب التي كانت دائرة على عرشها. ويبدو أنّ الدّاي كرد عبدي كان قد رفض إبرام أي إتفاق للصلح بينه وبين إسبانيا بوساطة عثمانية نتيجة تدهور العلاقات في تلك الفترة بينهما[2].

يتضح من المحاولات الإسبانية الحثيثة لعقد إتفاق صلح مع الجزائر حجم تلك المخاطر التي كانت تمرّ بها هذه الدولة على الخصوص ومن ورائها أوربا كلها. فالحرب في أواخر العقد الثالث، على وشك أنْ تنتهي، وعليه قرر قادتها منح عرش إسبانيا "لفيليب الخامس البوربوني"، بينما مُنح شارل الثالث أجزاءً من إيطاليا والأراضي المنخفضة. لقد حصل فـــيلب الخامس على تيجان الإمبراطورية الإسبانية، وعمل جاهدا للتخلص من تبعات الحرب بتوحيد إسبانيا تحت سلطته فمنذ توحيد مملكتي قشتالة وأرغون وإيجاد نوع خاص من الأنظمة لهياكل إدراية ومالية كانت قد ساعدت على وحدتهما، والملك فيلب لم يضم التيجان المختلفة لإسبانيا في وحدة دينية أو لغوية مع مملكة كاستيل، بل فرض نظم الأخيرة على كل تيجان إمبراطورية إسبانيا مما أعطى للمملكة الجديدة دفعا قويا، وهيبة إضافية ومـــكانة سياسيـــة وإقتصادية فريدة من نوعها لم تشهدها منذ عقود من الزمن [3]. مما ساعدها على النهوض والتقدم في ظرف وجيز.

(*) شهدت الإمبراطورية الإسبانية انحطاطا كبيرا بعد موت الملك فيليب الثاني 1598م، ذلك أنّه بعد وفاته بدأت الدولة تتجه نحو الانكماش، فكل ما ضمه بدأ في الإنفصال مثل البرتغال 1664م. حكم من بعده حكام لم يكونوا مثله في الشدة إلى أنّ شغر كرسي العرش، وهو ما أدى إلى إشتعال حرب أوربية حول من تؤول إليه الوراثة، إذْ كانت في البداية بين فرنسا وإسبانيا من جهة والنمسا من جهة ثانية، للتوسع فيما بعد حيث انتصرت كل من إمارة بروسيا وإنجلـــترا وهولندا للنمسا، الأمر الذي حسم نتيجة الحرب لصالح النمسا وحلفائها، ولكن تم إقرار السلم في الأخير بتولي فليب الخامس عرش إسبانيا بعد أنّ عزل فترة مقابل تنازلات. للمزيد، ينظر: أبكاريوس يوحنا أفندي، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، بيروت، لبنان 1885م، ص ص427- 428.

(1) حاطوم نورالدين، الموسوعة التاريخية الحديثة(تاريخ القرن السابع عشر في أوربا)، ط1، دار الفكر دمشق، سوريا1986م، ص ص 519-523.

(2) بوعزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص43 .

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص400.

كانت المملكة الإسبانية لا زالت فتية على الرغم من التغيرات التي طرأت عليها، فآثار الحرب المدمرة لم تزل قائمة، لذا لن تبلغ هذه المملكة من حيث القوة مصاف الدول الأوربية الكبرى على غرار فرنسا وإنجلترا، ولكنها أحدثت خللا في ميزان القوة الأوربي، وهذا ينعكس مباشرة على ميزان القوى المتصارعة على الحوض المتوسط ونعني بذلك إيّالات شمال افريقيا، إذْ وحتما ستصب في إتجاه ترجيح الكفة لصالح الإسبان بل ستجعلهم يجاهرون بمطالبهم للمسيحية بغية إعادة إحتلال مدينة وهران والمرسى الكبير.

أصبحت جيوش إسبانيا ذات كفاءة عالية في القتال، نتيجة الدعم الفرنسي الذي تلقته في سبيل تنصيب فليب الخامس البربوني (1700- 1724م) للمرة الأولى(*). ويتضح ذلك من خلال المعارك شبه الحاسمة التي خاضتها في حرب الوراثة الإسبانية في أوربا، فعلى الرغم من إنهزام جيشها إلا أنّها إكتسبت خبرة عسكرية كبيرة فضلا على أنّ نتيجة الحرب كانت لصالحها مع فرنسا، واعتبرت تسوية لصالح فرنسا أكثر(1). وبالمقابل كانت خسارة إسبانيا لأجزاء واسعة من إيطاليا والأراضي المنخفضة دافعا قويا لإعادة إحتلال وهران وبأي ثمن، فكل الإهتمامات كانت مشدودة إلى هاته المدينة، فالهزيمة السابقة وعدد الجند الذين قضوا على أسوارها وكذا عدد الأسرى أيضا كانت تحرك مشاعر عناصر الجيش، خاصة وأنّ تلك الأحداث ومشاهد عبورهم المتوسط التي شهدوها ستتكرر نفسها على أكثر تقدير. ولكن بالعكس بالنسبة للأندلسيين عندما شقوا عباب البحر كانوا يريدون الإنتقام لأنفسهم من جلاديهم زمنئذ.

أدرك لويس البربوني مدى الأخطار التي كانت تتربص بالمملكة الإسبانية، ليس من جانب الحرب التي لا زالت سحبها تلوح في الأفق كل حين، بل من قبل إيّالات شمال إفريقيا والمغرب، فبحارة المغرب أطبقوا بحصار مستميت على تواجدهم في سبتة ومليلية وبالكاد إستطاع أنْ يفكّ هذا الحصار، لذا برزت مسألة إحتلال وهران كضرورة قصوى، بل وملحة للبقاء في هذا الجزء القصي من البحر المتوسط (2). لقد دفعت وفاة لويس الأول البربوني بعد أنْ بقي في الحكم بضعة أشهر إلى عودة الحكم إلى فيلب الخامس الذي يكون ابن عمه عام 1724م، وهو ما يعني مزيدا من الإستقرار والقوة للمملكة الإسبانية، وهو ماحدث بالفعل فقد كان الشغل الشاغل لهذا الأخير هو الإستيلاء على قاعدتي وهران والمرسى من جديد(3).

(*) يُفسر الدعم الكبير الذي أسداه الفرنسيون لإسبانيا في سبيل إعادة إحتلال مدينة وهران والمرسى الكبير، إلى ذلك التحالف الذي جمعهما في حرب الوراثة الإسبانية، فالمتتبع للعلاقات الفرنسية الإسبانية سيجدها علاقات متوترة في أغلب الأحيان، منذ عهدي فرنسوا الأول وشارل الخامس ولم تستطع الدولتان توحيد جهودها لتضارب مصالحهما، على الرغم من التقارب الهولندي الإنجليزي الذي كان من المفروض أنّ يؤدي إلى التحالف كما أنّ أهم أعدائهما كان كذلك واحدا فقط وهو إيّالة الجزائر بصفة خاصة. فالتحالف المؤقت بينهما أملته الظروف التي كانت تمر بها أوربا. وعليه كان في غير صالح الجزائر، إذْ لم يعد الجيش الإسباني ذلك الجيش الذي إنهزم في مدينة محصنة مثل وهران لقد تلقى هذا الجيش تدريبا كبيرا على يد خبراء عسكريين فرنسيين، ولكنه بقي أقل خبرة من جيوش فرنسا أو إنجلترا. للمزيد ينظر: وولف جون، المرجع السابق، ص400.

(1) حاطوم نورالدين، المرجع السابق، ص ص520-527.

(2) المرجع نفسه، ص400.

(3) الاغا بن عودة المزاري، المصدر السابق،ج1، ص256.

2- أسباب إعادة إحتلال وهران و المرسى الكبير:

كُنا قد استعرضنا مختلف الأوضاع التي كانت تمرّ بها إسبانيا والجزائر وحتى بايليك الغرب الجزائري، إذْ توحي المميزات العامة لها بأنّ الظروف كانت مواتية للإسبان أكثر على عكس إيّالة الجزائر، باستثناء بايليك الغرب الذي شهد إستقرارا كبيرا لم يشهده من ذي قبل في ظل التواجد العثماني، وهو ما يوضحه بقاء الباي مصطفى على رأسه لفترة طويلة كما أسلفنا. ومن بين العوامل التي أدت إلى إحتلال وهران والمرسى الكبير مرة ثانية نذكر منها ما يلي:

أ- محاولة مَلكِ إسبانيا فليب الخامس إسترجاع أمجاد الإمبراطورية الإسبانية بعد حروب الوراثة التي أفقدتها هيبتها، ليس على الساحة الأوربية فحسب بل والعالمية أيضا، خاصة وأنّه أعيد تنصيبه مرة ثانية سنة 1724م.

ب- وضع حد للبحرية الجزائرية التي لا يزال بحارتها يغيرون على سواحلها، فعلى الرغم من الحصار المفروض على البحرية الجزائرية، إلا أنّ عمليات الإستيلاء على السفن وحمولاتها لم تتوقف بل تطورت إلى حد أسر صيادي السمك أيضا الأمر الذي يجعل البحرية الإسبانية في شبه حصار[1].

جـ- تقليص النفوذ الإنجليزي المتزايد في البحر المتوسط والمتجذر في مضيق جبل طارق؛ بعد أنْ أصبحوا يسيطرون عليه منذ 1704م، في حين وجدوا موطئ قدم لانطلاق عمليات تصدير القمح من وهران، بعد أنّ أصبحت بيد الجزائريين.

د- طغيان الروح الصليبية التي أعطت دفعا للملك من أجل توجيه هذه الحملة، وهذا بعض ما ورد في البيان الملكي لاستنفار أوربا ضد المسلمين بقوله" ...ولقد رأيت بأنّ التخلي عن وهران تحت سلطان المتوحشين الأفارقة؛ إنّما هو عائق عظيم يحول بيننا وبين نشر ديانتنا المقدسة..."[2].

هـ- إغتنام فرصة إستقرار العلاقات الإسبانية الفرنسية التي أفضت إلى الحصول على الدعم اللّازم لإنجاح هذه الحملة طالما أنّ الإنجليز كانوا منافسا قويا لكلا الدولتين للحصول على الإمتيازات في إيّالة الجزائر التي تشكل بدورها عدوهم المشترك كذلك، لذا ستكون الحملة في حالة نجاحها ذات فوائد جمة تعود على الطرفين.

و- أصبحت قضية إعادة إحتلال قاعدتي وهران والمرسى الكبير ضرورة قصوى للملك، من أجل المحافظة على مملكته بعد الركود الذي أصابها في مجالات شتى[3].

ز- توطد العلاقات بين المغرب وطرابلس من خلال رحلة الإسحـــاقي 1731م، و إحتمال تجدد الأطماع المغربية في وهران وغرب الجزائر، خاصة بعد الأصداء التي خلفتها[4].

---

(1) مروش لمنور، المرجع السابق، ص434.

(2) بوحفص تجاجنة، الحملات العسكرية لدول غرب أوربا المتوسطية على الجزائر، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، 2011/2010م، ص53.

(3) Fey (H- L),Op, Cit, p143.

(4) الإسحاقي الشرقي، ليبيا من خلال رحلة الاسحاقي1731م، تحقيق التازي عبد الهادي، منشورات جامعة محمّد الخامس، ب ت، ص48.

3- الإستعدادات الإسبانية لإحتلال وهران والمرسى الكبير:

بعد مضي قرابة عقد من الزمن على اعتلاء فيليب الخامس عرش إسبانيا للمرة الثانية قرر توجيه حملة ضخمة لإحتلال وهران، لاستعادتها جراء ما فقدته مملكته من نفوذ وموارد أيضا، و كان من جملة ما تم رصده لهذا الغرض نذكر ما يلي :

لقد وضع الإسبان هزيمة الإمبراطور شارل الخامس وخروجهم المذلول من المدينة عام 1708م، منطلقا للحملة لذا أولوا عناية كبيرة لتجهيزها؛ إذْ كانت تتكون من 505 سفينة مختلفة الأحجام والأنواع، منها ما هو حربي مخصص للقصف إنطلاقا من البحر ومنها ما هو للتموين والشحن والبريد وغيرها. بالإضافة إلى البوارج الحربية؛ حمل الإسبان معهم 200 مدفع للحصار وقصف أسوار المدينة. وبلغ عدد جنود الجيش ثلاثين ألف مقاتل[1].

توجد هناك إحصاءات أخرى تفيد بأنّ عدد السفن كان 525 سفينة مختلفة على متنها 720 مدفعا، لم يتم ذكر خصائصها، إنْ كانت موجهة للحصار أمْ للقصف من البحر وعدد الجند كان 30 ألفا. أما الأسلحة فكانت تتكون من القنابل، القذائف، البنادق وغيرها من الذخيرة الحربية المعدة لمثل هذه المهمة المحفوفة بالمخاطر [2]. وهناك من يقول بأنّ عدد سفن النقل كانت 500، أما السفن الحربية فقد كانت 51 بارجة، وعدد الجيش كان يبلغ 28 ألف مقاتل منهم 3 آلاف فارس، وتمّ إسناد قيادة الإرمادة الإسبانية إلى "الكونت دي مونتمار" (comte de Montemar)[*]،يساعده "الدون ألكسندر دي لاموتي"(don Alexandre de la Motte) ودون خوسيه (don Jose) وغيرهم من الضباط الذين يتمتعون بالكفاءة العالية[3].

يخبرنا "فيوليت ألفونس" في كتابه تاريخ البوربون بإسبانيا؛ أنّ عدد سفن الحملة كان 406 سفينة للنقل و12 بارجة حربية وفرقاطتين وغليوطتين و 12 قاربا كبيرا من نوع بريك[4]. ما يؤخذ على صاحب هذه المعطيات أنّه لم يبين لنا عدد جنود هذه الحملة لكي نستطيع مقارنتها بتلك الأعداد التي عثرنا عليها في المؤلفات المحلية، في حين أفادنا بعدد جنود الجيش الجزائري حتى وإنّ كان مشكوكا فيها، كما أوضح لنا عدد سفن الحملة الإسبانية حسب أنواعها وهو الأمر الذي لم نجده في مؤلفات أخرى .

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص ص400- 401.

(2) بوعزيز يحي، وهران، المرجع السابق، ص92.

(*) ضابط عسكري إسباني برتبة أميرال (amirale)، إكتسب خبرة عسكرية كبيرة في حروب الوراثة الإسبانية، يعد من أشهر ضباط الجيوش الأوربية مهارة وثقة بالنفس لذا أُسندت له قيادة هذه الحملة. ينظر: Viollet (A), Op, Cit, p107.

(3) Fey (H- L),Op, Cit, p143.

(4) Viollet (A), Op, Cit, p107.

وهناك إحصاءات وردت في أحد أعداد المجلة الإفريقية لأندري بربرقير، إذْ يزودنا بتفاصيل دقيقة حول الإرمادة الإسبانية من نواحي مختلفة (*)، وهو ما يفسر حرص الإسبان على تحقيق النصر ولا شيء غير النصر. لقد كانت هذه الاجراءات توحي بتقدير الإسبان لقوة الخصم، لذا تم تعبئة قوة تتألف من 30 ألفا من الجنود، مقسمة إلى 32 كتيبة و17 فوجا من الفرسان، وعدد معتبر من الأطباء.

ومما جاء في هذه الدراسة عن عتاد الجيش فيذكر أنّ تعداد السفن بلغ 525 سفينة مختلفة الأنواع والأحجام، ولم يذكر تفاصيل عن ذلك، أما عن سلاح المدفعية فكان حاضرا وبقوة إذْ بلغ عددها 720 مدفعا، ولم يوضح أمرها إنْ كانت تخص مدافع الميدان أو بما فيها المحمولة على البوارج، لأنّه ذكر عدد عربات هذه المدافع، فيقول بأنها كانت 200 عربة.

أما عن الذخائر فقد قال بأنّ عدد الفوهات الحارقة كان 168 فوهة و 16420 قنبلة مختلفة الأحجام والقنابل الأخرى كانت 80693 والقنابل اليدوية بلغ عددها 56000 قنبلة. وكميات من الرصاص بلغ وزنها 1522 قنطارا و يذكر أنّ صناديق الذخيرة كان عددها 8000 صندوق، والبارود كان وزنه 12427 قنطارا، والبنادق المختلفة بلغ عددها 12000 بندقية.

ولم يغفل الإسبان عن المؤن الغذائية خشية طول الحصار المزمع ضربه على المدينة أو حدوث أي مفاجآت غير متوقعة، على الرغم من حلول فصل الإبحار منذ قرابة الشهرين، وإن كانت ضخامة المؤن تدل على الخوف من الهزيمة فكذلك في حالة تحقيق النصر لن يُتركوا بسلام في المدينة، لقد كان ذلك نتيجة التجربة الطويلة التي خاضها هؤلاء من ذي قبل، والمشاكل التموينية التي تعرضوا لها في جلب المؤن من أرياف الغرب الجزائري. لذا كانت المؤونة ضخمة ضخامة عدد جنود الحملة، ويذكر أنّ عدد الوجبات ناهز مليوني وجبة. ولم يكتف الإسبان بما أعدوا فقد جلبوا معهم الدواب للعمليات المختلفة من الجر والتنقل، إذ كان عددها 140 دابة، أما الماشية فقد جاءوا معهم بـ1576 خروف[1].

إنّه بالرغم من التفاصيل التي تعكس أهمية هذه الدراسة، إلا أنّ جزءًا هاما لم يتم ذكره وهو أمر الدعم الأوربي لهذه الحملة وإنْ لم يكن الدعم بما فيه الكفاية ليتم ذكره، فمن المؤكد أنّ الدعم المعنوي كان حاضرا وبقوة على الأقل من قبل الفرنسيين والكنيسة الكاثوليكية التي ظلت تساند هؤلاء في حروبهم ضد المسلمين.

(*) تدل هذه الترتيبات الكبيرة لإنجاح الحملة على نقطتين أساسيتين وهما : أولا حرص الإسبان على إحتلال القاعدتين الجزائريتين لضمان إستقرار المملـــكة ورفع معنويات جيشها، خاصة بعد أنّ تعافى إقتصادها مع نهاية حرب الوراثة قبيل منتصف العقد الثاني من القرن نفسه. ثانيا: إدراك الإسبان لحجم المخاطر التي كانت تنتظرهم في عملية الإحتلال و احتمال طول فترة الحصار والقصف.

(1) Berbrugger (A), Reprise D'oran par Les Espagnols en 1732, R.Af, Alger, n°8, 1864, pp21-22.

تكاد تكون كل الإحصاءات متشابهة ولا يوجد بينها فرق كبير، وما يدعم هذه الأرقام أيضا ما أورده المؤرخ التركي سامح عزيز التر، إذْ يصف الإرمادة الإسبانية بأنّها كانت تتشكل من إثنتي عشرة سفينة حربية وفرقاطتين وغليون، بالإضافة إلى 500 سفينة أخرى تقل 28 ألف جندي بقيادة مونتامر [1]. يساعد هذا القائد ثلة من الضباط الأكفاء إذْ يظهر هذا الحرص الشديد من طرف الإسبان من خلال قيادة الأسطول وعدد السفن وغيرها لتفادي تكرار مآسي القرن السادس عشر، كما أنّهم يعرفون جيدا من هو الباي مصطفى والاستحكامات التي قام بها في المدينة، وهو الذي إستطاع إفتكاك المدينة منهم عنوة، وما قام به من إنتقام ضد الموالين للإسبان كقبائل بني عامر وخاصة منهم المغاطيس. لقد كانت القوة الإسبانية مدعومة من قبل البابوية أيضا؛ فهي بالنسبة لهم حرب صليبية بإمتياز بل وجد فيها الفرنسيون فرصة ذهبية للإنتقام من حكام الجزائر. إستغرقت عملية تجهيز هذه الحملة مدة ثلاث سنوات [2]. إذْ بقيت في الفترة ما بين 03 و 10 جوان ترص صفوفها في ألكانت، وهو ما يدل أيضا على ضخامتها وقوتها[3].

4- مظاهر التحالف الإسباني الفرنسي لإحتلال وهران:

بقيت فرنسا تتربص الدوائر بالجزائر، وعلى الرغم من أنّ العلاقات كانت مستقرة إلا أنذ ذلك لم يثنها على إلحاق الضرر بها، إذْ يلاحظ ذلك جليا من خلال المراسلات التي كانت بين أعلى سلطة في البلدين، في عهد الدّاي عبدي باشا(1724- 1733م)، من حيث عددها بأنّها بلغت سبعة عشرة رسالة من طرف الدّاي إلى حكام فرنسا منها سبعة بعثت للويس الخامس عشر وعشرة الأخرى أرسلت "للكونت موريباس"(Maurepas) كما كان يسميه داي الجزائر أو أمين الدولة الفرنسية للبحرية أنذاك [4]. يوحي هذا العدد الهائل للرسائل بين السلطتين بصفاء العلاقات بينهما، ولا يمكن أنْ نقرأ قراءة أخرى لهذه الحالة، لأن الفرنسيين كانوا أكثر حرصا من الجزائريين لبقاء العلاقات مستقرة خوفا من تضرر مصالحهم، لأنهم كانوا قد خبروا أسلوب القوة الذي يؤدي إلى فقدان نصيب من تجارتهم في عرض البحر و على السواحل، وفي الوقت نفسه أي تباعد في سياسة الطرفين سيؤدي بالضرورة إلى تقرب الإنجليز وتضرر تجارتهم.

وعلى الرغم من ذلك فإنّ الفرنسيين دعموا الإسبان في إحتلال وهران يظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الداي إبراهيم إلى الكونت دو موريباس إذ يقول له فيها" ..وإذا كنتم فعلا أصدقاؤنا بينوا لنا هذه الصداقة ذلك أنّه واضح مثل النهار أنّ الإنتصار الذي حققه الإسبان في وهران التي فاجؤوها لم يحققوه سوى بفضلكم عن طريق القوات والذخائر التي زودتموهم بها، إنّ صداقة معنا مقرونة بعداء مضمر لا تبشر بالخير.."[5].

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص482.

(2) بوعزيز يحي، الموجز...، ص48.

(3) Berbrugger (A), Op, Cit, p22.

(4) بلانتي اوجين، المراسلات..، ج1، المصدر السابق، ص ص245-333.

(5) قنان جمال، نصوص...، المرجع السابق، ص224.

يتجلى لنا من خلال هذا القول أنّ الفرنسيين حاولوا خداع الداي وإلحاق الضرر بالجزائريين في هذه المناسبة. إنّ شنّ الحملة في شهر جوان يتناسق مع تاريخ آخر المراسلات التي كانت قبيل ذلك بزمن لا يتعدى 30يوما على الأكثر إذا سلمنا بتاريخ الحملة المشار إليه، وآخر رسالة مرؤرخة في منتصف شهر ماي [1]. ويزيد الدّاي للفرنسيين بأنّهم إذا حاولوا إدعاء غير ذلك قائلا".. بأنّ القوات الجزائرية قد تمكنت من معرفة ذلك من خلال الأسرى الفرنسيين الذين تم إلقاء القبض عليهم بقوله" ...كنتم قد ساعدتموهم بأربعة أو خمسة آلاف من الرجال المسلحين تسليحا جيدا ومؤطرين من طرف ضباطكم.." ويردف قائلا"..إنّه لمن المستحيل وجود عدد كبير من الجنود المسلحين تسليحا جيدا في خدمة دولة أجنبية دون موافقة أميرهم أو على الأقل وزيرهم...[2].

أضاف الدّاي بأنه يمتلك أخبار أخرى تفيد بأنّ أسطول الجزائر كان قد ضبط السفن الفرنسية في مياه وهران وهي تنقل المؤن إذْ قال له" ..إنّ ملككم يدعي بالصداقة لنا ولكنكم تقومون بمحاربتنا وقد شاهدنا سفنكم بالمقدمة.."[3]. للأسف كل الإحصاءات التي عثرنا عليها بخصوص تشكيلات الحملة لم تبين السفن الأجنبية المشاركـــــة ولا حتى الدعم الفرنسي الذي يُعد تآمرا مفضوحا.

5- سير الحملة:

بقي الفرنسيون على طبيعتهم العدائية لحكام الجزائر ولم تكن قطعة القمـــاش الراقية التي سلمها القنصل الفرنسي للداي عند تحريره لوهران عام 1708م، إلا تزلفا لقضاء مآربه، خوفا من ضياعها، وعليه كانت المساندة الفرنسية للجيوش الإسبانية كبيرة ولعلها هي من رجحت الكفة لصالحهم.

انطلق أسطول التحالف من مرفأ ألكانت في غضون شهر جوان من عام 1732م، وحلّ بساحل مدينة وهران في يـــوم 29 من ذات الشهر؛ لقد كان مونتمار محل ثقة لذا كان كله عزم على إنجاح عمليته، فقد نزل بساحل سهل الأندلس وشتت شمل المدافعين عن المدينة. واستطاع بناء مقر لمباشرة قيادة الجيش [4]. ويروى أنّ الهجوم كان ناجحا ليس بسبب قوة المعتدين وإنما بسبب قلة المدافعين فلم تكد تجري أي مناوشات هناك، لقد كانت قوة الهجوم الإسباني كاسحة بعد أنّ استطاع هؤلاء كسب خبرة من الحروب الأوربية قبل سنوات، وبالمقابل كانت الدفاعات الجزائرية ضعيفة للغاية ويعود سبب ذلك إلى سوء تدبير الباي بوشلاغم الذي تقدم به السن والدّاي عبدي باشا الذي كان مريضا وهرم هو أيضا[5].

---

(1) بلانتي أوجين، المرجع السابق، ص332.

(2) قنان جمال، المرجع السابق، ص224.

(3) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص484.

(4) المرجع نفسه، ص482.

(5) وولف جون، المرجع السابق، ص401.

صحيح أن قوة الحملة وضخامتها كانت قد أدت إلى انتصار الأعداء وأعوانهم، ولكن ذلك لم يكن كافيا فالتمويه وعنصر المفاجأة رسما نتيجة الهجوم، كما أنّ التمويه على مكان النزول كان له الأثر البالغ في ذلك، فالإسبان سلكوا هذا المسلك إذْ قاموا بعملية الإنزال لبعض القوات للتمويه بساحل أرزيو لجلب قوات من الجزائريين وتشتيت دفاعاتهم، لقد كان المكان غير بعيد عن مدينة وهران إذ يمكن الغزاة من توجيه هجوم خاطف على المدينة، وبالفعل نجح هؤلاء في تشتيت الجيش الجزائري ليفقد توازنه بالكل [1]. كما أنّ عامل الزمن قد مثل دورا كبيرا في ذلك حيث أختير المساء قبيل الغروب موعدا لذلك وهذا يوم 29 من شهر جوان على أنّ المعركة جرت صبيحة اليوم الموالي [2]. يوحي ذلك بأنّ الهجوم كان في جنح الليل لاتقاء ردة فعل الدفاعات الجزائرية.

بعد أنّ أسدل الليل خيوطه وهمدت الأرجل وتوقفت طلقات البنادق وهدير المدافع، وبقي كل طرف في مكانه يترقب، وما إن حلّ الصباح في اليوم الموالي أي في الثلاثين من جوان، إشتعل لهيب المعركة من جديد وبدأت الأمور تتخذ منحا أسوء. وقد إستطاع البارون ديباردا قائد فيلق من الجيش الجزائري من شق صفوف الجيش الإسباني الذي تفرق شمله بل و كاد ينهزم، لقد كان القتال في يوم طويل وشاق و كان لهيب المعركة يستعر بحرارة شهر جوان وأصبح قائد إحدى فيالق الجيش الإسباني في وضع حرج، بيد أنّه عندما إنضم إليه فيلق آخر بقيادة ماركي تمكنا الاثنين معا من إحتلال المرتفعات المشرفة على الجانب الأيسر من ساحة المعركة، وركزا جهودهما على تنفيذ هجوم كاسح على جيش الجزائر الذي تفرق شمله هذه المرة وبدأ في الإنسحاب خاصة مقاتلي القبائل وتبعهم جنود الكورغولية [3]. لقد كان إنسحابا مخزيا ولم يلتزم هؤلاء بقول الله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [4].

لسنا ندري لماذا لم يهاجم أو يكمل الجيش الجزائري هجومه على معسكرات الإسبان في الليلة الأولى ما دامت الأجواء كانت مواتية لذلك، وهو ما فعله جنود الجيش الجزائري عندما دحروا قوات الإمبراطور شارل الخامس منتصف القرن السادس عشر، إذْ كان الهجوم بعد منتصف الليل مفاجئا وأحدث الهزيمة بل وأوقعها في قلوب هؤلاء. إنّ قادة الجيش الجزائري ليسوا مثل أولئك كما أنّ الجو لم يكن كذلك، ولكن الأمور كانت مواتية للقيام بهذه العمليات؛ إذْ يذكر صاحب كتاب طلوع سعد السعود بأنّ القتال بين الجيشين لم يكن كبيرا، كما وصفه المؤرخ التركي إذْ يقول" ..ولما جاءها العدو خرج لقتاله الباي مصطفى أبو الشلاغم المسراتي في جيش جليل ونشبت الحرب بمناوشة قليلة فقط.."[5].

---

(1) قنان جمال، المرجع السابق، ص221.

(2) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص482.

(3) المرجع نفسه، ص482.

(4) الآية 45، سورة الأنفال.

(5) الاغا بن عودة المزاري، ج1، المصدر السابق، ص257.

يدرك المتتبع للأحداث التاريخية لسير المعركة هو عدم تكافؤ القوة بين الطرفين على الرغم من أنّ عددهما يكاد يكون متقارب، فالجيش الجزائري كان يتكون من عناصر كثيرة من مقاتلي القبائل التي لا تفقه شيئا في مثل هذه الحروب أمّا الكورغولية فكانوا عكس ذلك. وهذا الشرخ أصاب وحدة الجيش بمقتل. أمّا الجيش الإسباني فكان لحمة واحدة ومعنوياته مرتفعة تغذيها الكنيسة الكاثوليكية، كما أنّ هزيمة عام 1708م، لا زالت ماثلة أمام أعينهم ومسـامعهم وأي خطأ غير مسموح به بل سيكلف ذلك غاليا.

إستطاع الإسبان بعد الإنسحاب المفاجئ للقوات الجزائرية التقدم بسهولة نحو مدينة وهران، التي دخلوها دون مقاومة تذكر كما أسلفنا. و كذلك حدث بالنسبة للمرسى الكبير في مطلع شهر جويلية من عام 1732م[1]. إذْ يورد الدكتور يحي بوعزيز بهذا الخصوص أنّ نزول الإسبان كان بالمكان المسمى عيون الترك، و كان الجيش الإسباني يزحف باتجاه المرسى الكبير ووهران، وفي طريقه كانت تعترضه قوات الجزائريين حيث حدث بينهما مناوشات كثيرة، بيد أنّ التراجع كان السمة الغالبة على المواجهة، مما اضطر الباي مصطفى بوشلاغم إلى إخلاء المدينة والإنسحـاب خارجها وعندما دخلت القوات الغازية إلى المدينة وجدت التحصينات قائمة كما هي حتى الذخيرة وجدت في بعض أبراجها [2]. وإذا كان الأعداء قد إحتلوها في أول مرة بأهلها وأموالها، ففي هذه المرة كان أهلها قد غادروا منها خوفا على أنفسهم من إنتقام الإسبان وبقيت أموالهم لقمة سائغة[3].

باشر قائد الحملة الإسبانية مونتمار شنّ هجومات مكثفة على أطراف المدينة لإيجاد منافذ، قصد جلب المؤن وإبعاد أي خطر محدق به، وقد وجد ذلك أمرا سهلا فقبائل بني عامر أعادت ربط علاقاتها بهم وبسرعة، وهو ما شجع القائد العسكري على توسيع دائرة الإحتلال خارج نطاق المدينة، ووضع نصب عينيه مدينة مزغران ومستغانم عاصمة ملك البايليك يومـئذ. ولكن رغبته الجامحة تلك إصطدمت برفض الملك فيليب الخامس، وبالمقابل لم يسـتسلم الجزائريون بعد سقوط المدينة إذْ كانت قد وصلت النجدة من الجزائر بقيادة "مُحَمَّد بك" ابن داي الجزائر، حيث كانت القوات التي تحت إمرته تتألف من خمسة عشرة ألف مقاتل واتحدت مع قوات الباي مصطفى، وهَمّ الاثنان بإخراج العدو من مكان تحصنه، وعليه ضرب حصار شديد على المدينة واضطرت القوات الإسبانية إلى خوض حرب كبيرة خارج المدينة لإبطال مفعول الحصار. كان ذلك في شهر أكتوبر من العام نفسه، وخاصة حينما هاجمت قوة جزائرية الإسبان عندما كانوا يحملون المؤن إلى حصن سانتا كروز، واستمر القتال بين الطـرفين مدة طويلة [4]، حتى سقطت المدينة في يد الإسبان نهائيا في شهر نوفمبر[5].

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص482.

(2) بوعزيز يحي، وهران ، المرجع السابق، ص92.

(3) الاغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص256.

(4) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص483.

(5) بوعزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص482.

لم يكن الهجوم على حصن سانتا كروز هو الأخير، فمقتل ابن الباي مصطفى بوشلاغم زاد من حدة القتال والإصرار على مقارعة الإسبان داخل أسوار المدينة الشامخة، كما كان يفعل في زمن شبابه قبل التحرير الأول أي قبل أربعة وعشرين عاما، ومن مظاهر ذلك أنّه نفذ هجوما كاسحا على المدينة يـــوم 12 نوفمبر 1732م، وأثخن في قتل الإسبان إنتقاما لمقتل ابنه، وكان أشهر ممن قتل في هذه المرة لكي يشفي غليله "الماركيز دو سانتاكروز" وعدد من الضباط. وفي غضون العام الموالي كانت هناك هجومات أخرى، حيث قتل "الماركيز دوميرو نسيل" أيضا [1]. وقد مني الإسبان بخسائر كبيرة في الأرواح والعتاد في محاولاتهم المتكررة لتوسيع تواجدهم خارج المدينة. ومجموع ما قتل لهم في هذه العمليات المتفرقة بين ضباط وجنود كان 2118 قتيل، غير أنّ ذلك لم يثنهم على البقاء في المدينة، بل عملوا على إعادة تحصينها أكثر فأكثر[2].

لما توفي الدّاي عبدي باشا متأثرا بفقدان وهران بعد أنّ أغلق أبواب القصر على نفسه، وامتنع عن الأكل والشرب وأفرط في تناول الأفيون. لقد تسلّم حماه "إبراهيم باشا" الحكم في الجزائر و كان شديد الإهتمام بقضية وهران إذْ أغار عليها بعدد هائل من الحملات الواحدة تلوى الأخرى [3]، ولكن الموت كان كذلك قد فتك ببطل التحرير الأول الباي مصطفى بوشلاغم، فخلفه ابنه الذي توفي هو أيضا بوباء الطاعون في تلمسان سنة 1734م[4]، لقد كانت بحق هذه محن متوالية أصابت الجزائر في بداية هذه العشرية من السّنوات العجاف.

حفزت هذه الأحداث العظام الدّاي الجديد إبراهيم على مواصلة التفكير الجدي لإستعادة وهران، وعليه أرسل مرّة حملة عسكرية بحرية لضرب السفن الإسبانية، التي كانت تقل المؤن إلى المدينة، ولكنها فشلت فشلا ذريعا في منعها من مواصلة عملها، إذْ يلاحظ أنّ السبب الرئيسي في فشل هذه المهمة هو الهجوم المالطي على السفن الجزائرية في ميناء المرسى الكبير، عندما ألحقت خسائر كبيرة بالبـــحرية الجزائرية [5]. إنّ هذا الهجوم من قبل فرسان مالطا، يبين لنا مرّة أخرى التحالفات التي كانت تساند الإسبان في حملتهم هذه، فهؤلاء لم يستطيعوا شن هجومات على مدينة الجزائر عاصمة البلاد ولكنّهم قدموا المساعدة للإسبان في عملية تثبيت الإحتلال، كما ســاندهم بالأمس القريب الفرنسيون ولم تكن هــذه هي النكبة الوحيدة التي تعرضت لها الجزائر، فسفن البحرية الجزائرية لم تعد تبــحر في أعالي البحار كما كانت تفعل من ذي قبل. وهكذا بدأت الإيّالة تفقد سيطرتها نوعا ما على البحر المتوسط.

---

(1) بوعزيز يحي، وهران ، المرجع السابق، ص93.

(2) قنان جمال، المرجع السابق، ص223.

(3) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص ص 484- 483.

(4) بوعزيز يحي، وهران ، المرجع السابق، ص93.

(5) سامح عزيز التر، المرجع السابق، صص 484

6- نتائج الإحتلال:

كانت للحملة الإسبانية الفرنسية والحماية التي وفرها فرسان مالطا للإسبان وقع كبير على إيّالة الجزائر، وليس على وهران فقط، ومن النتائج المترتبة عنها نذكر:

أ- إعادة إحتلال مدينة وهران والمرسى الكبير للمرة الثانية، بعد أنّ تم تحريرهما عام 1708م.

ب- موت الدّاي مُحَمَّد عبدي باشا متأثرا بالفاجعة التي حلّت بالبلاد بعد مرور ثماني سنوات من حكم الإيّالة تقريبا.

جـ- موت الباي مصطفى بوشلاغم في مستغانم عام 1733م، بعد أنّ حكم بايليك الغرب الجزائري لمدة قاربت النصف قرن[1].

د- استشهد من الجزائريين 508 جندي و 16ضابطا، ووقوع عدد كبير منهم في الأسر، أمّا الإسبان فقدوا أقلّ من ذلك بكثير[2]. ولكن ما عــثرنا عليه بخصوص خسائر الإسبان يوضح عكس ما ذهب إليه هذا المؤلف، إذ كانت خسائرهم أضعاف الخسائر الجزائرية، والدليل على ذلك أنّ الدفــاعات الجزائرية ألحقت بصفوف الغزاة خسائر فادحة لأنّها كانت في مرمى مدافعها وعلى النقيض كان إنسحاب القوات الجزائرية قد جنبها خسائر كبيرة.

هـ- نقل عاصمة البايليك من وهران إلى مستغانم، بعد أنْ كانت في معسكر قبل التحرير الأول.

و- تردي الأحوال الإقتصادية في هذا العقد وخاصة في عهد الدّاي إبراهيم الذي إنتقم من الفرنسيين بتقريب الإنجليز الذين أرادوا الحصول على إمتيازات وشــاركوا في حصار وهران، ولكن الفرنسيين بدسائسهم وخداعهم قلبوا الموقف لصالحهم في الأخير[3].

ز- توتر العلاقات بين الجزائر وفرنــسا للأسباب التي ذكرناها سابقا، إذْ أنّ المراسلات بين الطرفين بدأت في التذبذب عند مقارنتها بحالتها سابقا أو القادمة أيضا، و كانت موجودة في السّنوات التي عقبت الحملة حيث كانت هناك رسالة واحدة سنة 1736م، ورسالتين سنة 1740م فقط[4].

حـ- عودة التحالف بين قبائل بني عامر والإســبان بوهران، فور إحتلاهم للمدينة [5]. وهذا ما ساعدهم على الإستقرار لأكثر من نصف قرن فيما بعد.

---

(1) بوعزيز يحي، وهران ، المرجع السابق، ص93.

(2) Viollet (A), Op, Cit, p108.

(3) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص 485

(4) بلانتي اوجين، المصدر السابق، ص ص331- 390.

(5) الاغا بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص256.

ط– غدت المدينة ومرســاها قاعدة للمراقبة البحرية في غرب المتوسط وأصبحت السفن الحربية الإسبانية والمـالطية والنــابوليطانية، تستطيع أنّ تقوم بعملياتها إنطلاقا من وهران إلى ماطا بأريحة تامة [1]. وهـكذا إستطاعت إسبانيا أنّ تسترد جزءًا من هيبتها المفقودة منذ القرن 16م، الأمر الذي شجعها على إعادة بعث مشروعها الإستعماري بتوجيه حملة على مدينــة الجزائر عام 1775م.

ي– تفكير قائد الحملة بعد النجاح الذي حقّقه بتوجيه حملة أخرى على مدينة مستغانم، ولكــن المجلس الحربي كان قد أرجأ ذلك بسب تأخر الوقت واقتراب فصل العواصف[2].

– عمّت الاحتفالات المملكة الإسبانية، بل وحتى القارة الأوربية بأسرها وأُستـقبل دي مونتمار إستقبال الأبطال حيث خلد إسمه على ميدالية برونزية قطرها 10 سنتمتر وعلى بزات عسكرية كذلك[3].

– لم يحقق الإسبان هذا الإنتصار بالصدفة، بل كان ذلك نتيجة لعدة عوامل نذكر منها:

– عدم تكافؤ القوّتين لا من حيث العدة ولا العتاد، فالحملة كانت تتمتع بقدرات حربيــة حديثة، أمّا الجزائرية فقد بدى واضحا إفتقارها لهذه الخصائص.

– إستعانة الإسبان بخبراء عسكريين عارفين بطبيعة مدينة وهران وخــباياها وحتى قاعــدة المرسى الكبير والأراضي المحيطة بهما من سهول وتلال[4].

– الدّعم الأوربي الذي لاقته الحملة الإسبانية من طرف الفرنسيين والمالطيين والقوى الأخرى والكنـيسة الكاثوليكية أيضا، على عكس القوات الجزائرية التي كان ينقصها الدعم والتنسيق، إذْ ظهرت الفجوة واضحة بين السلطة المركزية بمدينة الجزائر والقيادة السياسية والعسكرية بباياليك الغرب.

– إرتباك القوات الجزائرية مما سمح للغزاة بإتخاذ مواقع إستراتيجية كالتلال الموجودة على يسار ساحة المعركة وهو مــا سهل عملية الإغارة على صفوف الجيش الجزائري.

– إنسحاب القوات الجزائرية من المدينة وتركها للمؤن والعــتاد الحربي والحصون والأبراج كذلك قائمة، الأمر الذي منح للإسبان قوة أكثر ساعدتهم في طرد فلول الجيش الجزائري[5].

– خيانة قبائل بني عامر للباي مصطفى، ووقوفهم مــع الإسبان إنتقاما من العثمانيين نتيجة ما لحقهم من أذى عند تحرير وهران في المرة السابقة.

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، 402.

(2)Viollet (A), Op, Cit, p108.

(3) Berbrugger (A), Op, Cit, p27.

(4) Ibid, p22.

(5) بوعزيز يحي، مدينة وهران...، المرجع السابق، ص.92.

ثالثا– وشاية الفرنسيين بسفينتين جزائريتين لإسبانيا 1154هـ/ 1741م:

بعد موت الدّاي عبدي باشا نُصب "دالي إبراهيم" دايا جديدا، وكان هذا الأخير على علم بدسائس الفرنسيين ورغبتهم في إثارة المشاكل في ربوع الإيّالة الجزائرية، خاصة عندما تحسنت العلاقات بينها وبين الإنجليز فالمساعدة الفرنسية للإسبان عندما أعاد هؤلاء إحتلال وهران، كانت قد أغاضت الدّاي كثيرا، لكنّ الفرنسيين لم يكتفوا بذلك بل راحوا يشعلون الفتن كلما سمحت لهم الفرصة.

لم يختلف القنصل الفرنسي على من سبقوه من القناصل في السلك الديبلوماسي في الجزائر، أو حتى في إسطنبول، فكلا السفيرين الفرنسيين حاولا تغليط الحكومتين العثمانية والفرنسية عن حقيقة الأمور التي تجري في الجزائر فرياس البحر الجزائريين لم يتوانوا عن إعلان الحرب على السفن الفرنسية، ولكن ضغط القناصل المتزايد لم يفسح لهم المجال لذلك. ومهما يكن من أمر فإنّ اليهودي "بنزيبت" رئيس الجمعية اليهودية الذي يعمل صرّافا لدى الدّاي هو الذي حرضه ضد الفرنسيين بمنعهم ضريبة كوتيمو (*) التي كانوا يحصلون عليها وهو ما جعل الفرنسيين يفكرون في الإنتقام مرارا وتكرارا[1].

وفي إطار سياسة الضغط التي كان الفرنسيون يسلكونها دائما للي ذراع الدّاي للموافقة على مطالبهم وأبرزها الكف عن إتهامهم بخرق الإتفاقيات حسب زعمهم. ففي يوم 30 ماي 1734م أبحر الضابط "دوكور دو لابرويار" (De Court la Bruyére) من البحرية الفرنسية باتجاه الجزائر للتفاوض من أجل الحصول على تعويضات جراء الأعمال التي قام بها الجزائريون، فضلا عن مخلفات الضريبة السابقة التي مُنعوا منها، لقد جاء رد الدّاي صارما على هذه المسألة، فقد ورد في جوابه للضابط أنّ فرنسا قدمت معونات كبيرة لإسبانيا التي هي اليوم عدو للجزائر بإحتلالها وهران ولا يمكن أنّ يمر هذا الأمر بسهولة[2].

لقد كان الدّاي صائبا في رأيه؛ فكل المراسلات التي كانت تصل سلطات البلدين العثمانية والفرنسية كانت مغلوطة و كاذبة، وهو ما ساهم في تأزم العلاقات بين البلدين. ومهما يكن من أمر هذه الأزمات فإنّ إتفاقية الصلح المسماة معاهدة السلم المئوي لا زالت قائمة، وكان من بين بنودها دفاع الدولتين على سفن الدولة الأخرى ليس في المتوسط فحسب، بل في المياه الإقليمية لأحد الدولتين، وتحدد المسافة للمياه الإقليمية على أكثر ترجيح بـ 30 ميلا بحريا غير أنّ الفرنسيين لم يحترموا هذا البند. وما حدث كان أمرا مؤسفا للغاية وهو ما يوضح مدى تحامل الأوربيين على الجزائر وبحريتها، فقد كانت المواثيق والعهود هي آخر شيء يتم الالتزام به.

(*) فرضت في الجزائر من طرف الغرفة التجارية بمرسيليا ولم نعثر عليها في مختلف المصادر، إذْ تكون على الأرجح تخص المعاملات التجارية بين الغرفة واليهود لكون اليهودي المذكور هو من تسبب في تعطيلها، ومن غير الممكن أنّ تكون الجزائر هي من تدفعها.

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص485.

(2) اوجين بلانتي، ج1، المرجع السابق ، تهميش ص359.

ففي غضون عام 1741م، كانت سفينتان جزائريتان قد إلتجأتا إلى ميناء طولون إحتماءً من عاصفة هوجاء هبت، وقد بقيتا قرابة خمسة عشر يوما بالميناء، ينتظر طاقمها هدوء العاصفة، وبعدها عزم طاقم السفينتين على الإبحار وما حدث ولم يكن متوقعا أنّ السفينتين هوجمتا من طرف السفن الإسبانية فجأة ودون سابق إنذار، بالقرب من رأس سيجية (Sicie). وعليه وقعت سفينة "الريس مُحَمَّد" في الأسر، بينما تمكن "الريس سليمان" من الفرار والعودة إلى الجزائر؛ إذْ أخبر الدّاي إبراهيم باشا بما جرى لهما عند مغادرة ميناء طولون الفرنسي، وأنّ الفرنسيين هم من وشى بهم للإسبـــان الذين كانوا كامنين لهم غير بعيد[1]، بحيث أصبحوا هدفا سهل المنال لديهم ولم يكن هناك مجال للدفاع خاصة وأنّ السفينتين لم يتم ذكر نوعيتهما ولا عدد مدافعهما.

هنا يعترضنا سؤال مهم حول مهمة السفينتين الجزائريتين في ميناء طولون [*]. ونحن لا نشكك في رواية المؤرخ التركي فالكونت "دو موريباس" (De Maurepas) أمين الدولة للقوات البحرية الفرنسية، كان قد شرح للداي إبراهيم سبب الإعتداء الإسباني على السفينتين الجزائريتين تبرئة لذمة الفرنسيين، متهما الريس مُحَمَّد وسليمان بالقيام بعمليات النهب والسلب بالقرب من السواحل الفرنسية. ويزيد على ذلك بأنّهما قاما بجر سفينة جنوية إلى ميناء طولون بعد أنّ تم الإستيلاء عليها[2].

نستشف من خلال رواية أمين البحرية الفرنسية الكذب والتدليس الواضح، ولو كان الأمر كـذلك لماذا لم يعاقب الفرنسيون طاقم السفينتين عن فعلتهما؟ وهذا ما يتعارض مع رواية الريس سليمان تماما، كما أنّ الإسبان أصدقاء للفرنسيين، وهو ما يفسر هذا العمل ولو كانوا أعداءً لهم لكان غير ذلك. لقد وقع هؤلاء في جملة من التناقضات التي توضح تواطؤهم المفضوح. إنّ مترجمو كتاب المراسلات بين دايات الجزائر ومـــلوك ووزراء فرنسا قد بينوا لنا مهمة السفينتين الجزائريتين، إذْ يقول هؤلاء بأنّهما كانا على أمل إلتقاط بعض السفن القادمة إلى معرض بوكير، ونحن بدورنا لم نستطع تفسير لفظة إلتقاط، وهي تعني أنّ السفن ستكون محطمة أي خردة ليتم إلتقاطها ولو كانت سليـمة لدخلت معها في حرب ولن يستطيع أي من رياس البحر الجزائريين القيام بذلك في هذه الأماكن القريبة جدا من السواحل الفرنسية. ولو لم تكن في هذه الفترة أي في القرن الماضي لسلمنا بالأمر ولكن في هذه الفترة بالذات هو أمر مســتبعد. ومهما يكن من أمر تبقى هذه الحادثة يلفها الغموض لعدم وجود أدلة تثبت تورط الفرنسيين فيها على أنّ هذا السلوك ليس غريبا عنهم.

---

(1) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص489.

(*) يذكر أنّه في الفترة الممتدة ما بين 1740- 1742م، كانت الجزائر في حرب مع أحد البايات التونسيين الذي إستولى على السلطة بمساعدة المالطيين وعليه أعلنت الجزائر الحرب عليه وعلى حلفائه، بل وعلى كل السفن التي ترسو بالموانئ التونسية للتزود بمختلف المؤن. الأمر الذي خلق نوعا من التحالف فيما بين هذه القوى وإعلانها الحرب على الجزائر وعلى البحرية الجزائرية، خاصة من طرف نابولي، مالطا والإسبان الأعداء التقليديين للجزائر . للمزيد حول الموضوع. ينظر: مروش لمنور، المرجع السابق، ص ص437-438.

(2) اوجين بلانتي، المرجع السابق، ج1، ص373.

لقد وقّع أمين البحرية الفرنسية في تضارب صارخ أثناء تلفيقه لجملة من الأسباب، إذْ يظهر التناقض في سبب وجود السفينتين وتقديم يد العون لهما بعد أنّ تأخر خروجهما، حيث أضاف أنّ الريس مُحَمَّد، كان متهورا للغاية عندما إبتعد عن المركب الفرنسي الزفير(Zefir) الذي كان يوفر لهما الحماية، موضحا أنّ الريس مُحَمَّد قام بالإستيلاء على مركب إسباني، وبينـــما هو كذلك حتى فاجأته القوات البحرية الإسبانية التي أسرته واحتجزت سفينته بعد أنْ قادتها إلى إحدى موانئها القريبة[1].

أما المؤرخ التركي فيقول بأنّ الحادثة جرت أمام أعين الفرنسيين، إذْ كان بإمكانهم صد السفينة الإسبانية المهاجمة بسهولة تامة، ولكنهم تغاضوا عن ذلك [2]. وبالرغم من التبريرات الفرنـــسية السريعة لرأب الصدع بين الطرفين إلا أنّ الإنتقام الجزائري كان سريعا جدا من ذلك، فقد أمر الدّاي ابراهيم باعـــتقال القنصل الفرنسي "جوانفيل" (Jonville) والقسيس البابوي "الأب بواسون"(Poissant)، كما تم حجز قيادة السفن السبعة الراسية في ميناء الجزائر، وتم الزج بأربعة وخمسين بحارا في السجن، فضلا عن أمره أي الدّاي لباي قسنطينة بسجن الفرنسيين المتواجدين بالحصن هناك، وألحّ الدّاي في طلب إسترجاع القارب المحتجز من طرف الإســبان وطاقمه، مطالبا في الوقت نفسه بالتعويضات المترتبة جراء هذه العملية[3].

كان ترك السفينتين الجزائريتين في المياه الفرنسية صيدا ثمينا للإسبان من شأنّه إعادة العلاقات بين البلدين إلى الحضيض، ولما كان الدّاي على علم تام بالدسائس الفرنسية، فقد عامل السجناء الفرنسيين معاملة قاسية ولكنه أمر بإطلاق سراحهم في آخر المطاف، هذا قبل أنْ يعيد تأكيده على ضرورة إرجاع المركبين بعدما إختلق الفرنسيون أعذارا كثيرة لثني الدّاي عن طلبه هذا، بيد أنّ الدّاي كان كل يوم يمرّ عن هذه الحادثة يزيد إصرارا على مطالبه تلك، حيث تيقن الفرنسيون بأنّ الدّاي لن ينسى هذه القضية التي ستعرض العلاقات إلى التدهور أكثر والأمور ستزيد تعقيدا وعليه عمل هؤلاء ما بوسعهم لإرجاع المركب، حيث تم ذلك يوم 18ماي 1742م[4].

عاد المركب الجزائري من الأسر بعد مدة طويلة، ولكن العلاقات بين الطرفين لم تعد كما كانت، فالتوتر لا زال مخيما طالما أنّ الدّاي إبراهيم لا زال على رأس الحكم وهو الذي شهد ضياع وهران بتواطؤ فرنسي واضح فكيف سيثق بهؤلاء مجددا، لقد زادت هذه الأزمة من سوء الأحوال بالجزائر، فوباء الطاعون أيضا كان قد أضر كثيرا بالإقتصاد الإيّالة ومصالحها المختلفة[5].

---

(1) اوجين بلانتي، المرجع السابق، ج1، ص374.

(2) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص489.

(3) اوجين بلانتي ، المرجع السابق، ج1، تهميش ص ص376-377.

(4) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص490.

(5) مروش لمنور، المرجع السابق، ص 438.

رابعا– تحالف الفرنسيين وفرسان مالطا ضد الجزائر 1157هـ/ 1744م:

ما إنْ حلّ العقد الرابع من القرن الثامن عشر، حتى أصبحت العلاقات الجزائرية على مستوى عال من التمثيل يطبعها الإستقرار ويسودها الإحترام المتبادل، ولكن ليس مع كل الدول. فهناك دول لا زالت تتربص بالإيّالة منها إسبانيا التي إستولت للتو على مدينة وهران، فساستها لا زالوا يتطلعون لتوسعة إحتلال المدينة واسترجاع هيبتهم الضائعة في أوربا. أما فرنسا فكان مزاج حكامها متقلبا أيضا. وما يجب ذكره هو أنّ الأوضاع السائدة في البحر هي من تتحكم في العلاقات بصفة مباشرة بين القوى المتصـــارعة فيه، فأي اعتداء غير مرخص به يؤدي إلى سلسلة من ردود الأفعـــال وعليه تعود الأمور إلى سابق عهدها من التوتر والعـــداء.

ظلت دول الأراضي المنخفضة ودول أوربا الشمالية تبحث عن سبيل لولوج عالم البحر الأبيض المتوسط مثل هولندا والسويد؛ لمزاحمة القوى الأوربية الأخرى وإزاحة الجزائر، إنّ بحارة الجزائر كانت أعمالهم البحرية تصل إلى أعالي البحار مما اضطر هذه القوى إلى عقد إتفاقيات للصلح وحماية بحريتها في المتوسط وعليه كانت تدفع إتاوات ثابتة. بيد أنّ فرسان مالطا هذه الفئة فضلت أنّ تبقى على طبيعتها العدائية تجاه الجزائر على أنّ تدخل في إتفاقيات مماثلة لتلك التي عقدت مع هولندا وغيرها. ولما كانت أوضـــاع الجزائر مستقرة على مستوى هرم السلطة حاول حكامها النيل من قوة الفرسان، إذْ تم الإستيلاء على أربعة سفن لهم بساحل روسيلون (Rousillon) على متنها 22 شخصا من جنسية فرنسية، أُسروا بالكامل واقتيدوا إلى الجزائر لبيعهم، حيث سارعت فرنسا إلى إفتدائهم بواسطة إرسال أربعة مراكب بحرية بقيادة "دوقي تروين" (Du Guay Trouin)[1]. وهنا يتبين لنا أنّ الحكومة الفرنسية لم تصعد الأمر لأنّ وضعها يفرض طبيعة هذا المسلك في التفاوض.

كنا قد أوضحنا مساعدة فرنسا للإسبان في إحتلال مدينة وهران، وعليه كانت العلاقات بين هذه الأطراف جد متوترة، مما حدى بالإنجليز إلى إعادة محاولة بعث مشاريعهم، حيث تقدموا بجملة من المطالب للداي إغتناما لتباعد الشقة بين الجزائر وفرنسا خاصة. فيذكر أنّ سفيـــنة فرنسية قد أسرت سفينة إنجليزية نصف حمولتها للجزائر مما عقد الأمور أكثر[2]، وكلفوا اليهودي "بوشناق" بمهمة تبليغ الدّاي بابا إبراهيم بأنّهم مستعدون لمساعدة الجزائريين على طرد الإسبان من وهران مقابل منحهم المؤسسات التجارية بالجزائر لهم والتي كانت بيد الفرنسيين، خاصة الواقعة في الناحية الغربية لأنّها لم تكن ضمن نطاق الإحتلال الإسباني ولكنها كانت تحت رحمة الجوسسة الإسبانية التي تطلع على كل التحركات بالدواخل وعلى الساحل أيضا[3].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص97.

(2) مروش لمنور، المرجع السابق، ص436.

(3) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص98.

لم تكن هذه الأمور وحدها تعكر صفو العلاقات فحسب، بل تصرفات القناصل الفرنسيين كان لها دور في الدفع بهذا الإتجاه نحو التأزم، فالقنصل "بينو لومير"(Bénoit Lemaire)، كان رجلا غير حكيم وتصرفاته لا تنبيء بأنّه ديبلوماسي، فقد تعرض مرة للتوبيخ من طرف الدّاي ونقل هذا الحدث إلى الملك الفرنسي. وما كان على هذا الأخير إلا أنّ عاد إلى إستعمال أسلوب الترهيب، حيث أرسل ثمانية سفن حربية لمدينة الجزائر، بيد أنّ مهمته الإستفزازية لم تلق صدا لدى الدّاي الذي أصرّ على تغيير القنصل، ونصب مكانه القنصل "دوماريني" (De Marigny) عام 1735م، وفي سنـــة 1740م، تم تغييره هو كذلك لسوء إدارته وعوض بـ "دو جوانفيل"(Jonnville)، وهذا الأخير سار على نهج من سبقوه وأبدى عجرفة وجانبا من اللامسؤولية[1].

في الوقت الذي كانت فيه دولة إنجلترا تلحّ على داي الجزائر وتطلب منه تسليمها المراكز التجارية الفرنسية بالجزائر، كان موقف الفرنسيين لا يحسدون عليه البتة، فثم حادثة قد وقعت وكادت أنّ تعصف بالعلاقات بين الطرفين برمتها، فقد هاجم بعض من بحارة فرنسا سفينة جزائرية في ميناء طولون بقيادة "الريس مُحَمَّد"، ولما كانت العلاقات تسير باتجاه التأزم أكثر وليس ذلك من مصلحة فرنسا، سارع الفرنســيون إلى تحرير طاقم السفينة المعتدي عليها وتم نقلهم إلى الجـــــزائر في غضون عام 1742م. وعلى إثر ذلك تم تغيـــير القـــنصل دو جونفيل بالقنـــصل "فرانسوا إيفيان"(François Evant)[2]. ويتضح التوتر في العلاقات من خلال تغيير القناصل ففي بضع سنين تداول على هذا المنصب أربعة قناصل أثبتوا عدم مسؤوليتهم بالمنصب الذي يشغلونه.

لا تعود الأمور المتأزمة إلى القنصل وحده بل المتسبب فيها بالدرجة الأولى تصرفات أولئك القائمين على العمل بالمراكز التجارية الفرنسية بشرق لجزائر أيضا، وغرب تونس إذْ كانت مضطربة أحوالها هي الأخرى، وهو ما يوحي بعودة التوتر، لقد كان هذا الوضع مناسبا لتحرك الدول الأخرى، لذا فقد أسال لعاب الإنجليز للإستيلاء عليها أي المراكز التجارية، وما يوضح هذا الغليان بالمراكز الفرنسية هو الهجوم التونسي الذي قاده الباي "علي باشا بن محـــمد" (1735- 1756م)، على مراكز صيد المرجان والتجارة بجزيرة طبرقة في صائفة 1741م، وطرد الجنويين منها و كذا مقر الفرنسيين بتامكرت(كاب نيقرو) التابع للشركة التجارية الإفريقية قد تعرض لسطوته أيضا، فارضا بذلك سيادته على البلاد بعد أنْ عقد كل من الفرنسيين والجنوييين علاقات مشبـــوهة مع القبائل المتاخمة لمناطق تواجدهم[3]. إنّه على الرغم من فشل الإنجليز في الحصول على ما كانوا يريدون لم يدخلوا في تحالف ضد الجزائر وبالمقابل كان الفرنسيون يغتنمون أدنى فرصة لتوجيه حملة أو الدخول في تحالفات، ففي سنة 1744م، تحالفوا مع فرسان مالطا ضد الإيّالة[4].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص ص96- 98.

(2) المرجع نفسه، ص98.

(3) هنية عبد الحميد، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، منشورات تبر الزمان، تونس2012م، ص ص181-182.

(4) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق ص99.

خامسا– التحالف الصليبي ضد الجزائر1162هـ/ 1749م:

ظلّت العلاقات الجزائرية الفرنسية تتأرجح بين السلم تارة والحرب تارة أخرى. ولم يعر الملك الفرنسي لويس الخامس عشر، أدنى مشاعر حقيقية تجاه هذه العلاقات، وكل ما حصل بين الجزائر وفرنسا من سوء تفاهم كان أثناء فترة حكمه التي تبدأ من سنة 1715م، وقد عاصـــر هذا الملك كم من واحد من دايات الجزائر، وفي هذه الفـــترة التي تكدّر فيها صفو العلاقات كانت الجزائر تحت حكم الدّاي "مُحَمَّد بكير باشا"(1748- 1754م). إنّ هذا التحالف يضاف إلى سلسلة التحالفات التي كانت موجودة بين الطرفين منذ زمن ضد الإيّالة وليست بالجديدة، على أنّها ظلت مع طرفين بارزين هما الإسبان وفرسان مالطا نتيجة عوامل كثيرة.

1–أسباب التحالف:

لم يكن هذا التحالف العسكري الجديد وليد هذه السّنوات فقط بل كان نتيجة ترسبات تاريخية دفعت بالعلاقات إلى التأزم مرة أخرى، ويعود هذا التحالف إلى جملة من الأسباب والعوامل التي سنوجز بعضا منـــها في النـــقاط التالية:

أ– حدوث تقارب كبير بين الجزائر والدول الأوربية لفت إنتباه ساسة فرنسا بل وقض مضجعهم. يتمثل هذا التقارب في خضوع هذه الدول للجزائر وقيامها بتقديم هدايا قيمة كان من شأنّها شراء الســـلم لسفنها التي تخوض عباب البحر المتوسط، ومن بين هذه الدول التي قدمت الهدايا هولندا في ديسمبر 1746م، السويد في أفريل 1747م، والدانمارك أكتوبر 1747م[1].

ب– تنامي دور البحرية الجزائرية في هذه الفترة بالذات أي ما بين 1748- 1754م، حيث كانت هناك غنائم وفيرة ومن بينها سفينة إسبانية تقل 170 شخصا منهم ضباط في الجيش ورجال دين، وكانت السفن المستولي عليها تعود لمختلف الأمم عدا فرنسا[2].

ج– تحريض البابا "بينديتكس الرابع عشر" على توجيه حملة ضد الجزائر إنطلاقا من مدينة وهران، وقد وعدت كل الدويلات الإيطالية بتقديم الدعم اللازم لذلك منها مالطا، جنوة ، البندقية وصقلية[*]. خاصة ما تعلق بالأموال التي كانت ستجمع كالعادة عن طريق ضريبة كريسادا[3].

---

(1) بلانتي أوجين، المرجع السابق، تمميش ص13.

(2) مروش لمنور، المرجع السابق، ص440.

(*) يعود هذا التحالف إلى طبيعة العلاقات بين الجزائر والقوى المسيحية، التي كانت متوترة بسبب الحرب المعلنة بين الطرفين، وسبب إتخاذ هذا الموقف في نظرنا هو محاولة لتوقيف نشاط البحرية الجزائرية التي أصبحت تصول وتجول في محيط الدويلات الإيطالية التي سارعت إلى تلبية رغبة البابا.

(3) De Grammont, Op, Cit, p304.

د– تعرض سفينة فرنسية لهجوم جزائري خاطف، كانت تحت قيادة القبطان "ريكو دو لاموت"، تم خلاله الإستيلاء على حمولة السفينة وأسر طاقمها، يوم 27 اكتوبر 1748م في مياه إيطاليا. ومحاولة الدّاي إطلاق سراح أسراها وإرجاع حمولتها، ولكنه لم يستطع خوفا من الرياس الذين منعوه من ذلك.

هـ– تمكن أحد رياس البحر الجزائريين من حجز سفينة جنوية ترفع العلم الفرنسي وهو ما إعتبره الجزائريون منافيا للشروط المتفق عليها سابقا، كما أنّ قبطانها كان يحمل ترخيصا مزورا، في يوم 15 نوفمبر 1748م[1]. لقد كان هذا الأسلوب مستعملا كثيرا من طرف الأوربين للإفلات من قبضة الجزائريين.

2– مظاهر التحالف:

بعد حدوث التقارب مع بعض الدول الأوربية دون أخرى، بقيت فرنسا وإسبانيا تكنان الحقد لحـــكام الجزائر وبعد أنْ تدهورت العلاقات بين الطرفين ووصلت إلى مستويات لا يمكن الرجوع فيها، فكرت فرنسا في توجيه حملة ضد الجزائر بمشاركـــــة دولة إسبانيا. يظهر ذلك من خلال مبعوث الملك لويـــس الخامـــس عشر، "أندري ألكسندر لومير"(André-Alexandre Lemaire)، إلى الدّاي عندما حلّ بمدينة الجزائر يوم 21 ماي 1749م، إذْ أعرب هذا الأخير للمبعوث عن قلقه الشديد إزاء التحالف المعقود بين دولته وإسبانيا[2].

ويُذكر في هذا الصدد أنّ هذا المبعوث عندما نزل بالمدينة وجدها في حالة من الهرج والمرج جراء الأنباء التي سمع بها السكان؛ مفادها قيام إسبانيا بتجهيز حملة لضرب مدينة الجزائر [3]. إنّ الجوسسة الجزائرية لم يكن ليستهان بها أو يشكك في معلوماتها، فمعظم الأخبار التي كانت ترد إلى حكام الجزائر كانت شبه حقيقية، فقد أرسلت المؤن والذخائر الحربية إلى مدينة وهران، وتم تجهيز جيش ضخم ووعد قـادته من طرف الأوربيين على تدعيمه بقوة قوامها إثني عشر ألف رجل حسب المعطيات. لقد وصل الأسطول المسيحي إلى وهران في تلك الآونة [4]. ومن المؤكد أنّ فرنسا كانت ستساعدها كما فعلت عام 1732م، عندما تم الإستيلاء على وهران، أو كما كانت تقدم المساعدات للفرسان من حين لآخر. وبالمقابل طلب داي الجزائر مساعدة الباب العالي الذي إمتنع في البداية عن تقديم يد العون، ثم أرسل قطعا من المدفعية والذخيرة وأعداد من الجند[5].

---

(1) بلانتي أوجين، المرجع السابق، تهميش ص ص15– 17.

(2) De Grammont, Op, Cit, p305.

(3) بلانتي أوجين، المرجع السابق، تهميش، ص 21.

(4) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص511.

(5) المرجع نفسه، ص511.

3- نتائج التحالف:

تمكن داي الجزائر من تجنب حملة صليبية شرسة بقيادة إسبانيا وفرنسا خاصة ضد حكومته، وهذه الحـملة التي لم تسير نحو وجهتها ولن يكون هناك نجاح، على أنّها وجدت آذانا صاغية لمـــؤازرتها وتدعيمـــها من قريب أو بعيد ونجدها قد خلفت نتائج على أكثر من صعيد، ومن بينها نذكر:

أ- عودة إستقرار العلاقات بين الطرفين الجزائري والفرنـــسي، وذلك من خلال إعادة العمل بالإتفاقية السابقة التي أضيفت إليها شروط أخرى، تقضي باحترامها أكثر من السابق، خاصة بعد إعتلاء "رويي"(Rouillé) للقوات البحرية الملكية[1]. ولكنها ستتوتر ثانية بفعل العوامل نفسها.

ب- تجنب إيّالة الجزائر لحملة صليبية بإمتياز، كانت ستكون لها عواقب وخيمة على كل المستويات، الأمر الذي ساهم في إستقرار الأوضاع أكثر فأكثر، وبَيّنَ حنكة الدّاي السيـاسية التي أهلته لقيادة البلاد، ولكن لن تبقى الأمور طويلا كما كان يظن الدّاي، إذْ نجد أنّ العلاقات ستتأزم ليس مع دول أوربـا بل مع الجارة تونس بسبب فتنة "يونس باي"[2].

جـ- تزايد نشاط البحرية الجزائرية مثل سابق عهدها على الرغم التهديدات التي باتت تشكلها الأساطيل الأوربية ضدها وحتى السفن الفرنسية لم تنجو من عملياتها [3]، إذْ يُذكر أنّ الغنائم في سنـــة 1750م، كانت تدخل ميناء الجزائر كل أسبوع، ويخبرنا القنصل الفرنسي "لومير" بأنّ الغنائم في سنة 1751م كانت 29 غنيمة، لمختلف السفن ومن معظم البلدان الأوربـــية[4].

د- لفت إنتباه الدول الأوربية من خلال هذه المحاولة اليائسة للنيل من الجزائر. وتأكد حقيقة مفادها أنّ كل الدول الأوربية كانت ترغب في الإنتقام من الجزائر[5]. ولكن نلاحظ هنا أنّ إنجلترا لم تكن كذلك فهذه الدولة كانت تحافظ على مصالحها في ظل هذه الظروف المضطربة ولم تُظهر العداء كباقي الدول.

هـ- توتر العلاقات بين الجزائر وإنجلترا فيما بعد، بسبب إستيلاء بحارة الجزائر لحمولة سفينتين إنجليزيتين، كانتا تبيعان مادة البارود لبعض العناصر المحلية، الأمر الذي تطور إلى إرسال أسطول لتهديد الجزائر في جويلية 1750م، على أنّ هذه المشكلة تم تجاوزها أيضا[6].

---

(1) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص511.

(2) ابن عبد العزيز حمودة بن مُحَمَّد، الكتاب الباشي، تحقيق ماضور مُحَمَّد، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس1970م، ص 280.

(3) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص99.

(4) مروش لمنور، المرجع السابق، ص441.

(5) بلانتي أوجين، المرجع السابق، تمميش، ص 31.

(6) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص511.

الفصـــــل الخامس

حملات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما

بين سنتي

1189– 1222 هـ

الموافق لـ

1775– 1807 م

عناصـــــــر الفصــل

– تمهيد

أولا– حملة التحالف الصليبي بقيادة الضابط أوريلي 1189هـ/ 1775م.

ثانيا– حملة التحالف الصليبي الأولى بقيادة الدون أنطونيو1197هـ/ 1783م.

ثالثا– الحملة الصليبية الثانية بقيادة الدون أنطونيو وتداعياتها 1198هـ/ 1784م.

رابعا– مشروع التحالف البرتغالي الفرنسي ضد الجزائر 1199هـ/ 1785م.

خامسا – تحرير وهران الأخير 1205هـ/ 1791م.

سادسا– التنافس الأوربي على الجزائر بعد 1206هـ/ 1792م.

سابعا– مؤامرات أوربا حيال السلام الجزائري الأمريكي 1209هـ/ 1795(*).

ثامنا– تحالف باي تونس مع ابن الأحرش ضد الجزائر1219هـ/ 1804م.

تاسعا– تحريض المغرب للدرقاوي ضد الجزائر سنة 1805م.

عاشرا– تحالف باي تونس مع باي قسنطينة ضد الجزائر و تداعياته 1222هـ/ 1807م.

مضى قرنان وثلاثة عقود من الزمن على أكبر هجوم مسيحي على مدينة الجزائر بقيادة الإمـــــــبراطور شارل الخامس وبعد إنتصار الإسبان على الجزائريين في وهران عندما أعادوا إحتلالها في بداية العقد الرابع، رأى قادتها السياسيون وخبراؤها العسكريون أنّ الفرصة قد حانت لإعادة الكرة على مدينة الجزائر، ضاربين كل الاعتبارات والحسابات عرض الحائط، من منطلق أنّ الجيش الذي هزم في وهران والمرسى هو الجيش نفسه المدافع عن عاصمة ملك الجزائريين يومئذ وظروف مدينة وهران هي مثلها مدينة الجزائر.

توهم الإسبان أنّ الإنتصار المؤقت في وهران سيكون من شأنه إعادة أمجاد الإمبراطورية الإسبانية التي كانت مكانتها بين الأمم قد تضعضعت منذ أمد بعيد، بيد أنّ ذلك لم يزد الجزائريين إلا إصرارا، وأضحت مسألة تحرير وهران من الأهمّية بما كان، ففقدانها كان ضربة قاصمة لجهود حكام الجزائر في مسيرتهم لفرض وجود الإيّالة بل كانت وهران وكأنها لم تكن تحت سلطتهم مدة ربع القرن، وعليه كانت أي مفاوضات بين الطرفين مآلها الفشل الذريع ما لم تأخذ بعين الإعتبار مسألة التحرير. فكان حرص الإسبان مضاعف لإرغام حكام الجزائر على القبول بإتفاقية يحفظ بها هؤلاء على الأقل ماء وجوههم.

كذلك كان الفرنسيون والفرسان يتمنون زوال الجـــزائر، فالمساعدات من طرفهم لم تنقطع، على أنّ هؤلاء الأخرين كانت مشاركتهم في الإعتداءات على الجزائر وموانئها و بحريـــتها معلنة على عكس الفرنسيين الذي كانوا يجاهرون بالصداقة والتودد لدايات الجزائر ولكن في الضفة الأخرى للمتوسط كانوا متحمسين أكثر من الإسبان أنفسهم لإلحاق الأذى بالإيّالة. فالأوضاع العامة في الجزائر كانت شبه مستقرة ومما يدل على ذلك طول فترات حكم الدّايات. كما أنّ الدول الأوربية كانت تدفع بانتظام ما عليها من أموال لصالح خزينة الإيّالة، وإنْ امتنعت فستكون سفنها صيدا هاما للرياس.

قامت الدول الأوربية بالتناوب في إعتداءاتها على الجزائر ملحقة بها أضرارا جسيمة تتطلب عقودا من الزمن للتعافي. ولما كانت الجزائر على يقين بما يضمره هؤلاء من حقد وكره شديدين، عمل الدّايات ما بوسعهم للخروج بسلام من هذه المؤامرات، بل عملوا جاهدين على عدم حدوث أيّ تحالف من شأنه الإضرار بمصالحها ونجد في هذه الفترة أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أنّه لم تعد هناك أي إعتداءات بشكل رهيب بعد تلك التي نفذتها فرنسا أواخر القرن الماضي، وجاء الدور على إسبانيا لتقوم بمثل ما قامت به فرنسا تماما، أي شن حملات متتالية في محاولة للي ذراع الحكام وإخضاعهم لشروطها القاسية التي حتما لن تمس بمسألة وهران.

أولا– حملة التحالف الصليبي بقيادة الضابط أوريلي 1189هـ/ 1775م:

لم تدم فترة بقاء الحكم الجزائري بمدينة وهران وأحوازها طويلا، فالإسبان رموا بثقلهم لإعادة إحتلال المدينة عام 1732م، كما أسلفنا ذلك سابقا، ومن منطلق الهزيمة الأولى التي تلك بها هؤلاء اتبعوا إستراتيجية جديدة لتلا في الوقوع في المأزق السابق، وهي درأ الخطر عن مدينة وهران قبل أنّ يصل إليها ، ويصبح على مقربة من أسوارها ، وعليه عادوا إلى محاولة توسيع دائرة نفوذهم ، وبذلك يضمنوا إبتعاد الخطر عنهم، وكذا التزود بمختلف المنتوجات الفلاحية التي تنتجها مختلف مناطق بايليك الغرب الجزائري.

وعلى أساس هذه الإستراتيجية كان هدفهم أيضا الحصول على الموانئ خارج مدينة وهران والمدن الساحلية شرقا وغربا، خاصة وأنّ أيّ إتصال بوهران يكون عن طريق البحر، لذا كانت الحاجة ماسة لهذه التحركات على السواحل الجزائرية[1]. وقبل الخوض في هذه الحملة نجد جملة من الأسباب التي أدت بالإسبان إلى التفكير في إعادة توجيه حملة على مدينة الجزائر بعد الحملة الفاشلة للإمبراطور شارل الخامس قبل أكثر من قرنين من الزمن.

1– أسباب الحملة: نذكر من أهمها.

أ– نجاح الإسبان في إعادة إحتلال مدينة وهران عام 1732م.

ب– إدراك الإسبان للأخطار التي باتت تشكلها إيّالة الجزائر وخاصة طموحات بايات الغرب الجزائري.

جـ– إستقرار الأوضاع العامة في الجزائر بعد أنّ آل الحكم إلى الدّاي "مُحَمَّد بن عثمان باشا" عام 1766م.

د – العمليات البحرية للرياس الجزائريين في عهد الدّاي بن عثمان على سواحل إسبانيا، وما كانت تغنمه مما أدى إلى رحيل سكان الشواطئ وعدم تحمّل هذا الوضع.

هـ– إرتفاع عدد أسرى الإسبان في الجزائر، فقد أصبح عددهم هم فقط أكثر من 10 آلاف أسير[2].

و– التقارب الجزائري مع بعض الدول الأوربية على غرار الدانمارك التي اضطرت إلى عقد الصلح مع الإيّالة، بعد فشل حملتها على مدينة الجزائر بقيادة الضابط" كاعس" (Caas)، في الفاتح جويلية 1770م، وانزعاج إسبانيا من ذلك[3].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص101.

(2) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 41.

(3) يعود سبب الإنزعاج الإسباني من هذا التقارب الجزائري الدانماركي إلى كون الجزائر لم تستجب للمطالب الإسبانية بعقد الصلح وطي صفحة الخلاف واستجابت لدولة صغيرة مثل الدانمارك، ولكن هنا نجد أنّ الدانمارك هي التي خضعت لشروط الجزائر وليس العكس من خلال تعهدها بتسديد التعويضات الناتجة عن حملتها المتسببة في الخسائر التي طالت مدينة الجزائر وتزويد الإيّالة بمختلف المؤن الحربية من ذخيرة، مدافع، بنادق ولوازم السفن، الأمر الذي يجعل من حكام الجزائر يشعرون بالثقة أكثر وتزيد مواقفهم أكثر تصلبا مما مضى. للمزيد حول الموضوع ينظر:

Garrot Henri, Op, Cit, p 578.

ز- تعنت الدّاي محمد بن عثمان باشا في عقد الصلح مع إسبانيا، بوساطة مغربية قام بها الملك "محمد بن عبد الله" عندما أرسل مبعوثا وهو "محمد الغزال" سنة 1767م، على أنّه تم تبادل إطلاق الأسرى [1]. وهذا ما يؤكده صاحب الرحلة في كتابه الذي يخبرنا فيه أنّ أكثر الأسرى المحررين من الجزائر، ولم يذكر أمر العلاقات والوساطة أيضا[2].

لم تكن هذه الأسباب إلا جزءًا ضئيلا من العوامل التي طالما أدّت إلى الصدام بين ال قوتين في البحر المتوسط مع أنّها تدلّ على ذلك الحقد الدفين الذي بقي يحمله الإسبان لبحارة الجزائر وحكامها، ولم يستطيعوا نسيانه مع مرور الزمن، فضلا على أنّ حقدهم كان قد أُفرغ جزء كبير منه في حرب المسلمين بالأندلس من خلال محاكم التفتيش و لم يكن ذلك ليشفي غليلهم تجاه الجزائر المستعصية عليهم. فالحروب الأوربية لم تدع إمبراطورية إسبانية المتهالكة إلى التفكير الجدي في إنهاء سيطرة الجزائر على الحوض الغربي المتوسط، والشبح الذي يهدّد البحرية الأوربية عامة و البحرية الإسبانية خاصة، فتلك السّنوات قبل 1775م، كانت حاسمة لترجيح شن غارة على الجزائر وعدم الإرتماء في أحضان الحروب الأوربية بالكامل، لأنّ الوضع إستلزم خطة متوازنة للتخلص من الضغط الأوربي والخطر الجزائري معا.

ولكنّ تنفيذ هذه الخطة كان يلزم هنوع من التضحية ولن تكون هذه التضحية رخيصة بل ستكون حتما باهضة الثمن. إنّ التعاون الفرنسي الذي برز جليا في حملة إستعادة وهران من طرف الإسبان، لم يتغير كفكرة مستقبلية لتوجيه حملة مماثلة ضد حكومة إيالة الجزائر وبالضبط على مدينة الجزائر، فالفكرة كانت حاضرة ولطالما اختمرت في أذهان الفرنسيين الذين لم يهضموا الدرس جيدا، ويحافظوا على الإتفاقيات التي عقدت مع دايات الجزائر ، وكثيرا ما كلفهم ذلك غاليا، وعليه فقد بادر حكام الدولتين الفرنسية والإسبانية للقيام بمحاولة تنهي ذلك الجحيم المفروض عليهم في البحر من طرف رياس البحر الجزائريين [3]، غير أنّ تصادم المصالح خاصة التجارية منها حال دون تطبيق هذا التعاون فالإسبان كانت رغبتهم واضحة في اجتثاث قوة الجزائر من جذورها، وبالتالي السّيطرة على حوض البحر المتوسط الغربي، أما الفرنسيون فكانوا يلاحظون أنّ هذه الخطوة قد تؤدي إلى عودة التوتر بين الطرفين وبالتالي انكماش بحريتها وفقدان مصادر تموين طالما وصفت هي الأهم بالنسبة لفرنسا ومصدرها الجزائر وشمال إفريقيا[4]. كانت فرنسا متحمسة للمشروع الإستعماري[*] بمعيّة إسبانيا، و كانت حريصة أيضا على أنّ تبقى العلاقات مع الجزائر طيبة، خاصة وأنّ ظروفها لم تكن على ما يرام، ففي السنة الماضية توفى ملكها لويس الخامس عشر وخلفه حفيده على العرش[5].

---

(1) الزياني أبو القاسم، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تحقيق الزاوية رشيد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب 1992م، ص ص404-405.

(2) الغزال أحمد بن المهدي، نتيجة الجهاد في المهادنة و الجهاد، تحقيق اسماعيل العربي، د م ج، الجزائر 1984م، ص ص 141.223.

(3) جون وولف، المرجع السابق، ص 402، 403.

(4) Franch Benavent Ricardo, el comercio en el Mediterraneo Espanol Durante la edad moderna, univ- Valencia, Obradoiro Hist. Mod, No17, 2008, p110.

(*) زادت تطلعات فرنسا في هذه الفترة بسبب نجاحها في الإستيلاء على جزيرة طبرقة التونسية عام 1770م. ينظر: ابن عبد العزيز حمودة محمّد، الكتاب الباشي، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، ج2، رقم 18666- A.MSS، ورقة 47.

(5) بلانتي أوجين، مراسلات..، ج2، المرجع السابق، ص211.

وهكـذا إستطاع داي الجزائر تلافي توجيه حملة صليبية كبرى، لأ عى قوتين في القارة الأوربية أنذاك، ومنه فإنّ الحملة الإسبانية، بمباركة البابا ومساعدة الجم ــهوريات الإيطالية لن تكون على أية حال كحملة مشتركة بين الإسبان والفرنسيين، فداي الجزائر كان لديه بايات يستطيع الوثوق بهم على عكس قائد الحملة الإسبانية "الكونت أوريلي"[*].

بقي ت العلاقات الجزائرية الفرنسية هادئة خلال هذه المرحلة التي كانت فيها إسبانيا تُعد حملتها بل وت بني عليها آمالا كبيرة، خاصة وأنّها حققت إنتصارا ساحقا في وهــران قبل أكثر من أربعين سنة قد خلت. ومهما يكن من أمر فإنّ إمبراطور إسبانيا الجديد "شارل الثالث" (1759-1788م)[**]،كان قد باشر إصلاحات هامة حصل على إثرها على لقب "الطاغية المستنير"، كما أنّ حرب السبع سنوات بين فرنسا و إنجلترا مرّت عليه ا بردا وسلاما، ولم يـكن للحرب الأمريكية الإنجليزية أو بالأحرى الحرب الأوربية تأثير كبير يشغله على الإلتفات لإنهاء سيطرة الجزائر على الحوض الغربي للمتوسط. ففي عام 1774م، قرر توجيه حملة كبيرة على مدينة الجزائر للنيل منها وسحقها شر سحق[1].

2- الإستعدادات الحربية للحملة:

2.أ-التجهيزات الإسبانية:

تطلبت هذه الحملة عدد ا كبيرا من الجنود والعتاد الحربي، فقد تم الإعداد لها في ثلاثة موانئ وهي قاد س وقرطاجنة وبرشــلونة وضمت أكثر من 400 سفينة[2]. والشريف الزهار يورد الرقم نفسه أيْ 500سفينة[3]. ومن هذا المنطلق فإنّنا سنورد إحصاءات أخرى، وهي تلك التي أوردها حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته، إذْ يقول بأنّ عدد السفن كان 400 سفينة حربية، تقل 2500 رجل فقط[4]. ونرى أنّ ما قاله حمدان كله بعيد عن الصحة تماما فبالنسبة للسفن ربما تكون بهذا العدد أما عدد الجند فمن المستحيل أنْ يكون هذا هو العدد الحقيقي لها، فالعدد لا يعكس الرغبة الإسبانية في التخلص من الجزائر كما أنّ هذا العدد لم نجده في أي حملــة حتى الأحادية منها خاصة وأنّ هذه الحملة كان التحالف فيها واضحا.

(*) أيرلندي الأصل ولد عام 1735 من أبوين كاثوليكيين، خاض حروبا عدة في أوربا تحت الراية الفرنسية، ثم تحت الراية الإسبانية، إكتسب ثروة طائلة ومكانة سياسية وعسكرية حُسد عليها، أُسندت له قيادة الحملة الصليبية التي دعمتها إسبانيا. ينظر:

Major Dalarymp, Expedition D' O'Reilly 1775, R Af, n°5, 1861, p31.

(**) واسمه شارل الثالث(كارلوس) من أسرة آل بوربون، يلقب باسم الطاغية المستنير، خلال فترة حكمه وجه ثلاثة حملات على الجزائر. للمزيد ينظر: الغزال أحمد بن المهدي، المصدر السابق، ص ص 138- 139.

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص403.

(2) المجموعة 3190، الملف 2، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة 13.

(3) الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق المدني أحمد توفيق، دار البصائر، الجزائر2009م، ص42.

(4) خوجة حمدان بن عثمان، مذكرات حمدان بن عثمان خوجة، تعريب ابن عبد الكريم مُحَّد، ط1، دار الوعي، الجزائر2017م، ص18.

وبالمقابل يزودنا وليام سبانسر بتفاصيل أكثر عن الحملة، ويورد بشأنّها أنّ عدد السفن الحربية بلغ 51 ، أما سفن النقل كان عددها 170 فقط، تحمل على متنها القوات التي بلغ عددها 24447 جندي [1]، وعليه فإنّ مجموع السفن هـــــــو 231 سفينة.

ويذكر الأمـريكي جون وولف بأنّ عدد السفن كان يفوق 500 سفينة، منها 50 بارجة حربية، أما الجيش فيتكون من 20 ألف رجل من المشاة و 800 فارس و 900 مدفعي و 3500 بحار وعددا كبيرا جدا من الأرقاء من جنسيات مختلفة، لضمان الإنتصار المنشود[2]. إنّ سبانسر لم يذكر عدد سفن النقل الخاصة بالعتاد إذْ نلاحظ أنّه اكتفى بذكر السفن الحربية وناقلات الجند فقط، أما أعداد الجند فتكاد تكون الأرقام متطابقة. وعليـــه نستنتج أنّ الإحصاءات ناقصة كما أنّ عتاد الحملة كان كبيرا ولا شك أنّ السفن التي رُصدت لنقله تكون كثيرة هي الأخرى وهذه الأعداد تبقى محل شك ويجب البحث عنها.

نجد أمر التحالف الأوربي في هذه الحملة من خلال العديد من المصادر، ولا شك أنّها حضيت بتأيد ودعـم مادي ومعـــنوي كبير من قبل الكنيسة الكاثوليكية، ويوجد هناك من أشار إلى وجود سفن أخرى غير إسبانية كانت قد دعمت الإرمادة. وعلى أيّة حال فقد أُسندت قيادة القطع الحربية والجيش البحري إلى الأميرال الإسباني "دون بيدرو دو كاستيفون" (Don Pedro de Castifon)، وكان معظم الجيش من إسبانيا وقد دُعمت صفوفه بفرق عسكرية من سويسرا و أيرلندا وبلجيكا، وفرق من رجال حرس والون (Wallones)[*]. ومنحت القيادة العامة لهذه الحملة للكونت أوريلي[3].

2.ب– الإستعدادات الجزائرية:

إنّ ضخامة الحـ ملة المسيحيـ ة بقيادة أوريلي وتو جيهـ إسباني لم يـ دع أدنى شك في رواج أخبارها التي وصلت للجزائريين، وعليه لن يبقى هؤلاء مكتوفوا الأيدي، بل سارعوا كعادتهم لـ تجهيز أنفسهم لصدّ هذه الحملة فالأخـ بار الواردة إلى الدّاي كانت كفيلة بإجراء عمليات من شأنها الوقـــوف في وجه المعتدين. وإذا كان الإسبان يطمحو ن إلى تكرار الإنتصار في مدينة الجزائر، فإنّ الجزائريين لم يكونوا على إستعداد لتقبل هزيمة ثانية ستكون نتائجها قاتلة لهم.

---

(1) سبانسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب زبادية عبد القادر، دار القصبة للنشر، الجزائر2007م، ص181.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص 404.

(*) الحرس الملكي الإسباني، عبارة عن فرق من الجيش تمتلك قدرات قتالية فائقة أُسست في القرن 16م، تم الإستعانة بها عدة مرات في الحروب الخارجية للإمبراطورية الإسبانية، مثل هذه الحملة، على أنّ المهمة الأساسية لها هي حماية حدود الدولة خاصة في الأراضي المنخفضة. للمزيد ينظر:

Guillaume(le Colonel), Histoire des Gardes Wallones au service D'Espagne, Bruxelles, F.Parent éditeur montagne de Sion, 1858, pp178-184.

(3) سبانسر وليام، المرجع السابق، ص181.

ومن جملة ما بادر إليه الدّاي مُحَمَّد بن عثمان أنّه إستدعى باياته الثلاث لمباشرة عمليات التحصين، وهؤلاء الثلاثةمشهود لهم بالكفاءة العالية في تسيير الأمور وخاصة الح ربيــة منها، فقد جلب هؤلاء خيرة فرسانهم، كما جا ء "صالح باي" الشرق الجزائري بأعـداد من الإبل، ويكون على رأس البايليكين الآخرين، التيطري "مصطفى بن سليمان الوزناجي"(1775- 1794م)، والغرب الجزائري "خليل باي"(1771-1779م)[1]، وهناك من يقول "إبراهيم المليانى" الذي أرسل خليفته "مُحَمَّد بن عثمان للمهمة ذاتها، إذْ أظهر الأخير شجاعة في القتال منقطعة النظير فأصبح محل ثناء الدّاي مُحَمَّد بن عثمان[2]. دعم صالح باي جيشه بالمخازنية والقياد والمشايخ والصبايحية وكل من أراد الجهاد[3].

ي ذكر الشريف الزهار بأنّ أعداد قطعان الجمال كانت بالألوف، ولم تكن هذه العـادة هي الأولى ، بل كانت قد أُستعملت عام 1541م، أثناء حملة شارل الخامس، وهي طريقة قديمة من عادات الفي ـنيقيين الذين يحيى يعملون الإبل كوقاية لهم من ضربات العدو من جهة وإخافته من جهة ثانية؛ خاصة عندما تصبح هائجة في ساحة المعركة ، عندها ستدمر كلّ شيء في طريقها[4]. في حين لم نجد في مختلف المصادر إستقدام الجزائريين للإبل لإستعمالها في ذات الغرض في حملة عام 1541م ، وعليه نستنتج أنّ هذه الحيــوانات كانت تستخدم لحمل الأثقال والمؤن، مثل ما كان الحال عند تقديم الدنوش للــدّاي وفي هذا يــذكر الآغا بن عودة أنّ مجيئ صالح باي كان بالصدفة لتقديم لزمة الصوف على ظهور الإبل[5]، وليس بالضرورة ستستخدم للحرب، وأنْ يدفع بها في ساحة المعركة لتكون دروعا واقية.

شاع أنّ تكاتف الجهود في هذه الحملة كان قد حركه جانب الطمع في الغنائم والنهب ، وبالتـالي الظفر بأموال وفيرة، فالدّاي كان قد وعد جنوده بع شرة دنانير عن كل رأس مقطوعة لمسيحي يح ضرونه إليه[6]. وهكذا كانت معنويات المدافعين مرتفعة أكثر من حماسة الإسبان والمسي ــحيين أنفسهم، وعلى ما يبدو أنّ الغرور كان صفة ملازمة للإسبان ولم يستطيعوا التخلص منها، ولم يكن الغ ــرور سيد الموقف فالوقوع في الأخطاء نفسها كان ل ه نصيب من تفكير قادة الحملة أيضا، والتي ظنوا أنها ستكون كالحملات الأوربية، فضلا على النسيان أو بالأحرى عدم قراءة التاريخ فأسيادهم قد ذاقوا طعم الهزيمة كم من مرة. فهل سنتكون من نصيبهم؟

---

(1) إننا لسنا متأكدين من مشاركة البايات الثلاثة في صد هذه الحملة، وما هو مؤكد مشاركته هو صالح باي، فالباي إبراهيم المليانى أو خليل ومصطفى الوزناجي لم ترد أسماؤهم في عمليات الدفاع عن المدينة، كما أنّ الغموض الذي يلف تاريخ تولي مصطفى الوزناجي عرش بايليك التيطري يبقى محل شك هو الآخر، لأنّ سلفه صوفتا وقبله مارملي واسماعيل باي فترات حكمهم غير متفق عليها، والأول أي صوفتا كان قد تنحى عن البايليك في غــضون سنة 1775م. ولسنا ندري في أي شهر من هذه السنة. ينظر: غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة، المرجع السابق، ص ص190- 226.

(2) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، مقدمة رحلة مُحَمَّد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، ط1، دار عالم الكتب، القاهرة1969م، ص16.

(3) بن أحمد مُحَمَّد الطاهر، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح باي أمير بلد قسنطينة، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم، 00263، ورقة 23.

(4) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص42.

(5) الاغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص258.

(6) الجديري ابن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص20.

3- إشارات تورط فرنسا في الحملة:

ذكرنا آنفا أنّ فرنسا كانت متحمسة لمشروع الحملة الإسبانية على الجزائر، هذا بالرغم من العلاقات المستقرة بين الطرفين، أي الطرف الجزائري والفرنسي، بيد أنّ هذه الدولة كانت متخوفة أيضا من نجاح إسبانيا في تدمير مدينة الجزائر وإحتـــلالها على غرار وهران والمرسى الكبير. وفي حالة الإنتـــصار ستصبح مدينة الجزائر قاعدة تجارية وعسكرية إسبانية بإمتياز، الأمـــر الذي سيضرّ حتما بمصالح الفرنسيين. كانت تخمينات "ديدي" في محلّها عندما شرح للقادة الفرنسيين ما سينجم عن فشل الحملة الإسبانية، أمام الجزائر إذْ تصور أنّ أعداء إسبانيا سيستولون على المراكز التي كانت لهذه الدولة في ما وراء البحار، عندها ستكون نتائج كارثية ليس على إسبانيا فحسب بل حتى على فرنسا، وانـدلاع أي حرب بين هؤلاء الأعداء (يقصد الإنجليز) واسباينا سيضطر فرنسا إلى الدخول فيها بل ستكون على عاتقها لا محال[1].

هناك مراسلات بين الدّاي مُحَمَّد بن عثمان باشا وملك فرنســـا "لويس السادس عشر"، وحـــتى وزير الدولة للبحرية "الكونت دوسارتين" (Compte de Sartine)، في السّنوات التي كانت قبيل وبعد الحملة مباشرة، وهو ما يدل على أنّ العلاقات جيدة ومتينة [2]. إنّ هذه الرسائل والتزلف الذي كان يبديه قناصلة فرنسا تجاه الدّاي لم يدع الشك يتسرب إلى قلب الدّاي، بأنّ هذه الدولة تدعم الإسبان بل وتتمنى إنتصارهم على الجزائر مثل ما فعلت سابقا عند إعادة إحتلالهم لمدينة وهران؛ لأنّه كانت هناك أصوات تتعالى ضده في مجلس الدّاي؛ لتقنعه بأنّ هؤلاء يساندون الإسبان[3]. لم يكن هناك دليل مادي واضح يدين هؤلاء ولكن طبيعتهم العدائية تجاه الجزائر لا يمكن تجاهلها، كما أنّ حنكتهم السياسية وخبرتهم العسكرية لن تدعهم يقعوا في فخّ الجزائريين مرة ثانية لأنّ مصالحهم ستتضرر كثيرا.

والدليل على ذلك أنّه بعد الحمـــلة و في سياق الإحتفال بالنصر وما يترتب عليه من تقديم الهدايا للسلطان وعندما منح هذا الأخير عتادا حربيا مختلفا، وتم شحنه على متن سفينة فرنسية كان "حسن" قد اكتراها وقعت في أيدي الإسبان، وساقوها إلى ميناء تابع لهم، كما تم الإستيلاء على محتوياتها. لقد أسالت هذه الحادثة حبرا كثيرا؛ إنّ التعهد الذي قدمه صاحب شركة النقل والقنصل الفرنسي لحسن بإيصال الحمولة إلى وجهتها، ثم تقديمها لقمة سهلة للإسبان لا يعدو أنّ يكون مؤامرة فرنسية، لأنّ موقف فرنسا قد تغير بعد هزيمة إسبانيا وسياستها من تدمير الجزائر، إلى دفع الصلح بين الدولتين في إطار فكرة ديدي القائلة "..دفع الصلح الذي إنْ نجح ستربح فرنسا كل شيء وإنْ فشل فلن تخسر شيئا"[4]. وهكذا سنجد تحمس فرنسا أكثر للصلح الذي سيبرم بين الطرفين من أجل إبعاد الإنجليز. لقد كانت سياسة ملوك فرنسا غير واضحة وهم يدفعون بالأمور في أي اتجاه المهم أنْ يكون في صالحهم.

---

(1) قنان جمال، المرجع السابق، ص276.

(2) بلانتي أوجين، مراسلات...، ج2، المرجع السابق، ص ص229- 249.

(3) قنان جمال، المرجع السابق، ص277.

(4) قنان جمال، المرجع السابقن ص278.

4- سير الحملة:

إنطلق ت الحملة من ميناء قرطاجنة باتجاه الجزائر في 23 جوان 1775م[1]، وهناك من يقول يوم 26 من الشهر نفسه. وبسبب العواصف فقد وصلت قبالة مدينة الجزائر مطلع شهر جويلية 1775م. ولكن مالم يتوقعه قائد الحملة أنّ الجزائريين كانوا على أتم الإستعداد لمواجهة جيشه [2]. لذا فقد وجد صعوبة في الرسو بإحدى موانئ الجزائر ومباشرة عملية الإنزال. وعليه قد بقي ثلاثة أيام يصول ويجول لـــعله يجد مكانا ملائما[3]، حيث فكر في ميناء سيدي فرج، ولكن في الأخير قرر أنْ ينزل في الضفة اليسرى لوادي الحراش[4]. وعليه يكون قد وقع في شراك الجزائريين وفي الخطأ نفسه الذي ارتكبه الإمبراطور شارل الخامس.

تشبه هذه الحملة إلى حد كبير حملة عام 1541، فبعد الإنزال حاول الجنود المعتدين إيجاد حيز جغرافي لاستكمال عملية الإنزال، ولكنّ مناوشات الجزائريين لهم لم تدع لهم المجال لتنفيذ مخط ـــطاتهم، كما أنّهم كانوا في مرمى المدفعية الجزائرية. فمكان الإنزال كان شبه محاصر ، وقـــوات الباي صالح كانت من الناحية الشرقية والجنوبية وكان على رأسها خليفة باي وهران الآغا وخوجة الخيل ومن معهم من القبائل المخزنية . أما من الغرب فكان الخزناجي وأه ـــل البلاد[4]. بادر المعتدون إلى بناء برج في تلك الليلة سمي فيما بعد ببرج مولاي حسن، وكان لهم متوس من حطب[5].

وهكذا بدأت أمور القتال بعد الإلتحام الذي باش ـــره صالح باي، الذي كان بانتظارهم على الساعة الرابعة صباحا، وهم في حالة من التعب والعياء لا يرثى لها ، ولك ـــنهم إستطاعوا زحزحة المدافعين إلى الوراء ووسع وا مجال الهجوم، غير أنّ المدفعية كانت لهم بالمرصاد تضربهم كلما أرادوا التقدم، وكلّما أفـلحوا في ذلك واختبئوا من نـــار المدافع وجدوا أنفسهم أمام قوة الفرسان التي لا تقلّ بأسا عن المدفعية ، إنّ محاولات التوسع لمقدمات الج يش المسيحي كانت بطيئة جدا ولكنها وجدت لنفسها مجالا لإنزال كل القوات . إذْ كانت عملية إنتحار جماعي ولم تـــوصف بالعملية الناجحة إطلاقا، خاصة وأنّ الذخي ـــرة الحربية كانت غير كافية لإحداث توسع يقيهم شر المدافعين، لقد كان هؤلاء يهربون في جميع الإتجاهات، لاسيما أنّ الجزائريين كانوا على دراية كبيرة بمسالك البساتين المؤدية إلى مرتفعات النزول[6]، أما الإسبان ومعاونيهم كان كمن يسير على أرض غير مستوية في ليلة ظلماء لا يرى من خلالها شيء، وعليه يكون قائد الارمادة قد زُفت إليه أخبار غير سارة عن مقدمة جيشه الموثوق بها وأصبح في نكد و قلق شديدين.

---

(1) Major Dalarymp, Op, Cit, p34.

(2) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 101.

(3) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص42.

(4) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 101.

(5) الاغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص258.

(6) وولف جون، المرجع السابق، ص ص404- 405.

يَروي لنا الزهار أنّه أثناء الالتحام الأول أشع نور عظيم يخيف به البرق سطوعا؛ ضرب مكان نزول الأعداء، حتى أنّ سكان مدينة الجزائر قد رأوه من فوق أسطحهم، ويقول أيضا أنّ المطر قد بدأ في النزول في تلك السـاعة. إنّ هجوم قادة الجيش الجزائري كان هجوما واحدا تقريبا يحدوه الأمل في الإنتصار وكسر شوكة الأعـداء ، لقد كثر عدد النصارى مقطوعي الرؤوس وهو ما يدل على نجاح المكافآت الموعود بها من طرف الدّاي.

أرغمت الضربات الكبيرة للجزائريين والخسائر الأولية المعتدين على التراجع، الذي كان بناءً على أوامر القادة الذين ألحوا على التجمع لإتخاذ موقف موحد. ولكن قوة الهجوم الجزائري على مكان العدو لم يدع لهم فرصة للتفكير أو إعادة الكرة، بل كان إنسحابا عشوائيا وفوضويا للغاية، نتيجة الهجوم الكاسح بواسطة الإبل والخـيل وتحت وابل الرصاص[1]. لقد إستغرقت محاولات الإسبان للسيطرة على المدينة واختراق صفوف المقاومين الجزائريين مدة أسبوع [2] مرت أيامه دون إحراز أي تقدم يذكر، بل كانت كلها حسرة ونـدم على الإقدام على هذه الحملة المشؤومة وبدت لهم سيئات تدبيرهم وسوء تقديرهم لما هم مقبلون عليه[3].

كما أنّ نزول المطر الذي تكلم عنه الشريف الزهار لم يكن بالدرجة التي كانت في حملة عام 1541م، فهو لم يذكر أمر العاصفة وإنّما تساقط المطر لا غير. وهو ليس بصدد القول بأنّ الهزيمة سببها المطر. والدكتور أبو القاسم سعد الله يقول أيضا أنّ الإبل لم تستعمل ولم يُذكر شأنها في المصادر الإسلامية، كما أنّ الإسبان كانوا يملكون منها أعـداد ولا يخافونها أبدا[4]. ونحن لدينا مصدرين هامين على إستعمال الإبل و هـما الشريف الزهار والآغا بن عودة على أنّ جلبها لم يكن قصـد الحرب وإنّما وجودها كان لغرض حمل الصوف و مختلف المـنتوجات الفلاحية و الحيوانية التي تمثل الدنوش.

نجد أنّ المصادر المحلية قد ركزت على وصف المـعركة أكثر من تركيزها على حجم الإرمادة الإسبانية الأمر الذي يعزز تكاتف الجهود الجزائرية للدفاع عن المدينة وأنّ أمر تـواجد باي الشرق الجزائري كان لهذا الغرض وليس لتقديم الدنوش. وإذا كانت الحملة الإسبـانية تتألف حتما من سفن للنقل؛ يثبت أنّ فرضية إستقدام الابل غـرضها كان حمل المؤن والذخـائر في مثل هذه الأحوال لا غير ولا عـلاقة لها بإستعمالها في الهجوم لإخافة العدو، وتبقى هذه الإدعاءات مجرد تبريرات لحفظ الكرامة.

---

(1) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص43.

(2) خوجة حمدان، مذكرات...، المصدر السابق، ص18.

(3) هناك إختلاف واضح في المدة التي بقي فيها الإسبان في هجومهم على مدينة الجزائر، على أساس وصولهم إلى مياه مدينة الجزائر في الفاتح جويلية، فحمدان بن عثمان يقول أنّهم بقوا لمدة أسبوع بينما نجد روايات أخرى تفيدا بأنّهم بقوا أكثر من ذلك حتى ولو لم يتم الإنزال في اليوم الأول فإنّ الإنسحاب الكامل كان يوم 17 من شهر جويلية، و هي مدة أسبوعين تقريبا وفي حالة إستثناء الأيام الثلاثة الأولى نجد المدة كذلك أطول. للمزيد ينظر:

Berbrugger(A), Expédition du comte O' reilly conter Alger au 1775, RAf, n°8, 1864, p185.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص 405.

5- أسباب الهزيمة:

هناك عوامل كثيرة أدت إلى هذه الهزيمة المنكرة التي حلّت بالإسبان و على رأس الكونت أوريلي بالدرجة الأولى ولعلها كانت منصفة في حق الجزائريين ، ما عدا بعض الكتابات المغرضة التي تعرضها عكس ذلك ومن بين الأسباب نذكر:

أ- الإستعدادات الجزائرية الكبيرة والمبكرة في الوقت نفسه ؛ كنتيجة للأخبار التي وصلت للداي وتدل على ضخامة الحملة المسيحية، ولو كانت غير ذلك لما استغرقت وقتا في عملية التجهيز وما وصلت أصداؤها للجزائريين[1].

ب- نزول الحملة على ضفاف وادي الحراش ، وهو المكان نفسه الذي نزل عليه شارل الخامس بل كان محط العديد من الحملات الأوربية، كما أنّه يحظى باهتمام الجزائريين والدفاعات به كانت جيدة للغاية. لأنّ وجودها بالقرب من المرتفعات ساهم في عملية نصب المدافع وبالتالي فإنّ قوات العدو كانت في مرماها.

جـ- التحفيزات التي أقرّها الدّاي مُحَمَّد بن عثمان بمنح هالأموال لكل من يأتي برأس مسيحي وهو ما ساهم في البحث عن الغنائم أكثر مما كان متوقعا.

د- كان الهجوم الجزائري في جنح الظلام وعدم مقدرة الإسبان والمسيحيين من مباشرة عمليات النزول بسهولة وخاصة أنّهم كانوا في شدة من التعب والإرهاق.

هـ- نزول كل الجنود الإسبان على الشاطئ قبل أنْ تتمكن مقدمة الجيش من إيجاد مكان أوسع للتوغل بدل إرسال السرايا وفرق الإستطلاع والإستكشاف، فكانت نيران الجزائريين لهم بالمرصاد[2].

و- مشاركة بايات البايليكات الثلاث وهو ما عزز موقف الجزائريين وبذلك تضاعفت قواتهم، وشنّوا هجوما واحدا شتت تركيز العدو[3].

ز- فشل الكونت أوريلي؛ فلم يكن حاسما في إصدار القرارات بل كان ينفذ قرارات أسيادها ولم يكن يملك المبادرة [4].

و مهما كانت الأسباب التي أدت إلى فشل الحملة فشلا ذريعا ، إلا أنّ النتيجة واحدة وهي تخطي الجزائر لهذه الحملة بسلام فلم تكبد خسائر معتبرة ، كتلك التي كانت في أواخر القرن الماضي عندما ضاعف الفرنسيون من هجماتهم واعتداءاتهم عليها.

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 101.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص405.

(3) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص43.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص 403.

6- نتائجها:

يبعد شاطئ البحر عن مكان تخييم الجيش المسيحي نحو نصف ميل، وهي مسافة غير بعيدة؛ حيث ساعدت الفارّين من ساحة المعركة على الهروب و امتطاء الزوارق، ثم اللجوء إلى السفن الكبرى الحاملة للجند، ولكن في شتى المصادر لم نجد المدة التي بقيها المعركة، وكل ما عثرنا عليه أنّ هجوم الجزائريين كان على الساعة الرابعة صباحا، ولم يترك لهم المجال البتة للتحرك، وعلى أيّة حال فقد أسفرت المعركة على نتائج هامة نوجزها فيما يلي:

أ- غنم الجزائريون 100 مدفع وجميع الآلات الحربية التي أُنزلت للبر [1]، أما الدكتور بوعزيز يحي فيقول أنّهم غنموا 16 مدفع وقطعتين للرمي، فضلا عن 40 ألف قذيفة والذخائر والبنادق والملابس وغيرها[2].

ب- الإستحواذ على خمسة مراكب كبيرة تركها العدو لتحول بينه وبين الرماة وتعطل عملية ملاحقتهم له، لأنّ الهجوم إمتد إلى البحر[3].

جـ- قُتل من الأعداء 27 ضابطا و500 جندي وجرح 191 ضابط وأكثر من 2000 جندي، يُذكر أنّ هؤلاء قد ماتوا كلهم بسبب أنّ الرصاص الجزائري كان مسموما كما يشاع [4]. بينما يقول ابن سحنون أنّ قتلاهم قد بلغ 8 آلاف قتيل و3 آلاف جريح لم ينجو منهم أحد[5].

د- بلغ عدد قتلى الجزائريين 300 شهيد، وجرح عدد كثير [6].

هـ- فرض الإنتصار هيبة الإيّالة عالميا، وفي هذا السياق بارك وهنأ السلطان العثماني داي الجزائر على هذا الإنتصار العظيم، كما كان فرصة لفتح المجال لإعادة ضرب الحصار على وهران.

و- خيبة أمل الإسبان في تحقيق النصر، وعدم قدرتهم على فرض شروطهم على حكام الجزائر، فالدّاي رفض ذلك رفضا تاما بحجة بقاء الإحتلال في وهران والمرسى الكبير وإفلات نابولي، جنوة، صقلية وليفورنة من العقاب لمشاركتهم في الحملة في حال عقد الصلح[7]، وعليه فكر الإسبان في شن حملة جديدة لتحقيق أهدافهم.

---

(1) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص43.

(2) بوعزيز يحي، الموجز...،ج2، المرجع السابق، ص 63.

(3) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 101.

(4) وولف جون، المرجع السابق، ص406.

(5) الراشدي ابن سحنون محمّد بن أحمد، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر، الجزائر213 ص269.

(6) ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص153.

(7) سامح عزيز التر المرجع السابق، ص532.

ثانيا– حملة التحالف الصليبي الأول بقيادة الدون أنطونيو1197هـ/ 1783م:

على الرغم من الهزائم المتكررة التي مُني بها الإسبان، إلا أنّهم أ صروا على إعادة الكرة لعلهم يمحو ا بذلك عار الهزائم السابقة، وبالمقابل كان داي الجزائر يدرك تماما الخ ـطر الذي باتت تشكله هذه التحالفات، فقد قرر على إثر الإنتصار السابق معاودة حصار الإسبـان في مدينة وهران لعله يظفر بنصر كبير ويوحد البلاد تحت سلطته.

1– مشروع الدّاي مُحَّد بن عثمان لاسترجاع وهران:

كنّا قد أو ضحنا الغنائم الحربية التي غنمها الجزائريون من الحملة السابقة لإ سـبانيا، ولكن هذه المدافع والذخائر الحربية لم تكن لتنفع وحدها لتعبئة جيش كبير من شأنه أنّ يحرز إنتصارا على إسبان وهران، فح تى الذخائر الحربية الجزائـرية كان قد استُنفذ منها الكثير في سلسلة الحملات السابقة وم ـن أشهرها حملة الأميرال ك اعس الدنماركي(Caas)، وعلى هذا الأساس طلب الدّاي مُحَّد بن عـثمان من فرنسا تزويده بعدد من السفن الحربية لنقل المؤن والذخـائر من حكومة الباب العالي بإ سـطنبول، ولكن فرنسا لم ترد على ذلك بجواب واضح، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك إذْ شاركت حكومة إسبانيا في تنفيذ مسعاها، وهذا على الرغم من صفاء العلاقات بيـنها وبين الج ـزائر في هذه الفترة[1]، وهكذا ضاعت الفرصة على الدّاي مُحَّد لإحراز نصر ثاني بوهران.

يُعد الفشل الذريع الذي تكبـده الإسبان والمحاولات الجادة لإعادة الكرّة على الجزائر سببا في النجاح الذي حققته في عقد الصلح مع المغرب الأقصى عام 1780م، لكي تتوفّر كلّ جهودها لمحاربة الجزائر ، ونتيجة لرغبة الجزائر في استرجاع وهران أرادت أنْ تبادل إنجلترا بها مقابل خروجها من مضيق جبل طارق ولـكن الأخيرة كانت قد رفضت الفكرة من أساسها[2]. قابل الإصرار الإسباني للي ذراع الجزائر تعنت جزائري منقطع النظير لاسترجاع مدينة وهران، إذْ كان إعتلاء الباي "مُحَّد بن عثمان الكردي" لبايليك الغرب الجزائري سنة 1779م، دعما كبيرا لإعادة بعث مشروع التحرير واستكمال مسـيرة سلفة الباي خليل، إذْ بدأ في مقارعة الإسبان بوهران مع سنة 1780م، على الرغم من المشاكل التي كانت تعترضه، خاصة فقدان بعض جنوده وجرح عدد آخر في المناوشات التي كانت تحدث من حين لآخر [3].

نستنتج أنّ إسبانيا كانت في مرحلة حرجة لا تحسد عليها، فهذه المحاولات السياسية والعسكرية اليائسة تظهر مدى تخوفها من م واجهة الجزائر، وأرادت أنْ تورطها في حرب جديدة مع بريطانيا، وتخ ـرج هي منها بسلام أو على الأقل كما كانت تتمناه، لقد بقي الموقف الإسباني كما هو وزاد من تصلب الرأي الجزائري في قضية الحال، بل أدى بالدّاي إلى تركيز جهوده على إسترجاع وهران وبأي ثمن.

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 101.

(2) بوعزيز يحي، الموجز...،ج2، المرجع السابق، ص 68.

(3) Emerit Marcel, Mémoires de thédenat natif d'Uzés en langedoc écrites à Zurich n°92 1785, R Af, 1948, p 174.

يُضاف إلى المعطيات السابقة أنّ إسبانيا حاولت إبرام الصلح مع الجزائر بوساطة عثمانية، ويذكر في هذا الصدد وبعد الإنتصار العظـــيم في عام 1775م، كان الدّاي قد أرسل بهدية فاخرة للسلطان ويزف إليه بخبر النصر المحقق على الأعداء، وما كان على السل ــطان أنْ دعم الجزائر بـــ 5 آلاف قنطار من الآ لات الحديثة و 28 صاريا و500 قنطار من الخيــوط و4200 قطعة قماش للقيام بأمور الأسطول الجزائري، كل هذه المؤن كانت على متن سفينة شحن فرنسية. وفي أثناء سيرها وقعت في قبضة الإسبان واقتادوها إلى ميناء قرطاجنــة الإسباني، إذْ تمت مصادرة حمولتها واعتبر ركابها أسرى. كان من بينهم وكيل الخرج حسين الرجل الأول في دولة الدّاي مُحَمَّد بن عثمان[1].

إنّ الإتصالات الإسبانية بالعثمانيين كانت قد تبخرت بهذه العملية ، وعليه لم تجد إسبـانيا من حلّ سوى معاودة الكرة لعلها تنجح. ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى شنّ هذه الحملة نذكر:

أ– محاولة محو آثار الهزيمة السابقة لحملة عام 1775م وتعويض ما خسرته.

ب– تفرغ الإسبان لإعادة توجيه حملة بعد نهاية حرب الإستقلال الأمريكية التي شغلت أوربا كثيرا.

جـ– تأزم العلاقات بين الجانبين بعد أسر المركب المشحون بالبضائع التي أهديت من طرف السلطان العثماني.

د– المحاولات الحثيثة للداي في توجيه ضربة للإسبان بوهران، فالباي مُحَمَّد الكبير كان قد نجح في كسب تأييد القبـــائل وحصل منها على ضرائب معتبرة، كما نصب حصارا كبيرا حول المدينة[2]، ولم يكن ذو فائدة كبيرة لبقاء الجهة البحرية مفتوحة ودون حـــــراستها[3].

هـ– إنهزام القوات الإسبانية خارج مدينة وهران بعد أنْ إستدرجها الباي مُحَمَّد الكبـــير، وقد نجح في الإيقاع بهم وشردهم سنة 1780م[4]. كما يُذكر أنّ الإعتداءات الفرنسية كانت لا تزال تطال البحرية الجزائرية في هذه السنة[5].

و– محاولة الإسبان لإجبار داي الجزائر على قبول الصلح بشروط إسبانية ولكنهم لم يحصلوا على طائل من ذلك[6].

ساد لدى الإسبان نوع من الخوف، خاصة وأنّ إنتصارات الجزائر لا زالت عـالقة بالأذهان، كما أنّ الدّاي كانت لديه رغبة شديدة في التعجيل بفك هذه القضية المعقدة، بل كان الملف الرئيس في تحريك الحروب الدائمة بين الدولتين. في حين كانت فرنسا وإنجلترا تتمنيان عدم نهاية هذا الصراع لأنّ نهايته ستكون حتما على حساب مصالحهم.

---

(1) بوعزيز يحي، الموجز...،ج2، المرجع السابق، ص 66.

(2) كلّف الباي شيوخ العلم وطلبته بالمشاركة في الحصار على مدينة وهران، فشكّلوا رباطات لذلك إذْ كانوا يزاولون الدراسة ويحاربون الإسبان خاصة عند خروجهم من المدينة. للمزيد، ينظر: ابن زرفة مصطفى، الرحلة القمرية، تحقيق حساني مختار، ج 2، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر2003م، ص149.

(3) جون وولف، المرجع السابق، ص 406.

(4) المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص487.

(5) Belhamissi Moulay, Course et contre-course en méditerranée ou comment les algériens tombaient en esclavage(XVIe siècle – 1er tiers du XIXe siècle), C.M.M.C, C.M, n°65,2005, p5.

(6) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، المرجع السابق، ص19.

2- ترتيبات الإسبان لشن الحملة:

بعد ذكر الأسباب المفضية إلى مع اودة إستعمال أسلوب القوة العسكرية ضد إيّالة الجزائر، كان لزاما على الإسبان إعداد حملة ضخمة من حيث العدة والعتاد كي لايقعوا في المش ـكل السابق، الذي أدى بهم منذ ثمانية سنوات قد خلت إلى خسائر فادحة ، وإعداد العدة لن يكون دون طلب المساعدة من القوى الأورب ـية الأخرى خاصة فرسان مالطا والجمهوريات الإيط ـالية، والدعم الروحي من قبل البابا وحتى المـادي. خاصة وأنّ الأس ـطول الذي كان يقوده أوريلي قد تعرض لضربة كبيرة في قلرس سنة 1780م من طرف الإنجليز [1]. إذن تطـلب الأمر حاجة كبيرة للمؤن والسفن الحربية، فضلا عن الرغبة الشديدة في إجتياز هذه النكبات العسكرية المتتالية.

بدأ الإسبان في إعداد حملتهم للنيل من إيّالة الجزائر وعاص ـمة حكمها مدينة الجزائر ؛ التي إستعصت عليه م في كم من مناسبة، وعدم رضوخها لإ تفاق سلام من شأنه الحصول على إمتيازات كانت جلها لفرنسا، وكذا تأم ـين نقلها في عرض الحوض الغربي للمتوسط . ومن هذا المنطلق كان عدد السفن ال تي تم رصدها للإبحار في هذه المهمة قد وصل 65 مركبا بحريا من مختلف الأحجام والأنواع والآلاف من الجنود لم يتّم تحديد عددهم بالضبط[2].

يخبرنا جون وولف بأنّ عدد السفن الإسبانية كانت 10 فرقاطات و 25 شبيكة و 40 ش ـلوبا[3]. ونج ـد إحصائية أخرى تفيدنا بأنّ الأسطول كان يتكون من 03 سفن كبيرة، 05 فرقاطات منها فرقاطتين تحملان علم مالطا و 09 سفن من نوع شبيك صغيرة و كبيرة وأكثر من 30 بريك و 09 برغنتين، و 304 زوارق مختلفة[4]. وعل ـيه نجد أنّ الفارق بين أعداد السفن لدى المؤرخين بعيدة جدا عن بعضها ، وأمر الـ ـزوارق كثيرة العدد هذه لم نجدها إلا في الإحصائية الأخيرة، وهناك من يقول بأنّ عددها كان أكثر من 70سفينة مختلفة الأنواع والأحجام أيضا[5].

ومهما يكن من أمر فإنّ الإسبان وحلف ـائهم لم يخف عليهم أمر تغيير قيادة الحملة ومنحها لشخص آخر يكون أكثر كفاءة وقدرة قت ـالية من الضابط أوريلي، وعليه فقد أُسندت ق يادة الحملة إلى "الدون أنطونيو بارسيلو" (Don Antonio de Barcelo) ، الذي أبحر من ميناء قرطاجة صبيحة يوم 13جويلية 1783م، ووصل قبالة مدينة الجزائر في مطلع شهر أوت[6]. فهل سيتمكن الإسبان على ما تمنوه أم أنّ الهزيمة ستكون مصيرهم المحتم؟

---

(1) بوعزيز يحي، الموجز...،ج2، المرجع السابق، ص 102.

(2) المرجع نفسه، ص102.

(3)جون وولف، المرجع السابق، ص 403.

(4) Charles Féraud, trios attaques des Espagnols conter Alger au XIII siècle, R Af, n°20, 1876, 304.

(5) مجهول، تاريخ مجيئ اصبنيول في المرتين الثانية و الثالثة إلى الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2285، ورقة 1

(6) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 102.

3- إستعدادات الجزائر لمواجهة الحملة:

بعد أنْ وصل الأسطول الإسباني الحربي إلى سواحل مدينة الجزائر ؛ وجدها كالمرّة السابقة على أهبة الإستعداد فضخامة الحملة لم تكن تدع من شك أنّ أخبارها ستصل حتما إلى الجزائريين. ويقال أنّ ملك المغرب "مُحَمَّد بن عبد الله" كان قد بعث إلى الدّاي برسالة يخبره فيها بالحملة ويحثه على الإستعداد لها في غضون شهر ماي 1783م. ومهما كانت هذه الحملة فإنّ الدّاي مُحَمَّد كان قد باشر جملة من الترتيبات لتفادي الوقوع في أخطاء قد تكلف الإيّالة ثمنا باهضا، ولعل ثورة الأرقاء قبيل سنوات كانت قد شغلت بال الدّاي ، ولم يعد يأمن شرهم، فقد أرسلهم خارج المدينة وكان عددهم 1548 أسيرا، وأبقى على 300 منهم لتكملة أعمال التحصين والترميم تحت حراسة مشددة[1].

أرسل الدّاي مُحَمَّد بن عثمان في طلب البايات الثلاث يحثهم على القدوم إلى مدينة الجزائر على رأس خيرة فرسانهم[2]، حيث كانت مساعدة هؤلاء البايات كبيرة في التصدي لحملة عام 1775م ولم يكن الأمر للبايات فقط بل كان لجمع كبير من أهل البلاد [3]. لقد كانت هذه المواقف تحتم توحيد الجهود وإلا ستكون عاقبة الجميع واحدة . فالنار إذا اشتعلت تأتي على الأخضر واليابس. إنّ هذه الإستعدادات كانت قد اضطرت الإسبان إلى التجوال أمام مدينة الجزائر وكأنّهم في مهمة لإستعراض القوّة، فقد لمسنا ذلك من الروايات المختلفة في تاريخ وصول الحملة إذْ يخبرنا صاحب مخطوطة مجيئ اصبنيول بأنّ حلولهم قبالة مدينة الجزائر كان في 29شعبان 1197هـ/ 18جويلية 1783م[4].

وجد الإسبان أنفسهم في مهمة صعبة للغاية في تنفيذ مسعاهم لاسيما عند محاولاتهم النزول إلى البر و إحتلال المدينة إنْ أمكن، لذا فقد شرعوا في قصف المدينة من بعيد دون النزول . وهكذا كانت هذه الحملة عبارة عن تبادل لإطلاق النار والقصف من الجانبين ، إذْ بلغت القنابل التي أُمطرت بها المدينة 7585 قنبلة خلال 09 أيام[5]. أما الجزائريون فقد قصفوا أسطول المعتدين بـ 15 ألف قذيفة[6]. يُلاحظ أنّ عدد القنابل التي رمى بها الطرف الجزائري كان ضعف عدد ما رماها الإسبان ، وهذا يعود إلى بعد المسافة التي كان يرمي منها الإسبان خوفا على حياتهم، فالقنابل الإسبانية لن تخطأ هدفها وأينما سقطت على مدينة الجزائر أو الميناء المكتض بالسفن ستحدث خسائر، أما الجزائرية فلإحتمال ضياعها دون إصابة هدفها، وذلك لنشر السفن وتباعدها وبالتالي معظم القنابل ستسقط في البحر هباءً.

---

(1) بوعزيز يحي، الموجز...،ج2، المرجع السابق، ص 64.

(2) جون وولف، المرجع السابق، ص 407.

(3) ابن عبد الكريم، المرجع السابق، ص19.

(4) مجهول، تاريخ مجيئ اصبنيول...، المصدر السابق، ورقة 1.

(5) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق 102.

(6) بوعزيز يحي، الموجز...،ج2، المرجع السابق، ص 65.

4- نتائج الحملة:

من المؤكد أنّ عدد القنابل التي تم قصفها في هذه الحملة تُبين حجم الخسائر للجانبين، خاصة بالنسبة للطرف الجزائري، سواء في الأرواح أو عمران المدينة. ولكّن قبل ذلك يجب أنْ نوضح أسباب هزيمة الإسبان التي تعود إلى خروج الزوارق الجزائرية الكبيرة لمواجهة المعتدين، وهي فكرة قد إهتدى إليها القبطان "الحاج مُحَّد" واقترحها على الدّاي وتتمثل في ملأ الزوارق بمادة الجير المعد للبناء ووضع المدافع فوقها لتسهيل عمليه قصف العدو، حيث وافق الدّاي عليها وكان كلما تقدم العدو صباحا يخرج إليه أصحاب هذه الزوارق ويمنعوه من الإقتراب أكثر[1]، وهنا نجد أنّه تم التخفيف من الأضرار التي يمكن أنْ تلحق بالمدينة.

بلغت الخسائر الجزائرية حوالي 200 قتيل، وألحقت أضرارا بمباني المدينة المختلفة حتى المساجد وقصر الدّاي نفسه[2]. وهناك من يقول بأنّ عدد القتلى كان 300 شخص مدني و100 جندي[3]، فضلا عن الخسائر الكبيرة الأخرى والتي من بينها تهديم 300 منزل وإصابة 20 مدفعا وعطب عدد من السفن يضاف إلى ذلك السفن التي أُغرقت أو أُحرقت[4].

ومن النتائج التي تذكر أيضا أنّ الجزائريين قد وجدوا مركبا بحريا (لنجورا) إسبانيا محطما على الشاطئ تركه الأعداء وتم معاينته من قبل القبطان "الحاج مُحَّد" والدّاي حيث تم أمر العمال بالعمل على صنع مثيلاتها في دار بناء السفن بالإتفاق مع وكيل الخرج، ويقال أنّه طلب منه صنع 500 مركبا من هذا النوع[5]. نستنتج أنّ هذا الرقم مبالغ فيه فإمكانيات الجزائر في هذه الفترة لا تدع سبيلا إلى صنع هذا العدد، كما أنّ الدول الأوربية نفسها لا تمتلك هذه الأعداد من المراكب البحرية.

توالت الحملات التي كانت تحل بالجزائر من حين لآخر ولم تكن لتثني من عزيمة حكّامها، بل زادتهم إصرارا للوقوف في وجه أيّ معتد ومهما كانت قوته. تندرج هذه الأعمال التي شرع فيها الجزائريون مباشرة بعد رحيل المعتدين في إطار الإستعدادات لأي حملة قد تحلّ ذات يوم قبالة سواحلهم، فالدّاي ووزرائه لم يكونوا يأمنوا شر هؤلاء، خاصة وأنّ إعتداءاتهم أصبحت شيئا مألوفا وليست بالجديدة. كان عدم تحقيق نصر حاسم على الجزائر ونظن هذا النصر هو إزالة المدينة برمتها، أو إعلان خضوعها، لن يترك الإسبان يهنؤون؛ ففي السنة الموالية شنّوا حملة أخرى لعلهم ينتصرون فيها ويحققون ما كانوا يصبون إليه.

---

(1) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 51.

(2) جون وولف، المرجع السابق، ص407.

(3) بوعزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص 64.

(4) Charles Féraud, Op, Cit, p312.

(5) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 52.

ثالثا– حملة التحالف الصليبي الثاني بقيادة الدون أنطونيو وتداعياته 1198هـ/ 1784م:

كنّا قد كتبنا عن الحملتين السابقتين و عن نتائجهما، و إذا كان الإسبان قد أرهقتهم الحم ـلة الأولى ولم تترك لهم المجال للمناورة إلّا بعد مُضي ثمانية سنوات، فإنّ حملة عام 1783م، مرّت عليهم بردا وس ـلاما، ولم يخ ـسروا الش يء الكثير لذا سنجدهم يعاودون مهاجمة الج ـــزائر دون كلل ولا ملل ؛ على أمل تحقيق مآربهم، وبا لرغم من أنّ هـــدفهم الأسمى أصبح من الصعوبة بمكان، فقد أصرّوا على طغيانهم الأعمى تنفيذا لنزعتهم الصليبية.

تختلف هذه الحملة عن سابقتها من حيث إضافة أعداد من السفن الحـــربية وبضع آلاف من الجنو د والآلاف كذلك من القذائف المختلفة لتحقيق ال نصر هذا من جهة ، أمّا من جهة ثانية فإنّ دائرة التـــحالف نجدها قد إتسعت ولم يكتف الإسبان بدعم جمـــهوريات إيطاليا أو الدعم الروحي من قبل بابا الكاثوليكية بروما، إذْ دخلت في سياق هذا التكالب الخطير القديم الجديد، دولة أخرى ألا وهي البـــرتغال. وعليه تشكّل هذا التحالف من دول إسبانيا صاحبة الشأن، ومملـــكتي مالطا ونابولي والبرتغال، أمّا البابا فإنّ تحريضه الصليبي كان المحرك الرئيسي لهذه الحروب، وعليـه نجده قد أصدر منشـــورا يوم 14 جوان 1784م، يستصرخ فيه المسيـــحيين لدعم هذه الحملة الصليبية الجديدة وضرورة توحيد الجهود ضد الجزائر خاصة والإسلام عامة[1].

عاود الإسبان هجوماته م ضد الجزائر في محاولة أخرى تنقصها المعلومات الكافية لتحقيق النصر وطي صفحة الفشل الذي لازمهم منذ زمن، بل وأدى إلى تأزم الأمور؛ لذا تطلبت الحاجة ضرورة إتخاذ الاحتياطات اللازمة [2]. إنّ هذه الهجمات الإسبانية الفاشلة ساهمت في الإنقاص من قيمتهم والإضرار بسمعتهم، أما الدّايات فزادتهم عزيمة أكثر منهم في التصدي لهذا النوع من الهجمات، فالإتفاقيات التي عُقدت مع الدول الأخرى كإنجلترا وفـــرنسا حالت دون تكوين حلف كبير يؤدي إلى سحق الإيّالة . إنّ هذه الإتفاقيات لم تكن لوضع أسس لسلام الدائم بل كانت مرهونة بشروط تقضي بتزويد الإيّالة بالأسلحة والذخائر الحربية ، إضافة للأموال مقابل سلامة سفنها في البحر المتوسط. وهنا يجب أنّ نوضح بأنّ مصدر الأسلحة لم يكن فرنسا أو إنجلترا بل كانت الد انمارك[3]، التي عقدت صلحا مع الجزائر عام 1770م يتضمن تزويد الجزائر بمختلف العتاد الحـــربي[4].

---

(1) بوعزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص65.

(2) De Grammont(H-D), Document A La Second Expédition de Don Angelo Barcelo contre Relatif Alger1784, R-Af, N°26, Alger1882, p219.

(3) لم تكن هذه الإتفاقية الأولى بين الطرفين بل كانت هناك إتفاقية قبلها، يعود تاريخها إلى سنة 1746م، عندما إلتزمت مملكة الدانمارك بشروط تدفع بمقتضاها 500 قنطار مسحوق من البارود، 8000 قذيفة مختلفة الأحجام و 10مدافع من عيار 12 طلقة فضلا عن صواري السفن والحـــبال وغيرها من المعدات وعندما ضاقت المملكة بدفع هذه المعدات شنّت حملة على الجزائر عام 1770م، ولكنها لم تســتطع لي ذراع الجزائر وأذعنت لشروط أقسى من السابقة والأكثر من ذلك كله ضياع هيبتها أمام الأمم الأوربية وإتقت الجزائر شر تحالفها مع الأعداء التقلـيديين. للمزيد حول الموضوع ينظر: غطاس عائشة، "معاهدة 1746م أول حلقة في العلاقات الجزائرية الدانماركية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 3، جامعة الجزائر1987م، ص ص133-137.

(4) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص40.

1- أسباب الحملة:

تُعد أسباب حمـلة عام 1784م هي الأسباب نفسها لحملة العام الماضي، فالظروف العامة لا زالت قائـمة ولم يحدث أيّ أمر في مجال موازين القوى، وعليه كانت كل السبل متاحة لإعادة الكرّة مرة ثانية بل وثالثة منذ حملة أوريلي في غضون تسعة سنوات، ومن بين الأسباب نذكر:

أ- محاولة الإسبان تخطي الهزيمة النكراء التي مُني بها جيشها في السنة الماضية وحتى قبلها ، وهذه المحاولة تمثل رغبة القادة الإسبان في عدم نيسان هذه النكبة التي أصبحت بالنسبة لهم مثل العقدة التي لا يمكن حلّها.

ب- بلوغ الهزائم الإسبانية مسامع الشعب الإسباني والأوربيين المسيحيين على حد سواء، خاصة منهم البابا الذي ما فتئ يحث هؤلاء على النيل من الإســلام ويدق طبول الحرب دون توقف حاشدا بذلك ما يمكن من الجند والـــدعم المادي المتمثل في الأموال والمؤن وغيرها[1].

جـ- فك الحصار الذي يضربه الباي مُحَمَّد الكبير على مدينة وهران والذي أصبح قريـــــبا منها الأمر الذي شكل خطرا حقيقيا على مستقبل التواجد الإسباني بالجزائر[2].

د- نجدة إسبان وهران إذْ قارب تواجدهم بها القرن الثالث إذا ما إستثنينا فترة التحرير الأولى 1708 – 1732.

هـ- الخسائر التي تعرضت لها مدينة الجزائر لم تكن بالمقدار الذي توقعه الإسبان [3]، إنّهم لم يحطموا كبرياء المدينة الذي ظلت شامخه في وجه الأعداء من بني جلدتهم.

و- الحرص الشديد لدى الإسبان خاصة في حالة إحراز النصر سوف تكون لهم حضوة كبيرة لدى الأوربين للقضاء على هذا الرعب الذي تشكله مدينة الجزائر.

تتشابه هذه الأسباب مع الأسباب الأولى، ولكن الرغبة الشديدة لدى الإسبان كانت هي الأقوى إذْ دفعتهم إلى التفرغ لعملية التجهيز أكثر فأكثر . لذا كنّا قد تكلمنا عنها بأنّها ستكون هي الأك بر لتجنب الخسارة، ووضع حد لهذه القضية التي شغلت حيزا كبيرا من تفكير حكام إسبانيا خاصة وأوربا عامة. ومهما يكن من أمر فإنّ المساعدات الأوربية المختلفة ما فتئت تتهاطل على إسبانيا موحدة بذلك جهودها كما كانت في المرات السابقة ، أمّا إيّالة الجزائر فكانت وحيدة ولا زالت تلملم جراحها، معتمدة على إمكانياتها الذاتية للوقوف أمام هؤلاء المعتدين الذين لم يهضموا الدرس جيدا.

---

(1) De Grammont(H-D), Histoire d'Alger…, Op, Cit, p336.

(2) ابن عبد الكريم مُحَمَّد، مقدمة كتاب رحلة مُحَمَّد الكبير...، المرجع السابق، ص18.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص407.

2- الإستعدادات المختلفة للحملة:

كنّا قد أوردنا بأنّ المستعدات الأوربية قد شدّت من عضد الإسبان للقيام بحملة جديدة لعلّها تنتصر فيها وخاصة من طرف البابا، حتى و لو كانت دعما معنويا.

2.أ- إسبانيا:

وما يجب أنْ نوضحه أنّ معظم السفن لن تكون أوربية بل إسبانية وهذا ما يفسر حرص هؤلاء على إستغلال شأفة الجزائر، أمّا المساعدات الأخرى فهي لتفادي أسوء الإحتمالات وإحراز نصر بسهولة تامة دون خسائر كبيرة . ومهما يكن من أمر فإنّ عملية التجهيز كانت على قدم وساق ومن جملة ما تتكون منه الإرمادة الإسبانية؛ المراكب التي بلغ عددها حوالي 130 سفينة حربية والآلاف من الجنود[1]. لم يتمّ ذكر عدد السفن النابولية أو المالطية، وهناك رواية أخرى تفيدنا بأنّ عدد سفن الحملة قد بلغ 300 سفينة مختلفة الأنواع والأحجام[2]، هذا عن الكتابات الجزائرية. أمّا ما أورده دو غرامونت فهو يقارب الأعداد السابقة إذْ يخبرنا بأنّ عدد السفن كان 130سفينة منها 11من نابولي و 8 من مالطة، مشكلة أساسا من 26 بارجة و 30 سفينة خاصة بالقصف و 24 زورقا حربيا[3].

أُسندت قيادة الحملة ل لدون أنطونيو بارسلو نفسه؛ مرة ثانية، على الرغم من فشله السنة الماضية ، بيد أنّ الإسبان لم يتعضوا من ذلك، بل كان التحالف مع الدول التي ذكرناها سابقا قد أضاف الغرور للإسبان مثل المرات السابقة، فالغرور كان السمة الغالبة لمثل هؤلاء القادة غير المتبصّرين كما يقول جون وولف . ولو نظرنا للأمر بروية لما حدث ماحدث، ولكن بالعكس تماما بالنسبة للجزائريين فأخبار الحملة كانت قد أدخلت في قلوبهم الخوف والهلع الكبيرين، وجعلتهم يعدون لها أكثر فأكثر، لا سيما أنّ أخبار هذه الحملة لم تكن سرية هي الأخرى.

ذاعت أخبار الإستعدادات الإسبانية وبلغت مسامع حكّام الجزائر عن طريق ملك المغرب الذي علم بها وأرسل بهذا الخصوص رسالة إلى ملك إسبانيا كارلوس الثالث جاء في مضمونها طلب تأجيل هذه الحملة، وكان ملك المغرب ينوي تعطيلها ريثما يتصل بحكّام الجزائر ويحذرهم، كما أكد له بأنّ الجزائر ستخضع للشروط آجلا أم عاجلا ، بيد أنّ رد الملك الإسباني كان عكس ما توقعه ملك المغرب، وأخبره بأنّه تم تجهيز الحملة والإعداد لها ولا يمكن الرجوع في هذا الأمر[4]. يتضح لنا من مهمة الملك المغربي أنّها كانت في إطار الغيرة على ديار الاسلام وما يصيب الجزائر كأنّما أصاب المغرب الأقصى. ومهما يكن من أمر فإنّ الحملة الإسبانية كانت قد أنهت إستعداداتها للإبحار نحو مدينة الجزائر.

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات، الجزائر...، المرجع السابق، ص 102.

(2) الشريف الزهار، المصدر السابق، تهميش ص 52.

(3) De Grammont(H-D), Op, Cit, p336.

(4) بوعزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص 6.

2.ب – الجزائر:

بادر الجزائريون لمواجهة الحملة الإسبانية الثانية خلال سنة واحدة ، ولكن الخوف كان واضحا تماما طالما أنّ أخبارها تفيد بأنّها ضخمة جدا، خاصة أنّ نوايا الإسبان في هذا الشأن كانت غامضة حول مكان النزول. وبالمقابل كان الجزائريون قد صنعوا بدار الصناعة نوعا جديدا من السفن وهو اللنجور شبيه بالسفن الإسـبانية كما سبق وأشرنا. أما خوف سكان مدينة الجزائر يعزى إلى صمت الدّاي مقابل الأنباء التي أفادت بالإعدادات الأوربية للحم ـلة القادمة وتساءلوا عن ذلك الصمت المحير، ولكنّهم إجتمعوا كعادتهم يوم جمعة وخ ـاطبه الخزناجي برأيه في هذه الأخبار ؛ فأجابه بأنّه على علم بها، و أنّه سيتخذ بعض الإ جراءات السـريعة عند إنطلاق الحملة من إسبانيا ، تتمثل في تقسيم الأموال على المقاتلين وتشديد الحراسة في الأبراج وغيرها من أماكن الحراسة[1].

كانت سفن اللنجور التي تم صناعتها سفن سريعة وخفيفة وسهلة المناورة على الرغم من أنّها لم تكن ذات قوة مدفعية كبيرة لصغر حجمها. ومن جملة الإجراءات المتخذة أيـضا تعميم كل ما حطم به ودمرته الحملة السابقة[2]، هذا ولم يغفل الدّاي ومعاونيه ممن يملك خبرة في فنون المقاومة على وضع البطاريات في الأماكن التي تحتاج إلى التدعيم أكثر مستفيدين من أخطاء الحملتين السابقتين[3].

حصلت الجزائر على عتاد حربي هام ولعل هذا كان نتيجة حنكة ديبلوماسييها في عدم إغفال إعلان الحرب على طرف وعقد السلم مع طرف آخر. فيذكر أنّ الجزائر قد إستفادت من شحنات أسلحة جديدة تم إستلامها مؤخرا تتمثل في بعض المدافع التي حصلت عليها من قبل دولة السويد والأراض ـي المنخفضة، إذْ يخبرنا أحدهم بأنّ الدولتين كانتا تزودان الجزائر بسخاء كبير[4]. ويذكر أنّ إنجلترا هي الأخرى قد زودت الجزائر بعتاد حربي هام[4]. ولسنا ندري إنْ كانت المدافع الجديدة قد حصلت عليها الجزائر قبل الحملة السابقة أو بعدها فصاحب الرواية لم يذكر تاريخا محددا لذلك. ومهما يكن من أمر فإنّ الدفاعات الج ـزائرية كانت جيدة ولم تكن كما توقع أعداؤهم . والجدير بالذكر أنّ بايات البايليكات لم يشاركوا في هذه المواجهة مثل المرّتين السابقتين، فالمصادر لم تذكر ذلك إطلاقا وهو ما يعزز فرضية تواجدهم بمدينة الجزائر قبل سنة كان بغرض تقديم الدنوش وليس المشاركة في عملية مواجهة الحملة الإسبانية على أساس تقديمها كل سنتين أو ثلاث، ومـا يترتب عن ذلك من إستعمال للإبل التي قال المؤرخون بأنّها أرعبت الأعداء وقلبت موازين المعركة لصالح الجـزائريين.

---

(1) الشريف الزهار، المصدر السابق، تهميش ص 52.

(2) بوعزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص 65.

(3) Charles Féraud, Op, Cit, p313.

(4) Ibid, p313.

(5) وولف جون، المرجع السابق، ص408.

3- المواجهة:

إنطلقت حملة التحالف المسيحي بقيادة ال دون أنطونيو دو بارسلو الثانية من ميناء قرطاجنة يوم 28 جوان 1784م، وحلّت قبالة ساحل مدينة الجزائر في 09 جويلية 1784م[1]. ولم يبرو بإرمـــادته بل بقي على تلك الحال ثلاثة أيّام يجوب السواحل لعلّه يجد منفذا للنزول . ولكنه لم يجد حتى اضطر إلى إرسال سفنه من نوع اللنجور لقصف المدينة كعادته إذْ فوجئ بالسفن الجزائرية تخرج لملاقاتها متسببة في نشوب عدة إشتباكات بين الطرفين [2]. ويبدو أنّ الأسلحة المتوفرة والزوارق المصـــنوعة حديثا حالت دون اقتراب أكثر لسفن العدو من الساحل وإصابة هدفها كما ينبغي، وإستطاع بذلك المدافعون درء الخطر عن مدينتهم. لقد دامت الإشتباكات بين الطرفين من يوم 11 جويلية إلى يوم 21 من الشهر نفسه، وقُصفت المدينة بأكثر من 15 ألف قذيفة[3].

أبدى القبطان الحاج مُحَمَّد شجاعة كبيرة على متن الزوارق التي كانت تنجد الجرحى الذين تحطمت مراكبهم من الغرق. فضلا عن تقسيم الأموال على المدافعين ، فقد كان يمنح لكل واحد منهم سلطانيا من الذهب كما يُذكر أنّ القتال كان طيلة النهار ولم يفتر طيلة أيام الحـــرب، وقد أظهر جنود هـ بسالة لا نظير لها، على الرغم من الحـــالة السيئة التي كانوا عليها من كثرة معطوبي الحرب والقتلى ومن مظاهر تدمي لها القلوب ولكن ذلك لم يث من عزيمتهم[4].

نستنتج أنّ الإسبان قد أخذوا درسا مهما من هزيمة أوريلي من ناحية المجازفة بالنزول إلى البر، خشية الوقوع في مصيدة، لذا فالحربين الأخيرتين اكتفوا فيهما بقصف المدينة من عرض البحر فقط، وتحاشوا خسائر أكثر في الأرواح ولكن هناك نقطة يجب أنْ نشير إليها في تغير قـــيادة الحملة بين الأولى والثانية والثالثة فأوريلي نزل على الشاطئ أما أنطونيو لم ينزل في المرتين وهذه إستراتيجية كان قد إتبعها تقوم على إلحاق خسائر كبيرة بالمدينة لإخضاعها فقط. لأنّ عمليات الإنزال كانت محفوفة بالمخاطر وغير محـــمودة العواقب. ومهما يكن م ن أمر قائد الحملة فإنّ الإستراتيجية الجزائرية التي قضت بالنزول إلى البحر كانت أنجح من مخ ططات الحملة الصليبية ؛ وعليه فقد هُزم الإسبان وولوا على أعقابهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة كما حدث معهم العام المـــاضي[5].

---

(1) لم يذكر دوغرامونت أمر تواجد السفن البرتغالية في هذا التحالف عندما عرض تركيبة الحملة، ولكنه ذكر بأنّ سفنا برتغالية كانت قد حلّت يوم 12 جويلية متخذة وضعية القتال، ولم يشر إلى عددها. في حين يذكر سوء الأحـــوال الجوية التي تسببت في عدم قدرة القوات المسيحية على النزول أو بدء العمليات الحربية، ومن هنا نستنتج بأنّ التأخر في النزول يعزى إلى ثلاثة نقاط رئيسية وهي: إنتظار وصول باقي أجزاء الإرمادة والمقصود هنا السفن البرتغالية، وأخذ قسط من الراحة لمباشرة القتال بمعنويات مرتفعة، والسبب الثالث هو إنتضار صفاء الجو وهدوء العواصف. للمزيد حول الموضوع ينظر:

De Grammont(H-D), Op, Cit, p336.

(2) الشريف الزهار، المصدر السابق،ص 52.

(3) عزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص 66.

(4) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 53.

(5) الآغا بن عودة المزاري، طلوع ، ج1، المصدر السابق، ص 258.

4- نتائج الحملة :

خلّفت الحملة الصليبية الثانية بقيادة الدون أنطونيو نتائج كبيرة بالنسبة للجزائـــريين والإسبان على حد سواء إلّا أنّ نتائجها على الجزائريين كانت أقلّ وطأ على الرغم من الدمار الهائل وعدد القتلى، إنّ هذه النتائج لم تكن على المدى القريب فحسب بل على المدى البعيد أيضا، فيما يخص قضية وهران والمرسى الكبير ؛ وعليه نـــوجز نتائج الحملة في النقاط التالية:

أ- فقد الجزائريين عددا غير معلوم من القتلى أثناء أيّام القتال العشرة[1]، ولم يذكر صاحب الرواية كم كان عددهم.

ب- تحطم عدد من المنازل والمراكب البـــحرية الجزائرية من جرّاء العدد الهائل للقذائف التي تم تصويبها نحو المدينة والمـــيناء إذْ بلغت حوالي 15150 قذيفة[2].

جـ- مقتل وجـــرح أكثر من 300 قتيل إسباني بين ضبّاط وجنود، تعمدت السلطات الإسبانية التعتيم على عددهم الحقيقي لتلافي إنعكاسات أخرى[3].

د- حدوث خسائر أخرى للطرفين لم يتم ذكرها مفصلة[4].

هـ- إندحار الإرمادة الإسبانية بفضل الله والمقاومة الجزائرية، ورجوعها إلى إسبانيا ومواطنها الأوربية.

و- نهاية عصر إستعمال القوة الإسبانية والأوربية ضد إيّالة الجزائر ، وبداية مرحلة جديدة من العـــلاقات بين الطرفـــين إذْ بدأت المفاوضات حول تحرير وهران والمرسى الكبير، بعد أنّ تأكدت هذه الدول من عدم جدوى إستعمال القوة التي كبدت خزينتها أموالا طائلة وأفنت عددا كبيرا من رجالها[5].

ز- أضيف لمكانة الجزائر هيبة أرعبت الدول الأوربية وأخضعت رقاب ملوكها لعقـــــود من الزمن.

هذه بعض النتائج المباشرة للحملة الثالثة والأخيرة في هذا القرن، ولكن هناك نتائج هامة خلفتها الحملات الثلاثة عامة والأخيرة خاصة، لإنهاء هذا الملف المعقّد والذي بقي يراوح مكانة لأكثر من ثلاثة قرون ، ولم يكن يفتر قادة الجزائر في الذود عن حرم ة الدولة وحرمة الإسلام، بل ظلّت شوكة في رقاب المتربصين من الأعداء . ومهما يكن من أمر هذه الحملات فإنّ نتائجها كانت عظيمة ولعل نهايتها كانت بداية لإتصال إسبانيا بالدّاي بعد الحملة الأخيرة مباشرة.

---

(1) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 53.

(2) سعيدوني ناصر الدين، "المعاهدة الجزائرية الإسبانية1791م"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، جامعة الجزائر 1993م، ص73.

(3) De Grammont(H-D), Document Relatif...,Op,Cit, p227.

(4) Charles Féraud, Op, Cit, p313.

(5) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص73.

1.4- تبادل الرسائل بداية المفاوضات بعد حملة 1784م:

أرسل الدّاي مُحَمَّد بن عثمان باشا للسلطان العثماني "عبد الحميد الأول"(1774 - 1789م)، عقب حملة عام 1775م، هدية قيّمة كلف بها حسن وكيل الخرج [*] لنقلها، وردّ السلطان على الهدية بمثلها ؛ إذْ كانت عبارة عن مواد مختلفة لتجهيز الأسطول ولكن السفينة الفرنسية التي كانت ت قل هذه التجهيزات وقعت في أيدي إسبانية حيث أُقيتدت إلى مرفأ قرطاج نة الإسباني وصودرت حمولته ا بالكامل وقد أشرنا إلى هذه الحادثة سابقا.

حجز الإسبان الحمولة والطـــاقم معا، ولكنهم عندما علوا بمكانة حسن وكيل الخرج وأهميته لدى داي الجزائر لم يقوموا بأذيته، بل تقرّبوا منه لعلّهم يحصلون على طائل من حكام الجزائر، وأي عمل غير هذ ا سيبـقي الأمور على حالها. إذْ يُروى في هذا الصدد أنّ وكيل الخرج حسن كان قد أرسل رسالة إلى الملك الفرنسي "لويس السادس عشر" يخبره فيها بقصة أسره، حيث تدخل الأخير لدى ملك إسبانيا ، وتم إطلاق حسن . بعدها عاد إلى مدينة الجزائر حيث وصلها يوم 28 ماي 1776[1]. نستشف أنّ هناك تناقضا يلف هذه القضية، وعليه نطرح التساؤل التالي: ما هي علاقة حسن بالملك الفرنسي؟ كما أنّ القول بإطلاقه بناءً على تدخل الملك ولم يكن من قبل الإســـبان بمحض إرادتهم. فلماذا ساهم في دفع المفاوضات بين الطرفين والتوصل إلى حلّ جذري للقضية؟

بعد رجوع حسن كان قد أبلغ الدّاي مُحَمَّد بضرورة عقد الصلح مع الإسبان ، وكان رَدُ الدّاي دائما واضحا أنّه لن يعقد أي إتفاق ما دامت وهران والمرسى تحت أيديهم. ويكون هذا الطـــلب ما بين الحمـــلتين الثانية والثالثة . ويقول الزهار في هذا الشأن بأنّ الإسبان قد قاموا برشوة حسن وأغدقوا عليه الهدايا ليكون وسيطا لهم عند الدّاي مُحَمَّد بن عثمان باشا[2]. تعود بداية الرسائل المتبادلة بين حسن والوزير الأول الإسباني "الكوندي دوفلوريدا بلانكا" إلى نهاية السبعينات أو بداية الثمانينات من القرن الثامن عشر على أكثر تقدير. توضح هذه الرسائل تغير في موقف الدّاي مُحَمَّد بن عثمان بشأن الصلح بين الدولتين على إعتبار أنّ الدولة العثمانية قد قبلت بالشروط الإسبانية[3].

نستنتج مما سبق أنّ البداية الفعلية للإتصالات الأولى بين الطرفين الجزائري والإسباني كانت مباشرة بعد إطلاق حسن وكيل الخرج، الذي حمل على عاتقه تقريب وجهات النظر بين الجـــانبين، كما نستنتج بأنّ هذه المساعي الحثيثة إصطدمت بتصلب المواقف من الجانب الجزائري. فإسبانيا شنّت حملتين عام 1783 و1784م، وهـــو ما يفسر عناد الدّاي في عقد الصلح. في حين نجد أنّ إسبانيا إقتنعت من عدم جدوى العمليات العسكرية لذا رضخت لشروط الدّاي الذي ظل متمسكا بها وهي قضية الجلاء عن وهران والمرسى. الأمر الذي لن تتحمله إسبانيا بسهولة وسيبقى حجرة عثرة في سبيل المفاوضات.

---

(1) بوعزيز يحي، الموجز...، المرجع السابق، ص 66- 67.

(2) الشريف الزهار، المصدر السابق، ص54.

(3) بوعزيز يحي، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد، (1780- 1798م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م، ص31.

2.4- إتفاقية الصلح بين الجزائر و إسبانيا عام 1200هـ/ 1786م:

أرغمت الجزائر إسبانيا المدعمة من قبل البابوية و بعض الدول الأوربـية على عقد الصلح بالشروط الجزائرية كما أسلفنا. ولكن قبل الخوض في بنود وشروط الصـلح بين الجانبين ، لابأس أنّ نوضح ظروف وعوامـل عقد الصلح لعام 1786م ومنـــها:

أ – الظروف:

تكاد تكون الظروف التي جرت فيها المفاوضات ومنه التوصل لعقد إتفـاقية السلام حرجة للغاية ، فقد كان الباي يقصد الرباط ليوم أو يومين في السنة دون قتال مع الإسبان ، وهي عـادة جرى عليها البايات السابقون، ولكن شأن الباي هذا لم يكن من شأنهم فـقد كان يريد قتال الإسبان و افـتكاك المدينة منهم عنوة. بيد أنّ الدّاي لم يسم ح له بذلك ولم يطلق يدياه للمضي قدما في مسعاه [1]. أما إسبانيا فقد قامت بحملاتها الثلاث لعلّها تحصل على ما تريد من الجزائر، غير أنّها فشلت في م بتغاها واختارت الصلح عوض الحرب الخاسرة ، إذْ شهدت السّنوات الأواخر من عـهد "كارلوس الثالث" أزمة إقتصادية كلفت خزينة الدولة الكثير من الأموال[2].

ب- العوامل: هناك عوامل متعددة ساهمت في عقد إتفاق عام 1786م، بين الجزائر وإسبانيا ولـعل أبرزها:

ب.1- الإنتكاسات المتكررة للإسبان أمام مدينة الجزائر، إذْ كانت ثلاثة إنتكاسات في أقل من عشرة سنوات وما صاحبها من خيبة أمل لإمبراطور إسبانيا وحكام وهران العسكريين.

ب.2- الدور البارز الذي قام به وكيل الخرج حسن في التَلْيين من موقف الدّاي مُحَمَّد بن عثمان، والذي كـان يرفض وبشدة حتى التفاوض.

ب.3- تضيق الخناق على إسبان وهران من قبل الباي مُحَمَّد بن عثمان الكردي الذي يكاد يقوم بشن غارات منظمة على المدينة محدثا حالة من الخوف والترقب الشديدين في صفوف المحتلين، فضلا عن قتل وجرح العديد من جنودهم[3].

ب.4- دعوة العلماء إلى تحرير وهران من الإحتلال لتأليف مخطوطة الرحلة القمرية وغيرها، من الصيحات التي تعالت مطالبة بالجهاد ضد الأعداء وتخليص المدينة من براثنهم[4].

---

(1) بلبروات بن عتو، "التحرير الثاني والنهائي لوهران والمرسى الكبير1206هـ-1792م"، مجلة عصـــور، العدد5، جامعـــــة وهران، الجزائر 2003م، ص ص287- 288.

(2) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص ص73-74.

(3) بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص288.

(4) ابن زرفة مصطفى، المصدر السابق، ص ص178- 180.

3.4- دور حسن وكيل الخرج في عقد الصلح:

كان حسن وكيل الخرج يتمتع بحضوة كبيرة لدى الدّاي محم ـد بن عثمان باشا ، كيف لا وه ـو ابن أخ ـيه (حسب الروايات)، كما أنّه بعد أسره من قبـل الإسبان أصبحت له علاقات معهم أيضا ، فقد إستطاع أنّ يؤثر على الدّاي بخصوص عقد هذا الصلح وليس الص ـلح فحسب بل العديد من القضايا التي قد مها للإسبان كإطلاق سراح بعض الأسرى(*).الأمر الذي يدل مرة أخرى على مكانته لدى الدّاي . إذن حنكته السياسية عجلت بنهاية العلاقات المتوترة مع الإسبان وطوت هذه المسألة المعقدة وإلى الأبد.

تجدر الإشارة إلى أنّ المفاوضات التي كانت قائمة والش ـروط التي وُضعت قد وقع حولها خلاف كبير، خاصة في الشق المتع ـلق بالتعويضات المالية . إذْ تُشير الرسالة المؤرخة في 25نوفمبر1785م، إلى أنّه تم الب ت في ق ضية التعويضات المالية وش ـروط الصلح إذْ رضيّ بها الطرفان وأقرّا باحترامها لتعمّ الفائدة وتعود بالنفع عليه م ا[1].

4.4- عقد صلح في 14جوان 1786م:

إ قتنع الدّاي في الأخير بتوق يع الإتفاقية، وعليه ستكون المفاوضات قد تمت بنجاح بعد سنة كاملة من إنطلاق المباحثات المستمرة بين الطرفين، حيث تم إعلان ال ـسلام بين البلدين في 17 شعبان 1200 الموافـق لـ 14 جوان 1786م. يقول الآغا بن عودة المزاري أنّ الإسبان بعد هزيمتهم في الحملة الأخيرة طلبوا الصلح بقوله "...ثم جاءوها أيضا سنة 99 من القرن المذكور طالبين الصلح في الحال باذلين القناطير من الأموال، راضيين بدخولها ... لما آيسوا من الظفر وقدموا في ذلك علّجة على عاداتهم فلبّوهم الصلح بينهم وبين المسلمين..."[2].

أصبحت الإتفاقية سارية المفعول بعد التوقيع عليه ا من طرف مُحَمَّد بن عثمان داي الجزائر ومن الطـرف الإسباني ممثلا في "الكونت دي سيلي" (Conte Expilly) و"م ـازاريدو"(Mazarido) قائد الأسطول البحري الذي يمثل الملك كارلوس الثالث . تتألف الإتفاقية من 25 بندا، تخص مختلف القضايا الهامة بين البلدين، وال ـتي من شأنها أنْ تعود بالنفع عليهما. ونذكر من بينها إقامة السلم وحرية الملاحة والتبادل التجاري للطـرفين ومستلزمات الحماية و التع ـويض في حال حدوث إعتداءات. فضلا عن تعيين قنصل إسباني بالجزائر أعطيت له الحقوق نفسها التي يتمتع بها القنصل الفرنسي، وتم تعيين نواب للداي بالموانئ الإسبانية يكونوا ممثلين له شخصيا[3].

وهك ذا تم توقيع إتفاقية السلام والتجارة بين الطرفين؛ وما يج ـدر التس ـاؤل هنا أنّ قضية وهران والمرسى الكبـير لم تذكر في بنود الإتفاق الموجود لدى الإسبان والدكتور سعيدوني يشير إلى ذلك.

(*) لم يكن إطلاق سراح الأسرى الإسبان أو بالأحرى المسيحيين من طرف الجزائر بوساطة حسن من طرف واحد بل كان الإسبان قبلها قد أطلقوا سراح 800 أسير جزائري لتليين موقف الدّاي مُحَمَّد بن عثمان باشا إزاء قضية عقد الصلح وإشغاله عن القضية الرئيسية وهي الجلاء عن مدينتي وهران والمرسـى الكبير للحفاظ على هيبتها التي كانت في مهب الريح، الشيء الذي حدث فعلا في الإتفاق الذي نحن بصدد التطرق إليه. للمزيد حول الموضوع ينظر:
Charles Féraud, Op, Cit, pp318-319.

(1) بوعزيزيحي، المراسلات...، المرجع السابق، ص ص71- 72.

(2) الآغا بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص258.

(3) سعيدوني ناصر الدين، معاهد 1791، المرجع السابق، ص ص 74- 75.

إذن قضية إحتلال وهران والمرســـى الكبير لم ترد في نص الإ تفاق الذي هو بحوزة الإسبان ، على أنّها كانت موجودة فيه؛ الأمر الذي يعزز فرضية تعرض النص الأصلي للتزوير أو لحذف دون الإخلال بالطابع العام للإ تفاقية ويتضح هنا بأنّ الدّاي مُحَمَّد بن عثمان الذي كان يرفض عقد الصلح مع الإسبان دون التخلي عن وهران والم ـرسى فكيف تخلى عن هذا المطلب؟ إنّ الحضوة التي كان يمثلها وكيل الخرج لديهم قد أدت به إلى الإستسلام لمطالب حسن من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون الإ تفاق قد تم تزويره ، هــذا إذا كانت قضية الجلاء قد ذُكرت في النص الذي هو بحوزة الجزائريين(*). هذا وتم التأكيد في البند 20 على بقاء الأوضاع في وهران والمرسى الكبير على ما هي عليه(1).

يُروى أنّ قضية الجلاء عن وهران والمرسى من طرف الإسبان كانت قضية مرفوض ــة لدى الرأي العام الإسباني وأعتبر قضية تخل بالشرف وتحــطّ من الكرامة. في حين أنّ القادة الإسبان كانوا في مأزق بين الضغط الداخلي والضغط الجزائري، وظن هــــؤلاء بأنّ الأموال التي إبتذلوها للجزائريين ربما تكون كفيلة لصرف نظرهم عن وه ـران وهو تخمين خاطئ. فالإسبان كانوا ولا زالوا يتلكؤون ويتــهربون من تنفيذ المطالب. ومهما يكن من أمر فإنّ الدّاي محــمد بن عثمان باشا أرسل رسالة إلى الكونت دي فلوريدا بلانكا مؤرخة بتاريخ 24 أفريل 1787م، يُذكره فيها بعدم احترام الإسبان لبنود المعاهدة وأنّ الكونت دي سرييلي قد غير جزءًا من بنود الإ تفاق الخاص بالصــلح، و أعتبره الدّاي خيانة لا يمكن تجاهلها(2). وما يبعث الإ نتباه أنّ القنــصل الفرنسي (**) هو من سعى إلى إرسال وفد مفاوض للجزائر وتقديم تنازلات من شأنها إنهاء حالة التوتر بين الطرفين(3).

حذت إسبانيا أسلوب المراوغة لتجنب الخروج من وهران والمرسى، ولكن كان لابد أنّ تكون هناك جهــود كبيرة علّها تُعيد المدينة والمرسى إلى الجزائر ، فهؤلاء لو كانوا قادرين على تنفيذ شروط الإ تفاق السابق لفعلوا ذلك دون تردد، بيد أنّ الأصــوات كانت تعالي يوما بعد يوم ضرذ تنفيذ إتفاق الصلح وهو ما من شأنه أنّ يــعكر الجو ثانية ويصبح الجزائريون غير ملزمين هم كذلك بتنفيذ الشروط ؛ وعليه ستعود العلاقات إلى نقطة البداية . وما يجب ذكره أنّ الدّاي لم يكن من أولئك الذين يستسلمون بسهولة على الرغم من تقدمه في السن وأراد أنْ يختم حياته بشكل مشرف.

(*) بعيدا عن قضية التزوير من عدمها فإنّ الدّاي كان مترددا حول قضية الصلح مع إسبانيا بيد أنّه كان شبه راض عن العرض الذي تقدم به المبعوث الإسباني ويعزى تردده إلى نقطتين أساسيتين فالأولى تتمثل في المسألة الجوهرية مسألة وهران والمرسى الكبير، أما الثانية إلى رأي الوزراء فكل كان له وجهة نظر خاصة و بعد أخذ ورد إتفق أعضاء المجلس قبول الصلح إذا كان للداي رغبة في ذلك، وعليه أخطر الأخير القنصل الفرنــسي بالتباحث في أمور الصلح، حيث عادت مسألة الجلاء عن وهران والمرسى إلى نقطة أساسية في التفاوض، بل وزاد عليها شروط أخرى لا تقل أهمية ولعلها كانت قبل ذلك تسيــل لعاب ليس فقط إسبانيا بل حتى فرنسا التي تكفلت بتمثيل دور الوسيط لإدارة هذه المفاوضات (لعدم وجود مترجمين؟) لأنّ هذه الإتفاقية كانت على شاكلة الإتفاقية مع فرنسا. للمزيد حول المضوع ينظر: قنان جمال، المرجع السابق، ص ص282- 288.

(1) Tratado de paz Hispano- Argelino de 1786, archivo de la Frontera, www.archivo de la frontera . com, p p8-9.

(2) سعيدوني ناصر الدين . معاهدة 1791. م. د. ت. عدد 7 1991. ص 76 – 77.

(**) هو القنصل (M, De Kercy)، يذكر دوغرامونت أنّه كلف رسميا لترتيب المفاوضات. و هنا نطرح سؤلا هل هذا التكليف كان من طرف الدّاي أم من طرف الملك الفرنسي أو الإسباني؟ للمزيد حول الموضوع ينظر: De Grammont(H-D), Histoire d’Alger..., p338.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص 408.

رابعا– مشروع التحالف البرتغالي الفرنسي ضد الجزائر 1199هـ/ 1785م:

سايرت دولة البرتغال نهج الدول الأوربية في عدائها ضد الإيّالات المغاربية ومملكة المغرب، وكانت الجزائر هدفا رئيسيا لها. لقد كانت تكن لها عداءً شديدا، ورثته منذ زمن بعيد، ذلك أنّ التطورات الحاصلة في المنطقة أثرت بصفة مباشرة على البرتـــــغال، وكانت درجة الإحتقان تزداد يوما بعد يوم إنطلاقا من ذلك الصـــدام بين المسلـــمين و النصارى بالأندلس خاصة في أواخر القرن الخامس عشر، ليتضاعف مع هزيمة هذه الدولة في موقعة وادي المخازن سنة 1578م التي ساندت فيها الجزائر والدولة العثمانية المغرب في إطار الدفاع عن ديار الإسلام. إنّ هذه الهزيمة لن ينساها البرتغاليون بسهولة، لقد رهنت مصير البلاد بأسرها عندما خلا عرشها وأصبح من حق "فيليب الثاني" الإسباني حكم هذه البلاد لكونه الوريث الشرعي بعد مقتل الملك "سيباستيان"[1].

حدث في أواسط القرن السابع عشر أنْ إستعادت هذه الدولة إستقلالها عن إسبانيا، وعلى الرغم من العداء الشديد بين هاتين الدولتين إلا أنّ ذلك لم يكن مانعا من توحيد الجـــهود ضد أعداء الخارج المتمثلين في مسلمي شمال إفريقيا، وجاءت اللحظة المناسبة لتكوين حلف ضد الجزائر، وكان من المفروض عرضه على الدول التي هي في حرب مع الجزائر، ولكن ليست هناك قاعدة ثابتة تتحكم في هذه التحالفات غير المبررة.

لقد كانت فرنسا أول المتحمسين لهذا الحلف كعـــادتها، بدل إسبانيا التي تلقت هزائم منكرة في حملاتها الثلاثة ضد الجزائر، ووصولها إلى طريق مسدود سواء في القضاء على حكم الجزائر أو درء الخطر عن القـــاعدتين العسكريتين بوهران والمرسى الكبير. وفي خـــضم هذه الأحداث حاولت البرتغال توجيه حملة عليها تنال منها ما كانت ترمي إليه. ولعل أبرز مساعيها زيادة الضغط على حكام الجزائر للقبول بإتفاقية الصلح مع إسبانيا والتي من شأنّها كبح تطلعات رياس البحر الجزائريين على إرتياد مياه الأطلسي، بعد عبورهم مضيق جبل طارق، ومما دفعها أكثر في هذا الإتجاه هو فشل إسبانيا في محاولتها إستعادة مضيق جبل طارق من السّيطرة الإنجليزية[2].

ذكرنا أنّ فرنسا قد رحـــبت بفكرة الحملة، هذه الرغبة الجـــتامحة كان قد تبناها الفرنـــسي "لافاييت" (La Fayette)[*]، ولم يكن يرمي إلى هذا فحسب بل كان يريد تأليب كل الدول الأوربية التي هي في حرب مع الجزائر لشنّ العدوان[3]

---

(1) بوشرب أحمد، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، ط1، دار الأمان، الرباط 1997م، ص118.

(2) ابن زيدان عبد الرحمن العلوي، العلائق السياسية...، المصدر السابق، ص77.

(*) عاش ما بين 1757- 1834م، قائد عسكري فرنسي برتبة جنرال، ساهم في الحرب الأمريكية ضد إنجلترا ثم عاد إلى فرنسا ليساند الملكية ضد الثورة. ينظر: نعمة يونس عباس، "العمليات العسكرية بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية (1776-1783م)"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل العراق 2014م، تهميش ص192.

(3) نايت بلقاسم مولود، شخصية الجزائر...، ج1، المرجع السابق، ص91.

كانت لفرنسا أسباب مقنعة لشنّ هذه الحملة والدخول في التحالف الجديد وتتمثل في قرب نهاية آجال إتفاقية السلم المئوي التي عُقدت في عام 1689م، حيث كان من المفروض أنْ تنتهي في سنة 1787م. ولعله يوجد سبب آخر لا يقل أهمية عن سابقه؛ ذلك أنّ قنصل فرنسا في الجزائر دو كرسي كان قد أعدّ تقريرا مطولا عن الجزائر سلّمه للماركيز "دو كاستري" في أواسط سنة 1782م، ومما جاء فيــه" ...أنّه مهما كانت جهود أي قنصل فإنّه لا يستطيع أنْ يحمل الجزائريين على الإقلاع عن الأساليب السيئة التي أصبحت عادة لديهم منذ ألف قــرن من الزمن فحصيلة علاقاتنا معهم هي نسيج من الفضائع وسلسلة لا تنقطع من الإهانات...".

وهكذا سارعت فرنسا إلى الضغط على الجزائر لعلها تدحض بذلك ما كـــانت أوربا تعتقده طيلة العصر الحديث في "... أنّه لو لم توجد الجزائر فإنّ فرنسا كانت ستعمل على إنشائها و لو أدى ذلك إلى دفع وزنها ذهبا...". وهو ما جعل الفرنـــسيين ممقوتين لدى جميع الأمم الأوربية تقريبا. لقد كانت فرصة ذهبية لهذه الدولة من أجل إعادة فرض هيبتها الضائعة في القارة الأوربية وفي ما وراء البحار أيضا[1].

أما البرتغال فليس لديها أي مبرر يستطيع العقل إستيعابه للقيام بذلك سوى الحقد الصليبي الموروث منذ القديم، وإذا كانت ثمة عوامل للتحرك ضدّ الجزائر فإنّها لن تخرج عن إطار الحرب المعلنة ضد البحرية الجزائرية التي بلغت سفنها أصقاعا بعيدة في أعالي البحار وهذا بعد إختراقها لمضيق جبل طارق، إذْ فرضت قدرا من الهيمنة هناك، وأصبـــح كل من يفكر في الدخول أو الخروج من البحـــــر المتوسط يحسب ألف حساب للبحارة الجزائريين على الخصوص لأنّه هناك نشاط بحري كبير أيضا يقوم به أشقاؤهم من المغـــرب لا سيما بحارة مدينة سلا الذين أصبح إسم مدينتهم ضمن الإهتمامات الأوربية المستعجلة.

بلوغ السفن الجزائرية لتلك المناطق لم يهدّد البحرية الإنجليزية فحسب بل هدد قبلها البحرية البرتغالية، ومن المؤكد أنّ سفن هذه الدولة كانت صيدا ثمينا للرياس. لقد أسر هؤلاء للبرتغاليين أعدادا كبيرة من السفن كنتيجة مباشرة للإنتصار على إسبانيا خاصة وأنّ البرتـــغال كانت حليفة لها في حملاتها السابقة، ويُذكر أنّ غنائم المحيط الأطلسي في هذه الفترة كانت كبيرة مقارنة بغنائم البحر الأبيض المتوسط التي تتشكل أساسا من سفن الدويلات الإيطالية وبعض من الدول الكـــــــبرى[2].

لا شك أنّ البرتغال إذا لم تكن قد أَسرت لها البحرية الجزائرية أي سفينة فحتما تكون قد أثرت على تجارتها البحرية وضيـــقت عليها الخناق، وهذا أمر لن يسكت عنه كبار التجار وسيضغطون بدورهم على حكومتهم لمعالجة هذه القضية وبسرعة كبـــيرة. وعلى أية حال عثرنا على أرقام تفيد هذه القضية ويُذكر أنّ بحارة الجـزائر إستولوا في السّنوات القليلة التي سبقت المشروع حـــوالي 16 سفينة وأسروا 118 أسير برتغالي، ويعزى ذلك إلى تعنت هذه الدولة في دفع ما عليها من أموال لصالح حكام الجزائر [3]. إذن العلاقات بين الطرفين كانت تمرّ بمرحلة حرجة للغاية ويسودها ترقب حذر، أما مع فرنسا فقد حاول حكامها إستباق الأحداث نتيجة نواياهم السيئة تجاه حكم الداي.

---

(1) قنان جمال، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 – 1830م، المركز الوطني للنشر و الاشهار، الجزائر2005م، ص ص17- 20.
(2) مروش لمنور، المرجع السابق، ص ص468 – 469.
(3) فكاير عبد القادر، المرجع السابق، ص26.

لم يتم الإعداد للحملة كما تم التخطيط له لأسباب تبقى مجهولة، ولا ريب أنّها تعود لتلك المحاولات الفرنسية التي كانت ترمي إلى الإبقاء على العلاقات مستقرة كما كانت عليه، هذا بغض النظر على تحمس لافاييت الذي ساند تحرك الحملة بقوة لأنّ أهدافه كانت تتمثل في القضاء على الجزائر. ونظن أنّ الرجل كان يبحث عن الشهرة أيضا أكثر من بحثه عن الأموال ومشـــاركته في حرب التحرير الأمريكية ضد إنجلترا وموقفه ضد الثورة في بلده خير دليل على ذلك إذْ توضح مواقفه المتقلبة[1].

ومهما يكن من أمر طمـــوحات هذا الشخص فإنّ البرتغال قد توصلت إلى عقد إتفاق مع الجزائر عام 1785م بين الداي محمد بن عثمان باشا والملكة "ماريا الثانية" بعد تدخل إنجلترا التي قرّبت وجهات النظر بينهما، لقد كانت الوساطة الإنجليزية دون أي إعتراض من البرتغال ترمي من خلالها إلى إلحاق الضرر بالبحرية الأمـــريكية في إطار حرب الإستقـــلال الأمريكية[2]، ففي هذه الآونة بدأت سفنها ترتاد عالم البحر الأبيض المتوسط وبالتالي ستصطدم لا محال بالبحرية الجزائرية آجلا أم عاجلا.

نستنتج جملة من العوامل التي ساهمت في عدم توجيه حملة التحالف الصليبي على الجزائر، ومن بينها تلك الإتصالات الإسبانية بالداي محمد بن عثمان باشا لإقامة الصلح وطيّ صفحة الخلاف خاصة وأنّ الإتـــفاقية المزمع عقدها رَغّبتْ الإسبان أكثر من أي وقت مضى في طي هذه الصفحة، ولعلها قد أثنت البرتغال على مواصلة المشروع إذْ لا جدوى من ذلك ما دامت الدولة المتضررة على وشك مهادنة الجزائر وأي عمل يعد عديم الفائدة بل ستجني من ورائه الحسرة والندم لا غير.

نرى أنّ كلا من فرنسا والبرتغال رَأَتَا عدم جدوى ذلك خاصة وأنّ هزائم الإسبان كانت لم يمض عليها إلا سنوات قلائل، كما أنّ الإنجليز زادوا من فرض سيطرتهم على مضـــيق جبل طارق أكثر مما مضى. في حين أنّ قنصل فرنسا نفسها كان قد أدار المفاوضات الجزائرية الإسبانية وهو بذلك يمثل موقف بلده إتجاه هذا الصراع [3]، حتى وإنْ كانت مواقف بلده متقلبة ولا ترسو على موقف واحد. ولا بد من أنّ حكام البرتغال رأوا أنّه لا مناص إلا بالبقاء إلى جنب الموقف الأوربي العام إتجاه الجزائر مهما كانت درجة علاقاتهم بها.

لقد تبخرت أمال البرتغال في كبح جماح البحرية الجزائرية نتيجة عدم قدرتها على المجابهة بمفردها وتلاطـــمها في هذا المنحى أفسد ما كانت تتمناه، ولن تقف الأمور عند هذا الحد فالقادم أسوء مما كانت تتصور هذه الدولة لأنّ هناك أمور قد ظهرت غيرت موازين القوة نوعا ما لصالح الجزائر عندما ظهر الريّس حميدو وأعاد للبحرية أمجادها بل وفرض منطقه في الحوض الغربي للمتوسط حيث التطلعات البرتغالية لبعث تجارتها. وما زاد الأمـــر تعقيدا خلافا لما ذكرنا أنّ حتى إسبانيا ستفقد مناطق إحتلالها بالجزائر وإلى الأبد، وفرنسا ستقوم بها الثورة مما سيشغلها أكثر عن التفكير في المشاريع الإستعمارية على الأقل في العقد القادم، أما الولايات المتحدة فستصبح سفنها مستهدفة وستخضع كغيرها من الدول للإرادة الجزائرية.

---

(1) نايت بلقاسم مولود، المرجع السابق، ص91.
(2) المرجع نفسه، ص91.
(3) قنان جمال، المرجع السابق، ص20.

خامسا – تحرير وهران الأخير 1205هـ/ 1791م:

بعد إتفاقية الصلح السابقة الذكر أظهر الإسبان عدم جديتهم من ذلك، بل راحوا يتحججون بحجج واهية من شأنها إطالة بقائهم في المدينة أو حتى لحين وفاة الدّاي مُحَمَّد بن عثمان حسب زعمهم، حينها يتخلى الجزائريون عن المطالبة بوهران، ولكن حدثت أمور سرعت من عملية إسترجاع وهران لحكم الجزائر وسنوجزها في النقاط التالية:

أ– توصل الطرفان الجزائري والإسباني إلى عقد إتفاقية سلام 1786م، وهو ما لم يحدث طيلة القرون الحديثة حيث تقاربت وجهات النظر وأصبحت قضية وهران على وشك أنْ تنفرج.

ب– حدوث زلزال عنيف كان قد خرب المدينة يوم 10 أكتوبر 1790م، ويُذكر أنّه بدأ منذ شهر أوت[1]، إذْ أدى إلى موت الطواقم الطبية وموت حاكم المدينة الإسباني وأفراد عائلته . فضلا عن مقتل ضباط سامون في الجيش الإسباني وعموما فإنّ عدد من قُتل من الناس العاديين قد بلغ الألفين[2]، وهناك من يقول أنّه بلغ ثلاثة آلاف قتيل.

جـ– جدتي الدّاي مُحَمَّد بن عثمان داي الجزائر في مطالب هالقاضية بتحرير المدينتين، وحنكة باي الغرب الجزائري مُحَمَّد عثمان الكبير الذي يشهد له بالكفاءة العالية.

د– حصار الباي مُحَمَّد بن عثمان لمدينة وهران بعد حرب الإست نزاف التي شنّها ضد الإسبان منذ عام 1780م حتى 1786م، حيث توقف عن ذلك بموجب الإتفاقية. وعمل خلالها على إسهالة القبائل المجاورة للمدينة وغيرها لتقوية صفوفه[3].

يكون الباي مُحَمَّد بن عثمان قد قام بمحاولتين لإقتحام المدينة عنوة، ولكنه لم ينجح في دخولها حيث يُعزى ذلك إلى مجموعة من الأسباب التي يمكن تعدادها في النقاط التالية:

– حصانة مدينة وهران وقوة دفاع المحتلين.

– عدم تقديم داي الجزائر المساعدات للباي في عمليات إقتحامه نتيجة إلتزامه بإتفاقية السلام المعقودة منذ عام 1786م[*].

– بقاء القبائل لم تعاونة مع إسبان وهران على موقفها القديم وعدم إستجابتها لنداءات الباي وبالتالي ضياع الجهود المبذولة لتدعيم صفوف الجيش[4].

---

(1) فكاير عبد القادر، "معاهدتا الجزائر مع إسبانيا 1786 – 1791م ظروفهما وإنعكاساتهما على العلاقات بين البلدين"، مجلة المعارف للبحوث الدراسات، العدد5، جامعة الوادي 2015م، ص226.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص 409.

(3) بليروات بن عتو، التحرير الثاني لوهران...، المرجع السلبق، ص 289.

(*) صحيح أنّه لم يذكر أمر المساعدات من لدن داي الجزائر للباي مُحَمَّد الكبير لتحرير وهران والمرسى الكبير، ولكن وجدنا في سياق الإستعدادات التي قام بها من أجل ضرب الحصار على المدينة وإقتحامها أنّه بادر إلى شراء الأسلحة من بلدان مختلفة إذْ يُذكر أنّه إقتنى عددا من المدافع من الإنجليز الذين هم بجبل طارق وحملها على سفن فرنسية كان قد إكتراها. وهنا نجد تناقضا في القضية من حيث الموقف الفرنسي أما الإنجليزي فلا غرابة ما دامت العلاقات متوترة بينهم كما أرسل ابن هطال إلى المغرب الأقصى لشراء الأسلحة أيضا. ينظر: ابن عبد الكريم مُحَمَّد، مقدمة كتاب رحلة مُحَمَّد الكبير ...، المرجع السابق، ص21.

(4) المرجع نفسه، ص 290.

كان غيّاب الدعم الجزائري من قبل الدّاي للباي عاملا هاما في تأخر عملية التحرير، ولكننا نلاحظ عكس ذلك تماما فالدّاي بعد الرسالة التي أشرنا إليها في عام 1786م، كان قد لجأ إلى مواصلة التحرك ضد إسبان وهران مرة أخرى من خلال الباي محمد بن عثمان، في إطار الضغط عليهم وعدم ترك أي فرصة لهم للرجوع عن مواقفهم وهو ما أظهر تمسك الجزائريين بمطالبهم السابقة؛ الأمر الذي ينفي تخلي أو تقاعس الدّاي عن تحرير المدينتين المحتلتين.

تيقن الإسبان من صلابة الموقف الجزائري فيما يخص الإصرار على إسترجاع المدينتين، وبالمقابل لم يحققوا أيّ شيء فيما يخص التجارة مع الجزائر أو الحصول على إمتيازات كتلك التي هي للفرنسيين. فضلا عن تماطلهم في دفع الأموال التي وعدوا بها الدّاي. إنّ الإسبان قد سئموا الوضع المشحون في المتوسط خاصة مع الجزائر وفي هذه الفترة كانوا قد توصلوا إلى عقد إتفاقيات مع المغرب عام 1780م، والدولة العثمانية عام 1782م، وطرابلس الغرب 1784م ولم يبق لهم سوى الجزائر وتونس. وعليه فقد كان من الأهم بالنسبة لإسبانيا الإلتزام بالإتفاق السابق وتدعيمه بإتفاق آخر حتما ستكون قضية وهران والمرسى حاضرتين فيه بل قضيتين أساسيتين لا محال[1].

ظلّت مسألة وهران والمرسى نقطة المناورة الوحيدة لدى الإسبان لعلهم يحفظون بها ماء الوجه، ولكن موقف داي الجزائر ظلّ هو كذلك مستعصيا بل بعيد المنال. يظهر ذلك من خلال الموقف الذي أبداه عندما أرسل ملك إسبانيا "شارل الرابع"(1788- 1808م) بمبعوث شرح فيه رغبة الملك في الإحتفاظ بالمرسى وتسليم وهران، ولكن الدّاي أبدى رفضه القاطع، فاضطرّ الملك الإسباني إلى عقد هدنة مع الباي المحاصر لوهران قصد التعرف على مطالب الدّاي والباي معا ولعلها واحدة، بيد أنّ الملك كان يرجو من خلال ذلك كسب الوقت وإشغال حكام الجزائر ريثما يتم تدعيم صفوف الإسبان بالمدينة، وهو ما يبرهن على عدم الجدية في تنفيذ الإتفاقيات والتمسك بوهران[2].

بعد الإنسحاب الجزائري عن المدينة وفكه للحصار، تأكد الباي من المدد الذي وصل إلى الجيش الإسباني المتواجد بالمدينة[*]؛ وعليه ستكون الحرب هي الحل الوحيد إذْ كانت على وشك البداية بين الطرفين ولا ينقصها إلا فتيل من هنا أو هناك. وما لم يكن يتوقعه حكام الجزائر ويتمناه الإسبان قد حصل، ففي نهاية شهر ماي 1791م أخذت الأمور منحى خطيرا على صعيد العلاقات بين الطرفين؛ فالدّاي المسن الذي أعاد للجزائر هيبتها كان قد وافاه الأجل يوم 12جويلية من عام 1791م[3].

---

(1) سعيدوني ناصر الدين، المعاهدة 1791 م د ت عدد 7، ص 80.

(2) بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص290.

(*) تم تدعيم حرس المدينة بأفواج من الجيش وعلى رأسهم حرس والون لإتصافهم بالخبرة القتالية العالية وكان ذلك في غضون شهر فيفري1791م. ينظر:

Fey(Henri-Léon), Op,Cit, p251.

(3) بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص291.

كان من أبرز المهتمين بقضية تحرير وهران الحافظ أبو راس الناصري، إذْ قال شعرا مطولا في هذا الصدد، عن وهران وعن الإسبان بها، وعن حركة التحرير التي قادها الباي محد عثمان الكبير ومن جملة ما قال:

حتَى تَـــــــداركها الله برأْفته — من بعد مامضى لها مدة العنس
بتقْليد المغرب الوسط لعمدتنا — أضاء شمسه بعد حالك القلس
مَلكٌ تقلدت الأملاك سيرتهُ — دَنا و أخرى تـراه محـسّ السيس
مُؤيد لَو رَمَى نجما لأثبــتهُ — وَ لَو عَادَ بلا لُب و ما احتسب
شَهمٌ شُجاع بحزم الملك متزر — و مرتد النصر وفي الحلم ذو طخس
فملك آل منديل تحت سلطانه — قد كان مد من واجر إلى تنس
كذلك ماك تجبين في إيالته — كذا الجدار القديم المتقن الاسس
ملك لآل يغمور فيه نصرتهم — كذاك ملك ابن يعلا اليفريني الرئيس
فمهد الكل برخص و عافية — قد آمنوا كلهم عواقب الفلس
مُحَمَّد بن عثمان نجم سعدهم — رصد من كلف يصع ومن سجس
مدة ست و سبع من امارته — حل باهل وهران الويل في التعس
عمر كل مرصد كان مسلكهم — بالخيل و الراجل مع حلق العسس
طلبة اثخنوا فيهم وعاثوا فلا — تقسهم بقيس عبس ولا بيهس
احيوا مراسم عفت من شيوخهم — أحمدا ومُحَمَّدا وابن يونس
سنة خمس أتى لهابكلكله — جند عظيم ما بين الشهم و الحوس
مدافعا وعرادات أحاط بها — كأنها بيتهم كحلقة الجلس

وعن انتشار اخبار تحريرها قال:

أخبـــــارها قد طـــارت في الأرض قـــاطبة — لقتنا في امدوجات من ورا قابـس

وعن خضوع الإسبان قال:

فطلـــبوا السلـــــــم من بعـــــــد مراودة — فأعـطوا الامـــان عى الامـتع و النفس
هـم يخـــربون بيوتهـــــم بايـــــــــدهم — فاعتبـــــروا يـــا اولي الابصار و النفس
نصـــارى وهـــــران تركـــوها عامـــــرة — فالحمـــــد لله آمنـــــا مـــن الهجس

(1) الأغا بن عودة المزاري،المصدر السايق، ص264- 265.

بعد وفاة الدّاي مُحَمَّد بن عثمان خلفه على رأس الإيّالة "حسن باشا" (1791- 1798م)، الذي دفع بتقدم المفاوضات، ومما يجب ذكره أنّ حرص الباي على حصار المدينة وضغطه المتزايد بإعلان الحرب عليهم كما أسلفنا في نهاية شهر ماي على الرغم من أنّ الإتصـالات الرسمية بين الطرفين للتوصل إلى شروط إتفاقية ترضيهما كانت قد بدأت منذ شهر أفريل 1791م[1]. في حين نجد أنّ السلطان العثماني أمر الدّاي بمواصلة الحرب ضد المسيحيين[2].

أدّت الضغوطات المتزايدة لباي الغرب على ملك إسبانيا إلى إرسال وفد رسمي بعد أنْ طلب من الدّاي فك الحصار على المدينة المحاصرة خشية إقتحام المدينة وتلقي الهزيمة[*]، إذْ تم ذلك في يوم 30 جويلية 1791م، وبالمقـابل فإنّ الوفد كان قد أبلغ الدّاي بأنّ الملك يرفض دفع تعويضات الحرب للباي مُحَمَّد في ظل بقاء الحرب قائ مة م ن خلال الحصار والإحتفاظ بالميناء دون مدينة وهران . غير أنّ الملك أعاد النظر في أواخر أوت 1791م، برسالة بعثها وشـرح فيها رغبته في الجلاء عن وهران مع تهديم ما براه الإسبان منذ عام 1732م[3].

تم إقرار صيغة جديدة للإ تفاقية التي ستعقد بين الطرفين ولعـلها كانت قبل المعاهدات التي عقدت مع فرنسا وإنجلترا. فقد تكـوّنت من 09 بنود في بداية سبتمبر 1791م. وتم التوقـيع عليها يوم 09 ديسمبر 1791م[4] وبخصوص الشروط فقد نصّت على الجلاء عن مدينة وهران والم ـرسى الكبير، وبناء حصن بالم ـكان الأخير لتسهيل عمليات التجارة مع إسبانيا [5]. في حين كان الباي مُحَمَّد بن عثمان يعد لدخول المدينة التي طالما تطلبت تضحيات جسام بل وقضت مضـجعه، بعد أنْ ألبسه الدّاي حسن الريشة الذهبية دخل المدينة يوم الإثنين 27 فيفري 1792م دخول الفاتحين المظفرين وعليه أصبحت وهران عاصمة البايليك الغربي دون غيرها[6].

وهكذا طُويت صفحة هذا الصراع المرير بين الجزائر و إسبانيا، فالأخـيرة على الرغم من تطلعها لعلاقات أفضل مع الجزائر إلا أنّها بهذه الخطوة قد أ عادت التنافس بين الفرنسيين والإنجليز على حد سواء. على أنّ الـرابح الأكـبر في هذه الفترة كانت الجزائر التي أصبحت تمارس سيادتها على كل شبر من أرضها دون إزعاج من أي طرف في هذه الفترة.

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 81.

(2) خط همايون، رقم55760، بتاريخ1205هـ، تعريب فكري طونا، الارشيف الوطني الجزائري.

(*) يجرنا المؤرخ الفرنسي (فاي) إلى مغالطات إذْ يقول بأنّ الدّاي بابا حسن هو من خضع للملك الإسباني، بيد أنّ الواقع يثبت غير ذلك تماما. ينظر:

Fey(Henri-Léon), Op,Cit, p257.

(3) بلهروات بن عتو، المرجع السابق، ص 992.

(4) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص 81.

(5) وولف جون، المرجع السابق، ص 410.

(6) بلهروات بن عتو، المرجع السابق، ص 293.

سادسا– التنافس الأوربي على الجزائر بعد 1206هـ/ 1792م:

حمل العقد الأخير من القرن التاسع عشر أحداثا كثيرة ألقت بظلالها على الساحة السياسية المتوسطية، ففي فرنسا الثورة كان قد تم رصد مبلغ عشرة ملايين فرنك فرنسي لها، ووضعت تحت تصرف القائمين على الأمور التجارية بغية تزويد البلاد بالحبوب الجزائرية. فالأوضاع الإقتصادية والعسكرية لم تكن على ما يرام؛ وكل شيء كان ينذر بمستقبل غامض؛ وعليه كانت فرنسا حريصة كل الحرص على أنْ تبقى علاقاتها حسنة مع الجزائر، في حين كانت الجزائر قد حصلت على شحنة من الأسلحة والمدافع من الباب العالي لتقوية دفاعاتها [1]، وطلبت رأيه في شروط الإتفاقية مع الفرنسيين[2]. كان الفرنسيون قد أسروا في شهر ماي 1792م، مركبين جزائريين يقلان 310 رجلا، وتم حجزهما، إلا أنّ السلطات الفرنسية سارعت إلى إطلاق سراحهم خوفا من تعكّر صفو العلاقات وبالتالي ضياع المصالح خاصة في ظلّ الجو المشحون بالتنافس[3]. كما أنّ السلطات الفرنسية كانت قد سعت لدى نظيرتها الجنوية لإطلاق سراح الريس الجزائري علي مع السفينتين المحجوزتين، من خلال الرسالة المؤرخة في 08 ديسمبر 1792م[4].

ولم تكن فرنسا هي الدولة الوحيدة التي تريد بقاء علاقاتها بالجزائر هادئة ومستمرة، فالإنجليز هم أيضا كانوا أشدّ حرصا من الفرنسيين لضمان تزويدهم بالحبوب، وبالمقابل كانت فرنسا تسعى جاهدة للحيلولة دون عقد أي إتفاقية بين الجزائر و الدول المنافسة لها في التجارة. أمّا الإنجليز فأرادوا عقد الصلح بين الجزائر والبرتغال لضمان ولوج البحر المتوسط، وعليه كانت الحرب تلوح في الأفق بين هذه الأطراف . ففي إحدى المرّات أَسر بحارة إسبانيا سفينة فرنسية في مياه الجزائر في غضون شهر مارس 1795م، ولحسن حظهم فإنّ الجزائريين قد تدخلوا في الوقت المناسب وأنقذوا الموقف بتحرير السفينة المختطفة[5].

يُذكر في هذه الفترة بالذات أنّ غنائم الجزائريين البحرية قد زادت بنشاط البحرية الجزائرية ضد الدول التي لا تربطها معها علاقات، إذْ أَسرتْ 15سفينة سنة 1793م، منها 4 سفن أمريكية و 3 هولندية و 2 من جنوة و 06 أخرى[6]. وعليه نستنتج من خلال ما سبق بأنّ السفن الكبرى لفرنسا و إنجلترا وإسبانيا لم تكن هدفا رئيسيا للجزائر بل الأخيرة أي إسبانيا كانت تحافظ على بقاء علاقاتها من أجل ضمان مصدر هام للحبوب. ويذكر أنّ الشركة الإفريقية الفرنسية العاملة في المجال التجاري إستطاعت أنْ تحتفظ بتجارتها مع الجزائر أولًا ثم مع تونس للتزود بمختلف المواد التي أنقذتها من شبح المجاعة، فضلا على أنّها ضاعفت من عدد سفنها وكونت جيلا من البحارة والملاحين للغرض ذاته ولكن في المدة الأخيرة وليس الأمر بجديد فإنّ الشركة ما فَتِئتْ تواجه مشاكل وعراقيل في سبيل تجديد إتفاقها مع الجزائر من طرف إنجلترا وإسبانيا أيضا[7].

---

(1) خط همايون، رقم 56499 بتاريخ 1206هـ، تعريب فكري طونا، علبة 4، الارشيف الوطني الجزائري.
(2) خط همايون، رقم 8086 بتاريخ 1205هـ، تعريب فكري طونا، علبة 3، الارشيف الوطني الجزائري.
(3) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص108.
(4) بلانتي اوجين، مراسلات ...، ج3، الممرجع السابق، ص58.
(5) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص108.
(6) مروش لمنور، المرجع السابق، ص451.
(7) شويتام أرزقي، "نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل إنهياره1800– 1830م"، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر2011م، ص69.

أُستعملت الوسائط في العلاقات الجزائرية الفرنسية أو بالأحرى في العلاقات مع الشركة الإفريقية، وكذا لجنة التموين بمرسيليا وغـــيرها من الهيئات. لقد كانت هذه الوسائط يمثلها اليهود [*]؛ وعلى رأسهم "بـاكري"، هذا الأخير إشترك مع "بوشنـــاق" في إدارة أمور التجارة مع الإنجليز و كذا تصدير الحبوب لفرنسا، وهو ما أثر على نشاط الشركة الإفريقية و قد زادت علاقات اليهود بالدّايات فضلا على تجذر مكانته م في مجال التصدير ؛ وبالمقابل كان "سيمون أبوقاية" مقيما بفرنسا و هو وسيط لليهود مع السلطة الفرنسية[1] مثل ما حدث مع اليهوديين و الدّاي.

سعت دول أخرى لعقد إتفاقيات تجارية مع الجزائر لذا أصبحت هناك منافسة ل فرنسا وإنجلترا و إسبانيا، كما أنّ هذه الدول كانت تتطلع لضمان حرية سفرها وســـلامتها في عرض المتوسطي. إنّ هذه الإتفاقيات كانت قد وفرت لخزينة الجزائر أموالا ضخمة تساوي ما كانت تدرّها العمليات البحرية. و لكن هذه الإتفاقيات كانت لا تكلف باهضا. ومن بين الدول التي عقدت علاقـــات مع الجزائر وبالتالي زادت من هموم فرنسا وإنجلترا خاصة في ضياع شحنات القمح الجزائري من أيديهما نذكر الدانمارك التي دفعت للجزائر ما كان عليها من أموال وعتـــاد [2]، وهولندا وإمارة هامـــبورغ والسويد وجمـهورية البندقية وأخيرا الو لايات المتحدة الأمريكية[3]. وما يجب أنْ نوضحه أنّ بشأن هذه الدول ما عدا الولايات المتحدة كانت في علاقات جيدة مع الجزائر ولكن كثيرا ما تأثرت بأعمال البـحارة ودسائـس قناصل الدول الكبرى. ففي إحدى المرّات كانت سفينة دانماركية قادمة من الأناضول تحمل 300 جندي إنكشاري للجزائر، قد تعرضت للإعتداء من طرف بارجة حربية نابولطانية وأسرت كل من كان عليها، مما أدى إلى غضب داي الجزائر وبالتالي أصبحت الإتفاقية السابقة لاغية. فالدانمارك هي الدولة الوحيدة التي كانت سفنها تم خر عباب البحر المتوسط مشحونة بالبضائع والسلع، وهذا العمل المشين يُفسر قلق الحكومة الـدانماركية[**]، خاصة وأنّها دولة محايدة في الحروب الأوربـــية ويجب عليها الخروج من الأزمة بسلام، أو على الأقل بأخف الأضرار[4].

(*) تزايد إهتمام اليهود بالتجارة في الجزائر على غرار النشطات الإقتصادية الأخرى التي إشتهروا بها، إذْ بدت سيطرتهم واضحة في مجال التصدير والإستيراد نظرا للعلاقات التي كانت تربطهم بالدول الأوربية والمشرفين على موانئ شمال المتوسط من ليفونة إلى مرسيليا إلى برشلونة خاصة أواخر القرن التاسع عشر. للإطلاع أكثر حول الموضوع ينظر:

طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700- 1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر2003-2004م، ص ص167-1197.

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص109.

(2) المجموعة 3190، المصدر السابق، ورقة 451.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص413.

(**) سبق وأنْ أشرنا إلى المعاهدة الجزائرية الدانماركية التي عقدت عقب الإعتداء الأخير لهذه الدولة على الجزائر عام 1770م، إذْ كانت تحكم العلاقات بين الطرفين معاهدة تتضمن حرية الملاحة الهولندية في المتوسط مقابل مبالغ مالية وعتـاد حربي يدفع لصالح خزينة إيّالة الجزائر، وعليه كان هناك تمثيل ديبلوماسي بين الدولتين فالقنصل الدانماركي بالجزائر في هذه الفترة كان يسعى إلى الخروج من هذه الأزمة بسلام، والعلاقات بينهما كانت مستقرة تماما لولا هذه الحادثة.للمزيد حول الموضوع ينظر: De Paradis Venture, Op, Cit, p p 263-266

(4)كاثكارت جيمس، مذكرات أسير الدّاي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1982م، ص ص249- 250.

سابعا– مؤامرات أوربا حيال السلام الجزائري الأمريكي 1209هـ/ 1795م:

حظي السفير الأمريكي "دونالد صون" بإستقبال من طرف أسير داي الجزائر " جيمس كاثكارت"، وتم تخصيص بيت غير قريب من منازل ال سفراء الأوربيين ليبقى فيه ، وبعد الرّاحة التي قضاها السفير من شدة التعب الذي لحق به إنطلقت المفاوضات التي كانت على قدم وساق بين هـ وبين داي الجزائر . إستعان الـدّاي خلالها بالأسير كا ثكارت واليهودي باكري وقنصل السويد في إدارة هذه المفاوضات، وفي أول رسالة من الدّاي للقنصل كان قد ضمنها المبلغ الذي من المفروض أنّ الولايات المتحدة الأمريكية ستدفعه للجزائر وهو 22 مليون و47 ألف دولار أمـــريكي، وتقديم بارجتين حربتين كل واحدة منهما مزودة بـــ 35 مدفعا، وضريبة سنوية تكون في من عتاد حر بي قدره بـــ 12 ألف سكوين وهذا فضلا عن هدية السفير والقنصل التقليدية التي يتم تقديمها مرّة للدّاي في كل سنتين.

بعد تقديم هذه المطالب للقـــنصل الأمـــريكي كان قد رفضها جملة وتفصيلا، وقرر على إثـــرها أنْ يوقف المفاوضات(*) ويغادر البـلاد، بيد أنّ كاثكارت وقنصل السويد ط يبا من خاطره وألحا عليه البقاء وإتم ـــام المحادثات، حيث شرحا له عواقب الإنصراف دون فائدة بسبب الأخطار التي ستلحق بال ـــولايات المتـحدة في حالة عقد ت الجـــزائر والبرتغال لإتفاقية سلام بينهما، وهو ما يعرض مصالح دولته للخطر بعبور السفن الجزائرية مضيق جبل طارق.

وبين أخذ ورد و تصـــلب في مواقف الطرفين، خاصة الدّاي الذي علم من القنصل الفرنسي بأنّ القنصل الأمريكي يحمل تفويضا مطلقا للمفـاوضات، وهو ما زاد الثقة في نفس كل طرف. لكن الدّاي كان لديه رغبة في طي هذا الموضوع والحصول على الأم ـــوال بدل تضييع الوقت، وعليه تم الإتـــفاق بين الطرفين يوم 11سبتمبر 1795م على أنْ يقدم الأمريكان للجزائر مبلغ قدره585000 دولار وهـــدايا خاصة بالدّاي(1).

مثلما كانت خزينة الجزائر بحاجة للأموال في هذه الفترة العصيبة كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الأخرى في أمس الحاجة إلى عقد السلام مع الدول المغاربية، وخاصة مع الجـــزائر. وهذا من أجـــل بعث تجـارتها في المتوسط وهي التجارة التي كانت ممنوعة من طرف فرن ـــسا و إنجلترا. كما أنّها حصلت على إعتراف كل من طرابلس وتـــونس(2)، للغرض ذاته نتيجة الحرب السابقة بين الدولتين فضلا على أنّ مصالح أوربـــا ستتأثر حتما بهذا الإ تفاق وبالتالي تكون هناك منافسة شديدة خاصة في مجال شحن الحبوب لهذه الدول.

(*) كانت الجزائر قد أعلنت الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية وبدأت البحرية الجزائرية في إعتراض السفن الأمريكية التي كانت تجوب البحر المتوسط في الوقت الذي توصلت فيه إسبانيا إلى عقد معاهدة مع الجزائر وصفها الأمريكيون بأنّها مخلة للشرف، من خلال التقارير التي كان يرصدها هؤلاء بأنّ البحرية الجزائرية ضعيفة ولا يمكن أنْ تؤثر على تواجـــدهم بالمتوسط، وكانت الولايات المتحدة على علم بحجم الأموال والهدايا التي إبتذلتها إسبانيا، وطلب من حكام الولايات المتحدة تقديم الأموال من أجل عقد السلم . لقد كانت أول مهمة للمبعوث الأمريكي إلى الجزائر محفوفة بالمخاطر وهذا لتخلي قنصـــلي إسبـــانيا وفرنسا عنه متحججين بأنّ مصالح بلديهما تتعارض مع مصالح بلاده وأنّها مشغولة (أي الجزائر) بالصلح مع إسبانيا، كما أنّ قنصل إنجلترا كان يعمل في الإتجاه نفسه بسبب إنفصال الولايات المتحدة عن بلاده. للمزيد ينظر: الشتيوي منصور عمر، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي و الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، مؤسسة الفرقاني طرابلس، ليبيا 1970م، ص ص24- 26.

(1) جيمس كاثكارت، المصدر السابق، ص ص 167-178.

(2) شقرون جيلالي، "إتفاقية السلام والصداقة الأمريكية الجزائرية الأولى 05 سبتمبر 1795م"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، العدد2، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر 2010م، ص48- 49.

ثامنا– تحالف باي تونس مع ابن الأحرش ضد الجزائر1219هـ/ 1804م:

يُصنّف المؤرخون ثورة "ابن الأحرش"[*] على أنّــها إحدى الثورات الداخلية التي قامت ضد العثمانيين بالجزائر ولكنّها لم تكن بمعزل عن ما يجري ويحاك خــارج حدود الإيّالة، وعليه كانت هذه الثورة في إطار التــحالفات الإقليمية ضد الجزائر لاعتبار أنّ ابن الأحرش من أصول مغربية ويتبع الطريقة الــدرقاوية التي سينتفض أحد أتباعها أيضا فيما بعد ويسلك طريق الثورة ذاته.

سطع نجم ابن الأحرش في الفترة التي إحتل فيها "نابليون الأول" مصر عام 1798م؛ ويُروى أنّه إنظم إلى المقاومة المصرية العثمانية ضد جيش الفرنسيين. ومن أسباب وجوده في مــصر أنّه وفد عليها قائدا لركب الحجيج، وقــد أثر في الناس حتى اجتمع حوله الكثير منهم وأصبح لديه أتباع، ولسنا ندري إنْ كان ذهب إلى الحج أم رجع ولم يكــمل مقصده، وعلى أيّة حال عندما كان مارًا بتونس إستضافه الباي حمــودة باشا وأحسن إليه، ولم يكن ذلك السلوك إعتياديا من طرف الباي، فقام بتحريضه ضد حكومة العثمانيين بالجزائر، بعد أنْ أوضح له الفوائد التي يمكن أنْ يحصل عليها، ولم يخــف الباي كرهه لحكام الجزائر بعد أنْ أبدى ابن الأحرش نيته في إعلان الثورة؛ وهنا فاجأه الباي أنّه في حالة إعلانه للثورة سيقوم بتدعيمه بكل ما يحتاج وبأنّه سيسانده ضد الظلم القائم هناك. لقد وجد ابن الأحرش فرصة مواتية لقيادة تمرد في شرق الجزائر.

ولثورة ابن الأحــرش أسباب كثيرة منها ما هو داخلي والأهم من ذلك الأسباب الخارجية لكونها تعد تحالفا ضد حكام الجزائر وسنكتفي بذكر بعضها فقط ومنها:

أ– تحريض الباي حمودة باشا لابن الأحرش على الثورة ضد دايات الجزائر.

ب– تحريض الإنجليز لهذا الثائر على إعلان الثورة بالجزائر خاصة بعدما تأكد من تحريضهم ضد الفرنسيين بمصر وإعلان الحرب في الجزائر هي كذلك بمثابة حرب على فرنسا لكون ذلك لا يخرج عن إطار التنافس على كسب المؤسسات الإقتصادية بالجزائر[1].

جـ– مساندة ملوك المغرب للحركات المناوئة للعثمانيين بالجزائر، لاسيما أتباع الطريقة الدرقاوية لتنفيذ مشاريعهم التوسعية بعد أنْ فشلوا هم في تنفيذها مباشرة[2].

د– طبيعة شخصية ابن الأحرش في حدّ ذاتها؛ فإعلانه الحرب ضد الفرنسيين بمصر وإذعانه لتحريض باي تونس يدل على سهولة التأثير فيه وجعله أداة طيعة لتحقيق أغراض شتى.

(*) هو الحاج مُحَمَّد بن عبد الله بن الأحرش، يعرف بالشريف المغربي، ينتسب إلى درعة بالمغرب الأقصى من أتباع الطريقة الدرقاوية. للمزيد حول الموضوع ينظر: جعني زينب، "ثورة ابن الأحرش في بايليك الشرق(1800-1807م)"، مجلة عصور الجديدة، العدد18، جامعة وهران، الجزائر 2015م، ص130.

(1) أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي(1792- 1837م)، ترجمة صالح نور، ط1، دار قرطبة الجزائر2010م، تمميش ص113.

(2) جعني زينب، المرجع السابق، ص131.

لقد كانت هذه العوامل كفيلة بإشعال ثورة زعزعت إستقرار الإيّالة بل وكشفت عن الوهن الذي كان يدبّ في دواليب الـــدولة، ومهما يكن من أمر العوامل فإنّ "عثمان باي" (ماي 1803م- نوفمبر 1804م)، كان قد اعتلى منصب البـــايليكية بالشرق الجزائري وهو ابن مُحَمَّد الكبير، وعلى الأرجح أنّ هذا الأخير هو باي الغرب الجزائري الذي حرر وهران، لأنّ لديه ابن بهذا الاسم، كما أنّه يكون قد حكم بايليك الغرب قبل سنوات من حكم منصبه هذا ونقصد هنا عثمان. كل هذا بعد أنْ فرّ الباي السابق "مصطفى إنجليز" إلى تونس عندما تم إستبعاده.

ومهما يكن من أمر فإنّ الباي الجديد بدأ بتـــجهيز جيش وهمّ بملاقاة الثائر المتواجد في هذه الآونة بمنطقة وادي الزهور(*) حيث أسس زاوية هناك. لقد تعدى الأمر إلى حالة الخطر بعد أنْ أصبح له أتباع يُقدر عددهم بأكثر من 60 ألفا. وقد عـــمد إلى مهاجمة المؤسسات الفرنسية إذْ أسر 34 فرنسيا إقتادهم كأسرى إلى الجبال [1]. لم يقع القتال في هذه المرّة بين الطرفين لعدم وقوع أي شيء من شأنه أنْ يؤدي إلى ذلك [2]، في حين كان ابن الأحرش يتربص الفرصة لتحقيق هدفه المتمثل في الإستيلاء على مدينة قسنطينة عاصمة البايليك.

عندما حلّ فصل الربيع من عام 1804م، حان وقت أداء الدنوش وحملها إلى مدينة الجزائـــر كي تقدّم للدّاي كما جرت العادة، فاستغل ابن الأحرش غياب الباي وتوجه تلقاء مدينة قسنطينة التي حاصرها، ولم يستطع دخولها فولى الأدبار راجعا إلى مرابضه بوادي الزهور [3]. وعندما عاد الباي عثمان من سفره قرّر محاربة الثائر تنفيذا لأمر الدّاي "مصطفى باشا" أنذاك، وعليه جهّز نفسه واتجه بمحلته إلى مكان تواجد الثائر، ونصب الباي خيامه بأرضٍ سبخة بين جبلين، وهي منطقة لتجمع المياه، إذْ نزل المطر غزيرا في تلك الليلة وقام أعوان الثائر بفتح سَدّ كان مليئا بالمياه فغرقت محلة الباي ولم يجد سبيلا للهرب حيث مات من جراء الحادثة عدد كبير من جنده، وأصبحت تعرف هذه الحادثة بواقعة وادي الزهور. وهكذا انتصر ابن الأحرش، ولما وصلت أنباء الهزيمة مســـامع الدّاي بعث إلى أحد شيوخ قسنطينة وولاه عليها؛ حيث هَزَمَ صاحب الثورة وفرق جموعه[4]. ولكن الثورة لم تنته في هذه السنة فآمال الثائر قد تبخرت عندما قُطعت الطريق عليه ليكرّر هجومه على المدينة ويقال أنّه غادر نحو الـــغرب ليظهر مجددا بنواحي سطيف. بيد أنّ سمعته لم تكن كما كانت فالقبائل التي آزرته في البداية كانت قد تخلت عنه؛ الأمر الذي أضعف ثورته وجعله يتـــوارى عن الأنظار تدريجيا على أنّ تاريخ نهايته يبقى مجهولا [5]. إنّه بالرغم من عدم نجاح الثورة إلا أنّها شغلت حكومة الجزائر عن مسائل أخرى، واستنزفت الرجال والأموال كان الأجدر توفيرها لساعة أخطر من هذه، في حين كشفت مدى التحامل الأجنبي لإلحاق الضرر بالجزائر بطرق غير مباشرة.

(*) منطقة ساحلية بين مدينة القل و جيجل.

(1) أوجين فايست، المصدر السابق، تهميش ص113.

(2) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص ص 114- 115.

(3) قنان جمال، المرجع السابق، ص 339.

(4) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص ص 115- 116.

(5) جعفي زينب، المرجع السابق، ص135.

تاسعا– تحريض المغرب للدرقاوي ضد الجزائر 1805م:

هناك العديد من التحالفات الأجنبية التي انتظمت لضرب إيّالة الجزائر، وبالمقابل عندما فشلت هذه الـ ـــدول في النيل من الجزائر حاولت تأليب الأوضاع الداخلية ضد الحكّام، فتشكيل تحالف مع القوى الداخلية لزعزعة إستقرار الإيّالة زاد أكثر مما سبق، ولعل من أبرز هذه التحالفات في القرن التاســـع عشر خلافا لما ذكرنا في القرن السابع عشر ثورتي ابن الأحرش في الشرق (بايليك الشرق) وابن الشريف الدرقاوي [*] في الغرب الجزائري (بايليك الغرب)، ومن هذا المنطلق سنتطرق لأهم العوامل ومـــراحل ثورة الدرقاوي وحتى نتائجها:

– قيام ثورة ابن الشريف الدرقاوي:

لم تكن أوضاع الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، كما كانت عليه سابقا، فالأوضاع السياسية والإقتصادية كانت تسوء يوما بعد يوم، مما أنتج مناخا ملائما لإشعال الثورات وإعلان التمردات، وعليه نجد أنّ هناك أسباب عديدة لظهور ثورة الـدرقاوي ومـن بينها:

أ– تردّي الأوضاع العامة في الجزائر خاصة في المجالات السياسة، الإقتصادية والاجتماعية.

ب– تراجع عائدات النشاط البحري الذي كان يدرّ أموالا ضخمة للخزينة وبداية العجز في تسديد رواتب الجند.

جـ– سيطرة اليهود على مقاليد تجـــارة الجزائر وظهور شخصيتي بوشناق وباكري وأسرة دوران؛ الذين ورطوا الجـــزائر في مشاكل عدة[1].

د– السياسة الضريبية التي إنتهجها العثمانيون في الجزائر في هذه الفترة[2].

لقد إستطاع الدرقاوي كسب أتباع كُثر بعد أنْ أخذوا عنه الوِرْدَ، وكنتيجة لتجوله في أنحاء الـ ـــغرب الجزائري كان الناس ينظمون إلى طريقته كل يوم، وبالم ـــقابل كان يسمع إلى حديثهم، الذي كان جزء كبير منه يدور حول الشكاوى ضد قبائل المخزن، وعدم قدرتهم على سداد الضرائب المفروضة عليهم[3].

(*) مُحَمَّد بن عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفليتي، ينتسب إلى قبيلة بربرية تدعى كسانة بنواحي وادي العبد بسهل غريس حاليا، تلقى مختلف العلوم بزاوية القيطـــنة (القادرية)، ثم في المغـــرب بزاوية بـــوبريح، إتصل بمـــولاي عبد الله الـدرقاوي، وبعد عودته أسّس الطـــريقة في الجـــزائر. للمزيد ينـــظر: الغالي الغربي، "ثورة ابن الشـــريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن التاسع عشر "، م د ت، عدد 10، جامعة الجزائر، الجزائر 1997م، ص ص59 – 60.

(1) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص127.

(2) الغالي العربي، المرجع السابق، ص 57.

(3) إبن عبد القادري مسلم، المصدر السابق، ص 72.

كان أنصار الشريف الدرقاوي في تزايد مستمر، ويُروى أنّه قد إجـتمعت عنده الغوغاء، وهم م ـــن قوم الأحرار. ولم يهـزل الدرقاوي كذلك حتى أعلن الجهاد ضد العثمانيين بالجزائر وخـاصة ببايليك الغرب الجزائري، وعـليه إشتعلت نار هذه الثورة إذْ إندلعت أول معركة بين الطرفين عندما كان الباي في أحد مهماته قافلا إلى عاصمته؛ حيث وردت عليه أنباء مفادها تمرد المدعو الدرقاوي على طاعته، فقرّر جمع عساكره وقبـائل المخزن وقصد مكان الثائر، كان مكان اللقاء بقرية الفرطاسة الواقعة بين وادي العبد ووادي م ـــينا. ولم نجد تفاصيل تهمنا أكثر عن هذه المعركة، وكل ما عثرنا عليه يفيد بأنّ نتيجتها تمثلت في فرار المخازنية وجيش الباي ، وأما الدرقاوي فقد حقق أولى إنتصاراته عـلى حكومة الجزائر العثمانية[1].

غَنِمَ الدرقاوي محلّة الباي "مصطفى العجمي "(1802- 1805م)، وأسر أعدادا كبيرة من الجند؛ ودخل الباي المنهزم مدينة معسكر يوم 08 ربيع الأول 1219هـ الموافق لـ 1805م. أما الدرقاوي فعاد إلى مرابضه مناديا في الناس أنْ قد أزلت عنكم ظلم الأتراك والذل والضرائب والمكوس فهلموا لمبايعـتنا، وكان له ذلك، حيث اتخذ من معسكر مقرا له[2]. ويذكر أنّه قد إنضمت إليه بعض من قبائل الوسط والغرب، والمخازنية مثل الحشم والغرابة [3].

يعود إنتصار الدرقاوي في أول معركة مع العثمانيين إلى أسباب عديدة، ولعل أهمها الدور المغربي الذي كان مساندا للثائر في إعلان تمرده على السلطة في الج ـــزائر، وهي إحدى المحاولات المغربية اليائسة للدخول إلى الأراضي الجزائرية بواسطة الطرق الصوفية والدرقاوية واحدة منه ا. فابن الشريف كان يأتمر بشيخ هذه الطريقة المغربية . إذن فالثورة الدرقاوية كانت إحدى محاولات سلاطين المغرب لتحقيق مشروعهم التوسيعي على حساب الجزائر منذ زمن بعيد[4].

كان الإنتصار الأول لابن الشريف قد زرع الرعب في أوساط الغرب الجزائري بأكمله، وبعد أنْ جعل من مدينة معسكر عاصمة له؛ فكّـر في السّيطرة على عاصمة البايليك بالغرب مدينة وهران، فسار إليها وكلما مرّ على مضارب قبائل المخزن عمد إلى نهبها. ولما وصل أس ـوار المدينة إمتنعت عليه وهُ ـزم أمام المقاومة العنيفة، وبدأت على إثرها سلسلة المعارك المتفرقة بين الطرفين. وفي تلك الأثناء وصلت أنباء الثورة إلى مدينة الجزائر فبعث الداي بايا ج ـديدا وعددا من العساكر للذود عن وه ـران[5]. هذه المدينة التي حُرّرت للتو من قبضة الإسبان الذين بقوا فيها لأكثر من ثلاثة قرون، ولعـل الثائر ظن أنّها ستفتح له أبوابها ويدخلها مظفرا، ولكن دفاعات المدينة كانت له بالمرصاد.

---

(1) ابن عبد القادر مسلم ، المصدر السابق، ص ص 72 – 73.

(2) الزياني ابن يوسف مُحَمَّد ، المصدر السابق، ص 209.

(3) صحراوي عبد القادر، "ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني "، مجلة الحـوار المتوسطي، العدد 15- 16، جـامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس2017م، ص465.

(4) الغالي الغربي، المرجع السابق، ص58.

(5) ابن عبدالقادر مسلم، المرجع السابق، ص 75.

لما يئس ابن الشريف الدرقاوي من إقتحام مدينة وهران صرف أنظاره عنها وصوبها تجاه مناطق أخرى غيرها ولكّنه قد إصطدم بخصوم آخرين في منطقة البرج، وكان أع ـداؤه إبتداءً من فشل إقتحام وهران يزدادون، وبدأت الأوضاع تتألب عليه، فقد خرج عليه هؤلاء وأشهروا س ـيوفهم ضدّه، حيث ألحقوا به هزيمة نكراء- لم نجد لا مكانها ولا تاريخها- ولم يبق له من مكان يلتجئ إليه إلّا عاصمته مدينة معسكر، إذْ توجه نح ـوها ولكّنه مُنع من دخولها هي كذلك ومرّ بجانبها وكأنّها لم تكن تحت سلطته[1]. بيد أنّ ذلك لم يكن آخر عهد للدرقاوي لإستمرار ثورته.

يُعد تراجع الدرقاوي عن مدينة وهران بداية هزيمته، لقد كانت فترة إنتصاراته قصيرة جدا. وفي تلك الأثناء ظهر جليا الدور المغ ـربي في تحريض هذا الث ـائر ضد حكومة الجزائر، فالدّاي ك ـان قد طلب من سلطان المغرب المولى سليمان(1792- 1822م) وراجيا إيّاه بإرس ـال شيخ الطريقة الدرقاوية لحث الثـائر على الك ـفّ عن ما هو س ـائر عليه[*] ومقبل إليه[2].

نستنتج أنّ للثورة الدرقاوية خيوط تحركها أيادٍ من قبل شيخ الطريقة والسلطان المغربي على حد سواء، تنفيذا لمسعى هؤلاء للإستيلاء على بايليك الغرب، بعد أنْ عجزوا في ذلك بالطرق الأخرى، ومنها الحملات العسكرية المباشرة فالمولى إسماعيل كان قد هُزم كم من مرّة قبل قرن من الزمن تقريبا أمام الجيوش الجزائرية في مواض ـع عديدة قصدها بإيّالة الجزائر وطُرد منها إلى أراضي مملكته.

بعد إمتناع مدينة وهران عن الدرقاوي عين داي الجزائر بايا جديدا وهو "مُحَمَّد بن المقلش"(1805-1808م) خلفا للباي مصطفى نظرا للشجاعة التي إتصف بها[3]. إذْ نجده قد سارع إلى حشد عساكره واستنفار قبائل المخزن لقتال الدرقاوي والقضاء على أتباعه، خاصة بعد أنْ ظهر ضعفه في عدم قدرته على حشد أنصار جدد؛ وبات إح ـرازه لأي إنتصار مستقبلا أمرا مستحيلا. جمع الباي الجديد أهل الدرقاوي وأرسلهم إلى مدينة الجزائر، بيد أنّ الدرقاوي في تلك الأثناء كان يعمل على حشد قوة جديدة من قبائل الصحراء لمواجهة قوة الباي، هذا الأخير على أكثر شك كان بمدينة معسكر ولما سمع بالدرقاوي وأعماله إختلط عليه الأمر، حول الرجوع إلى وهران أو ملاقاة الثائر وقطع دابره ولكنه فضّل ملاقاته خير من الرجوع وترك المجال مفتوحا له، ليعيد الكرّة مرّة أخرى قد تكون نتائجها لصالحه[4].

---

(1) ابن عبدالقادر مسلم، المرجع السابق، ص ص 78-79.

(*) بعد إستفحال ثورة الدرقاوي وعدم كبح جماحه من طرف الملك المغربي، ظهر للباي تواطؤ هذا الأخير مع الثائر ضدّ حكومة الجزائر، لأنّ الملك كان يستطيع أنْ يؤثر في الدررقاوي، ومشاريع المولى سليمان التوسعية على حساب الجزائر ليست جديدة بل كان قد وجه جيشه ضد الجزائر عام 1795م، عندما تخلت له الجزائر عن مدينة وجدة. للمزيد حول الموضوع. ينظر: الزياني أبو القاسم، الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الاسماعيلية، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب ب ت، ص ص242- 244.

(2) الغالي الغربي، المرجع السابق، ص 58.

(3) خوجة حسان، تاريخ بايات وهران، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1634، ص7.

(4) ابن يوسف الزياني مُحَمَّد، المصدر السابق، ص 214- 215.

دارت معارك كبيرة بين القبائل المخزنية والدرقاوي أكثر ما تشبه معارك حروب الإستنزاف. وقد أسفرت في مجملها عن هزيمة الثائر، وعندما نظر إلى أحواله وقلّة من معه حاول التوجه إلى الجنوب لعله يجد السند الذي فقده في الشمال الغربي، إذْ ركز إهتمامه على قبيلة الأحرار التي ساندته أول مرّة، بيد أنّ الأمور قد تغيرت ولم تعد كما كان يحسبها الدرقاوي، فشيوخ هذه القبيلة لما رأت ما حلّ به وما أصبحت عليه قوة العثمانيين والقبائل المخ ـزنية تخلّت عنه ولم تقدم له يد العون حيث أصبح حاله أكثر سوء من ذي قبل.

لم يكن هذا التخلي محبطا لعزيمة الدرقاوي، فقد فكّر في شيخ الزاوية التيجانية بعين ماضي لعلّه يكون سندا له، خاصة وأنّ هذه الطريقة كانت في ضيق شديد من سياسة العثمانيين فيما يتعلق بقضية الضرائب المفروضة عليهم. وما كان عليه إلا أنْ يتوجه إلى عين المكان، حيث يُذكر أنّه إلتقى برجال الطريقة التيجانية وحاورهم فيما هو مقبل عليه غير أنّ هؤلاء رفضوا الإنضمام إليه [1]. وهكذا ضاعت آمال ال ثائر في إيجاد حلفاء جدد يؤازرونه في توجيه ضربة للباي وعلى الرغم من أنّ مشروع الوحدة بين الطرفين قد فشل فنظن أنّ أسباب فشله تعود بالدرجة الأولى إلى شروط التصوف التي لا تسمح بمثل هذا فمن غير الممكن أنْ تُدار زاوية من طرف شيخ آخر يختلف عنها بل لا يمت لها بصلة.

ومهما يكن من أمر الإختلاف بين الطرفين إلا أنّ ابن الشريف كانت جموعه قد تفرقت إلى حين، فالباي مُحَمَّد المقلش كان كلما سمع بأمره أرسل له من يحاربه ويضيق عليه الخناق. وهكذا تشتت جموع الثائرين، وأعاد الباي أمر المخزن إليه وعفى عن الذين سوّلت لهم أنفسهم بمحاربته فالعلاقة بينهما قد توطدت أكثر مما مضى [2]. وبالمقابل لم يزل الدرقاوي يحشد الحشود لمعاودة الكرّة ضد الباي ولم ينس هزيمته وفقدان أهله بالدرجة الأولى.

قصد الثائر قبيلته بني زناسن على الحدود الغربية مع المغرب [3]، إذْ يُذكر أنّه بعث للملك المغربي يبايعه، ولم يكن لوح ـده من حذا هذا المسلك فبعض من أهالي تلمسان رافقوه أيضا، حيث إمتنع عن قبول بيعتهم وقال لهم"..إرجعوا لبلادكم فلا حاجة لي بولايتكم وتوبوا إلى الله..."[4]. وهكذا أصبح أمر الدرقاوي صعبا جدا بعد أنْ ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولم ي ـعد له تأثير على مسرح الأحداث في بايليك الغرب، ولكن ثورته لم تنته إلا مع عام 1816م[*]. وعليه يكون قد بقي أكثر من 15 سنة في حربه ضد السلطة العثمانية حيث أربكها وألّب عليها عناصر أخرى كانت في طاعة عمياء لها، كما كانت لها تأثيرات في تردي الأوضاع وإغتيال الداي "عمر باشا"[5].

---

(1) الغالي الغربي، المرجع السابق، ص 64.

(2) ابن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 221.

(3) الغالي الغربي، المرجع السابق، ص 64.

(4) الزياني أبو القاسم، المصدر السابق، ص245.

(*) هناك رسالة لوكيل الخرج القبطان علي أوضح للسلطان محمود الثاني فيها جرائم الدرقاويين، التي تكون حسب الرسالة قد إمتدت إلى وقت أطول. ينظر: خط همايون، رقم 22547 بتاريخ 1238م، تعريب فكري طونا، علبة 10، الارشيف الوطني الجزائري.

(5) خوجة حسان، المصدر السابق، ص23.

عاشرا– تحالف باي تونس مع باي قسنطينة ضد الجزائر و تداعياته 1222هـ/ 1807م:

اتسمت العلاقات الجزائرية التونسية بالتوتر الكبير خاصة في فترة حكم الباي حمودة باشا الحسيني (1782- 1814م)[1]، و ما زاد من تدهورها هجوم باي قسنطينة عبد الله على عرش أولاد بوغانم التي تقطن الحدود بين الإيّالتين[2]. إستغل الباي التونسي هذه السانحة للقيام بحركة تُنهي تسلط حاكم الجزائر عليه؛ لا سيما أنّ مصطفى انجليز إستنجد به بعد الأمر الصادر بحقه و ابنه علي؛ الأمر الذي يقضي بقتله، نتيجة ارتكاب الأخير لقبيح الأفعال. و مهما يكن فإنّ الباي وجد وسيلة لإعلان الحرب على الجزائر، إذْ أنزله منزلة يسهل السيطرة عليه فيها، مثل ما فعل مع ابن الأحرش من ذي قبل، و حرضه على الثورة و أكد له بأنّه سيكون له خير مُعين لاسترداد مكانته كباي للشرق و بعد ذلك قام حمودة باشا باستشارة مجلس الديوان في أمر إعلان الحرب [3].

عندما طُرحت القضية على الديوان ظهرت آراء مختلفة حول قضية إعلان الحرب من عدمها، فرئيس الكتبة المدعو أبو عبد الله رأى أنّ الحرب لا تجلب سوى الدمار و الخراب و بدل ذلك نواصل دفع الضريبة لحفظ الأمن. و كان هناك رأي آخر تقدم به الوزير صاحب الطابع يتمثل في ضرورة إعلان الحرب و إنهاء مسألة تبعية الجزائر التي لم تجلب سوى الذل و المهانة. [4]. لقد كان للأخير مكانة خاصة لدى الباي، حيث أخذ برأيه و شرع في تجهيز الجيش.

فكر الباي في نقل ميدان الحرب خارج الوطن التونسي عكس المرات السابقة لتلافي خسائر أكثر، لقد كان الطمع في ضم إقليم قسنطينة و نواحيه الواقعة بين الحدود هدفا رئيسيا في سياق توسيع الإيّالة غربا كما كان لملوك المغرب السياسة نفسها، و لعل هذا الباي قد إستفاد منها و إنْ لم يستطع على الأقل يقطع تبعية بلاده لحكام الجزائر. و لم تكن هذه كل الأسباب التي حملت الباي على الإقدام على هذه المجازفة، فالحصول على الغنائم من خيرات شرق الجزائر أثار طمعه بل و حفزته على المضي في مسعاه[5].

كانت أخبار عملية التجهيز و إعداد الجيش قد وصلت لداي الجزائر الذي غضب غضبا شديدا، و لكنه أراد قبل ذلك أنْ يستفز الباي التونسي و يجعله هو من يبادر بالهجوم، فأرسل قطعان من الماشية الجزائرية لبيعها في أسواق تونس، و يُذكر أنّ هذه العملية كانت موجودة من ذي قبل، و حدد ثمنها مسبقا بصيغة صريحة عكس المرات السابقة عند تسويقها، كل هذا من أجل إثارة غضبه و حمله على القيام بأفعال سيدفع ثمنها غاليا [6].

---

(1) رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس1782م–1814م، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980م، ص425.

(2) السلسلة التاريخية، الملف384، الحافظة223، الأرشيف الوطني التونسي، ص104.

(3) ابن المبارك أحمد، تاريخ قسنطينة، تح رابح بونار، د ت، ص 50.

(4) ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، مج2، ج3 ، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس2004م، ص 41.

(5) ابن العنتري مُحَمَّد، مجاعات قسنطينة، تح تق رابح بونار، ش و ن ت، الجزائر1974م، ص 37.

(6) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 123.

بالإضافة لما سبق، فهناك قضية خطيرة كانت قد حملت الباي على الإقدام على الحرب أكثر من أي و قت مضى، وتتمثل في ذلك الإستخفاف وعدم الإعـــتراف من طرف رياس الجزائر بالجوازات التونسية الممنوحة للســـــفن والرعايا من الدول الأجنبية، التي كثيرا ما وقعت في أسر هؤلاء، وقد تعدى الأمر بأنّ الإنجـــليز قد تحاشوا السير بهذه الرخص ما يعني تبعية الجزائر لتونس[1]. لقد كانت طبول الحرب تقرع دون توقف وإندلاعها كان مسألة وقت لا غير.

1- قيام الحرب في سنة 1222هـ/1807م:

أعدّ الباي جيشا كبيرا ونصـــب "أبو الربيع سليـــمان" كاهية الأول قائدا له، وعين "علي بن الحاج مصطفى إنجليز" نائبا له. لقد إكتفى الباي بعناصر الجند الإنكشاري فقط دون غيرهم من العناصر المحلية، على أنّه دعمه بفرق من قبائل المخزن وفرسان من قبيلة دريد ولم يغـفل الباي أمر الحصـــار أو التراجع لذا نجده قد حمل من المؤونة ما يسدُّ بها فترة زمنية طويلة من مختلف الذخائر والمؤن الغذائية وأعلاف الدواب وغيرها.

ولمـا كانت مدينة الكاف هي معبر الجيش الجزائري إلى تونس ســارع الباي إلى تحصينها كما أنّ موقعها في آخر طريقه إلى الجزائر ستكون حتما ملاذه الآمن. ويُـذكر أيضا أنّ فرقا من الجيش قد إلتحقت به يقودها أبو الربيع سليمان كاهية آغا عسكر إقليم باجة الذي كان بصحبته الحاج مصطفى انجليز كدليل له [2]. أما تعداد جنود الجيش كان 20 ألف مقاتل، بيد أنّه هناك من يقول أنّه كان 40 ألفا[4]. والمـلاحظ أنّ الفرق بين الإحصائيتين كبير. هذا عن العدد أما عن العتاد فقد كان مزود بعتاد حربي وأسلـحة هامة كالمدافع، لقد وصل الجيش إلى مشارف مدينة قسنطينة عندها خيّم الجيش بمكان إستراتيجي يُسمى كُدية عاتي وسطح المنصورة الواقعتين في مدخل مدينة قسنطينة من ناحية الجنوب الشرقي[5]. وهي نفسها التي تم من خلالها السيطرة على قسنطينة وضمها لحكم الجزائر في القرن السادس عشر.

لقد كان الباي كله عزم على إلحاق الهزيمة بجيش الجزائر ولا خيـار غير ذلك، في حين أنّه لم يغفل عن قوة هذا الجيش لا سيما أنّ الحروب السابقة كانت لصالحه وآثـارها لا زالت قائمة إلى اليوم. ولم يغـفل أيضا حصانة مدينة قسنطينة، التي كانت تحت إدارة "حسين بن صالح باي" منذ فترة وجيزة فقط [3]، لقد كان لهذا الأخير سطـوة عليه فيما مضى. ، لقد كان ذلك في مطلع سنة 1807م[6].

---

(1) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص410.

(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص ص 41-42.

(3) ابن العنتري محمّد الصالح، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص37.

(4) plantet (Eugène), Correspondance des Beys de Tunis et des consuls de France avec la coure, T3, (1770-1830), paris, ancienne librairie, 1899, p470.

(5) ابن المبارك أحمد، المصدر السابق، ص51.

(6) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص425.

بعد وصول الجيش التونسي إلى مدينة قسنطينة كما أسلفنا، نصب خيامه بالقرب منها ولم يكن ذلك يجدي نفعا فرأى قائده ضرورة فرض الحصار على المدينة لإضعافها. وقد تم ذلك إذْ بقي لمدة ثلاثة أشهر، أما ضواحي المدينة والضيعات التي كانت قريبة منها فقد كانت عرضة لإنتقام هؤلاء، وتعدى الأمر إلى سلب ونهب سكانها [1]، لقد كانت الحالة نفسها التي حدثت قبل أعوام عندما كان الجيش الجزائري محاصرا لمدينة تونس. أما جنود الجيش التونسي فقد سئموا الإنتظار بدل إيجاد خطط لإقتحام المدينة لقد بدا ذلك من قبل قائد فرسان قبيلة دريد. هذا على الرغم من أنّ الباي أرسل فرقا من الجند لمؤازرة القوات المحاصرة. لم يتم أي إشتباك بين القوات المعادية وقوات الباي حسن عدا تلك المناوشات التي أثبتت عدم مجازفة هذه القوات خوفا من مصير مجهول[2].

لقد كانت مدة الحصار طويلة مما تسبب في حرج للقوات المعادية التي بدأت مؤنها الحربية في التناقص ولا أمل يلوح في الأفق القريب للنصر. وبما أنّ الحصار كان طويلا فأخباره لم تجد آذانا صاغية لدى الحكومة الجزائرية إلا فيما بعد. ولما تم ذلك قرر الدّاي إرسال حملة برية ضخمة لنجدة المدينة وأرسل فرقا أخرى عن طريق البحر لمساعدتها تتمثل أساسا في 05 سفن كبيرة تحمل كل منها مدفعين كبيرين وأنطلقت صوب مدينة عنابة أقرب مرسى لمدينة قسنطينة وعندما وصل الجيش هناك تأهب للسير نحو هدفه المنشود وكان على قادته التنسيق مع قائد الجيش البري[3]. أما السكان المحاصرون فقد أظهروا شجاعة كبيرة في الدفاع عنها، بالرغم من شدة القصف التي أحدثت فجوات في الأسوار وهدمت بعض البنايات[4].

وبالمقابل كانت معنويات الجيش التونسي منهارة تماما لذا فقد تماسكه منذ البداية وبدأ قادة القبائل في الإنسحاب الواحد تلوى الآخر. ومن آثار الحصار أيضا فرار حسن بن صالح الذي ترك مقر حكمه متجها إلى الجبال القريبة منه ليتحصن بها خوفا من إقتحام التونسيين للمدينة، التي تركها تواجه الحصار الخانق. ولما إقتربت الحملة البرية من المدينة كادت أن تُهزم أمام الأعداء لولا وصول الفرق الأخرى التي أتت عن طريق البحر. ولما كان هؤلاء على دراية بشعاب المدينة قاموا بحصار الجيش التونسي وتم سحقه من الوهلة الأولى، والإستيلاء على مؤنه وجزء كبير من آلاته الحربية[5]. يذكر أحدهم أنّ إنتصار الجيش التونسي كان محققا لولا جبن بعض القادة العسكريين الذين فضلوا الإنسحاب بدل المواجهة مما تسبب في هزيمة شنعاء لهذا الجيش[6].

---

(1) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص425 – 426.

(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 42.

(3) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 122.

(4) ابن العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص38.

(5) مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر1999م، ص34.

(6) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص425 – 426.

2- معركة سُلاطة 1222هـ/1807م:

غنم الجيش الجزائري جُلّ العتاد الحربي التونسي الذي أفنى الباي حياته في جمعه لمثل هذه المناسبة [1]، ولم يكن العتاد وحده الذي تُرك فقد خلّف الجيش التونسي أيضا وراءه 600 قتيل و 1167 أسيراً [2]. وغادر باتجاه الشرق وعلى إثر ذلك طارد الجيش الجزائري الجيش المنهزم الذي كان يسير بسرعة كبيرة خوفا من مصير آخر مشؤوم. وبقي بمدينة الكاف حسب البعض لعدم قدرته على مواصلة السير، في حين نُقلت أنباء الهزيمة للباي الذي إضطربت أحواله لا سيما أنّه علم بقدوم الجزائريين نحو عاصمة ملكه.

كانت الصدمة كبيرة بيد أنّه سرعان ما تجاوزها وقرر قيادة الجيش بنفسه غير أنّ أحد مقربيه أشار عليه بتنصيب يوسف صاحب الطابع كقائد للجيش بدل المجازفة [3]، وإستطاع في ظرف وجيز إستمالة بعض القبائل مثل المزارقية [*] والوسالتية[4]. وقد تلقى الباي عرضا للصلح من قبل داي الجزائر للعدول عن حالة الحرب، وطاعة الأوامر ودفع ما كان يلزم من الأموال، بيد أنّ ذلك لم ينفع وتجاهل الباي هذا الطلب، وقرر كسر شوكة دايات الجزائر خاصة وأنّها فرصة لا يمكن تفويتها [5]. ويروي الزهار أنّ الدّاي أمر بتجهيز محلة جديدة لتدعيم الجيش بقيادة حسن بن صالح باي[6] الذي تكلمنا عنه سابقا وهنا عملية التجهيز ستستغرق زمنا طويلا لا محال، مما تسمح للباي التونسي بتجهيز نفسه هو كذلك وهو الأمر الذي وقع.

إنه بالنظر لحجم الهزيمة المنكرة ووقعها فإنّ الباي التونسي كان سيقبل بالصلح ولكن عزمه كان أكبر من ذلك لتخطي هزيمة مدينة قسنطينة وبأي ثمن. ويخبرنا القنصل الفرنسي بأنّ السلاح والجند المدرب والمتحمس أيضا كان متوفرا في تونس. ويقول كذلك أنّ الوضع الإقتصادي والعسكري لإيّالة تونس كان وضعا مريحا مما ساعد الباي على تكوين جيش لصدّ الجيش الجزائري المتجه نحو مدينة تونس. ومهما يكن من أمر فقد إستطاع "حمودة باشا" حشد 40 ألف فارس من المخازنية والمزارقية وقبائل أخرى و 17 ألف من المشاة، كان أغلبهم من المحليين وقبائل زواوة زيادة على الجند القائمين على سلاح المدفعية [7].

---

(1) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 426.

(2) Gsell Stéphane, notes chronologiques pour l'histoire de Constantine, R.af, n°39, 1895, p170.

(3) الهويدي سلوى، أعوان الدولة للإيّالة التونسية 1735م- 1814م، مجلة إيبلا، العدد205، تونس2010م، ص54.

(4) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 427.

(*) المحاربون من قبائل الأعراب كانوا يحملون المزاريق، تجندهم الدولة كلما تطلب الأمر. ينظر: حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص132.

(5) ابن العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص39.

(6) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 125.

(7) رشاد الإمام، المرجع السابق، تهميش ص 427.

سار حسن آغا على رأس جيش من مدينة الجزائر، يشد عضد فيالق الجيش المتواجد بمدينة قسنطينة الذي كان تحت إمرة حسن باي، ولما إلتقى الجيشان قطعا الحدود شرقا، في حين كان باي تونس قد أرسل جيشه هو الآخر لملاقاة أعدائه إذْ كان وادي سراط هو مكان إلتقائهما [1]. ولما كان الوادي كبيرا جدا فإنّ النقطة بالضبط التي شهدت المعركة هي سلاطة الواقعة بين مدينة الكاف والحدود الجزائرية، لقد كان الجزائريون يسيرون ببطء الأمر الذي حال دون عبور مدينة الكاف، وقد إشتبك الطرفان في معركة كبيرة درات رحاها في المكان المذكور. ومنذ البداية كان النصر حليف الجزائريين أمّا الجيش التونسي فقد تفرقت جموعه ولكنه لم ينسحب وعمل باي قسنطينة سابق الذكر على رص صفوفه خشية الهزيمة لذا صمدت بعض من فرقه حتى غطى الظلام أرض المعركة وخمدت أصواتها[2].

كان صمود هذه الفرق وبالا على حسن باي الذي إنسحب إلى قسنطينة وترك الجيش بلا قيادة، ولحق به "حسن آغا"، وبات كل شيء على حاله، من الأخبية والخيام وغيرها، أما الجنود فقد قاموا بنهب الأموال ولم يتركوا شيئا[3]. تفطن قائد الجيش التونسي بما كان يجري في صفوف حملة الجزائر، وعندما تأكد من تفرق جموعهم أمر بالهجوم عليها. لقد كانت عملية فرار جماعي من ساحة المعركة عدا الجرحى الذين لم يقدروا على الفرار وبقوا هناك ينتظرون الإسعافات، وبدل ذلك أصبحوا أسرى لدى الأعداء. أما خبر الإنتصار ذاع بسرعة في صفوف التونسيين سواء الجنود أو القبائل التي هاجمت ما خلفه الجزائريون ورائهم، ولما وصلت هذه الأنباء للباي حمودة فرح بها كثيرا. لقد إنقلبت موازين المعركة بسرعة كبيرة وتبقى أسباب ذلك مجهولة في نظرنا، ولما وصل الآغا إلى مدينة قسنطينة ألقى القبض على الباي حسن وتم إيداعه السجن؛ وقد حمّله الأغا مسؤلية الفرار، إذْ راسل الدّاي في الحال وهذا الأخير أمر بالتخلص من الباي ونصب الباي "علي شاوش بدلا عنه"[4].

نستنتج أنّ أسباب هزيمة الجيش الجزائري، تُعزى لفرار حسن بن صالح باي إذْ يقال أنّه كان لا زال شابا وتنقصه الخبرة في مثل هذه المواقف وهذا الأمر لم يفعله المرة الأولى فقد فرّ سابقا عندما ضيق الحصار على مدينة قسنطينة، وحتى آغا العسكر الذي لم يقم بدوره كما ينبغي، وبالمقابل كان الجيش التونسي يتألف من عناصر محلّية التي أبانت إستماتة كبيرة في القتال على عكس الإنكشارية التي ساهمت بتخاذلها في الهزيمة مرات عدة، يضاف إلى ذلك وجود مصطفى إنجليز بين صفوف الجيش التونسي بل من جملة قادته حيث كان أدرى بالجزائريين [5]، الأمر الذي سهل من مهمة الجيش التونسي في تحقيق النصر وبذلك يكون باي الجزائر المخلوع قد إنتقم لنفسه ولولده شرّ إنتقام، فعلى الأقل لم يلاق المصير الذي واجهه باي قسنطينة. إبتداء من هذه اللحظة سيتحرر الباي التونسي نوعا ما وسيغير من طريقة تعامله مع حكام الجزائر.

---

(1) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص125.

(2) حسن عبد الوهاب حسني، المرجع السابق، ص ص132 - 133.

(3) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص125.

(4) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص49.

(5) رشاد الإمام، المصدر السابق، ص429.

3- نتائجها:

كان للمعركة نتائج كثيرة وهامة ومن بيـــنها نذكر:

أ- هزيمة الجيش الجزائري وخسارته للعتاد الحربي، ومختلف المؤن التي نُهبت من طرف الأعراب وجنود المحـــلة التونسيـــة ولم يبق منها شيء وهي التي جمعت بشق الأنفس بالجزائر.

ب- مقتل أكثر من 2000 جندي جزائري، وأسر 800، على الأرجح أطلق سراحهم فيما بعد[1].

جـ- قتل حسن باي بايليك الشرق الجزائري الذي وُصف بالجبان[2]، من طرف الآغا حسن قائد الجيش بعد وشـــايته لداي الجزائر محملا إياه أسباب الهزيمة وإتهمه بالخيانة[3].

د- إعتلاء علي شاوش منصب البايليكية خلفا لحسن باي.

هـ- إزدياد نفوذ الباي التونسي الذي تخطى هذه المحنة. وقضائه على ثورة الإنكشارية فيما بعد[4].

و- نهاية تبعية إيّالة تونس للجزائر وقطع دفع ما عليها من الأموال[5].

ي- مقتل داي الجزائر "أحمد باشا" بعد ثورة الإنكشارية بمدينة الجزائر.

ن- تجدد الحرب بين الإيّالتين في منتصف سنة 1808م في محاولة جزائرية للي ذراع الباي التونسي[6].

لم تدم الأمور طويلا لدى الباي التونسي وجيشه طويلا، فقد مرت بسرعة كالريح المرسلة، فداي الجزائر الجديد عزم على تحقيق نصر على تونس ليعوض محلته وينتقم لجنوده الذين قضي عليهم في المعـــركة، ولم يكن هذا فـحسب بل الأكثر من ذلك الحصول على الأموال التي كانت تونس تدفعها لهم كل سنة. والدّاي لم يكن ليغـفل عن هذا الأمر فالحرب هي الحل للخروج من هذا الوضع الصعب وإخضاع هذا الباي بات قضية أساسية. لقد كانت نفسية الجنود تتوق خوض هذه الحرب فحماستهم كانت تشتد يوما بعد يوم لإعادة تبعية تونس للجزائر. كما كانت أنفسهم تتوق لجمع الغنائم أيضا، والثورة التي كانت قد أودت بالدّاي أحمد تدلّ على ذلك وما ينتظر الدّاي علي هو إرضاء هذا الجند برفع مرتباته ومكافآته، و إلا سيكون مصيره القتل كسلفه.

---

(1) السلسلة التاريخية، الملف384، المصدر السابق، ص 104.

(2) ابن العنتري مُحَمَّد الصالح، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص39.

(3) الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 125.

(4) حسن عبد الوهاب حسني، المرجع السابق، ص132.

(5) عميراوي أحميدة، علاقات بايليك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، ب د ن، ب ت، ص45.

(6) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 50.

لم تكن تلك كل النتائج التي عقبت إنهزام الجيش، وبعيدا عن شنّ حرب جديدة على التونسيين فقد حدثت فتنة في بايليك الشرق كادت أنْ تعصف بحكم الباي، إذْ كان أحد الجنود العثمانيين قد هرب قبل سنوات عندما غرقت محلّة الباي عثمان بوادي الزهور وبقي في حمـــاية القبائل الناحية، وعندما شاع خبره أرسل الدّاي في طلبه وبعد أنْ أعطاه الأمان، وكلفه برئاسة عسكر المحلة، وفي طريقه إلى قسنطينة عندما وصل وادي الرمل؛ عمد إلى قتل آغا العسكر والباي معا، وفكر في إعتلاء منصب الدّاي وفي سبيل ذلك منح مكافأة مالية للجنود الذين ساعدوه على فعلته، وعيّن واحدا من مقربيه بايا على قسنطينة وهو "أحمد طوبال"، وهمّ في تنفيذ مسعاه على رأس جيش الشرق بقسنطينة متوجها نحو مدينة الجزائر للفتك بالدّاي، بيد أنّ هذا الأخير وصلته الأخبـــار عما عزم عليه هذا الثائر و استعد للأمر حيث بعث إلى أحمد طوبال يخبره بتولّيته بايا على الشرق ويأمره بقتل "أحمد شاوش" المدعو القبائلي صاحب الفتنة ولما أصبح طوبال في منصبه رسميا دأب على تنفيذ مطلب الدّاي وإنطلق وراءه إذْ لحق به ببرج حمزه و فتـــك به وقاد المحلة بنفسـه وعليه إنتهت هذه الثورة[1].

أورد صاحب الحوليـات التونسية في شأن هذه الأزمة بأنّها كانت فرصة أسالت لعاب باي تونس ورأى فيها إمكانية لضم إقليم قسنطيـنة، لقد كان هذا الباي مستخفا بقوة إيّالة الجزائـــر بعد الإنتصار المزعوم الذي حققه في العام الماضي. إذْ يذكر أنّ علي باي قسنطيـــنة أرسل إلى أحمد شاوش وأعـطاه الأمان للإستفادة من خبرته؛ وكان بينهما صداقة عندما عَمِلَا مع بعضهما لوقت طويل فيما مضى، كما وعده بالتوسط لدى داي الجزائر لتعيينه في منصب هام [2] على الأرجح يكون حكم البايليك الأمر الذي فتح باب الطمع لدى هذا الثائر.

وصلت أخبار لصاحب التمرد من المدينة تفيد بأنّ صاحبه قُبض عليه، وفي تلك الأثناء كان الباي بالمسجد فقام أحمد شاوش باستمالة مجموعة من العسكر وأعطاهم مالا كثيرا، ودخل بهم إلى المسجد ولمّا رآهم الباي شك في آغا عسكره، فبادر بإطـــلاق النار عليه ولكنّه أخطأه، وعليه قام الآغا وصوب نحو الباي بندقـــيته فأرداه قتيلا.

وبذلك إستغل المتمرد أحمد شاوش الوضع وقضى على آغا العسكر، ونصب نفسه مكان الباي.

تولى هذا الثائر الحكم فترة قصيرة كباي للشرق مابين 1807م و 1808 م[3]، راسل خلالها الوزير التونسي يوسف صاحب الطابع، عندما كان متواجدا بمحلته بمدينة الكاف ينظم شؤونها خشية تجدد الحرب، حيث عرض عليه الصلح وإقامة تحالف عسكري يدرأ بواسطته الخطر عن الإيّالتين حسب زعمه، وكأنّه في منصب الدّاي أو هو مستقل بحكمه ولكن صاحب الطابع إعتذر لكون الأمر ليس من إختصاصه، وراسل الأخير حمودة باشا للنظر في الأمر، إلاّ أنّ الباي رفض لكونه يشك في نوايا الباي الجديد لبايليك قسنطينة[4]. ونجد أنّ النتيجة واحدة لهذه الفتنة وهي مقـتل الدّاي أحـــمد باشا، من طـــرف الإنكشـــــارية، واعتـــــــلاء "عـــلي باشا الغسال" للحكم، في رمضان من عـام 1223هـ/1808م- 1809م[5]. فهل سيستطيع الدّاي الجديد مواجهة أعدائه في الخارج ليضمن إستمراره في الحكم؟

---

(1) خوجة حمدان، مذكرات...، المصدر السابق، ص 36.
(2) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص ص286 -287.
(3) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص214.
(4) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص ص286 -287.
(5) هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 127.

الفصـــــل السادس

حملات التحالف ضد الإيّالة

ما بين سنتي

1229– 1246 هـ

1814– 1830 م

عناصـــــــر الفصــل

- تمهيد.

أولا- التحالف الأوربي في مؤتمر فيّينا ضد الجزائر 1229هـ/ 1814- 1815م.

ثانيا- حمــلة التحــالف الصلـيبي بقيـادة إكسماوث و فـــان كابلـــن ضـد الإيّالة 1231هـ/ 1816.

ثالثا – مـؤتمــر إكـس لاشـابيل و التـآمر على الجـــــزائر 1233هـ/ 1818م.

رابعا- المشروع الفرنسي المصري لضرب الجزائر1245- 1246هـ/ 182-1830م.

خامسا- التحــالف المسيـحي في مــوقعة نافـارين ضـد الـدولة العثمــانية و الجزائر 1242هـ/ 1827م.

سادسا- التحــالف الـــدولي بقيـــادة دي بـــــرمون لغـــزو الجـــــــــزائر عام1830م.

تُعد نهاية الصراع الجزائري الإسباني الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، بداية عهد جديد بالنسبة للجزائر على مستوى علاقاتها الخارجية، هذا الصراع الذي أنهك قوة الإيّالة واستنفذ الكثير من مواردها بل وع ـطل مصالحها كم من مرّة، ودفع حكام الجزائر ثمـــنا باهضا في سبيل الدفاع عن أمنها وحرماتها، وما إحتلال مدينة وهران والمرسى الكبير إلا مثال واحدا على ذلك، لقد حَرَمَهَا هذا الإحتلال من موارد مالية لا يمكن تقديرها بأي حال من الأحوال ولو لم يك ـن كذلك فلم إذًا تمسكت بهما إسبانيا إلى آخر لحظة، ولم ت ـفرط فيهما إلّا بعد أنْ ضاقت بها السبل ولم تج ـد من حلّ للحصول على خيرات الجزائر إلا بالتخلي عنهما، عندما تيقنت من إصرار حكّام الجزائر على عدم ربط علاقات معها ما دامت تحتل جزءا من أراضيها.

لم تكن إسبانيا تتوقع المنحى الجديد لعلاقات الجزائر بعد طي صفحة الصراع، فثَم أمور لم تحسبها جيدا، لقد كانت المنافسة على أشدّها بين الدول الأورب ـية للظفر بخيرات البلاد الجزائرية، خاصة وأنّ الث ـــورة الصناعية كانت قد بدأت مظاهراها تتجسد على أرض ال ـــواقع وما تتـطلبه الحاجة إلى مواد أولية وأسواق خ ـارجية لتصريف فائض المنتوجات، كما أنّ القضية التي لم تحسبها كذلك هي أنّ هذه ال ـدول كانت تدفع الأموال لصالح الخزينة الجزائرية مقابل الحماية وإس ـبانيا لم تكن كذلك؛ لأنّ سفن بحريتها كانت صيدا ثمينا لرياس البحر الجزائريين، ومن بين هذه الـدول هولندا والدانمارك والس ـويد وممالك أخرى. وظهور منافس جديد كان يدعو حتما هذه الدول لإعادة حساباتها فإنجلترا لم تكن لتظفر بإمتيازات من شأنها إعطاء نفس جديد للإقتصاد الإنجليزي لا سيما في هذه الفترة، لو لم تكن العلاقات بين الجزائر وفرنسا متوترة، بل تصل إلى حد القطيعة فهذه الدولة كان قناصلتها يتمتعون بحظوة كبيرة لدى دايات الجزائر وكانوا يمثلون وسطاء في ال ـــكثير من القضايا التي تخص بعض الدول الأوربية، في حين كانت فرنسا تضع يدها على أهم الإمتيازات الممنوحة للأجانب.

ثم إنّ إستقلال الولايات المتحدة الأمريكة عن إنجلترا وتطلعها إلى بعث تجارتها الخارجية التي تقتضي شق عباب الأطلسي والمتوسط معا فقد إصطدمت مصالحها بمصالح الدولة الأم بالنسبة لها وهي إنجلترا، كما أنّ هذه الفترة شهدت عودة البحرية الجزائرية إلى مجدها بظهور الريّس حميدو، الأمر الذي زاد من متاعب هذه الدولة الفتية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي وما كان عـليها إلا الرضوخ لشروط دايات الجزائر التي قضت بدفع مبالغ مالية معتبرة في سبيل أمن سفنها في هذا المجال البحري الحيوي. بيد أنّ هذه الظروف التي كانت في الظاهر لصالح إيّالة الجزائر فإن ال ـواقع يثبت عكس ذلك تماما، ولعـل أهم ظرف ألقى بضلاله على مستقبل إيّالة الجزائر هو الثورة الفرنسية، هذا الحدث الذي كانت له تداعيات لعقود من الزمن كان قد أيقظ الروح الصليبية من جديد بعد أنْ تحركت الروح الوطنية الأوربية عندما ألغى نابليون بونابارت الحدود السياسية والجغرافية لهذه القارة، ما جع ـل قادتها بعد الإنتصار على نابليون يفكّرون في حلّ المشكلة التي طالما أرهقتهم بوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية كخطوة أولى وثانية لإنهاء وجود الإيّالة في حد ذاتها عندما إرتسمت المعالم الأولى للإستعمار الأوربي الحديث.

أولا– التحالف الأوربي في مؤتمر فيّينا ضد الجزائر 1229هـ/ 1814– 1815م:

توصلت جلّ الدول الأوربية مع نهاية القرن الثامن عشر، إلى عقد إتفاق مع دايات الجزائر لحماية سفنها مقابل أموال تدفعها، وكانت الـولايات المتحدة الأم ـريكية هي الأخرى قد دخلت في سلام مع الجزائر بمقتضى إتفاق عقد في غضون شهر سبتمبر من عام 1795م[1]. وكنا سبق وأشرنا إلى أنّها أقرت بدفع الأموال للجزائر، لقد كانت هذه الأموال تضاهي ما كان الجزائريون يغنمونه من النشاط البحري، حيث يكونون قد وفّروا الجهد على أنفسهم بدل التعرض لأخطار جسيمة خاصة بعد أنْ ظهر الفرق جليا بين البحرية الجزائرية والبحرية الأوربية[2].

لم تدم هذه الحالة طويلا فال ـدول الأوربية لم تكن راضية تمام الرضى بهذه الأموال التي كانت تدفعها لإيّالة الجزائر، فهي كانت في أمس الحاجة إليها، خاصة بالنسبة لفرنسا التي كانت تمر بفترة عصيبة في إطار الثورة الفرنسية وما نتج عنها من حروب نابليون الأول. والحقيقة أنّها لم تكن تدفع شيئا بل كانت قد إستفادت من أموال خزينة الجزائر آنذاك كما كانت الإستفادة من حبوبها وخيراتها، وهي التي لم تلبث أنْ أع ـادت التفكير في إح ـتلال الج ـزائر. وعلى أيّة حال فإنّ حروب نابليون بونابرت كانت قد أشغلت أوربا عن قضية الجزائر لبعض الوقت ليس إلا، كما أشغلت فرنسا قرابة عقد و يزيد من الزمن، غير أنّه بعد هذه الفترة بالذات وعندما إلتأم شمل الأوربيين في مؤتمر فيّينا ظهرت قضية الجزائر مجددا على طاولة مفاوضات المؤتمرين الأوربيين[3].

عُقد مؤتمر فيّينا إنطلاقا من شهر سبتمبر 1814م، إلى غاية شهر جوان 1815م، للنظر في أوضاع أوربا وإعادة رسم الخارطة الجيوسياسية لها، كما كانت عليه قبل حروب نابليون. ومن الم ـلفات الحساسة التي نوقشت في المؤتمر تجارة الرقيق وقضية الح ـدود بين الكيانات السياسية الأوربية، حيث سعى كل طرف على هامش المؤتمر إلى تقديم ملاحظات هامة بشأن ما أسموه قضية القرصنة التي يمارسها الجزائريون خاصة والإيّالات المغاربية عامة[4].

وهكذا أدار حك ـام أوربا وساستها وحتى قـادتها العسكريون ظهورهم للجزائر، متناسين لتلك الإتفاقيات التي كانت تربطهم بها، حيث نلاحظ أنّهم وجدوا فرصة لا يمكن تفويتها للتخلص من دفع الأموال لصالح خزينة الجزائر وذلك بضرب إستقرارها وبالتالي القـضاء على سيطرتها على البحر المتوسط، وفي أثناء تلك المناقشات قُدمت عدة تقارير بهذا الشأن ولعل من أهم ما قُدم من توصيات تلك التي قدمها أحد الإنجليز.

---

(1) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص136.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص413.

(3) عبد العظيم رمضان، تاريخ أوربا والعالم من ظهور البرجوازية إلى الحرب الباردة، ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر 1997م، ص ص15–18.

(4) هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية الأوربية و نهاية الإيّالة 1815–1830م، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2007م، ص12.

1- مذكرة سيدني سميث لمؤتمر فيّينا بخصوص الجزائر1814م:

تُعد مذكّرة سيدني سميث [*] من أهم المذكرات التي تم مناقشتها في مؤتمر فيّينا في الجزء المتعلق بالأمور الخارجية التي تخص القارة، ولعلها أُدرجت في قضية الأسرى المسيحيين الذين كانوا يُؤسرون من طرف بحارة البلدان المغاربية والأموال التي كانت تجنى من ذلك. ومن جملة ما أوصى به هو ضرورة إيجاد الوسائل الكفيلة لإجتثاث ما أسموه بأعمال القرصنة في البلدان البربرية ويقصد المغاربية عندما كتب عن الحلف الذي يجب تأسيسه بقوله"... أنْ يتعهدوا بموجب إتفاقية بأنْ يقدموا فرقا عسكرية من قواتهم البحرية دون أنْ تعرقل أيّة راية... ودون أنْ ترتبط بالحروب أو بالأزمات السياسية للأمم تتولى بصورة دائمة حراسة سواحل المتوسط وتعتني بمراقبة وتوقيف وملاحقة جميع القراصنة في البر والبحر، إنّ هذه السلطة المعترف بها والمحمية من طرف كافة الدول الأوربـــية لا تعيد إلى التجارة أمنها فحسب، لكنها ستقضي إلى تمدين السواحل الإفريقية بمنع السكان من مواصلة القرصنة على حساب صناعتهم ... وستبدأ هذه القوة الحـ ـامية والعـتيدة بحصار مشدد على القوات البحرية التابعة للقراصنة البرابرة حيث وجدت وبالتزامن مع ذلك ينبغي على سـ ـفراء جميع ملوك دول المسيحية أنْ يساندوا بعضهم البعض بتبليغ الباب العالي العثماني بأنّه لا يمكنه التملص من مسؤولية الأعمال العدوانية التي يقوم بها رعاياه، إذا تمادى في السماح إلى دولته بتوظيف العساكر في إفريقيا..."[(1)].

كان هذا الإنجليزي متعصبا لذاته ولم يستطع الإيقاع بالقضية الجزائرية إلا في هذا المجمع الأوربي بالطريقة التي سردها وأوضحها في مذكرته. في حين أنّ أوربا لا زالت تلملم جراحها من جراء الحروب باحثة عن سبيل الإستقرار ملقية باللائمة على فرنسا لكونها المتسبب في المأساة، وكأنّه كان يريد تصدير مشاكل أوربا إلى الخارج، وعلى ما يبدوا أنّه قد نجح في هذا الصدد حاليا بتأسيسه لجمعية الفرسان المحررين للرقيق الأبيض في إفريقيا التي بدأت نشاطها في غضون عام 1815م[(2)]. أمّا على المدى البعيد فقد نجح أيضا في لفت إنتباه قادة أوربا لحجم المخاطر التي باتت تشكلها البحرية المغاربية[(**)].

(*) من أصل إنجليزي ولد عام 1771م، بوود فور بإنجلترا أسس مجلة إيد نبرج ريفيو(review Edinburgh) سنة 1802م، وساهم فيها لمدة 25 سنة، عمل ضمن جيش إنجلترا في حربها ضد نابليون 1798م، من أهم ما قام به تسليم مذكرة خاصة بالجزائر لمؤتمر فيّينا في 31 أوت 1814م. ينظر: تابست علي، "مذكرة سيدني سميث ضد النشاط البحري لدول الغرب"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، جامعة الجزائر، الجزائر 1993م، ص167.

(1) المرجع نفسه، ص ص 176 -171.

(2) هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 12.

(**) خيّمت على الجو العام للمؤتمرين قضية فرنسا لأنّها القضية الجوهرية، وراحت كل دولة تعـ ـطي رأيها في مستقبل أوربا وما سـ ـتكون عليه، إذْ ظهرت تيارات متباينة حولها وكانت الولايات المتحدة الأمريكية حاضرة وبقوة في المـ ـؤتمر تدافع عن مصالحها، الأمر الذي سيفرض معادلة جديدة للقوى على الساحتين المتوسطية و الأطلسية لا محالة في المستقبل القريب. للمزيد حول الموضوع ينظر:

Pradt (M), the Congress of Vienna,V1, PHiladelphia, published BY-M .Carey, U S A 1816, pp211-215.

لم يكن الإنجليزي سيدني سميث الذي قدّم مذكرة خاصة بالمسألة الجزائرية وحيدا في هذا الإتجاه، فقد ظهرت مطالب أخرى تصب في الإتجاه نفسه ، تتمثل في محاولة فرسان القديس يوحنا بمالطا، عندما طالبوا المؤتمرين بإعادة بناء مراكزهم بشمال إفريقيا، كما ألحّوا في مطلبهم على ضرورة إعادة تأسيس النظام القديم للفرسان [*] وإيجاد مقر دائم لهم على سواحل المتوسط[**]، ليكون نقطة إنطلاق الأساطيل المسيحية لمحاربة المسلمين[1].

وعل ـيه تكون كل هذه المذكرات موجهة ضد الجزائر، ولكن ثمة عوامل لم تؤد إلى إتخاذ خطوات حاسمة كما دعت إليها المذكرات السابقة في هذا المحفل الدولي، لأنّ أكبر قوتين مسيطرتين تقريبا على البحر المتوسط إلى زمن غير بعيد هما فرنسا وإنجلترا مع أواخر القرن 18م، ولم يتغير شيئا في السّـنوات الأولى للقرن 19م، ما عدا بالنسبة لفرنسا فهاتين الدولتين لم تكونا ترغبان في إبطال عمليات النشاط البحري الجزائري لأنّ ذلك من شأنه أنْ يخلّ بنظام مبدأ توازن القوى التي طالما تمسكت بها إنجلترا مثل ما حدث بينهما في مصر.

يَروي لنا جون وولف بأنّ الدولتين كانتا لا تكترثان كثيرا لتلك العمليات البحرية غير الكبيرة التي كانت تطال رعاياهم وسفنهم في عرض المتوسط، بل كانتا سعيدتين وراضيتين تماما من أسر الجزائريين لسفن ورعايا الدول الصغيرة في المتوسط[2]. بيد أنّ المنافسة بين القوتين هي من أطالت عمر المشروع المسيحي ولم يبعث للحياة مجددا في هذه الفت ـــرة ومباشرة بعد نهاية المؤتمر أو قريبا من نهايته كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد تخلصت من عبئ الأموال التي كانت تؤديها بانتظام لدايات الجزائر.

وهكذا تجسدت الفكرة لدى الإنجليز بأنْ يقوموا بشيء مماثل تجاه الجزائر لاسيما أنّ فرنسا لا زالت تئن تحت حطام حروب نابليون، فقد وجهت حملة في العام الموالي إشترك فيها الأسطول الهولندي ببعض الق ـــطع ولكـن هذا التصرف كان يدلّ على عدم التفاهم بين القوى الأوربية التي تضاربت مصالحها واختلفت مقاصدها في مؤتمر فيّينا، ليس بالنسبة لقضية الجزائر بل لقضايا أوربا نفسها، مما يوضح عدم جدوى تكوين حلف مسيحي ضد الجزائر في القريب العاجل. ولكن قضية القرصنة التي أثيرت في فيّينا كانت قد تجددت في إيكس لاشابيل.

(*) يعود تواجد هذه الفئة من الفرسان في مالطة إلى سنة 1535م، عندما منحهم الإمبراطور شارل الخامس حق الإقامة فيها على الرغم من صعوبة العيش فيها لقلة مواردها، إلا أنّها تكتسب موقعا إستراتيجيا حصينا تسهل عمليات القرصنة فيه ضد البحرية العثمانية، وكذا قربها من البلاد المسيحية حيث مقر البابا في حين كانت صعبة المنال على العثمانيين. ينظر: الباروني مُحَمَّد عمر، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، طرابلس 1952م، ص84.

(**) كانت أصوات المؤتمرين تتعالى يوما بعد يوم أثناء الأيام التي قضاها المؤتمرون بين أخذ ورد في إقامة أنظمة تتماشى والوضع الجديد ولما حانت فرصة ممثلي جزيرة مالطا التي أُدرجت مع قضية البرتغال، كان هؤلاء يدافعون وبشدة على النظام السياسي لهذه الجزيرة، إذْ تم توضيح بأنّهما الدولتين الأكثر تضررا من الحروب النابليونية، وطالبوا باعادة بناء هذا النظام الذي سيكفل تدعيم البحرية المالطـية التي يمثلها الفرسان موضحين أهميته فيما يخص محاربة ما أسموه القرصنة الاسلامية للدول المغاربية ومحطة للمسافرين من الغرب إلى الشرق، لقد أراد هؤلاء جعل مالطة ميناءً كبيرا للتجارة على غرار ميناء كروفو اليوناني قبالة البحر الأدرياتيكي. للمزيد حول الموضوع. ينظر: Pradt(M), Op, Cit, p p 175-176.

(1) حنفي هلايلي، العلاقات الجزائرية، المرجع السابق، ص 12.

(2) وولف جون، المرجع السابق، ص 429.

2- موقف الدولة العثمانية من قرارات مؤتمر فيّينا 1815م:

خَلُص مؤتمر فيّينا بشأن القضية الجزائرية إلى إجراء مفاده التحرك العاجل لإجبار الإيّالات المغاربية على الكفّ عن أعمال القرصنة، وعليه تم عقد مؤتمر لا يقل أهمية عن المؤتمر الكبير بفيّينا، إذْ إلتأم شمل بعض القادة الأوربيين ممن يتلهفون لاستئصال شأفة الجزائر بمدينة لندن الإنجليزية مع مطلع عام 1816م، وضم خلافا للدولة المستضيفة للمؤتمر كل من هولندا وفرنسا وبعض من الدويلات الإيطالية[1]. ولم تكن فرنسا راضية على إنعقاد هذا المؤتمر لأنّ نتيجته في الأخير كانت واضحة لها تماما، لذا فموقفها كان الرفض التام للتحرك الإنجليزي ضد الجزائر وإيّالات شمال إفريقيا، بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك خوفا من وقوع هذه المناطق في دائرة النفوذ الإنجليزي، حيث كانت تفضل بقاء عمليات النهب والسلب ضد السفن المسيحية على الهيمنة الإنجليزية على المتوسط[2].

ولما كانت الجزائر في نكد وضيق شديدين حاول البـاب العالي أنْ يُثبت وجوده كمدافع عن ولاياته المغاربية فالعلاقات الجزائرية العثمانية عادت إلى طبيعتها بعد مقتل "الداي الحاج علي" و تولي "عمر باشا" الحكم[3].كما أوفد مبعوثا يدعى "أحمد آغا" إلى حكام الإيّالات المغاربية يحثهم على عدم التعرض لسفن الدول الصديقة بأي سوء، لذا فقد كان موقف العثمانيين، من قرارات مؤتمر فيّينا رافضا لها لكونه تدخلا سافرا في شؤونها الداخلية كما زاد خوفها من إنعقاد المؤتمر الأخير في مدينة لندن [4]، وعليه نجد أنّ السلطان العثماني "محمود الثاني" (1808 - 1839م)،كان قد بعث برسالة إلى الداي عمر داي الجزائر يخبره فيها بعزم الدول المجتمعة في المؤتمر المذكور على مهاجمة الجزائر، وقد إستقى السلطان العثماني هذه المعلومات من الصحف والجرائد الصادرة أنذاك، كما ذكر أنّ الفلامينك كانوا يضربون عليها حصارا[5]. إنّ الحصار الذي ورد في هذه الوثيقة يكون على الأرجح هو التهديدات التي كان يقوم بها الأميرال "فان كابلن" ضد الجزائر ومن ثَمَ إنضم إلى الأسطول الإنجليزي عندما قدم للمرة الثانية وضرب مدينة الجزائر. وما يجب ذكره أنّ الباب العالي طالب الإيّالات المغاربية بضرورة عدم التعرض للسفن الروسية بعد الشكوى التي رفعتها له هذه الدولة في هذه الفترة[6].

---

(1) هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 13.

(2) عبد الجليل التميمي، بحوث وثائق التاريخ المغربي، تونى الجزائر ليبيا، 1816- 1871م، ط1، الدار التونسية للنشر،تونس 1997م، ص 238.

(3) خط همايون، رقم 22518 بتاريخ 1230هـ، تعريب فكري طونا، علبة 7، الارشيف الوطني الجزائري.

(4) هلايلي حنفي، المرجع السابق، ص 14.

(5) خط همايون، رقم19090، بتاريخ 1231هـ، تعريب فكري طونا، علبة 8، الارشيف الوطني الجزائري.

(6) مجهول، مكاتبات بين دايات الجزائر و الباب العالي، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم A-MSS-03180، ورقة6.

ثانيا– حملة التحالف الصليبي بقيادة إكسماوث وفان كابلن ضد الإيّالة 1231هـ/ 1816م:

بدت هناك حالة من اللّإستقرار السياسي في خضم الأحداث الخطيرة التي عرفتها الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، فبعد حكم "الداي الحاج" علي عام 1815م، الذي أُغتيل وخلفه "الحاج مُحَمَّد"، هذا الأخير لم يصمد في منصبه إلا أياما قلائل حتى أُغتيل هو الآخر ليخلفه آغا الفرسان عمر باشا (*). صادف حكم الداي عمر إنعقاد مؤتمر فيّينا الذي شجب أعمال البحرية الجزائرية والمغاربية. و إنطلاقا من هذه الأحداث كانت الأمور توحي بتنافس خفي لإنهاء عقود طويلة من السّيطرة الجزائرية على الحوض الغربي للمتوسط، إذْ ح ـدث وأنْ ظ ـهر تحالف جديد لإلحاق الضرر بالإيّالة، لقد تزعمت إنجلترا هذا الهجوم وجرّت إلى صفها الهولنديين مغتنمة بذلك التهميش الأوربي لفرنسا.

1– أسباب الحملة: هناك أسباب كثيرة لحملة التحالف الصليبي بقيادة إكسماوث وفان كابلن وهي لم تكن وليدة عام 1816م، بل كانت نتيجة ترسبات عدة سنذكر منها:

أ– قرار مؤتمر فيّينا الذي كلف إنجلترا بدراسة أمر البحرية المغاربية في مؤتمر دولي يعقد بعد مؤتمر فيّينا للنظر في القضية.

ب– تقديم تقرير أسود حول البحرية الجزائرية إلى المؤتمرين في فيّينا من طرف الإنجليزي سيدني سميث والذي ش ـرح فيه ما ألحقته البحرية المغاربة بالتجارة الأوربية والخطوات التي يجب إتخاذها للحد من نشاطها[1].

جـ– وصول الأسطول الإنجليزي بقيادة إكسماوث إلى ميناء الجزائر يتكون من 25 قطعة منها 6 حربية، من أجل عقد السلم بين الجزائر ومملكتي سردينيا ونابولي وقد تم فعلا، ثم مغادرته إلى تونس وعودته بقوات حربية أخرى، وأشترط على الدّاي شروطا أخرى فأجابه الداي بأنّه لا يمكن البث في مثل هذه المسائل إلا بالرجوع إلى الدولة العثمانية، وكان ذلك يستغرق ستة أشهر، مما أدى باللورد إلى تهديد الداي (2). وعليه وُجدت في وثيقة مؤرخة في عام 1816م، تثبت أنّ داي الجزائر كان يريد الصلح مع الإنجليز والهولنديين، ولكنهم لم يأبهوا بما أجابهم به الداي بل تعجلوا الأمر وعادوا إلى مياه الجزائر مرة أخرى للإيقاع بها[3].

د– إنعقاد مؤتمر لندن في 1816[4] بمشاركة إنجلترا وهولندا وفرنسا وال ـدويلات الإيطالية، حيث تمّ الإقرار بتكوين أسطول مشترك لضرب الإيّالات المغاربية، غير أنّ فرنسا رفضت هذا الإقتراح من أساسه وهي التي كانت تـفضل القرصنة المغاربية على أنْ يصبح البحر المتوسط بحيرة إنجليزية، وبالتالي ضياع مصالحها وآمالها في السّيطرة عليه[5].

---

(1) تابسبت علي، المرجع السابق، ص167 – 172.

(2) شالر ويليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816–1824م، تعريب العربي اسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م، ص 150 – 153.

(3) خط همايون، رقم 22486 بتاريخ1231م، تعريب فكري طونا، علبة 8، الارشيف الوطني الجزائري.

(4) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص 150.

(5) هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية...، ص ص 13– 14.

هـ- تحررت الولايات المتحدة الأمريكية من الإتاوات التي كانت تدفعها لإيّالة الجزائر، بعد قتلها للرّيس حميدو في جوان 1815م[1]، ولعل هذا ما شجع أوربا إلى المضي قدما في تنفيذ مسع اها الرامي إلى القضاء على البحرية المغاربية، إذْ بعثت هولندا أسطولها لتجديد المعاهدة، حيث رفضت من طرف الداي عم ـــر، أمّا إنجلترا فكان أسطولها يتجول في المتوسط مستعرضا قواه وهو ما أزعج الداي[2].

و- إعتماد إتفاقية غانت (Ghanet) بين الولايات المتحدة وإنجلترا في 24 ديسمبر1814م، التي ألغت حالة الحرب وبالتالي التفرغ لأي عمل ضد الجزائر من الطرفين [3]. ولم تكن الج ـــزائر لوحدها مستهدفة بل كلّ شمال إفريقيا وعلى الخصوص الإيّالات المغاربية.

ز- تهديد إكسماوث للدّاي؛ فما كان على الأخير إلا أنْ أمر بحبس القنصل الإنجليزي بمنزله، كما أمر باعتقال جميع الإنجليز بوهران وعنابة. فضلا عن الخاضعين لهم من الكورسيكيين والإيطاليين حيث حدثت مشادات قُتل على إثرها عدد من الأجانب، الأمر الذي إعتبرته إنجلترا سببا مباشرا لإعلان الحرب[4].

ح- إتهام أوربا للإنجليز بعد عودة إكسماوث إلى بلاده بالتحيز والعمل لصالحها الخاص، دون النظر في الأمور التي تعني القارة الأوربية، مما جعلها تفكر في إعادة الكرّة على الجزائر بعد الإتفاق مع الأسطول الهولندي لفرض شروط قاسية على الجزائر ومشرفة لها على عكس ما تم الإتفاق عليه سابقا[5].

ط- ورد في تقرير الحاج عبد الله إلى الباب العالي" .. أنّه عندما إقترب اللورد إكسماوث من ميناء الجزائر أرسل مبعوثا إلى الباشا يخبره بأنّه يريد إفتداء أسرى سردينيا لأنّهم يعتبرون رعايا إنجليز...، وإذا وافق ح ـاكم الجزائر على ذلك فإنّه مستعد أنْ يدفع مقابل كل رأس من هؤلاء الأسرى البالغ عددهم 50 ألف أسير[*]، وقد وافق الباشا على الإقتراح الذي عرضه عليه إكسماوث، إلا أنّ القائد الإنجليزي طلب أيضا من الباشا أنْ يط ـــلق سراح الأسرى النابوليتانيين البالغ عددهم 1200أسيرا، وقد ع ـــرض القائد على البـــاشا ألف رِيال مقابل كل رأس إلا أنّ الباشا لم يستجب لهذا الطلب.."، وبقيت الأمور على ما كانت[6].

---

(1) دوفو ألبير، الريس حميدو، تعريب محمّد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ب ت، ص 90.

(2) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص 149 – 150.

(3) وولف جون، المرجع السابق، ص 444.

(4) شالر وليام، المصدر السابق، ص 154.

(5) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص 154.

(*) حسب وثيقة دفتر خط همايون فإنّ التقرير الذي تم رفعه إلى الباب العالي يثبت بأنّ تلك المساومات حول تحرير الأسرى ما كانت سوى خدعة وإنّ أمر نقض العهد وتبييت النية للإنتقام كان دون شك لمباغتة الدفاعات الجزائرية و إشعال الحرب والدليل على ذلك أنّه منحهم ساعة واحدة للرد على مطالبه. ينظر: خط همايون رقم 22486، المصدر السابق.

(6) هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص25.

لم يكن الإصرار الإنجليزي على ضرب البحرية الجزائرية وتدميرها من طرف واحد، بل كان إصرارا أوربيا بالدرجة الأولى، إلّا الفرنسيون فقد تنكروا لذلك خشية ضياع مصالحهم. ولكن ما يجب توضيحه أنّ الإنجليز لم يكونوا المتضررين بالدرجة الأولى من أعمال البحرية الجزائرية فلديهم عدد قليل من الأسرى كما أنّ السفن الجزائرية لم تأسر لهم ولا سفينة واحدة منذ 1693م حتى تاريخ 1815م، ماعدا تلك الحالات الفردية التي لا تمت بصلة للسلطة. وبالمقابل فإنّ الفرنسيين كانوا قد إستولوا على ما يقارب 25 ألف سفينة تجارية إنجليزية في الفترة نفسها [1]. والملاحظ أنّ هذا العدد مبالغ فيه، ومهما يكن من أمر فمن يا ترى تلصق به تسمية القراصنة الجزائريين أم الفرنسيين؟ فالأسباب المتوفرة لشنّ الحملة ليست مقنعة بالحدة التي تمّ بها تنفيذها والنتائج التي أسفرت عنها.

بعد تلك الإتهامات التي كادتها أوربا لإنجلترا بشأن الإتفاق الذي عقده إكسماوث مع داي الجزائر قررت هذه الدولة تدمير قوة الجزائر أو الحصول على ترضيات بالشروط التي تضعها، وعليه عاد هذا الأميرال إلى الجزائر بصحبة أمير بحر آخر كان من دولة هولندا التي كانت تريد بدورها إعادة النظر في الإتفاقية مع حكومة الجزائر هي أيضا. ولم تكن هذه الهجمات دون تنسيق مسبق أو علم مسبق كذلك بتحصينات الجزائر فقائدي الأسطول الصليبي كانا على دراية تامة بدفاعات الجزائر من خلال معلومات كان قد زوداها بها النقيب "وورد" (Ward) والضابط "زيقل" (Ziewgeli)[2]. فداي الجزائر كان على علم بما يخطط له المسيحيون ، والأسطول الإنجليزي منذ مدة كان يجوب البحر المتوسط يترصد السفن الجزائرية، ويكون الدّاي قد علم ذلك من مخبريه حيث يظهر ذلك جليا في الرسالة التي بعث بها إلى السلطان العثماني المؤرخة في 05 رجب 1231هـ الموافق لـ 01 جوان 1816م، تفيد بأخبار الحـملة " .. لقد علم أوجاقنا من مالطا أنّ الدول المسيحية قد تحالفت على إنشاء أسطول مشترك بينها، وقوة مدفعية لمحاربتنا ومن الواضح أنّهم يضمرون لنا النوايا السيئة.." [3]. بعد توكيل مهمة النيل من الجزائر للأميرال نفسه يكون الأسطول قد غادر مياه ميناء بليموث(Blymonth) يوم 28جويلية 1816م نحو مضيق جبل طارق حيـــث إنضم إليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فان كابلن (Van de Capellen) [4]. وعدد من المراكب الحربية[5].

إنطلاقا من مضيق جبل طارق غير بعيد عن الحدود الغربية لإيّالة الجزائر، يكون خطر هذا التحالف الصليبي قد إقترب ولكن حتما لن تكون المفاوضات مثل المرة السابقة، بل ستكون ردا لشرف إنجلترا الذي ضاع بين حكام أوربا أو ضاع في الجزائر قبيل شهرين، ومهما يكن من أمر فإنّ مسيرة هذا الأسطول الضخم كان تقريبا شهرا كاملا، فقد حلّ قبالة سواحل مدينة الجزائر يوم 27 أوت من العام نفسه[6].

---

(1) مروش لمنور، المرجع السابق، ص 480.

(2) التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق، المرجع السابق، ص 238.

(3) هلايلي حنفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 27.

(4) المرجع نفسه، ص 26.

(5) شالر وليام، المرجع السابق، ص 155.

(6) التميمي عبد الجليل، بحوث و وثائق، المرجع السابق، ص 239.

كنّا قد تكلمنا عن الأسطول الإنجليزي وما يجب أنْ نوضحه هو عدد البوارج الحربية التي أقلعت من ميناء بليموث وما كانت تحمله من ذخائر حربية، كما أنّ هناك مسـألة أخرى هي تاريخ حلول الأسطول بميناء الجزائر فهو تاريخ مختلف فيه؛ إذْ هناك من يورد بأنّ وصوله إلى ميناء الجزائر كان يوم 15 أوت 1816م[1]، وهناك من يُبين التاريخ السابق. ومهما يكن من أمر فإنّ عدد البوارج الحربية التي يتشكل منها الأسطول كانت 40 بارجة حربية كل واحدة منها ذات 100 مدفع[2]، وعليه يكون الأسطول المشترك عند إضـافة المراكب الهولندية الستة وبعض الزوارق الحربية الإنجليزية المرابطة بمضيق جبل طارق وبهذا فإنّ العدد قد فاق 30 سفينة حربية وهي إحصائية مقاربة للإحصائية الأولى. أمّا بالنسبة للمدافع التي كان مزودا بها الأسطول الحربي المشترك فقد كانت كثيرة جدا إذْ بلغ عددها 450 مدفعا من عيار 32ملم[3]. وهذه القوة كانت كبيرة إذا ما قورنت بدفاعات المدينة لأنّ مدافع التحصينات بالمدينة ليست مثل المحمولة على ظهر البوارج الحربية.

بعد حلول هذه القوة أمام مدينة الجزائر كان الأميرال الإنجليزي قد بعث بسفينة إلى داخل الميناء تحمل مفاوضا مزودا بشروط أهمها إلغاء الرّق والقرصنة، وقد أعطى للداي مهلة ساعة واحدة للردّ على مقترحاته[4]. مع العلم بأنّها كانت تحمل العلم الأبيض[5]، رمز السلام. وعلى ما يبدوا أنّها كانت مجرد خدعة إبتكرها اللورد إكسماوث. بينما يورد بعض المؤرخين أنّه أعطاه مهلة نصف يوم، في تلك الأثناء وقبل الإنتهاء من الردّ الذي كان الرفض القاطع لشروط الأميرال، كانت بوارج الأسطول قد توغلت في مياه الميناء واتخذت مواقعها للقصف. نستنتج من خلال الإختلاف الواضح في مهلة الردّ على الشروط، أنّ مهلة الساعة الواحدة أرجح والدليل على ذلك بداية القصف مباشرة بعد إنتهائها، في حين إذا كانت المهلة نصف يوم ربما كان الأميرال يود إشغال الداي بالتفكير ليباغت الجزائريين بالقصف.

إختلفت الكتابات أيضا حول مسألة بداية القصف هل بدأه الإنجليز أم الجزائريون، ولكن على الأرجح فإنّ الإنجليز هم من بدأ بقصف المدينة وتحصيناتها والدليل على ذلك إقترابهم من حصون المدينة قبل إنتهاء المدة الزمنية المحددة للردّ على شروطهم. وبالمقابل يقول جون وولف بأنّ أحدا ما أمر مدفعية الرصيف بإطلاق النار، وعليه بدأ الإنجليز بالقصف حتى أُخمد مصدر إطلاق النار[6]. ولكن النتيجة كانت واحدة وهي دمار وخراب مديـنة الجزائر وعقد صلح مجحف كان الدّاي قد أُضطر لقبوله.

---

(1) هلايلي حنفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص27.

(2) التنلاني عبد الرحمن بن إدريس، رحلة عبد الرحمن بن إدريس التنلاني إلى ثغر الجزائر(رحلات جزائرية)، تح قيق شترة خير الدين، دار كردادة بوسعادة، الجزائر2015م، ص ص468- 470.

(3)Belhamissi (Moulay), Marine et Marins d'Alger..., p66.

(4) شالر وليام، المرجع السابق، ص 156.

(5) هلايلي حنفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص27.

(6) وولف جون، المرجع السابق، ص445.

2 – قصف المدينة:

بعد عملية القصف التي دامت 11 ساعـــة و 23 دقيقة[1]، كان الداي قد أرسل إلى السلطان العثماني أنــذاك يخبره بمجريات الإعتـداء وهذا قوله"... لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت إحدى عشر ساعة وثلاث وعشرين دقيقة، أحرقت خلالها كل بواخرنا وسفن تجارتنا، ولم ننم دقيقة واحدة، إذْ أخذت تتهاطل علينا في كل لحظة سيــلا وافرا من القنابل الصغيرة والكبيرة الح ـــجم بحيث أنّ تحصيـــناتنا وميناءنا قد تحطمت خ ـــلال ظرف ساعة واحدة...."[2].

كان قصفا شديدا يدلّ على روح الإنتقام العالية التي أتى بها الإنجليز، وأول ما بدأ بقصفه هو ساقية الماء التي كانت تزود المدينة[3]. وأنّه لم يكن في نيتهم أبدا عقد السلام فالكثير ممن كتب عن هذه المأساة يقول بأنّ العلم الأبيض الذي إستعمله إكسماوث لم يكن سوى خدعة لتضليل الجزائريين. كما تدلّ عليه المهلة التي أعطيت للداي من أجل الردّ على الشروط التي جاؤوا بها.

أقلّ ما يوصف به القصف أنّه كان مروعا للغاية، إذ قُذفت مدينة الجزائر بعدد كبير من القنابل، حيث يقول أحدهم بأنّ عددها بلغ 980 قنبلة نارية، أما الكرات الحديدية مختلفة الأحجام التي أمطرت بها المدينة فقدرت بنصف مليون كرة[4]. وهو رقم كبير جدا إذا ما قورن بالمدة الزمنية التي تم فيها القصف الذي بدأ من منتصف النهار إلى منتصف الليل تقريبا[5].

ومما يجب الإشارة إليه أنّ الداي عمر قد أشرف بنفسه على عمليات الدفاع عن المدينة، وهو الذي كان يشاهد المعركة من أمكنة تعد خطرا على حياته، كما أنّه كان قد رمى بالمدفعية كم من مرة بنفسه، ولم يقف موقف المتفرج، بل حاول جاهـــدا النيل من الأعداء، بيد أنّ شدة القصف التي بدأها هؤلاء جعلت من الداي يتأكد من عدم جدوى المقاومة وإهدار المزيد من الطاقات، وعليه بادر بقبول شروط المعتدين، إذْ يقال أنّه كان بسبب ترجي بعض مقربيه وقادة جيشه[6]. وهكذا إنتهى هذا اليوم العصيب من تاريخ الجزائر، إلا أنّ ما لحق بالمدينة وأهلها لم يكن من السهل محو آثاره الكبيرة، أو حتى نسيانه.

---

(1) Belhamissi (Moulay), Op, Cit, p74.

(2) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص 240.

(3) التنلاني عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 474.

(4) De Grammont(H-D), Histoire d'Alger..., p378.

(5) التنلاني عبد الرحمن، المصدر السابق، ص474.

(6) شالر وليام، المصدر السابق، ص 166.

3- نتائج الحملة:

كانت للحملة نتائج وخيمة جدا على مدينة الجزائر وحتى على ربوع الإيّالة ومست ـــقبلها، وقبل الخوض في النتائج يجب أنْ نعرض فحوى الإتفاقية التي تمت بين الطرفين وشروط السلم المجحفة التي وافق علـــيها الدّاي مضطرا.

- شروط السلام المفروض:

قَبِل الدّاي عمر بـــشروط الأميرال إكسماوث تحت ضغط قادة جيشة ومقربيه، كما أنّ هول الدمار الذي حلّ بالمدينة لم يدع له من سبيل للمناورة. وما يؤسف له حقا أنّ الداي لم يكن يعلم بأنّ ذخائر الأعداء قد إنتهت ولم يعد بوسعهم معاودة القصف مرة ثانية [1]. وهنا كان الداي في قرارة نفسه لا يريد عقد هذه الإتفاقية المهينة بل من كان معه هم من أوصلوه إلى هذا المأزق الخطير، فالداي مشهود له بالحنكة والف ـطنة فقد قضى على أكبر تمرد هدد مدينة الجزائر من ناحية البر قبل ثلاث سنوات حين كان على رأس الجيش، فهل يعقل أنْ يستسلم بهذه السهولة. لقد كان الداي قد أمر بحمل القنصل إلى السجن مكبلا بالأغلال، حيث يقول وليام شالر بأنّ هذا الإجراء قد كان لفائدة القنصل وأنجاه من الموت المحقق [2]. ومهما يكن من أمر فإنّ الإتفاقية قد تمّ الإمضاء عليها يـــوم 22 أوت 1816م و كان سفير السويد هو مبعوث الداي إلى الإنجليز [3]. ومن بين شروط الإتفاقية نذكر:

أ- إلغاء الرق ونظامه وإطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين بمختلف جنسياتهم.

ب- دفع تكاليف الحملة التي قدرت بـ 500 ألف فرنك مع إعتذار الداي علانية للقنصل الإنجليزي [4].

د- السماح للإنجليز وحلفائهم بشراء الحبوب من موانئ وهران وعنابة شريطة عدم وجود وساطة حكّام الجزائر في عملية الشراء بينهم وبين المنتجين [5].

هـ- إلغاء الهدايا التي يقدمها القنصل للدّاي .

و - عقد الصلح مع هولندا بالشروط نفسها التي تتم مع الإنجليز [6].

كانت هذه الشروط مبالغ فيها و قاسية جدا على الداي و على مستقبل إيّالة الجزائر أيضا، وفي ظـــل هذه الأوضاع لم تكن الجزائر القدرة على تسديدها.

---

(1) وولف جون، المرجع السابق، ص 446.

(2) شالر وليام، المصدر السابق، ص 166.

(3) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص609.

(4) هلايلي حنفي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 29.

(5) التنلاني عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 477.

(6) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص 610.

بلغ عدد القتلى الجزائريين حوالي 300 قتيل، أما الإنجليز والهولنديون فقد كان عدد قتلاهم وجرحاهم 3000 شخص، من بينهم 10قباطنة[1]. ويهودنا دوغرامونت بإحصائية أخرى إذْ يقول بأنّ عدد قتلى الجزائريين كان 500 قتيل أما الإنجليز والهولنديون فقد بلغت خسائرهم في الأرواح 833 قتيل[2]. ويورد القنصل الأمريكي شالر رقما آخر و هو 600 قتيل و جريح جزائري و138 قتيل و90 جريحا إنجليزيا و 13 قتيلا و 25 جريحا هولنديا[3].

نلاحظ أنّ الإحصاءات جد متفاوتة بين المصادر المحلية والأجنبية، وعلى أيّة حال فإنّ المصـــادر التي تعد شاهد عيان غير متوفرة، حتى الإنجليز لم يعطوا العدد الحقيقي لقتلاهم وقتلى الهولنديين، أمّا الجزائريين فتكاد تكون أعداد قتلاهم متقاربة بين المصادر المحلية والأجنبية. ومن النتائج الأخرى نذكر:

أ– تحطم كل قطع البحرية الجزائرية التي كانت راسية بالميناء وعددها 14 سفينة كبيرة و 13 أخرى مختلفة؛ إختفى أثرها كلـــية[4].

ب– تضرر الميناء وحصون المدينة وأبراجها ومخازن البارود والأسلحة ومباني المدينة[5].

جـ – تقدر الخسائر المادية التي تعرضت لها الإيّالة بـ مليون و 15 ألف جنية إسترليني[6].

د– إطلاق سراح الأسرى المسيحيين حيث قّدر عددهم بـــ 1200 أسير، من دول أوربية مختلفة وقـــد قدرت فديتهم بمليوني فرنك فرنسي[7].

هـ– حدوث إضطرابات في مدينة الجزائر نتيجة الدمار الذي حلّ بالمدينة، ولكن ال ـــدّاي كان قد سارع إلى ثكنات الجيش ليوضح لهم الأمر، فقد كان يعلم علم اليقين بالمصير الذي ينتظره وعليه فقد طيب من خواط ـــرهم وحثهم على ضرورة تجاوز هذه المحنة العصيبة وع ـــدم التجاوب مع تلك الأصوات المتعالية ضده. كما أنّه قام بتوزيع بعض الأموال عليهم ومنه تفادى كارثة أخرى لا تقل شؤما من كارثة الإنجليز[8].

و– بقاء الإنجليز يتغنون بهذا الإنتصار المزعوم؛ لقد حدث هذا في إفريقيا عندما سُئل أحد رحالتهم[9].

---

(1) خطر همايون رقم 22486، المصدر السابق.

(2) De Grammont(H-D), Histoire d'Alger..., p363.

(3) شالر وليام، المصدر السابق، ص 292 – 312.

(4) التنلاني عبد الحمن، المصدر السابق، ص475.

(5) هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص 31.

(6) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، تهميش ص 241.

(7) المرجع نفسه، ص 240.

(8) شالر وليام، المصدر السابق، ص 167– 168.

(9) كلابرتون ودنهام، رحلة لإستكشاف إفريقيا، ترجمة عبد الرزاق إبراهيم، ج2، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2003م، ص ص195– 196.

ثالثا – مؤتمر إكس لاشابيل والتآمر على الجزائر 1233هـ/ 1818م:

طُرحت قضية الجزائر في المحافل الدولية م ـــرة أخرى بعد أنْ أشار لها وأكد عليـها الإنجليزي سيدني سميث في مؤتمر فيّينا، ومرورا بمؤتمر لندن وما إنجـر عنه من توجيه حملة للتحالف الصليبي الإنجليزي الهولندي على المدينة في جويلية 1816م، على الرغم من عدم الإجماع الأوربي، فقد جاء الدور هذه المرة لنقاش القضية كأمر رئيسي وليس ثانويا في مدينة إكس لاشابيل الألمانية عام 1818م.

قبل الخوض في مجريات المؤتمر يجب علينا أنْ نوضح حالة الجزائر قبيل إنعقاد المؤتمر لإرتباطها بنتائج الحملة السابقة، فالأوربيون كانوا على علم بما جرى في الجزائر من خلال جواسيسهم وأعينهم، فهذا قنصل ف ـرنسا يراسل وزير الخارجية عن شخصية داي الجزائر عمر باشا (1815 -1817م)[*]. بقوله"... إستطاع أنْ يتحكم في زمام أمور الإيّالة المتفاقمة و إعادة ربط علاقات متينة مع الباب العالي، فضلا على أنّه طلب أعدادا من الجند وق ـــهر العرب الثائرة ضد حكمه، كما طلب أيضا التسلح للوقوف في وجه أي خطر داهم [1]. كانت مجهودات الداي ع ـــمر باشا قد أفنتها بالكامل الحملة الإنجليزية في عام1816م، ودفـع مقابل ذلك غاليا لقد دفع حياته نتيجة خطأ لم يرتكبه. ولمـا إعتلى الداي علي الحكم كان قد قتل من الإنكشارية ألفا ومائتين و شرد ونفى أعدادا لا تقل عنها[2].

وهكذا بدت الأمور واضحة لدى الأوربيين عن حالة الج ـــزائر وهي الأوضاع التي شجعتهم على الخوض في سبيل ضرب إستقرار الإيّالة، ولكن الشيء الجدير بالذكر والذي كان ضـــرورة ملحة للقيام به في هذه الفترة بالذات بل كان هدف قادة أوربا، هو منع سفن الج ـــــزائر من التحرك بعد أنْ ظهرت كالمعتاد، عكس ما توقع هؤلاء تماما من نهاية البحرية الجزائرية، فلم تلبث الجزائر أنْ أعادت بناء أسطولها من جديد وفي وقت قياسي جدا، فبعد ثلاثة أشهر فقط على النـكبة التي حلّت بالأسطول الجزائري كانت ستة سفن جزائرية تجوب البحر إنطلاقا من ميناء مدينة الجزائر كما دُعمت البحرية بقطع أُهديت لهم من طرف السلطان العثماني وإيّالة طرابلس الغرب، وعليه أصـبح أسطول الجزائر أكثر قوة من ذي قبل[3]، إنّ هذه القوة البحرية أعادت طرح القضية الجزائرية في مؤتمر إكس لاشابيل عام 1818م.

(*) تولى الداي عمر عرش إيّالة الجزائر في زمن عصيب جدا، فقد كانت المحن المتوالية المشهد العام الذي طبع مناحي الحياة فيها داخليا وخارجيا، إنطلاقا من إنتشار المجاعة والأوبئة، إلى مقتل الرّيس حميدو ثم تحطم الأسطول في هجوم إكسماوث، بيد أنّه إستطاع بكل حزم مواجهة هذه الصعاب وحافظ على تماسك الإيّالة فترة قاربت السنتين. للمزيد حول الموضوع. ينظر:

عطية مُحَمَّد، "محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815-1817 ومواقفه منها"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، العدد 13، الجزائر 2017م، ص ص299-317.

(1) التميمي عبد الجليل ، المرجع السابق، ص 237.

(2) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص 116.

(3) التميمي عبد الجليل، المرجع السابق، ص 240- 241.

أُفتتحت أشغال مؤتمر إكس لاشابيل في سبتمبر 1818م، بإحدى مناطق ضاحية واستفاليا بـألمانيا، للفصل في قضية فرنسا التي تعود إلى قرارات مؤتمر فيّينا قبل ثلاث سنوات قد خلت [1]. وعلى الرغم من أنّ المؤتمر لم يكن موجها لإثارة مشكل البحرية الجزائرية والمغاربية عموما فإنّ القضية الجزائرية كانت حاضرة بقوة كذلك، ففي هذه الفترة تعرضت سفينة فرنسية تسمى الحظ السعيد (la fortuné) في مياه مدينة عنـــابة لهجوم جزائري عنيف كان قد أسفر على تحطيمهما بالكامل وأسر طاقمها [2]. مما جعل فرنـسا أكثر تحمسا للإنتقام بعد سحب القوات الأجنبية من أراضيها إيذانا بنهاية العقوبات المفروضة عليها وعودتها إلى النسق السياسي الدولي إبتداءا من 09 أكتـــوبر1818م[3].

كان مؤتمر إكس لاشابيل آخر مؤتمر يناقش قضية البحرية المغاربية، وعلى هذا الأساس توصل أعضاء الحلف المسيحي بما فيهم فرنسا إلى إتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من النشاط البحري للجزائر، حيث أصدروا مرسوما تم التوقيع عليه في 20 نوفمبر1818م، ومـــن أهم ما جاء فيه "..إتفق المفاوضون طبقا لنص بروتوكولي على أنْ يواصلوا في المؤتمر الوزاري الذي عُقد في لندن النظر في المقترحات لإلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية (المغربية) بطريقة فعالة..وقد طلبوا إلى مندوبي بريطانيا وفرنسا بوصفهما ممثلين للبلاطين الذين يجب أنْ تكون لنفوذهما ثقل أكبر لدى هذه ال ـقرصنة التي تقلق التجارة السليمة التي ستكون له آثار تجعل الإيّالات المغاربية أنْ تفكر عاجلا في نتائجه التي قد تمس وجودها نفسه وتحتفظ البلاطات الخمس بحقها في تح .ذير الباب العالي أيضا كضرورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الإيّالات المغربية نتيجة إستمرارها في ممارسة القرصنة من حيث أنّها ستكون سببا في قيام الدول الأوربية بإتخاذ إجراءات ردعية حاسمة[4]، تتمثل هذه الإجراءات في إستعمال القوة إنْ اقتضى الأ مر ضد الإيّالات المغاربية إذا لم تكف عن ملاحقة سفن الـــدول الأوربية التجارية.."[5]. يظهر أنّ إنجلترا كانت متحمسة أكثر من أي وقت مضـــى وأكـثر من الدول الأوربية الأخرى لإنهاء سيادة البحرية الجزائرية ليس في المتوسط فحسب بل حتى في عرض مياه الأطلسي إنطلاقا من إنتصارها المزعوم قبل سنتين، ولن تتوقف هذه الدولة عند هذا الحد بل ستبقى تتبع هذا النهج لسنوات قادمة.

بعد هذا الإتفاق كان لزاما على الدول الموقعة عليه بضرورة أنْ تبلغ الداي حسين بقراراتها، وعليه ت ـوجه أسطول مشترك فرنسي إنجليزي في غ ـضون عام 1819م، نحو مدينة الجزائر للغرض نفسه، كانت هذه القوة البحرية بقيادة الأميرالين الإنجليزي "توماس فريماتسل"(T-Fremant) و"جورديان دي لاغرافيير " (G-la gravier)، حين وصلا إلى مدينة الجزائر مع مطلع شهر سبتمبر 1819[6].

---

(1) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر(1815 – 1919م)، دار المعرفة الجامعية، مصر 2000، ص 50.

(2) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، ص125.)

(3) De Pradt (M) , Europe after the congress of AIX-LA-CHapelle forming the Sequel to the congress of Vienna, PHiladelphia, published BY-M .Carey, U S A1820, p216.

(4) هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص16.

(5) خط همايون، رقم 49039 بتاريخ 1235م، تعريب فكري طونا، علبة 9، الارشيف الوطني الجزائري.

(6) شارل وليام، المصدر السابق، ص 323 – 324.

رسا الأسطول المشترك الفرنسي الإنجليزي بميناء الجزائر [*]، وعـلى إثر ذلك إستقبل الداي حسين باشا الوفد في يومي 5 و 9 من الشهر نفسه، حيث تعرف على القرارات التي إتخذتها الدول الأوربية بتوجيه إنذار شديد اللهجة للبلدان المغاربية تحثها فيه على ضرورة التخلي عن أعمال القرصنة. بعد تلك المحادثات غير المضنية التي جمعت الطرفين، أجاب الداي عن إنشغالات الأوربيين بقوله أنّه لا يخضع لأوامر ملوك وأم ـراء أوربا وزاد على ذلك بأنّ دولته حـرة في محاربة من تشاء وتسالم من تشاء، كما أكد للوفد بأنّه سيواصل عملية تفتيش جميع السفن الأجنبية دون إستثناء[1].

وهكذا تحول الداي من مأمور إلى آمر من خلال رده على الإتهامات الأوربية، مما جعله يظهر وكأنه في موضع قوة، إذْ بادر في هذا الصدد إلى توجيه إنذار لجميع القن ـاصل الأوربيين المعتمدين في الجزائر بعدم التهاون في دفع المستحقات التي عليهم، وأنّهم إذا تخلو عن ذلك فسيكونون أعداء يجوز محاربتهم وكإجراء وقائي دعا الداي جميع الرياس وربابنة السفن الجزائرية إلى ضرورة تكثيف عمليات النشاط البحري وعدم الإنصياع لهذه الأوامر السخيفة[2].

يذكر أنّ الداي كان قد أبلغ هو كذلك الوفد بأنّه لا يسمح للقوى الأوربية بتفتيش السفن الجزائرية التي ليست لها علاقات طيبة معها، وبعـد إنتهاء المحادثات أقلع الأسطول المشترك خاوي الوفاض غير مأسوف عنه. و لم تكن مهمته هذه موجهة للجزائر فقط بل للإيالتين الأخرتين كذلك طرابلس الغرب وتونس، عندما غادر الأسطول نحوهما و قد نجح في مهمته وأبلغهما التهديد الأوربي [3]. نلاحظ أنّ الباب العالي كان قد إستجاب لقرارات المؤتمر، من خلال ضغط السلطان العثماني على الداي حسين داي الجزائر للكف عن هذه الأعمال، مؤكدا له بأنّها منافية لتعاليم الشريعة الإسلامية وأمره بضرورة الإمتثال لأوامره ونواهيه [4]. تجدر الإشارة إلى أنّ إجتماع السفراء في لندن كان قد إنفض دون نتيجة خاصة وأنّ السفراء الآخرين قد تحججوا بأنّهم لا يملكون تفويضا من دولهم للبت في هذه المسألة[5].

يعتبر هذا التهديد هو آخر تهديد للدول الأوربية قبل المشروع الفرنسي الذي تجدد بعد حادثة المروحة المزعومة وعلى أيّة حال فإنّ إنجلترا كذلك هي الأخرى لازالت تتمنى الإيقاع بالجزائر، إنّ هذا العمل الفردي لكلتا الدولتين يفسر الخلفية التي أتى بها الأسطول المشترك والتي تنبئ بوجود خلافات خفية بين الدولتين، فكل واحدة منهما تريد السّيطرة على الجزائر بنفسها، في حين أنّ أوضاع الجزائر كانت تسير في الإتجاه غير الصحيح، فالموراد المالية كانت قد شحت كثيرا، مما سيعرض وضعها للخطر لا محال.

(*) بالموازاة مع ذلك أبلغت حكومة الباب العالي بالأمر نفسه وطُلب منها التوسط كما طلب من ذي قبل من طرف قناصلة كل من روسيا وإنجلترا وبروسيا.للمزيد ينظر الملحق رقم18.

(1) هلايلي حنفي، المرجع السابق، ص 17.

(2) محمّد العربي الزبيري، التجارة الخارجية لشرق الجزائر قبل الإحتلال (1792 – 1830م)، ش و ن ت، الجزائر 1972م، ص42.

(3) بوعزيز يحي، علاقات ...، المرجع السابق، ص 125.

(4) مروش لمنور، المرجع السابق، ص 418.

(5) خط همايون، رقم 41196 بتاريخ 1235م، تعريب فكري طونا، علبة 9، الارشيف الوطني الجزائري.

رابعا- المشروع الفرنسي المصري لضرب الجزائر1245- 1246هـ/ 1829-1830م:

تعود جذور المشروع الفرنسي المصري القاضي بتوجيه حملة على الجزائر إلى بضع سنوات قبل الإحتلال، ولم يكّن هذا المشروع هو المشروع الفرنسي الإستعماري الأول ضد الجزائر، فهناك محاولات قديمة لهذه الدولة كانت ترمي من خلالها إلى إحتلال الجزائر، والمشاريع تختلف عن الحملات، لأنّه هناك فرق بين الإثنين وكلاهما له هدف واحد غير أنّ المشروع أكبر بكثير من شنّ حملة عسكرية لكسر شوكة الجزائر.

وبالبنسبة للحملات فإنّها تعود إلى النصف الثاني من القرن 13م في عهد "لويس التاسع"، هذا الأخير كان ينوي إحتلال شمال إفريقيا بعد سقوط الدولة الموحدية، وحالة اللّاإستقرار التي عمّت بعدها، مما فسح المجال لهؤلاء لتنفيذ مخططاتهم الإستعمارية، أما المش ـاريع الفرنسية الكبرى لإحتلال الجزائر تعود أساسا إلى أواخر القرن الثامن عشر وبالضبط لسنة 1791م[1]. في هذه السنة أعادت فرنسا تفكيرها الجدي لإعداد مشاريع إستعمارية ضد الجزائر. لقد ظهرت الرغبة الملحّة لفرنسا في فترة كانت فيها العلاقات الإسبانية الجزائرية قد بلغت درجة الإستقرار ونهاية التوتر، مما يوحي بوجود منافس قـوي لفرنسا على مصالحها بالجزائر، إذْ تمكنت الجزائر من إعادة تحرير وهران والمرسى الكبير من الإحتلال الإسباني في أواخر عام 1791م، ومـا تترتب عليه من عقد إتفاقية بهذا الشأن فضلا عن مستقبل العلاقات بين البلدين، فيما يخص المبادلات التجارية خاصة [2]. لقد كانت بحق قضية الإمتيازات تؤرق الفرنسيين كلما عقدت الجزائر إتفاقية من هذا النوع مع الدول الأوربية.

رُصد المشروع الإستعماري الفرنسي في خضم الأحداث الأولية للثورة الفرنسية، وما آلت إل ـيه الأوضاع بالخصوص العسكرية وما إنجر عن ذلك على مستوى العلاقات الخارجية، وفي هذا الإطار كانت فرنسا تسعى جاهدة لتحسين علاقاتها مع الجزائر، لعلها تكسب طرفا يقف معها في محنتها ضد القوى الأوربية الناقمة على ما يجري، لأنّ النار التي إشتعل أوارها في فرنسا ستحرق حتما الأخضر واليابس في أوربا، ولن تبقى إلا الجزائر كمصدر للتموين[3].

أَعدّ القنصل الفرنسي بالجزائر "دوكيرسي" (de Cercy) مشروعا لإحتلال الجزائر، وعلى الرغم من أنّ المشروع كان بالأهمية بما كان، إلّا أنّ الثورة الفرنسية كانت قد عصفت بهذه المحاولة لتجسيده على أرض الواقع، على الأقل في هذه الفترة الخرجة التي كانت فرنسا تمرّ بها. في حين كان هذا القنصل ممثلا لبلاده بمصر؛ حيث إكتسب خبرة كبيرة هناك عند عمله مع الجاسوس "دو توت"، إذْ بدت له عملية إحتلال مصر أكثر أهمية من إحتلال الجزائر وحتى أسهلها، فهذا الأخير كان على علم تام بما حدث للإسبان في الجزائر قبل سنوات[4].

---

(1) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص 172.

(2) سعيد محمّد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن 12هـ/ 18م (1708- 1792م)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، الجزائر2011م، ص 193.

(3) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص 566.

(4) بنور فريد، الجواسيس الفرنسيون بالجزائر 1782- 1830م، دار الواحة للكتاب، الجزائر 2012م، ص60.

تشير بعض المعطيات إلى أنّ المشروع الإستعماري السابق الذكر كان قد أزعج قادة إنجلترا في ذلك الوقت حيث سعت الأخيرة إلى مطالبة الداي حسين بضرورة قطع علاقاته مع فرنسا ومنع تزويدها بمختلف المؤن كالقمح واللحوم والزيوت وغيرها. غير أنّ الدّاي لم يكن يصغي لهذه المطالب و إستمر في ذلك غير مكـــترث بما تطلبه وتسـعى من أجله هذه الدولة[1].

يُفسر إستمرار الداي "بابا حسن" في مساعدته لفرنسا بنفوذ اليهود بإيّالة الجزائر وتمكينها من السّيطرة على مقاليد التجارة الخارجية خاصة مع فرنسا من خلال المؤسسات التجارية الخاصة بذلك كالباستيون، فضلا على أنّ الإنتاج الفلاحي والحيواني كان متوفرا في هذه الفترة، وكان يُصدر إلى الخارج إنطلاقا من الموانئ الشرقية، والإقدام على هذه الخطوة أي قطع تزويد فرنـــسا بالمؤن كان سيجلب المشاكل للداي كذلك، ففرنسا في زمن سابق إستطاعت تأليب المنتجين لهذه المواد على حكومة الجزائر بعد إغلاق مؤسسة الباسيتون، وعليه كانت فرنسا قد أدركت سرّ التحكم في الإستفادة من خيرات البلاد.

ولكننا بالمقابل نجد أنّ نفوذ التجار في شرق الجزائر و إرتباط أعمالهم بالمؤسسات التجارية الفرنسية كان سببا في مقتل صالح باي بايليك قسنطينة في زمن ليس ببعيد [2]. لم تكن الأمور لتبقى كذلك فقيام نابليون الأول بشن حملة على مصر سنة 1798م ،كان قد عصف بإستقرار العلاقات بين الطرفين، فقد اضطر داي الجزائر إلى قطع علاقاته مع فرنسا بل وإعـــلان الحرب عليها تنفيذا لطلب حكومة الباب العالي، التي وجهت إليه تهديدا شديد اللهجة إنْ هو لم يفعل ذلك[3].

لم تّعمر حالة الحرب بين الطرفين كثيرا فقد عادت العلاقات العثمانية الفرنسية إلى الصفاء والإستقرار مجددا لقد تنكرت فرنسا بسرعة لإحتلالها لمصر، وراحت تبرئ أعمال إمبراطورها وتشتكي للباب العالي من الداي "مصطفى باشا" على خرقه للمعاهدة الجزائرية الفرنسية ومنعه للسفن الفرنسية بالرسوّ في مناطق صيد المرجان الممنوحة لهم، من خلال تقرير قدمه "تاليران" إلى ممثل السلطان بالأستانة. ولم يكتف هذا الأخير بهذه الشكاية بل سرد حادثة جنوح السفينة الفرنسية بسواحل وهران وتعرض طاقمها للنهب والسرقة والتعذيب [4]، وعلى إثرها راسلت حكومة الباب العالي داي الجزائر طالبة منه التخلي عن هذه الأفعال حيث كانت هي من أم ـــر بإعلان الحرب عليهم وهي اليوم تقع في تناقض بعد طلبها هذا. ومهما يكن من أمر الحرب فقد أُعيد إبرام معاهدة صداقة جديدة أو بالأحرى إتفاق هدنة بين الطرفين في المجالين السياسي والإقتصادي[5].

---

(1) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص 173.

(2) المدني أحمد توفيق، الداي مُحَمَّد بن عثمان، ص.

(3) أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص31.

(4) خط همايون، رقم 5731 بتاريخ 1216م، تعريب فكري طونا، علبة 5، الارشيف الوطني الجزائري.

(5) سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص 578.

1- نابليون ومشروع غزو الجزائر:

بعد الشهرة التي نالها نابليون جرّاء نجاحه في إحتلال مصر وبعض من أجزاء الشام، قرّر إعادة بعث مشروع إحتلال الجزائر والمغرب العـــربي، وهذا طبعا إنْ نجح في إحتلال الجزائر ليتحقق بذلك مشروعه القاضي بجعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية بإمتياز، والقضاء على النفوذ الإنجليزي فيه بعد إبعاد سيطرتهم عن مصر على الرغم من الإنتصار الذي حققه الإنجليز في معركة أبي القير، إذْ يعد ذلك دليلا على تبادل المصالح بين الأوربين في حالة مستعصية كهذه.

لم يجازف نابليون بشنّ حملة على الجزائر على الرغم من أنّه كان من أولئك القادة العسكريين المغامرين، لمجرد إرادته ورغبته الشخصية، لا سيما أنّه على علم بما تشكله هذه الدولة في البحر المتوسط. لذا نجده قد إتبع جملة من الخطوات؛ إذْ طلب من عدة أطراف فرنسية لها دراية بخبايا الحكم في الجزائر بتزويده بمعلومات تفيده في عملية الغزو خاصة أولئك الذين كانوا أسرى بها، وفي هذا الشأن كذلك أرسل بعثات إستكشافية للجزائر للإطلاع على أحوالها خلصت في الأخير إلى إعداد خـــرائط عن البلاد ورصد معلومات عنها. وعليه قام القنصل الفرنسي بالجـــزائر عام 1799م "جون بول سان أندري" (J-B- St- Andre) بإعداد مشروع لإحتلال الجزائر يتضمن القضاء السريع على الحكومة الجزائرية في مدينة الجزائر في مدة لا تتجاوز 08 أيام[1].

يضاف إلى المشروع السابق مشروع آخر كان قد أعده "تيدان" (M- THedenat) نائب مفوض للعلاقات التجارية الفرنسية بالجزائر عام 1802م، يحتوي على خطة قوامها الشروع في توجيه حملة تنزل بضواحي مدينة تنس الخالية من أي نشاطات عسكرية ثم تتوجه شرقا نحو مدينة الجزائر عبر سهول مليانة للإحاطة بها من ناحية الجنوب الغربي حيث يكون من السهل الحصول على المؤن. لأنّ أي عملية بحرية لقصف المدينة ستكون دون فائدة [2]. إنّ هذا الأسير الذي بقي في الجزائر حوالي ثلاثة سنوات كان قد ألمّ بالشيء الكثير عن أمور الإيّالة، وإنطلاقا من فشل الحملات الفرنسية الثلاثة قبل قرن يضاف إلى ذلك فشل الحملات الإسبانية هي الأخرى قبل عقدين من طرح مشروعه هذا.

وبين هذا وذاك قام نابليون بتهديد أمن الجزائر بواسطة حملة عسكرية في غضون شهر أوت 1802م، بقيادة الأميرال "ليسغ"(Les Segues) لمطالبة الداي مصطفى بتعويضات عن خسائر الفرنسيين في البحر المتوسط نتيجة إستيلاء الرياس على سفينتين فرنسيتين[3]. وفي سياق متصل وصل قائد السفن الحربية الفرنسية "بيدي بيرج" (Berge) بعد أنْ إلتحق بالأسطول المتوجه لضرب الجزائر حاملا معه رسالة إلى داي الجزائر بصفة إنذار له، حيث سمحت له هذه المهمة على الإطلاع عن كثب عن أحوال الجزائر[4]، في حين تم شكاية الداي للسلطان العثماني[5].

---

(1) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص174.

(2) بنور فريد، المرجع السابق، ص ص270-272.

(3) بلانتي أوجين، المرجع السابق، ج 2، ص 502 – 504.

(4) سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 203.

(5) خط همايون، رقم 5661 بتاريخ 1217هـ، تعريب فكري طونا، علبة 5، الارشيف الوطني الجزائري.

كان السلطان العثماني قد طالب الداي بالنظر في الخلاف [1]. وبالمقابل نجد تهديدات الفرنسيين للجزائر في العشرية الأولى من القرن التاسع عشر قد زادت، أي في عهد نابليون، لسببين هامين: أولهما ظروف فرنسا التي كانت تمر بثورة غيرت الكثير من الأمور على كل الأصـــعدة، وثانيهما تزايد نفوذ الإنجلـــيز الأعداء التقليديين للفرنسيين في البحر الأبيض المتوسط والقارة الأوربية كذلك. إذْ يمثل العامل الأخير حافزا كبيرا لفرنسا من أجل تنفيذ مسعاها في الجزائر بعد الهزيمة المنكرة التي حلّت بها في معركة الطرف الأغ ـر(Trafalgar) البحرية سنة 1805م. ففي هذه الآونة حدثت بالجزائر ثورة أودت بحياة الداي مصطفى واليهودي بوشناق [2]. وعلى إثرها تقلد الداي "أحمـــد" حكم الإيّالة (1805- 1808م)، مما خوّله التصرف في الأمور التجارية حيث منح الإنجليز حقّ تأجير المراكز التجارية الفرنسية لمدّة عشر سنوات قادمة [3]. وهكذا حصل ما كانت فرنسا تخشاه دائما.

على إثر هذا التحوّل المفاجئ في حكم الجزائر و ماخلّفه على صعيد العلاقات السياسية والتجارية الجزائرية الفرنسية، قرّر نابليون أكثر من أي وقت مضى أنْ ينفذ مشروعه ضد الجزائر، ولكن ليس قبل أنْ يعقد سلاما مع روسيا عام 1807م، بمقتضى معاهدة تيلسيت(Tilsit)[4]. التي نصّت على إتخاذ نابليون لقرارات هامة قصد الإستيلاء على إيّالات شمال إفريقيا [5]. إذن تكون خطوة إحتلال الجزائر هي إبعاد شبح إستيلاء الإنجليز على مناطق شمال إفريقيا وكخطوة أولى قام وزير البحرية والمستعمرات دو كيرسي، على رسم خطة جيدة للإستيلاء على الجزائر، و إنطلاقا من جملة التقارير السابقة كلّف دو كيرسي الضابط "بوتان"[*] للقيام بمهمة التجسس على الجزائر ومعرفة نقاط ضعفها في غضون ماي 1808م، حيث ساعده القنصل الفرنسي "تانفيل" هناك. وبقي الجاسوس الفرنسي قرابة الشهرين بمدينة الجزائر للإطلاع عن خبايا الحكم والمجتمع والعمران وأحوالها العامة، أعد على إثرها تقريرا مفصلا عن الجزائر في هذه الفترة[6].

---

(1) خط همايون، رقم 5118 بتاريخ 1217هـ، تعريب فكري طونا، علبة 5، الارشيف الوطني الجزائري.

(2) سامح عزيز ألتر، المرجع السابق، ص 582.

(3) أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص 32

(4) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص 176.

(5) عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص235.

(*) ركز دي بواتانفيل على قضية إحتلال الجزائر بعد مصر لما توفره من موارد ضخمة ومتنوعة – من خلال إطلاعه على مقدرات الجزائر نتيجة ممارسته للعمل القنصلي بالجزائر قرابة العقد من الزمن– في سبيل إنقاذ دولته التي كانت تمّر بمرحلة حرجة جراء الثورة التي شهدتها قبل أعوام. لذا أعد مخططا لإحتلال مدينة الجزائر يرتكز على نقطة الغزو البري لتكريس السّيطرة على الأرض أكثر من الحملة البحرية، وكان قد ساعده في إطار عمله هذا الجاسوس بوتان الذي أعد تقريرا بدوره حول دفاعات الجزائر وأسباب إنهزام الحملات السابقة. للمزيد حول الموضوع ينظر:

Emerit Marcel, les aventures de THedenat esclave et ministre d'un Bey D'Afrique XIII siècle, RAf, n°92, 1948, p p 143-146.

(6) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص 176.

على درب بوتان سار القبطان "بورل"(Burel) ولكن مهمته لم تكن في الجزائر بل كانت بالمغرب الأقصى مما يؤكد رغبة نابليون في إحتلال دول شمال إفريقيا، وهو الذي كان قد إحـــتل مصر منذ بضع سنوات، وجاء الدور على الجزائر ليأتي هذه المرة على المغرب، وطلب من هذا الجاسوس إعداد خارطة للطريق الرابط بين مدينتي طنجة وفاس لكون الأولى ساحلية وهامة جدا أما الثانية فتعد عاصمة أخرى للمغرب[1].

بعد نهاية حروب نابليون في قارة أورب ـــا يكون الوقت قد فاته لتنفيذ مشروعه الضخم ضد المغارب؛ حيث همشت فرنسا في مؤتمر فيّينا لكون إمبراطورها هو المتسبب في الأوضاع التي آلت إليها القارة في نظر الزعماء الأوربيين وعلى رأسهم "كلمنس فون مترنيخ" الملك النمساوي. كان هذا التهميش وراء عودة الإنجليز للظفر بالمناطق التي كانت فرنسا تستغلها في إطار الإمتيازات في إيّالات شمال إفريقيا، والتي من أهمها إيّالة الجزائر. وعلى إثر ذلك تم توجيه حملة ضد الجزائر بقيادة الأميرال إكسماوث بمساعدة قطع من الأسطول الهولندي.

لم تركع الجزائر بالرغم من الإنتصار الذي إدعاه قائد الحملة المشتركة بل ظلت صامدة شامخة، وعلى العكس من ذلك فقد تصلبت مواقف حـــكامها أكثر من أي وقت مضى، فالمراكز التجارية التي أُجّرت للإنجليز إستطاع الفرنسيون إسترجاعها سنة 1817م. وعليه فقد الإنجليز كل أمل لهم في السّيطرة على البحر المتوسط نتيجة تصرفات قائد الحملة ومعاونه الهولندي، خاصة وأنّ إنجلترا في الوقت نفسه لم تكن راضية على إبعاد فرنسا من النسق الأوربي في ظل العلاقات الأوربية المتشنجة آنذاك، بغية وضع توازن عسكري أوربي لا يؤدي إلى الإختلالات السابقة وإحتمال عودة أفراد نابليون إلى الحكم وبالتالي إشعال الحرب من جديد[2].

وهكذا إستطاعت فرنسا الخ ـــروج من مأزق الحرب والتهميش المفروض عليها إلى طبيعتها وعـــهدها السابق الأمر الذي يعني عودة أطماعها في إيالة الجزائر، إذْ يُذكر أنْ قنصلها إتصل بالداي عمر باشا مذكرا إياه بمرور عشرة سنوات على تأجير المؤسسات الإقتصادية لإنجلترا، وسهلت له المهمة إعادة تلك المراكز بالقالة وعنابة إلى دولته [*] في 26 أفريل1817م [3].

---

(1) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص 176.

(2) السبكي آمال، أوربا في القرن 19 فرنسا في 100 عام، ط 1 عالم المعرفة، جدة 1985م، ص ص 167- 168.

(*) لم يكن وضع الخزينة الجزائرية مريحا بما فيه الكفاية لتسيير أمور الإيّالة، بل كان وضعا حرجا إضطر الداي عمر إلى إعادة هذه المؤسسة الهامة إلى الفرنسيين مقابل مبالغ مالية معتبرة، وهناك عامل آخر جعله يقدم على ذلك وهو توتر العلاقات مع الإنجليز بسبب الحملة السابقة. لم تكن فرنسا الوحيدة من كان لها أطماع في البلاد بل تسابقت عديد الدول في حرب المواقع على غرار هولندا. للمزيد حول الموضوع ينظر:

Levasseur (E),Histoire commerce de la France, V2, Paris, librairie nouvelle de droit..,1912, p p 140-143.

(3) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 122.

2- مشروع مُحَمَّد علي لإحتلال الجزائر:

إنتهت حادثة المروحة بتأزّم العلاقات الجـــزائرية الفرنسية إلى حد لا يمكن الرجوع فيه، ومـــع تصلب موقف الداي حسين بشأن تلك المطالب التي أتى بها القنصل الفرنسي، دشنت فرنسا عهدا جديدا إتجاه الجزائر تميز بفرض حصار بحري شديد على مدينة الجزائر أو بالأحرى على مينائها البحري. يكون هذا الحصار قد بدأ فرضه بت ـــاريخ 16 جوان 1827م[1]، وبما أنّ فرنسا كانت لا زالت تلملم جراحها جراء حروب نابليون بونابرت وتداعياتها على الساحة الفرنسية بالخصوص والأوربية بالعموم، فقد كانت شبه عاجزة على توجيه حملة عسكرية ضد إيّالة الجزائر، وعلى هذا الأساس ظهرت في الأفق فكرة تكليف "مُحَمَّد علي باشا" والي مصر بضرب الجزائر بدلا عنها، وهو ما أطلق عليه مشروع مُحَمَّد علي لضرب الجزائر.

يعود التفكير في هذا المشروع للقنصل الفرنسي بمصر "دروفتي" (Drovetti)، الذي إقترح على حكومته عام 1826م، إسناد مهمة إحتلال الجزائر وطرابلس الغرب وحتى تونس إلى والي مصر مُحَمَّد علي، وتعود أسباب إختيار فرنسا أو بالأحرى سفيرها بمصر لواليها للقيام بهذه المهمة بالأساس إلى تلك الهيمنة التي بات يشكلها حاكم مصر خاصة بعد معركة نافارين البحرية، إذْ تأكد للفرنسيين دور مُحَمَّد علي في حلّ المسائل العويصة وعلى رأسها معضلة اليونان مثلا في هذه الفترة. فقد إستطاع بدهاء منقطع النظير بعد توكيله من طرف سلطان الباب العالي من السّيطرة على إدارة جزيرة قبرص وكريت ومحاصرة الثائرين اليونانيين، وظهرت للعلن القوة التي أصبحت تشكلها مصر آنذاك. وإذا كان حاكم مصر هو من يقوم بضرب الجزائر عوضا عن فرنسا فإنّ الأخيرة ستكون حامية له وداعمة لجهوده سياسيا. يُنظر إلى هذه الخطوة على أنّها لم تأت فقط لكون فرنسا كانت منشغلة بأمور أخرى في القارة الأوربية بل حتى لإشغال مُحَمَّد علي عن أطماعه في الشام وتحويل إهتمامه للسيطرة على البلدان المغاربية. وبعد إخطار والي مصر بالمشروع رفضه في البداية لعدة إعتبارات، أولها أنّه كان يرمي إلى الإستيلاء على المشرق وبالتالي تحطيم الدولة العثمانية وثانيها أنّ السّيطرة على الإيّالات المغاربية تعد فكرة سيئة طالما أنّها ظلّت شوكة في حلق المتربصين من الأعداء وبالمقابل ظلّ دروفتي يشرح لحاكم مصر وحكومته مدى أهمية هذا المشروع والفوائد التي يمكن الحصول عليها[2].

ظل المشروع الإستعماري مج ـرد حبر على ورق، وإذا كان مُحَمَّد علي قد رفضه فحتى الحكومة الفرنسية قد تلكأت في قبوله لأنّه سيحدث إختلالات في ميزان القوى المسيطرة على البحر المتوسط، خاصة بينها وبين إنج ـــلترا وروسيا[*]، فالثورة اليونانية لم يزل لهيبها مستعر وبالمقابل فإنّ مُحَمَّد علي وفرنسا كانا قادرين على تنفيذ مشروعهما في ظلّ هذه الظروف الحالكة التي شغلت الدولة العثمانية.

---

(1) سعيدوني ناصر الدين، معركة نافارين 1827م، م .د.ت، العدد 6، جامعة الجزائر 1992م، ص 88.

(2) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص ص 178 - 179.

(*) زادت أطماع روسيا في الولوج إلى عالم البحر المتوسط بعد ظهور الإنجليز والأميركيين فقد كانت من أبرز المجتمعين في مؤتمر لندن1816م للبت في قضاياه.

لم يتضح رأي مُحَمَّد علي باشا بالنسبة للمشروع في البداية وتماطلت فرنسا في تنفيذه، ونجد بالمقابل صاحب الفكرة لم ييأس من إعادة طرح مشروعه للتنفيذ من جديد على حكومته سنة 1829م؛ إذْ زاد عليه بشرح خطوطه العريضة والدقيقة في الوقت نفسه، مبيّنا أنّ حاكم مصر يملك من القوة العسكرية بما يكفي للإستيلاء على البلاد المغاربية بأكملها وعليه سيريحهم من نشاطها البحري الذي طالما أقلقهم.

لاقت فكرة القنصل الفرنسي السابق ترحيبا من قبل رئيس وزراء فرنسا "بولياك"(Polignac)، حيث يعتقد أنّها كانت تتقاطع مع فكرته من حيث المبادئ والأهداف ، لقد كان منشغلا بها منذ 1814م هو الآخر. وتكمن في ربط قضايا البلاد المغاربية بمصر، ولعلّه من خلال هذا الطرح يكون قد إستطاع أنْ يمهد لتأثير فرنسي في شمال إفريقيا كلّها بشكل أكبر، ولم يكن هدفه هذا هو الوحيد بل كان يرمي من خلاله إلى قطع أي تدخل أجنبي خاصة من طرف إنجلترا، وبدوره كان رئيس الوزراء قد وجّه رسالة إلى المجلس الملكي الفرنسي في غضون سبتمبر 1829م، شرح له فيها ما قد تجنيه فرنسا من وراء المشروع، وفي السّياق نفسه كان قد أرسل قنصلا جديدا إلى مصر وهو "ميمو" (Mimaut) حاثا إيّاه على مواصلة الترويج لفكرة سلفه في هذا الصدد[1].

قبل قبول المشروع كان لابد أن يمرّ عبر بوابة موافقة الباب العالي، وعلى إثر ذلك أرسلت فرنسا بواسطة سفيرها مذكرة للجهة ذاتها تفيد بضرورة تأديب الباب العالي للحكومة الجزائرية، وبإستطاعتها توكيل مُحَمَّد علي بهذه المهمة حسب إقتراح الكونت "قيتو مينو"، الذي هدد الحكومة العثمانية في حالة الرفض بأنّ الفرنسيين هم من سيقوم بذلك[2]. ونجد بولونياك بدوره قد كثّف من مساعيه في هذا الإتجاه؛ حيث أرسل الضابط "هودر"(Huder) إلى مصر لمساعدة القنصل الفرنسي هناك لإقناع واليها بتنفيذ المشروع[3].

تُشير بعض الدراسات إلى أنّ الحرص الكبير الذي كان يوليه رئيس وزراء فرنسا لهذا الشأن هو حرص كذلك لإخراج بلاده من الورطة التي وقت فيها عندما ضربت حصارا بحريا على الجزائر منذ 1827م، ولم يأت بفائدة كبيرة[4] ففي إحدى المرات كادت قوات الريّاس أنْ تفك الحصار الذي كان يضربه الأسطول الفرنسي المتكون من 27 قطعة بحرية وعلى متنه أكثر من 14000 جندي، ويرجح أنْ يكون ذلك في غضون عام 1828م[5]. إنّ هذا العدد الكبير لقوات الحصار الطويل يكون قد شغلها عن مهمات أخرى لا تقلّ أهمية عن ضرب الجزائر على غرار الحماية وفرض الوجود والسّيطرة معا.

---

(1) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص179.

(2) أرجمت كوران، المرجع السابق، ص 46.

(3) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص180.

(4) أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص47.

(5) خط همايون، رقم 39478 بتاريخ 1244هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الارشيف الوطني الجزائري.

ويذكر أنّ الداي إستطاع إستعمال موانئ الإيّالة الأخرى تجاريا ولو بشكل أقل من ميناء الجزائر، ولم يستطع كسر ذلك الحصار الخانق، وكذلك فرنسا نفسها لم تستطع البقاء هكذا بدون حلّ للمعضلة[1].

طال أمد الحصار وأصبحت فرنسا في ورطة حقيقية، لا سيما وأنّ الأزمة لم تنفرج، ففي هذه الأثناء تطلعت السلطة إلى إيجاد مخرج تح ـــفظ به ماء وجهها وتنقذ شرفها، وعليه كان المخرج الوحيد هو تنفيذ مشروع الإحتلال بواسطة مُحَمَّد علي[*]. لقد ظلت العقبة التي تؤرق بولينياك هي عدم حصوله على إذن من الباب العالي الذي أظهر عكس ما كان ينتظره رئيس وزراء فرنسا، فموقف السلطان كان رافضا تماما للفكرة، يظهر ذلك من خلال إرسال مفاوض لحلّ هذه الأزمة وتسويتها دون اللجوء إلى الحرب، وتمّ إختيار "الطاهر باشا" لكونه بحارا من أصول جزائرية للقيام بالمهمة كما كلفه بالمرور على الإسكندرية لإطلاع القنصل الفرنسي بأمر المهمة والكفّ عن معاودة طلبه ذاك[2].

نستنتج أنّ المشروع الإستعماري الفرنسي كان صعب التنفيذ، فلا الحكومة الفرنسية ولا مُحَمَّد علي باشا واف ـقوا، وبالنسبة لمحمد علي بعد خروجه عن صمته نجده قد إشترط شروطا أقل ما يقال عنها أنّها تعجيزية، فأوّل ما طلب مبلغا كبيرا من المال وبوارج حربية للقيام بالمهمة على أحسن وجه[3]، وكان أيضا من بين ما طلبه نذكر مايلي:

أ– أنْ يقود الحملة العسكرية على البلاد المغاربية ابنه "إبراهيم باشا".

ب– القضاء على القرصنة البحرية التي كانت تمارسها هذه البلاد.

جـ– تمنح فرنسا لوالي مصر أربعة بوارج حربية ذات 80 مدفعا.

د– تقرض فرنسا لمحمد علي مبلغا ماليا قدره 20 مليون فرنك[4].

---

(1) بوعزيز يحي، علاقات الجزائر...، ص 132.

(*) وقع إختيار بولنياك على والي مصر للقيام بالحملة على الجزائر والبلاد المغاربية نتيجة إعتبارات عدة، ففي رسالة كان بعث بها بولنياك إلى قنصل مينو بتاريخ 1 أكتوبر 1829م، يخبره فيها بأنّ مُحَمَّد علي يستطيع القيام بمهمة إحتلال الجزائر والمغارب، فهو يملك عتادا كافيا وموارد كثيرة وقوة بحرية يستطيع من خلالها الإستيلاء على الأرض ويدمر قوة الجزائر. وأضاف بأنّ هذه المهمة لو تقوم بها فرنسا ستحط من كرامتها ما دامت قوتهم لا ترقى إلى قوة فرنسا، شارحا الخطوط العريضة لهذه المهمة ومبينا أنّ بقاء هؤلاء (القراصنة) ويقصد الجزائريين مسيطرين على البحر المتوسط يعد بلاءً لكل أوربا، وشدد على ضرورة موافقة الباب العالي بالتركيز على العلاقات القديمة التي كانت تربط فرنسا بالدولة العثمانية. ينظر:

داون جورج، مشروع حملة مُحَمَّد علي على الجزائر(1829- 1830م)، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، ط 1، المركز القومي للترجمة، مصر 2010م، ص ص148-150.

(2) أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص ص 49 – 53.

(3) السبكي آمال، المرجع االسابق، ص 203.

(4) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص 181.

نستشف بأنّ هذه الشروط كانت ستُرفض من البداية من قبل مجلس الوزراء الفرنسي، ولو كانت فرنسا بإستطاعتها توفير هذه الأموال والعتاد لأوكلت المهمة لأحد أميرالاتها لعلّها تحصل على غنائم وتنال الشرف المزعوم للقضاء على البحرية المغاربية وأطماع مُحَمَّد علي الكبيرة في آن واحد. وهكذا كان لكل من الطرفين الفرنسي والمصري شروطه للقيام بالمشروع، ويفهم من خلالها أنّ مُحَمَّد علي قد تيقن بأنّ المشروع مضيعة للوقت و إهدار للمال والجهد إذْ سيكلفه غاليا؛ وهذا ما يفسر تردده في البداية عن القيام بهذا العمل.

تباعدت الآراء وغ ـــدت قضية إيجاد مخرج يرضي الطرفين أمرا شبه مستحيل، بيد أنّ بوليناك كان لا يزال يحلم بتجسيد هذا المشروع؛ فنجده سارع إلى عرضه على مجلس الوزراء الذي كان قد رفضه من ذي قبل، بل هناك من بين الوزراء من إعتبره إهانة لشرف فرنسا لا تقل عن تلك الإهانة التي لحقت قنصلها "دوفال" بالجزائر قبل ثلاثة سنوات قد مضين، وعليه سارع رئيس الوزراء إلى التخفيف من تلك الشروط لعلّها تُقبل من الطرفين ولكنها قد رُفضت من طرف مُحَمَّد علي هذه المرة أكثر من ذي قبل، بل زاد على ذلك رفض أي تعديل يتم إقراره مستقبلا[1].

ورد في أحد الرسائل المتبادلة بين حكومة الباب العالي ووالي مصر بعد أيام من إقلاع المبعوث العثماني الطاهر باشا إلى الجزائر بأنّ قضية المشروع ليس لها أساس من الصحة في إطار عقد إتف ـــاقية مع فرنسا للقيام بهذا العمل فقد صرّح مُحَمَّد علي للقنصل الفرنسي بأنّهم مسيحيون؛ أمّا نحن والجزائريون مسلمون وديننا واحد ودولتنا واحدة وأخب ـــار كهذه لا تتوافق معنا[2].

كما أنّ للدولة العثمانية أسبابها في رفض المشروع ومحاولة تداركها للوضع من خلال مهمة المبعوث الطاهر باشا فيذكر أنّه في هذه الفترة كانت القوات الروسية قد إحتلت جزءًا من أراضي الدولة، هذا فضلا عن معاهدة أدرنه 1829م وما كلفته من تنازلات كانت قد أفنت الكثير من الموارد؛ حيث إعترفت الدولة العثمانية فيها رسميا بإستقلال اليونان وتعهدت بفتح المضايق البحرية والموانئ للتجارة أمام السفن الروسية. والأكثر من ذلك الوعد الذي قطعه السلطان على نفسه للروس والقاضي بمنح إستقلال ذاتي لأقاليم الصرب ومولدافيا وفلاشيا [3].، هذا عن الباب العالي. أمّا عن فرنسا فلازال بوليناك متمسكا بمساعيه مؤكدا على ضرورة إحاطته بالسرية التامة خشية معرفة قناصل أوربا بنواياه، وأنّ فشله سيقود إلى شنّ حملة على الجزائر [4]، وعليه أصبح يفكر أكثر من أي وقت مضى في مخرج لهذه الوضعية التي كانت فيها فرنسا لا تحسد البتة.

---

(1) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص 181.

(2) أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص55.

(3) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص 93.

(4) داون جورج، المرجع السابق، ص152.

– عوامل فشل المشروع :

إصطدمت رغبة فرنسا المتمثلة أساسا في شخص رئيس الـــوزراء بولياك بالتماطل العثمـــاني، وتقلب موقف مُحَمَّد علي؛ فضلا عن عوامل أخرى وَأَدَتْ المشروع في مهده ولم ير النور إطلاقا. ومن بين العوامل نذكر:

أ– عزم الباب العالي على معالجة المشكلة الجزائرية داخليا وعدم إقحام قوة أجنبية ضد الجزائر، ولو كان محـمد علي فما بالنا لو كانت فرنسا.

ب– المعارضة الشديدة التي أبدتها إنجلترا بشأن تنفيذ المشروع من طرف مُحَمَّد علي، وبإشراف فرنسي، حيث حـــذرت الطرفين من مغبته إتخـــاذ أي إجراء أحادي، لأنّها إلى وقت قريب لا تزال تتمسك بمبدأ المحـــافظة على كيان الدولة العثمانية[1]، بل تعدى الأمر إلى تهديد مُحَمَّد علي بأنّه إذا أقدم على ذلك فإنّ أسطوله سيدمر بأكمله.

جـ– تردد مُحَمَّد علي في تنفيذ المشروع عندما قال للفرنسيين "... ولكنّي أضيع ثمرة أعمالي كلّها إذا قبلت حلفا كالذي تعرضونه علي...".

د– تغير الشروط الفرنسية عندما إقترحت على مُحَمَّد علي الإستيلاء على طرابلس الغرب وتونس وترك الجـــزائر على فرنسا[2]، ففي هذا الصدد تساءل مُحَمَّد علي حول تضخيم حادثة المروحة التي قال بشأنها أنّ من المفروض الإنتقام من الشخص الذي أهان فرنسا وليس الشعب كله، متسائلا عن مستقبلهم في الجزائر[3].

هـ– إظهار النمسا لرفضها للمشروع من خلال رأي رئيس وزرائها البرنس مترنيخ (Prince Metternit) الذي عارض هذه الفكرة على أساس الإبقاء على منطقة البـــحر المتوسط كما هي دون تغيير حفاظا على أمن أوربا [4].
يضاف إلى ذلك موقف روسيا [*] الذي يصب في الإتجاه نفسه ويظهر ذلك جليا في المذكرة التي أُرسلت للباب العالي حيث تم فيها كشف أخطار المشروع الفرنسي المزمع تنفيذه[5].

---

(1) السبكي آمال، المرجع السابق، ص 203.

(2) شوتيام أرزقي، المرجع السابق، ص ص 181 – 182 .

(3) داون جورج، المرجع السابق، ص ص158-159.

(4) أرجنمت كوران، امرجع السابق، ص 51.

(*) لقد فرضت المعادلة الجديدة تغـــير موقف روسيا الذي كان متحمـــسا للتحالف الفرنســي المصري ضد الجزائر، من خلال ما أخبر به الكونت نيسلرود (K. R. Nesselrode) لحكومة فرنسا بأنّ روسيا لا تمانع من توجيه حملة ضد الجزائر وهذا حتما لكسب موافقـــة فرنسا لأي تحرك روسي بهذا الإتجاه.ينظر: الغنام سليمان، سياسة مُحَمَّد علي باشا التوسعية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب2004م، ص102.

(5) شوتيام أرزقي، مواقف الدول من الإحتلال الفرنسي للجزائر، م د ت، العدد 6، جامعة الجزائر، الجزائر1992م، ص 131.

خامسا– التحالف المسيحي في موقعة نافارين ضد الدولة العثمانية و الجزائر 1242هـ/ 1827م:

لم تكن موقعة ليبانتو 1571م، وموقعة فالونا 1638م، آخر المناسبات للمساهمة الجزائرية في الحرب العثمانية الأوربية، فقد كانت موقعة نافارين هي الأخرى مناسبة ساهمت فيها الجزائر بقطع بحرية من أسطولها المتواضع في مياه اليونان ضد الثائرين من هذا الإقليم، وقبل الخوض في مجريات المعركة البحرية الشهيرة لا بد أنْ نعرج على أهم الأوضاع التي كانت سائدة قبلها.

كان الجو السائد في عالم البحر المتوسط متوترا للغاية بل ومشحون على مستوى العلاقات بين الدول المشرفة عليه، فالصراع المحتدم بين الدولة العثمانية من جهة والقوى الأوربي ـة من جهة ثانية يكاد يط ـغى على المشهد العام للعلاقات، فالثورة اليونانية التي إشتـعل أوارها مع مطلع العقد الثالث هي الأخرى قد تحكمت في منحى هذه العلاقات بل وزادت في تعميـق شرخها، أما وروسيا القيصرية فقد حققت إنتصارات على حساب الدولة العثم ـانية في منطـقة البحر الأسود، وإذا كان التوسع الجغرافي هو السبب الرئيسي الذي حرّك هذه الـدولة نحو الغرب فإنّ التعتيم على ذلك كان حاضرا إذْ يخيل للمتتبع للأحداث أنّ القضية اليونانية هي المحرك الرئيسي لهذا التكالب الكبير ضدّ الدولة العثمانية وعليه ظلّت قضية مساندة شعوب البلقان ح ـاضرة في كل مناسبة للنيل من الدولة العثمانية. ولم تخرج فرنسا عن هذا الإطار بل زادت أطماع ـها حدة بعد التهميش الذي طالها في مؤتمر فيّينا خوفا من ضياع مصالحها، كما أنّ النمسا وإنجلترا قد تطلعـتا إلى فرض وجودهما بين القوى المتصارعة، والظفر بمكانة لائقة، ولعـل للعامل الديني كذلـك دور رئيسي لهذه التحالفات التي أدت إلى ضرورة تصفية الحسابات القديمة مع العثمانيين[1].

تندرج موقعة نافارين في إطار الحرب الدائرة بين الدولة العثمانية والقـوى المسيحية الأوربية، هذه الأخيرة التي أرادت أنْ تنتصر لليونانيين، فهؤلاء ما فتئت ثورتهم يزداد لهيبها شرقا وغربا وطال شررها البحـرية العثمانية في البحر المتوسط، إذْ إضطر قـادة الأسطول إلى البقاء في الموانئ خشية التعرض إلى هجمات القراصنة الأوربيين. ولم يخـف السلطان العثماني قلقه من هذه الأحداث التي باتت تشكل خطرا على الدولة نفسها، وما دام قـادة الأسطول غير قادرين على التحرك بمفردهم فقـد أوعزوا إلى السلطـان بأمر حكام الإيّالات الإفريقية لمساعدتهم على تخطي هذه الصعاب، ويذكر أنّ القوة البحرية المصرية كانت قد أبلت بلاءً حسنا في كبح إنتشـار الثورة اليونانية نظرا لقربها من مناطق الأحداث وبروز شخصية إبراهيم باشا بن مُحَمَّد علي، فأبوه قبل بالمساعدة دون تردد [2]، إذْ فرض منطقه على الحوض الشرقي ابتداءً من منتصف عام 1825م، وعلى إثر ذلك بدا جليا تراجع الثوار اليونايين عن الكثـير من المناطق التي وصلوها سابقا[3] . الأمر الذي أقلق الأوربيين مما جعلهم يفكرون في عمل لتقزيم دور ابراهيم باشا في المتوسط.

---

(1) سعيدوني ناصر الدين، معركة نافارين...، المرجع السابق، ص83.

(2) الغنام سليمان، المرجع السابق، ص86.

(3)سعيدوني ناصر الدين، ورقات...، المرجع السابق، ص323.

كادت أنْ تخمد أنفاس الثورة اليونانية ويسترد على إثرها السلطان العثم ـاني هيبته، ولكن هذا التطور الخطير في المنطقة فتح أعين القوى الأوربية أكثر مما مضى؛ خاصة إنجلترا وفرنسا على خطر جديد بات يهدّد مصالحهم يتمثل هذا الخطر في تطلعات مُحَمَّد علي باشا في المنطقة، وتزايد قوته على أرض الواقع باليونان، إذْ كانت بالأمس القريبة قلعة أثينا قد إستسلمت، فما عسى القوى الأوربية هي فاعلة بعدها؟

ولكي لا يجرّنا الموضوع إلى متاهات أخرى يجب أنْ نوض ـــح بأنّ مساهمة الجزائر في التصدي للثورة اليونانية كانت موجودة منذ عام 1820م، ففي الرسالة المؤرخة في ع ـام 1236هـ، توضح بأنّ أس ـطول مصر كان ينتظر الأسطول العثماني للتوجه نحو المياه اليونانية، وإخبار وكيل الجزائر بإسطنبول عن قدوم الأسطول الجزائري للمشاركة في العملية[1] وحتى في السنة التي تليها [2]، وليس في عام المعركة فقط. ومهما يكن من أمر فإنّ مساهمة الج ـزائر في أعمال البحرية العثمانية الحربية ضد اليونان كانت منذ 1823م، تتمثل في فرقاطتين وسفينة [3]، ثم في 1825م عندما أرسل الدّاي "حسين باشا" 06 سفن بقيادة "مصطفى رايس" كانت قد شاركت في عدة عمليات ثم عادت إلى الج ـــزائر وبخصوص الموقعة فإنّ عدد السفن الجزائرية التي شاركت فيها كانت 6 فقط، أُرسلت سنة 1827م[*] إلى مياه اليونان.

يعد ميناء ناف ارين ميناءا بحريا إستراتيجيا للم ـلاحة؛ وكان محل إهتمام الأورب ـيين لما يمثله من أهمية للبحرية العثمانية وقد رست به قطع الأسطول العثماني والسف ـن المشاركة معه القادمة من الإيّالات الإفريقية في مطلع شهر أكتوبر من عام 1827م، ولما كان الميناء بالأهمية بما كان فإنّ القوى الأوربية المتحالفة عقدت إتفاقا بمدينة لندن في 6جويلية 1827م قررت فيه تشكيل حلف ثلاثي يضم روسيا، فرنسا وإنجلترا للعمل على نصرة الثورة اليونانية.

كان عدد السفن البحرية العثمانية 62 سفينة مزودة بـ 2102 مدفعا، بينما كان عدد سفن التحالف المسيحي يتكون من 37 سفينة فقط مزودة ب1298 مدفعا[4].

---

(1) خط همايون، رقم 51324 بتاريخ 1236هـ، تعريب فكري طونا، علبة 9، الارشيف الوطني الجزائري.

(2) خط همايون، رقم 38548 بتاريخ 1237هـ، تعريب فكري طونا، علبة 10، الارشيف الوطني الجزائري.

(*) حسب بعض الكتابات فإنّ السفن التي بقيت في ميناء الجزائر كان عددها 11سفينة – هذا العدد يوضح بأنّه لم تكن كاملة بل بعضها فقط وحتى السفن التي غادرت إلى اليونان على الأرجح لم تكن بالميناء على أساس أنّ الحصار مفروض منذ شهر جوان، الأمر الذي يفيدنا بأنّه من جملة أسباب الحصار هو المشاركة في حرب اليونان على إعتبارها كانت قبل سنتين من هذا التاريخ– حاولت أنْ تكسر الحصار الفرنسي المفروض عليها، ففي يوم 04 أكتوبر من العام نفسه كانت إحدى عشرة سفينة جزائرية قد خرجت من الميناء بإتجاه الغرب، و إشتبكت مع البحرية الفرنسية التي كان ـت تفرض حصارا بحريا مستميتا لمنع أي تحرك للرياس الجزائريين، بالرغم من أنّ البطاريات الساحلية كانت تؤازر هذه السفن وعليه لم تكن ذات فائـدة تذكر ، فالفرنسيون كانوا على علم بالمصائد الجزائرية التي تجرهم إلى الساحل حيث يصبحون في مرمى المدافع، ولعل هذا الإحتراس كان منذ عهد حملات الأميرال دوكين والأميرال دوستري، والأمر نفسه تكرر مع الإسبان في حملاتهم الأخيرة قبل عقود من الزمن. للمزيد حول الموضوع. ينظر:

Camille Rousset, la Conquête D' Alger, Paris, E-Plon et C^{ie}, imprimeurs - éditeurs,1879, p36.

(3) مجهول، مكاتبات ...، المصدر السابق، ورقة13.

(4) سعيدوني ناصر الدين، ورقات...، المرجع السابق، ص ص326– 331.

لقد كانت معركة نافارين حاسمة بالنسبة لكل الأطراف التي شاركت فيها، فالدولة العثمانية أرادت أنْ تسترد هيبتها الضائعة في البلقان أمّا الدول الأوربية فعلى الرغم من الحلف المعقود بينها والذي يوحي بوحدة الصف إلا أنّ كـل دولة كانت لها غايات خاصة أرادت أنْ تحققها خلال هذه السانحة.

تذكّرنا حركة السفن الأوربية التي تجاوزت مرمى مدافع وبطاريات الدف ـاع العثمانية في ميناء نافارين حركة السفينة شارلوت في هجوم إكسماوث الإنجليزي على مدينة الجزائر، لقد كان ذلك يوم 20 أكتوبر 1827م. ومهمـا يكن من أمر فإنّ إحدى السفن الإسلامية قد بادرت إلى إطلاق النار وعل ـيه إشتعل لهيب المعركة وأم ـست السفن العثم ـانية في مرمى مدفعية الأسطول المسيحي فحدثت الكارثة وأَخمدت المدفعية الأورب ـية بطاريات المدفعية العثمانية وعليه إنتهت المعركة مخلفة خسائر بالغة تفوق كل التصورات.

يرجع سبب الهزيمة إلى أسباب كثيرة ولكن أهمها يكمن في رداءة السفن العثمانية ونقص التدريب لقواتها مقارنة بالقوات المسيحية المدربة والمزودة بأسلحة حديثة كما هي السفن كذلك. إنّ ضيق ميناء ناف ارين لم يسمح للسفن العثمانية بالمناورة بل حشرها وجعل منها لقمة سائغة للأعداء [1]. يضاف إلى ذلك ع ـدم نجاعة بطاريات الجزيرة التي عطلت حركة السفن الفرنسية بيد أنّ السفن الإنجليزية كانت قد باشرت إطلاق النار بكثافة حتى غ ـطت سماء المنطقة بالدخان[2] لقد كانت هذه النكبة تشبه إلى حد كبير نكبة الأسطولين الجزائري والتونسي في فالونا عام 1638م، أو في حملة إكسماوث عام 1816م. ومن النتائج التي تمخضت عن المعركة نذكر:

أ– تدمير السفن الجزائرية المشاركة في المعركة [3]. ومحاولة السـلطان العثماني تعويضها ولكن لم يتم إرسال السفن عدا الأسلحة وبعض المدافع[4].

ب– متابعة فرنسا لفـرض حصـارها على سـواحل مدينة الجـزائر للي ذراع الـداي حيث كانت بدايته يوم 1827/06/16م[5].

جـ– أظهرت الموقعة الأطماع القديمة للدول الأوربية في أراضي الدولة العثمانية، وخاصة ف ـرنسا التي تشجعت ومضت في تجسيد مخططـاتها الإستعمارية تجاه الجزائر، وما قضية اليونان إلا قضية ح ـق أريد به باطل إذْ كانت سياسة فرنسا مبنية على تناقض صارخ بين تدعيم إستقلال اليونان وإحتلال الجزائر، لقد كانت المصلحة الشخصية لأولئك العسكريين فوق كل إعتبار.

---

(1) سعيدوني ناصر الدين، ورقات...، المرجع السابق، ص ص331.332.

(2) Moke (H-G), la bataille de Navarin ou le renégat, Paris, Dufour et C^ie, libraires, 1828, p155.

(3) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص52.

(4) خط همايون، رقم 16237 بتاريخ 1245هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الارشيف الوطني الجزائري.

(5) هلايلي حنيفي ، المرجع السابق، ص80.

سادسا– التحالف الدولي بقيادة دي برمون لغزو الجزائر عام1830م:

تواصل التنكر الفرنسي لكل ما هو جزائري، مديرة هذه الدولة ظهرها للأعراف الدولية في تسابق أقل ما يقال عنه بأنّه محموم للإستيلاء على الجزائر موهمة منافسيها بتفاهات لا ترقى إلى مستوى الإقناع. ولا شـك أنّ دولا أخرى قد شاركت في هذه الحملة يحدوها الحماس أكثر من الفرنسيين في حد ذاتهم لإنهاء كيان الإيّالة الجزائرية، فالحملة هذه قد عرّت كل ما هـو مستور وكشفت العدو من الصديق. وقبل الخوض في مجرياتها سنبين الظروف المختلفة التي سبقتها.

1– الظروف العامة قبيل الغزو الفرنسي للجزائر:

المتتبع لتاريخ إيّالة الجزائر في هذه الفترة يلاحظ تسارعا للأحداث يشبه إلى حد كبير لما كان يحدث في أواخر القرن السابع عشر، عندما نفذت فرنسا ثلاث هجومات متتالية في فترة لا تتجاوز الستة سنوات، وعليه سنوضح جملة من الظروف المختلفة المصاحبة للحملة.

أ– الظروف المحلية والإقليمية:

أ.**1**– إعتلاء حسين باشا منصب داي الجزائر في غضون شهر عام 1818م، إلى غاية وقوع الحملة الصليبية، الذي عرف بمواقف جريئة بيد أنّه لم يستطع إنقاذ الإيّالة التي كانت تسير نحو الهاوية.

أ.**2**– توعد حكّام الجزائر من خلال التهديدات الجدية من قبل الأوربيين في إجتماعات مؤتمري فينا وإكس لاشابيل.

أ.**3**– تعرض الجزائر لحمة إنجليزية بقيادة الأميرال "هاري نيل"(Harry Neale) بعد طرد قنصل بلاده "ماكدونال" (M.MacDonnell)[1]، الذي يكون قد تجاوز حدوده، ومرور هذه الأزمة بسلام؛ إذْ تمّ عقد الصلح بين الطرفين وإخطار الباب العالي بذلك[2]. الأمر الذي فتح باب التنافس على مصرعيه بين هذه الدولة وفـرنسا.

أ.**4**– تسبب القنصل الفرنسي "بيار دوفال"(Pierre Deval) في حادثة ضربة المروحة بكلامه غير المقبول [3]، التي إتخذتها فرنسا مطية لتنفيذ مشروعها الخاص بإحتلال الجزائر بسبب الديون والمطالب الفرنسية غير الواقعية بعدها[4].

أ.**5**– ضرب فرنسا لحصار بحري بعد حادثة المروحة مباشرة على سواحل مدينة الجزائر لإضعافها؛ إذْ كانت الدولة العثمانية على علم بذلك ووردتها أخبار بضرب الجـزائر[5]، ولم يكن الحصار ذو فائدة كما كان يرجو الفرنسيون.

---

(1) Camille Rousset, Op, Cit, pp23-24.

(2) خط همايون، رقم 39544 بتاريخ 1239هـ، تعريب فكري طونا، علبة 10، الارشيف الوطني الجزائري.

(3) Dupias Alexandre, Expédition D'Alger, Paris, leva Vasseur libraire, 1830, p12.

(4) بلانتي أوجين، مراسلات...، ج3، ص ص294-305.

(5) خط همايون، رقم 39478 بتاريخ 1244هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الارشيف الوطني الجزائري.

أ.**6–** تراجع عدد سفن الأسطول البحري الجزائري بفعل الهجوم الإنجليزي عام 1816م، وتحطم المـراكب التي شاركت في موقعة نافارين، فضلا عن إحتجاز مُحَمَّد علي باشا لسفينتين جزائريتين دخلتا ميناء الإسكندرية وهما الوحيدتان اللتان نجتا من معركة نافارين، عندما لم يستطع رياسهما ولوج ميناء الجزائر بفعل الحصار المضروب على المدينة وبقيتا في الإسكندرية[1].

أ.**7–** مطالبة السلطان الداي بضرورة التخلي عن النشاط البحري ضد المسيحيين لكونه مخالف لشـرع الله تعالى[2].

ب– الظروف الدولية:

ب.1– نهاية الحروب النابليونية وما خلفته من نتائج في كل المجالات، لا سيما في المجال السياسي من تغير للخارطة الجيوسياسية لأوربا وإصدار قرارات في مؤتمري فيّينا وإكس لاشابيل.

ب.2– ظهور الولايات المتحدة على مستوى الساحة الدولية وعقدها لإتفاقية مع الداي عمر باشا(1815-1817م) التي خولت لها حرية أكثر في البحر المتوسط [3]. فضلا عن إنتهاج مبدأ سياسة العزلة عام 1823م، كإحدى أهم ركائز سياسة الرئيس "جيمس منرو" تحت شعار أمريكا للأمركيين [4]؛ إذْ قطعت الطريق أمام الأطماع الأوربية ولم يبـق لهذه الأخيرة سوى قارتي إفريقيا وآسيا لفرض هيمنتها.

ب.3– تأزم العلاقات بين العالمين الشرقي الإسلامي والغربي المسيحي، الذي بلغ الذروة أثناء الثورة اليوناينة التي إشتعل لهيبها بدءً من عام 1821م حتى عام 1829م، ووقوف الدول الأوربية مع اليونان[*].

ب.4– ظهور أطماع مُحَمَّد علي والي مصر يومئذ في الشام وتطلعاته لإقامة دولة تقوم على أنقاض الدولة العثمانية، إذْ ساهم في تجسيد المسألة الشرقية على أرض الواقع بل والتعجيل بتقسيم تركة هذه الدولة[5].

ب.5– زيادة الأطماع الروسية في ممتلكات الدولة العثمانية، بعد تخلي سلطان هذه الأخيرة عن بعض الأقاليم في أوربا الشرقية بمقتضى إتفاقية كرمان الممضاة بتاريخ 07 أكتوبر 1827م[6].

---

(1) المجموعة 1903، الملف1، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة30.

(2) خط همايون، رقم 22493 بتاريخ 1243هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الارشيف الوطني الجزائري.

(3)Benguetaf **A**- Hafid, The Barbary Treaties between the USA and Algiers(1795 -1816), riviwe oussoure, n°16, university Oran,2008, pp271-272.

(4) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي و الامريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر1992م، ص386.

(*) ظلت الدولة العثمانية تحكم اليونان منذ القرن الخامس عشر، ولكن مع حلول القرن التاسع عشر كانت الأمور قد تغيرت فلم تعد تلك القوة العثمانية كما هي من السطوة لإحكام قبضتها على المقاطعات الأوربية، فقد تمكن اليونانيون من إضعاف التواجد العثماني تدريجيا حتى تمكنوا من إعلان الثورة عام 1821م حيث إستمرت هذه الثورة حتى عام 1829م، ووقعت خلالها معارك ضارية كان من بينها معركة نافارين، وقد طال أمد هذه الثورة نتيجة المساعدات التي تلقاها العثمانيون من قبل حاكم مصر وحك ـام الإيّالات المغاربية، بيد أنّ الأوربيين قد وقفوا مع اليونانيين على الرغم من إختلاف مصالحهم وتضاربها، وأش ـد دولة كانت تساعد هؤلاء هي روسيا في إطار سياسيتها الرامية إلى السّيطرة على البحر المتوسط وم ـا كان يعني ذلك لإنجلترا من إزعاج. للمزيد ينظر: Metaxas Constantin, souvenirs de la Guerre de l'indépendance de la Grèce, tra Blancard Jules, Paris,ErnestLeroux,editeur,1888,pp49-67.

(5) الغنام سليمان، المرجع السابق، ص99.

(6) Seton-Watson, Hugh, The Russian Empire, London, 1967, p 298

2- عوامل الغزو المختلفة:

أ- توفر النية المبيّتة من طرف فرنسا لإحتلال الجزائر [*]. ونستنتج هذا من خلال المشاريع التي رصدتها مختلف الجهات الفرنسية لتجسيد فكرة الإحتلال التي كانت قد إختمرت في أذهان كم من واحد من الحكّام الفرنسيين منذ أمد بعيد[1].

ب- تفاقم الأزمة بين الجزائر وفرنسا بسبب قضية الديون، عندما بدأت فرنسا تتهرب من تسديدها وتتنصل من إلتزاماتها إذْ تضـــاربت الآراء حول قيمتها [2]. ولكنها إتفقت على أنّ فرنـــسا قد إلتزمت بدفع الأموال لليه ـــودي بكري وشريكه مقابل الحبوب ومنتوجات أخرى[3]. وهـو ما يعكس الأزمة الإقتصـــادية التي كانت تعيشها الدولة وتأثـيرها على مختلف مناحي الحياة الأخرى.

جـ- الطمع في أموال الخزينة الجزائرية التي سمعوا بثرائها من خلال جواسيسهم، إذْ تقدر قيمة الأموال التي كانت تحويها بـ48684527 فرنك فرنسي[4].

د- تسبب القنصل دوفال في تعقيد العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى حدّ لا يمكن إصلاحه، فيذكر بأنّه كان يمنع رسائل الداي من الوصول إلى الحكومة الفرنسية، كما أنّه إستحوذ هو وجماعته على مبـالغ مالية كبيرة كانت موجهة لتسديد بعض الديون لليهود[5].

هـ- الضغوطات التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية على الداي من أجل الإعتذار دون جدوى، وما صاحب ذلك من إرسال لقطع الأسطول الفرنسي إلى مياه الجزائر وفي نيته قصـف المدينة في حالة رفض الداي إجابة مطالبهم[6].

(*) تعاظم دور اليه ـود حتى لم يجـعد أحد من حكام الجزائر يخشونه على الرغم من حوادث الإغتيالات في حقهم في عهد الداي مصطفى وما تلى ذلك، ففي الوقت الذي كانت المـــؤامرات تحاك ضد الجزائر إبتداءً من عام 1827م، وهذا مـــا قاله "ميشال هابارت""..إنّ مبررات إعلان الحرب، الذي قررناه في عام 1827م، لم تكن سوى سلسلة من الإستفزازات، تم حبكها في باريس من قبـدل المتطرفين، وبمدينة الجزائر من قبل رجل المـال يعقوب بكري، الذي إشترى ذمة قنصلنا دوفال صنيعة تاليران بمليونين، مع العـــلم أنّ تاليران ذاته باع نفسه لبكري بمبلغ أكبر بكثير، وتحول إلى شريك له في مؤامراته طيلة 30 سنة.ينظر: بن صحراوي كمال ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة معسكر، الجزائر 2008/2007م، ص122.

(1) بنور فريد، المرجع السابق، ص ص09- 12.

(2) سهيل جمال، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وإنعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية 2010 -2011م، ص ص115- 116.

(3) خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص141.

(4) بلانتي اوجين، مراسلات دايات الجزائر...، ج3، 314.

(5) خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص ص142-147.

(6) حسب الروايات فإنّ من جملة السفن التي أُرسلت في مهمة تفاوضية أقل ما يقال عنها أنّها إستفزازية سفينتين وهما سفينة لابروفانس(la Province) وللارت (LAlerte)، في أواخر شهر جويلية من عام 1829م، تقل على متنها البعثة الحربية المكلفة بالتفاوض، حيث كانت لديها أوامر تخص جملة من النقاط للتباحث حول عقد إتفاقية تتكون من 48 مادة، مع أمر بالقصف في حالة تعنت الداي ولما وصل المتباحثون إلى طريق مسدود رحلت سفينة للارت من الميناء يوم 02 أوت أما سفينة لابروفانس فعند مغادرتها تعرضت لإطلاق ثمانين طلقة مدفع، مما زاد الأمر تعقيدا. للمزيد حول الموضوع.ينظر: بلانتي أوجين، المصدر السابق، ج3، تهميش ص309.

3- الإستعدادات الفرنسية للحملة و مظاهر التحالف:

لا ريب أنّ عمليات حشد القوات والدعم المادي والمعنوي لم تكن وليدة عام 1830م، فقد كانت قبلها بمدة نستدل على ذلك بحادثة قصف الجزائرين لسفينة بروفانس في مطلع شهر أوت عام 1829م، عندما أراد طاقمها قصف مدينة الجزائر بمشاركة السفن التي كانت تضرب الحصار، فقد طلب من هذا الطاقم التريث حتى تصل القوات المختلفة للقيام بالعمليات اللازمة وخاصة منها المكلفة بالإحتلال البري، كما أسلفنا ذلك سابقا.

أَعدّت فرنسا جيشا عظيما قوامه 37617 رجل، بقيادة الكونت دوبرمون(Comte de Bourmont) وأسطول ضخم جدا بلغ عدد سفنه 676 سفينة مختلفة الأنواع والأحجام مزودة بقرابة 3000 مدفعا، أُسندت قيادته للأميرال "بارون دوبيري"(Baron Duperré)[1]. ولسنا ندري لماذا غفل حمدان بن عثمان خوجة عن تب يين عتاد الحملة وعدد جنود جيشها. ومهما يكن من أمر فالدكتور جمال قنان قد أورد أرقاما تفيد بأنّ عدد الجنود كان 37000رجل، وبالنسبة للعتاد فقد كان 72 مدفع ميدان أُستعملت أول مرة في ميدان معركة سطاوالي، وكانت ذات فائدة كبيرة، أما مدفعية الأسطول فقد بلغت 1870 فوهة[2]. لقد كانت الأرقام متقاربة جدا أو تكاد تكون متطابقة مع ما أورده الفرنسي شارل أندري جوليان، عندما أوضح بأنّ عدد الجنود كان 37 ألفا منها 31 ألف من المشاة[3].

أما ما كتبه بعض الفرنسيين بخصوص تجهيزات الحملة فيذكر أحدهم بأنّ عدد الرجال قد بلغ 37577 بين جنود وضباط وإداريين، أما عدد الخيول فقد بلغ 3988 حصان، وقد تم جلب عدد كبير من البنادق والق ـــاذفات والدروع الحديدية منها والخشبية. وبالنسبة للخيام فقد كانت تكفي 40 ألفا من الرجال، بالإضافة إلى الأكواخ الجاهزة التي تسهل عملية تركيبها لتشكيل ثكنات عسكرية عند النزول. هذا ولم يغفل قادة الحملة على شحن أف ـــران الخبـز والأسرّة الحديدية ودعموا الحملة بمطبعتين إحداهما كانت حجرية وعدد كبير من أجهزة التلغراف، والمترجمين الفورين وغيرهم. ولاشك أنّ المواد الغذائية كانت قد شُحنت أيضا فقد تم نقل المؤن ما تكفي لـ 40 ألف رج ـــل لمدة 40يوما وعلف الحيوانات التي تكفي 4 آلاف منها لمدة 30 يوما.

هذا عن الجيش والم ـــؤن، ليتم رصد 105 سفينة للنقل ذات طابقين، 20 فرقاطة، 57 بارجة حربية منه ـــا 7 بخارية كانت قد بنيت حديثا في مينائي طولون ومرسيليا. هذا وكانت حوالي 20 سفينة في مياه الجزائر تضرب عليها الحصار، وتم إستئجار 444 سفينة للنقل من جنوة وإسبانيا، لقد بلغ تعداد سفن الأسطول إجمالا 680 سفي ـــنة[4]. والملاحظ أنّ كل الإحصاءات متقاربة جدا عدا إختلاف الإحصاءات الجزائرية والفرنسية حول تعداد الجيش الجزائري.

---

(1) مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792- 1830م، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر2010/2009م، ص43.

(2) قنان جمال، معركة سطاوالي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد8، جامعة الجزائر1993-1994م، ص57.

(3) جوليان شارل اندري، تاريخ الجزائر المعاصرة(1827-1871م)، ترجمة مجموعة أساتذة، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر2008م، ص ص89- 92.

(4) Gaudin(M - A), conquêt D' Alger par les Français, Paris, Benjamin Duprat, 1864, pp8-10.

لا تكاد تخلو أي حمـلة مـن تلك الحملات التي وُجهت ضد الجزائر دون مباركة بابوات الفاتيكان الكاثوليك أو تواطـؤ فرسان القديس يوحنا، أمّا الدعم الآخر فكانت بعض الحملات تتلقى الدعم، وبعضها الآخر لا يتسنى لقدتها ذلك، وهذا حسب طلب الدولة التي تريد توجيه الحملة. ولكننا نجد بالمقابل مشاعر التع ــاطف كانت موجودة دائـما وهي تنـدرج ضمن التحالف المعنوي، فقد أُعطيت هذه الحملات إتجاها دينيا صليبيا لتوفير الدعم الأجنبي وم ــن بين المتحالفين مع فرنسا في هذه الحملة نذكر ما يلي:

أ– مباركة البابا "بيوس الثامن" (Pius VIII)(*) للحملة بعد أنْ أعلمه الفرنسيون بأنّهم سيخفضون الهلال وي ــرفعون الصليب عاليا.

ب– مباركة بعض الحكومات الأوربية ومن بينه ــا روسيا التي دعم قيصرها "نيقولا الأول" الحملة بمترجم له خبرة في الشؤون الإسلامية، وهو الكونت" فيلوزولوف" (Filosolof)[1].

جـ– مؤازرة الإسبان للحملة الفرنسية عن ــدما عرّجت على ميناء بالما بالجزيرة في طريقها إلى الجزائر. وكانت قد إتفقت فرنسا مع هذه الدولة على تزويدها بمختلف المؤن والذخ ــائر الحربية، كما طلبت منها فتح مستشفياتها ومخـازنها الموجودة بميناء ماهون بجزر البليار[2].

د– كانت إلى وقت قريب إنجلترا غير م ــوافقة على الحملة الفرنسية لإعتبارات عدة أهمها فقدان صداقة الدولة العثمانية ولكن بدا لهــا في الأخير مساندة فرنسا حتى وإنْ كانت تشكل خطرا حقيقيا على مصالحها في البح ـر الأبيض المتوسط ولم تكترث بمساعي الـدولة العثمانية المتمثلة في جهود سفيرها بمدينة لندن لطرح القضية الجزائرية على الحكومة الإنجليزية لعلها تثني فرنسا على ما هي عازمة عليه.

هـ– مساندة النمسا لفرنسا بالخبراء العسكريين والأسل ــحة المختلفة، وهذا لدفع توسعاتها خارج القارة الأوربية، فحروب نابليون ما زالت عالقة في أذهان حكام هذه الدولة.

و– تأييد بروسيا للحملة الفرنسية إذْ عرضت عليها المساعدات المختلفة، وهذا لإشغالها عن أطم ــاعها المتزايدة بمنطقة الراين الحدودية[3].

(*) فرانسيسكو سافيريو كاستيغليوني ولد بإحدى المدن الإيطالية 1761م، أصبح بابا للكنيسة الكاثوليكية بإيطاليا أواخر العقد الثالث من القرن 19م، سجن ذات مرة من قبل الفرنسيـــين، ولكنه تناسى ذلك وراح يدعوهم لإحتلال الجزائر؛ مباركا لكل أعمالهم. لم ينس عملية سجنه فحسب بل نسي أيضا إحتلال نابليون لبلاده لقد بدا جليا أنّ كل الأحقاد تزول بظهور عدو مشترك مثل الجزائر. ينظر: De Montor Artaud, the lives and times of the Popes, New Work , the Catholic Publication of America,1917, pp3- 40.

(1) سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرص16.

(2) بوعزيز يحي، علاقات...، المرجع السابق، ص134.

(3) شويتام أرزقي، مواقف الدول، المرجع السابق، ص ص 130 – 131.

4- الإستعدادات الجزائرية:

حرص الداي حسين على نشر عي ـــون له في المدن الجنوبية لأوربا؛ في إيطاليا وفرنسا مثل باريس وم ـــرسيليا وطـولون، مقابل أموال يتقاضونها، إذْ زود هؤلاء الداي بأخبار الحملة التي كانت فرنسا تعدها على ساحل م ـدينة طولون وبالـرغم من الشائعات فقد أكدت المصادر أنّ سفينتين جـزائريتين تحمل إحداهما علم إنجلترا إستطاعتا إختراق الحصار البحري ليلا ودخلت ميناء مدينة الجزائر [1]، ويكون الداي بعدها قد شرع في إعداد العدة.

وجدنا تناقضا كبيرا في هذه القضية إذْ يذكر أنّ الداي حسين كان قد إتخذ جملة من الترتيبات للدفاع عن المدينة ومن أهمـها إستدعاء القوات من البايليكات الثلاث، كما كان يفعل الدايات من ذي قبل، فقد وصل إلى مدينة الجزائر، 13ألف رجل من بايليك قسنطينة بقيادة الباي نفسه[*]، أما من وهران فقد وصل قرابة 30 ألف مقاتل، وجمـع الداي ما بين 15ألفا و20 ألفا من القوات، يقول صاحب الإحصائية أنّ الرقم مبـــالغ فيه، على أنّه يؤكد بأنّ تعداد القوات بلـغ 60 ألفا[2]، لقد ضخم المؤرخون الفرنسيون عدد قوات الجزائر وبينوا أرقاما للقوات الفرنسية أقل من الحقيقية لكي يعـزو إنتصارهم للجانب التكتيكي والعتـاد العسكري. بينما يذكر الألماني سيمون بفايفر الذي كان أسيرا لدى الدّاي بأنّ القوات التي إستطاع أنْ يجمعها هذا الأخير قد بلغت 50 ألفا، موزعة كالآتي باي قسنطينة يقود 12 ألف جندي، باي التيـطري 8 آلاف وخليـفته 3 آلاف وخليفة باي الـــغرب 6 آلاف وشيوخ القبـائل ما بين 16 و18 ألفا، أما الميزابيون فقد جمعوا 4 آلاف، وقوات الآغا وسكان مدينة الجزائر[3].

إذا قمنا بجمع هذا العدد نجد النتيجة هي 50 ألفا من المقاتلين، وهذا أمر غير صح ـــيح، إذْ أسقط هذا الأسير عدد القوات التي كانت متمركز في مدينة الجزائر المشهورة بثكناتها العسكرية، إنّه بالرغم من حالات عدم التجنيد التي كانت تنتهجها الدولة العثمانية ضد الجزائر وتصفية عدد كبير من الجنود أواخر العقد الماضي، وح ـتى مخلفات الحملات الأوربية الأخيرة، فمن المؤكد أنّ عدد الجند في ثكنات المدينة كان يقدر ببضع آلاف من الجنود، فالأرقام في أواسط القرن الثامن عشر تُشير إلى أنّ العدد كان يقارب 12 ألفا جندي من الجنود الذين هم في الخدمة، أمّ ـا ما هم غير ذلك أي خارجون عن الخدمة فقد كانوا ألفين وخمسمائة[4].

---

(1) بفايفر سيمون، مذكرات سيمون بفايفر(لمحة تاريخية عن الجزائر)، ترجمة ابو العيد دودو، ش و ن ت، الجزائر1974م، ص63.

(*) يخبرنا أحمد باي بأنّه توجه إلى مدينة الجزائر لأداء ما عليه من الدنوش ولم يكن معه إلا بضع مئات من الجند. ينظر:

باي أحمد، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة، جمع الزبيري العربي، دار السهل م و ف م، الجزائر2009م، ص ص 13 -17. و أيضا:

Edmond Péllissier, Annales Algériennes, T1, Paris, libraires pour l'art militaire, 1836, p41.

(2) Prince sixet de Bourbon, la Dernière Conquête du Roi - Alger1830,T2, Paris, nouvelle collection historique, calmann -lévy éditeurs, 1930, p25.

(3) بفايفر سيمون، ، المصدر السابق، ص80.

(4) هلايلي حنيفي، بنية الجيش، المرجع السابق، ص34.

وبالمقابل نجد في طيات مش ــروع اللجنة العسكرية التي كانت تعمل خصيصا لهذا الغرض وبإستنادها على معطيات سابقة لمختلف الجواسيس وبناءً على المشاريع المعدة للإحتلال، فإنّ أقصى ما يمكن للداي أنْ يجمعه من الجند هو 50 ألفا، منها 12 ألفا فقط من الجيش النظامي والباقي من الخيالة ومقاتلي القبائل [1]. تبقى هذه الأرقام ناقصة ما لم تدعم بإحصاءات موثقة سواء من قبل الجزائريين أو جهات أخرى.

هذا عن عمليات التعبئة أما فيما يخص تحصين المدينة فإنّها كانت ذات دفاعات جيدة، يظهر ذلك من خلال الإستعدادات الدائمة التي كانت تتجدد خلال الحصار البحري الذي كانت تفرضه البحرية الفرنسية على مدينة الجزائر فضلا على أنّ كل المشاريع الفرنسية كانت تركز على الحملة البرية للإيقاع بالجزائر، فهذا القنصل دوفال يقول" ...لا يجب إخفاء بأنّنا لن نتمكن أبدا من إخضاع الأتراك الجزائريين بالقصف ولو كان متتاليا...وح ــتى القصف الإنجليزي الأخير في 1816 لم يزد للقرصنة الجزائرية إلا قوة.." [2]. وهكذا كانت المدينة من حيث الدفاعات جيدة ولم تقلق الداي مثل المسائل الأخرى.

كتب الأسير الألماني في سياق عرضه لهذه الأحداث المتسارعة عن قضية جد هـ ــامة وهي الملك ــافآت التي خصصها الداي حسين للمقاتلين عن كل رأس تقطع للأعداء، فيقول بأنّ المكافآت كانت كبيرة لكل جندي يأتي برأس إذْ تتراوح ما بين 40 و 50 دولارا إسبانيا، بما أنّها كانت قليلة في البداية، وبكثرة الرؤوس ينخفض السعر أي يصبح 5دولارات فقط، بيد أنّ الأه ـم من هذا حسبه أنّ جنديا إنكشاريا كان قد قتل جنديا من مقاتلي القبائل ظانّا أنّ لا أحد يراه ولكن كان هناك زميل له قد رآه، الأمر الذي أدى إلى إشتباكات بين الج ــند الإنكشاري وهؤلاء المقاتلين الذين طالبوا بالثأر، وهو ما شق صفوف الجزائريين وأفشل ريحهم[3].

إذا كانت هذه العملية قد خلفت نتائج عكسية غير متوقعة ، فلا شك أنّ الداي كان قد إستمد هذه الفكرة من عمليات المقاومة السابقة التي إستعملها الداي مُحَمَّد بن عثمان باشا وكانت ذات فائدة عظيمة، فالداي حسين لم يأخذ بعين الإعتبار أمور عدة ولعل أهمها التطور في المجال العسكري للدول الأورب ــية؛ والأه ـم من ذلك إستيعاب الفرنسيين لكل الأخطاء السابقة سواء التي وقعوا هم فيها أو وقع فيها الإسبان. لقد جمع الداي عتادا حربيا كبيرا من المدافع والبارود وغيرها من الم ــؤن التي من شأنّها أنْ تكفي لرد اله ــجوم الصليبي، بيد أنّ هن ــاك من يقول عكس ذلك تماما فالإهمال وإسناد الأمور لغير أهلها كان الصفة العامة لتحضير عمليات المقاومة والتكفل بأي طارئ قد يحدث من طرف المعتدين[4].

---

(1) بنور فريد، المرجع السابق، ص ص 505-506.

(2) المرجع نفسه، ص472.

(3) بفايفر سيمون، المصدر السابق، ص81.

(4) قنان جمال، المرجع السابق، ص ص56-57.

5- سير الحملة:

تجمعت القوات الفرنسية المعدة للغزو في ميناء طولون يوم 11ماي، ولكن قادة الحملة كانوا قد أرجأوا الإنطلاق إلى وقت آخر بسبب الخوف من سوء الأحوال الجوية، خاصة وأنّ السفن كانت مثق ـلة للغاية، لقد تعطل خروج هذه القوات إلى يوم 25 من الشهر نفسه. وبينما هي في الطريق كانت ص ـادفت فرقاطتين واحدة فرنسية والأخ ـرى عثمانية تقل المبعوث العثماني طاهر باشا الذي كان قد أُرسل لإقناع الداي حسين بضرورة عقد الصلح مع الفرنسيين [1] بيد أنّ قائد الحملة ديبرمون كان قد وجهه إلى طـولون لكون الوقت قد فات وفرنسا قد إتخذت أمـرا بسير الحملة التي لا يمكن الرجوع فيها[2].

واصلت هذه الحملة الضخمة طريقها إذْ بوصولها غربي رأس كاكسين وكانت مدينة الجزائر تظهر لهؤلاء م ـن بعيد؛ إضطر قائد الأسطول البحري الأميرال دوبيري إلى التوجه إلى بالما بجزيرة مينورقة الإسبانية حيث وصلت هناك يوم 02 جوان 1830م، وبقيت قرابة العشرة أيام ينتظر قادتها هدوء العاصفة، ولم يتسن لهم الإق ـلاع إلا يوم 10جوان للسرب الأول، أما الثاني يوم 12 جوان، لقد وصـل السرب الأول يوم 13 جوان وبقي يستعرض ق ـواته قبالة السواحل ليتم الإنزال صبيحة اليوم الموالي عند الشروق بميناء سيدي فرج [3].

كان الإستعراض الذي قام به الأسطول المسيحي قُبالة الجزائر يعود لسببين: أولهما أنّه كان يرج و من خلاله بث الرعب والخوف في قلوب الأهالي لتجنب المقاومة، فيذكر أنّ الفرنسيين كانوا قد وزعوا مناشير تحث السكان على عدم الوقوف مع الحكومة الجزائرية (العثمانية) في محاولة لإحداث القطيعة بين الشعب والسلطة، فقد ركز الفرنسيون على ذكر المليشيا التركية[4]. أمّا السبب الثاني ونظرا لعدم وجود أدنى محاولة لصد هذا العدوان فقد كان قادة الأسطول يظنون أنّ ذلك فـخا وضعه الجزائريون للإطباق عليهم، ولكن تبين لهم الأمر فيما بعد أنّه ليس بفخ بل كان المكان خ ـاويا من الحراسة كما نبه إلى ذلك الجاسوس بوتان؛ مرجعين الأمر إلى أنّ المكان لولي صالح لا يُحرس (سيدي فرج) [5].

لقد أسال هذا التقاعس من قبل الداي أولا و قادة جيشه ووزرائه ثانيا عن مقاومة الحملة الصليبية التي تقودها فرنسا الكثير من الحبر؛ حول الأسباب الكامنة وراء هذا التراخي الذي لم يعهده الجزائريون طيلة العهد العثماني، حتى ولو لم يكن للداي دراية بهذا الأمر فقد كانت له تجربة قبل سنوات مع الحملة الإنجليزية. فمن ح ـقنا أنْ نتساءل عن أسباب الإستخفاف بهذه الحملة التي لم تكن أخبارها تخفى على أحد؟ ولا بد أنّه ليس هناك سبب واحد بل جملة من الأسباب التي لازالت غامضة فيمن يتحمل هذه المأساة.

---

(1) Gaudin(M - A), Op, Cit, p11.

(2) روسو ألفونسو، المرجع السابق، ص359.

(3)Gaudin(M - A), Op, Cit, p12.

(4) مسعودي أحمد، المرجع السابق، ص45.

(5)Gaudin(M - A), Op, Cit, p16.

6- عمليات الإنزال:

بعد عملية الإنزال الناجحة في ميناء سيدي فرج، لم تكن هناك أيّ ردة فعل جزائرية ، فالقوات المتطوعة كانت متواجدة بالحراش وقسوّات خليفة باي الغرب كانت بعين الرباط شرق العاصمة [1]. ويؤكد حمدان بن عثمان خوجة أنّ الآغا إبراهيم لم يعط أهميّة لتحصين ميناء سيدي فرج الذي كانت به 12 قطعة من المدفعية منذ عهد الآغا يحي، عندما وضعها تحسبا للحرب ضد فرنسا، كما أنّه لم يق م بإستدعاء قوّات القبائل التي لها بأس في القتال، وأما تلك التي أُستدعيت لم تلتحق بمكان النزول، وكان باي المدية لازال بعاصمة البايليك والوحيد الذي كان قريبا من ساحة المعركة هو جيش باي الغرب بقيادة أبو مزراق، وما يزيده حمدان أنّ قائد الجيش لم يكن معه يوم الإنزال إلا 300 فارس[2].

تعددت الروايات بشأن الدفاعات الجزائرية والعمليات التي من شأنها تشكيل المقاومة، ولكن من المؤكد أنّ التأخر عن عملية الدفاع كان سيد المشهد لأسباب تبقى مجهولة في نظرنا؟ ومهما يكن من أمر فإنّ القوات الجزائرية التي وصلت في حينها كانت قد إجتمعت بمنطقة سطاوالي، وهناك دارت معركة غير متكافئة بين هذه القوات والقوات الغازية. كان الفرنسيون قد شهدوا بأنّ الجيش الجزائري بلغ عدده ما بين 15 ألف و 20 ألفا، وهذا ما يؤكده الأسير الألماني بفايفر، مضيفا بأنّ رُسل الداي الذين كانوا قد نقلوا إليه الأخبار قبل الظهر تدل على إنتصار الجزائريين قد تراجعوا فيما بعد وأكدوا له أنّهم قد غرقوا في سيل عرم من الجحافل البشرية المدججة بالسلاح، بل الأكثر من ذلك فقد إنسحبت أعداد من جنود القبائل هاربة نحو التلال تاركين قطع المدفعية التي غنمها الفرنسيون[3].

ويروي أحد الفرنسيين بأنّ العرب كانوا أقل قتال من ذي قبل وأنّ المعدات التي جلبوها كانت لها أفضلية في الميدان ولم تجد محاولاتهم لصد العدو شيئا، على الرغم من الرياح التي عصفت وكادت تشتت الأسطول[4]، في هذه اللحظة بالذات كادت أنْ تهزم القوات الصليبية عندما توجهت نحو الأسطول، وبينما هي متجهة نحوه رأت القوات الجزائرية هاربة هي أيضا من ساحة المعركة ما جعل الأعداء يعودون أدراجهم ويلاحقون هذه الفلول الهاربة [5]. وهكذا إنتصر الأعداء علينا دون مقاومة كتلك التي كانت في السابق سواء ضد الفرنسيين أو الإسبان أو المسيحيين مجتمعين.

---

(1) قنان جمال، المرجع السابق، ص57.

(2) خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص151.

(3) بفايفر سيمون، المصدر السابق، ص ص82-83.

(4)Perrot(M - A), la conquêt D'Alger ou relation de la campagne D'Afrique, Paris, H Langlois fils éditeur, 1830, p118.

(5) شالر وليام، المصدر السابق، ص 182.

7- أسباب الهزيمة:

كنّا قد أسلفنا بأنّ الفرنسيين قد إنتصروا في معركة أسطاوالي يوم 19جوان 1830م، وبعد هذا الإنتصار لم تعد هناك مقاومة، إذْ تلى ذلك توقيع الداي على إتفاقية الإستسلام. ولكن قبل الخوض في النتائج يجب أنْ نوضح الأسباب المفضية إلى هذه الهزيمة الشنيعة بالنسبة للجزائريين والإنتصار السهل بالنسبة للفرنسيين، ومن بينها نذكر:

أ- عدم تكافؤ القوة بين الطرفين فالفرنسيون كانوا قد أعدوا الحملة كما ينبغي آخذين بأسباب الهزائم التي لحقتهم هم والأوربيين بعين الإعتبار، بينما الجزائريون لم يكونوا على مستوى من المسؤولية نتيجة الغرور المتمكن من قلوبهم بعد تلك الإنتصارات التي حققوها قبل سنوات.

ب- سوء تدبير الداي حسين ووزرائه، نتيجة القرارت التي إتخذها ولم تكن ذات فائدة أهمها قتل الآغا يحـــي الذي له خبرة في الأمور الحربية ومنحها لصهره غير المتمرس على الفنون الحربية وحداثته بشغل المنصب[1].

جـ- المشاكل السياسية التي كانت تتخبط فيها الجزائر نتيجة دسائس القانصل الأوربيين واليهود، فيذكر أنّ الداي حسين كان قد تعرض لمحاولة إغتيال قبل أسبوعين من الإحتلال فقط[2].

د- الهوة العميقة التي كانت بين العثمانين والشعب الجزائري، نتيجة السياسة المنتهجة من قبل أولئك الحكام، فضلا عن تسرب اليأس من خلال المناشير الفرنسية التي زادت من التنافر قبيل الإحتلال[3].

هـ- غياب التنسيق التام بين قادة القوات الجزائرية المختلفة وع ـدم وصولها في الوقت المحدد، فضلا عن عدم تجمعها في مكان الإنزال، كما أنّ حادثة إغتيال الإنكشاري للجزائري قبيل المعركة أحدثت مزيدا من الإختلاف والتنافر.

و- عدم معرفة الداي وقادته بالمكان المحدد للنزول إذْ حاول توزيع القوات على النقاط المشكوك فيها على كل الساحل الجزائري من عنابة إلى وهران، الأمر الذي شتت التركيز وأضعف الإهتمام، مع أنّ الداي كانت تصله الأخبار وكان الدايات قبله على علم بمخطط الجاسوس بوتان بعد أسره من قبل الإنجليز [4]. ويذكرنا ذلك بالحملة الإسبانية على وهران عام 1732م، والغموض الذي كان يلف نزولها بمدينة الجزائر أو وهران وتقسيم الداي للقوات بين المدينتين[5].

ز- المؤازرة الكبيرة التي لقيها الفرنسيون من مختلف الجهات حتى منها الشقيقة للجزائر وعلى العكس من ذلك فالجزائريون كانوا لوحدهم ساعة المعركة.

---

(1) قنان جمال، المرجع السابق، ص58.
(2) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص202.
(3) بفايفر سيمون، المصدر السابق، ص ص74-77.
(4) قنان جمال، المرجع السابق، ص ص56- 58.
(5) هابنسترايت ج أو، المصدر السابق، ص ص75- 76.

8- نتائج الحملة:

خلفت الحملة الصليبية بقيادة فرنسا نتائج وخيمة على كل الأصعدة بالنسبة لإيّالة الجزائر خاصة وال ـدول المتضامنة معها سواء العربية أو الإسلامية، وبالمقابل كانت قد أعادت إلى أذهان الأوربيين إنتصارات جيوشهم ليس في موقعة نافرين بالأمس القريب بل حتى موقعة ليبانت ومن بين نتائجها نذكر:

أ- توقيع الداي حسين على وثيقة تسليم مدينة الجزائر وكل الممتلكات في الخزينة والقلاع والحصون وغيرها بتاريخ 05جوويلية 1830م ومنحه هو أمواله وسمح له بمرافقة حاشيته[1].

ب- نهاية الحكم العثماني في الجزائر الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، وب ـداية مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر المعاصر حتما لن تكون كما تمنى الكثير من ضعاف الأنفس.

جـ- غنم الجيش الفرنسي كل معسكر الجيش الجزائري من المدافع والخيام والمعدات والمواد الغذائية والأسلحة والـزرابي الفاخرة والتبغ والبن والآلاف من الدواب والآلاف من الأغنام أيضا.

د - توجه مقاتلي القبائل إلى التلال المجاورة بينما توجه الجيش النظامي هاربا أيضا نحو مدينة الجزائر تاركا ورائه كل شيء بل يحمل معه عددا كبيرا من الجرحى، في حين ترك أكثر العدد منهم في ساحة المعركة ليضافوا إلى قائمة القتلى التي كانت كبيرة أيضا، لقد كانت الطريق بين أسطاوالي والمدينة مغطاة بالجرحى[2].

هـ- في تقديرات للخسائر الأولية تشير إلى أنّ الفرنسيين قد قُتل لهم أكثر من 100 فقط، بينما الجرحى بلغ قرابة 900 شخص، ويذكر أنّه تم نق ـلهم بسرعة إلى الأماكن التي أعدت للإستشفاء[3]. إنّ تقدم الجيش الفرنسي نحو المدينة وإستيلائه على ساحة المعركة لم يفسح المجال لمعرفة الخسائر الحقيقية للأعداء وظلت الأرق ـام الحقيقة عندهم هم فقط وتحتاج إلى التحقيق والتدقيق.

و- إلتفاف طائفة الـيهود حول قائد الحملة الفرنسية وضباطه فساهموا في توطيد دعائم الإحتلال، فاليهودي بك ـري و"بن دوران" أصبحا من المقربين لـ دي برمون، وكذلك فعل بعض المتزلفين الذين وضعوا ثقتهم العمياء في هذا الشخص السيء السمعة أصلا كما يروى، متنكرين للجزائريين[4].

لم تكن نتائج الحملة آنية وذات تأثير قصير فقط بل كـان لها تداعيات ليس على الجزائر فـحسب بل على المستوى الإقليمي والدولي أيضا.

---

(1) خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص ص158-163.

(2) بفايفر سيمون، المصدر السابق، ص83-84.

(3) la Dernière Conquête du Roi.., p69.

(4) خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، صص 166- 170.

9- المواقف المختلفة من الإحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م:

تباينت المواقف الإقليمية وال ـــدولية تجاه الإحتلال الفرنسي، فمنها ما هو مؤيد له ومنها ما هو شاجب غير راض بما حصل، وسنوجز بعضا من هذه المواقف في النقاط التالية:

أ- رفض الشعب الجزائري للإحتلال الفرنسي منذ البداية وزيادة إلتفاف مختلف الشرائح التي كانت تنتظر مغادرة الفرنسيين ولم يحدث ذلك؛ حيث بدأت المقاومة بشقيها السياسي والعسكري لمقارعة الإحتلال.

ب- تأكيد السلطان العثماني بأحقية الدولة العثمانية في الجزائر، على ضوء المفاوضات التي تمت بين السفير الفرنسي بإسطنبول والسلطات المخولة بذلك[1].

جـ- سبق وأنْ أشرنا للموقف الروسي المؤيد للإحتلال والدعم الذي قدمه لفرنسا، وهذا من أجل الظفر بالإعتراف الفرنسي في أي عمل تقوم به هذه الدولة على حساب العثمانيين، وعلى خطاها سارت النمسا وبروسيا[2].

د- شُكر الأمريكان للفرنسيين ومباركتهم لنجاحهم، إذْ كان ذلك مناسبة للتخلص من ما كانت تدفعه هذه الدولة لخزينة الجزائر عندما عبر الرئيس الامريكي عن إمتنانه للفرنسي "جول كامبون"[3].

هـ- فرحة كل من باي تونس "حسين باي" على عكس شعبه، والملك المغربي "المولى عبد الرحمن" بسقوط حكومة الجـــزائر وإنتصار الإحتلال الفرنسي، حيث بقيا محايدين ولم يقدما المساعدة للداي، بل قدماها للإحتلال الفرنسي عندما أمر الملك المغربي جمارك بلاده بالسماح للفرنسيين بالتزود بما شاؤوا بشرط تسديدهم للحقوق الجمركية المقررة [4]. وتحمسهما لشراء بايليكي الشرق والغرب من فرنسا [5]. ولكن الشعور بالأخوة مع الشعب الجزائري كان ممزوجا بالخوف من الفرنسيين لذا كانت المواقف السرية مع الجزائر والعلنية مع فرنسا، إلى حين، والدليل مساندة مقاومة الأمير عبد القادر.

و- أبدت إسبانيا وسردينيا تأييدا للحملة الفرنسية عارضين على قائدها الدعم الما دي من العتاد والضباط والمه ـــندسين وكل من هاتين الدولتين كانتا لها غرض فإسبانيا كانت تسعى لإعادة إحتلال وهران والمرسى، أما سردينا فكانت تحلم بإقامة قواعد بحرية شرق الجزائر بعنابة أو غيرها من النقاط الساحلية[6].

ز- معارضة إنجلترا للإحتلال ومطالبتها لفرنسا بتوضيح رؤياها المستقبيلة في الج ـــزائر وتقديم ضمانات كتابية على ذلك خشية تضعضع مكانتها في البحر المتوسط خاصة وأنّها تسي ـــطر على مداخل الحوض الغربي منه، مؤكدة أحقية الدولة العثمانية في الجزائر، ولكن فرنسا إستطاعت بدهاء ومكـــر تخطي هذه المعارضة على أنّ إنجلترا فيما بعد تخلت عن مبادئها هذه لتغير الأمور بالقارة الأوربية وتنصلها من وساطات الباب العالي[7].

وهناك مواقف أخرى لا يسعنا المجال لذكرها، ومهما تكن فإنّ الجزائر قد ضاعت بغفلة وأخطاء لم تكن لتغتفر.

---

(1) أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص ص 58-60.

(2) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص ص130-131.

(3) سعد الله ابو القاسم، المرجع السابق، ص17.

(4) شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص ص126-127.

(5) سعد الله ابو القاسم، المرجع السابق ، ص169.

(6) أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص ص 57-85.

(7) أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص131- 132.

خـــــاتمة

بعد عرضنا لمختلف التحالفات الإقليمية والدولية التي تم توجيهها ضد إيّالة الجزائر، والوقوف على الظروف المحيطة بها وتحليل العوامل المفضية إليها، ثم عرض ترتيبات المواجهة بين الطرفين فالمواجهة في حد ذاتها، وأخيرا إستخلاص النتائج المترتبة عنها، قمنا في آخر هذا البحث برصد جملة من النتائج منها الخاصة بالجزائر والدولة العثمانية ومنه ـــا ما هو خاص بالإيّالات الشقيقة، والـــدول الأوربية وكذا الولا يات المتحدة الأمريكية كآخر دولة دخلت إلى ميدان الصراع ومن بين النتائج التي توصلنا إليها نذكر:

– لم تكن التحالفات لا الإقليمية ولا الدولية، جديدة على ح كام الجزائر العثمانيين في العصر الحديث بل كانت إمتداد لمظاهر الصراع في العصور الوسطى، بين الدويلات التي تأسست على أنقاض الدولة الموحدية، فكثيرا ما تعرضت عاصمة ملك الزيانيين للسيطرة من قبل الحفصيين والمرينيين.

– تجددت التحالفات بعد مجيئ الإخوة بربا روس وحكمهم لمد ينة الجزائر فتم م عاداتهم من قبل الزيانين والحفصـــيين والقوى المحلية كإمارة جبل كوكو التي تزعمها أحمد بن القاضي، وتطور الأمر إلى ربط التحالف مع الإسبان أنذاك سواء بالمقيمية بمدينة الجزائر أو بوهران بالنسبة لحكام بني عبد الواد أو الإسبان بتونس بالنسبة للحفصيين.

– أكبر التحالفات الدولية التي وجهت ضد مدينة الجزائر كانت تلك الحملة الصل يبية الأولى بقيادة شارل الخامس عام 1541م، تأتي من بعدها الحملة الصليبية بقيادة دي برمون وزير الحرب الفرنسي 1830م، من حيث عدد الدول المتحالفة والعدة والعتاد والنتائج على المدى البعيد.

– الحملة الأولى بقيادة شارل الخامس خسارتها منعت الإسبان من إعادة التفكير ثانية في توجيه حملة بذلك الشكل على الجزائر لمدة فاقت القرنين وثلث القرن من ا لزمن، أما الحملة الفرنسية كانت قد أنهت حكم العثمانيين بالجزائر بعد المدة الطويلة التي بقوها فيها والتي فاقت أيضا الثلاثة قرون.

– الإنتصار الكبير الذي حققته إيالة الجزائر بفضل الله وإلتفاف مختلف شرائح المجتمع حول الحكام في التصدي البطولي للحملة الصليبية؛ جنب مدينة الجزائر والبلاد ككل خطر الإحتـــلال الأجنبي وأجلّ سقـــوطها لمدة ثلاثة قرون تقريبا (1541– 1830م)، يشبه في ذلك إنتصار جيوش المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد ضد القوات الأوربية بقيادة ألفونسو السادس في موقعة الزلاقة، التي أجلت كذلك سقوط الأندلس لمدة قاربت الأربعة قرون (1086– 1492م).

– إستطاع حكام الجزائر المحافظة على كيان الإيّالة وحدوده ا على الرغم من التحالفات الإقليمية والدولية تارة وتوالي الحملات تارة أخرى، تكمن السياسة المتبعة في عدم إعلان الحرب على كل الدول دفعة واحدة لتجنب تحالفها وذلك بعقد إتفاقيات للحد من الصراع في عرض البحر المتوسط، أو توجيه حملات مباشرة على سواحل الإيّالة.

– كل الدول الأوربية دخلت في تحالفات في السر والعلن، وكلها خضعت لإتفاقيات بالشروط الجزائرية، عدا فرسان مالطا الذين لم يعقدوا الصلح مع حكام لجزائر ولو لمرة واحدة، و بقي عداؤهم لحكام الإيّالة وشعبها طيلة العهد العثماني، وشاركوا في كل الحملات تقريبا التي وجهت ضد الإيّالة، لأنّ أكثرهم من جنسية فرنسية.

– كل الحملات التي وُجّت ضد مدينة الجزائر نزلت على ضفاف وادي الحراش وكلها فشلت في النزول وإحتلال المدينة، ما عدا الحملة الصليبية بقيادة فرنسا التي غيرت مكان النزول غرب الجزائر ونجحت في عملة الإنزال بميناء سيدي فرج.

– أهم ما ميز علاقات الدول الأوربية مع الجزائر، هو التنافس حول المصالح الخاصة وبدت الملائد بين قناصل هذه الدول واضحة، فالدول الصغرى كانت تريد الحصول على ما لدى الدول الكبرى من إمتيازات، فجربت كم من مرة أسلوب القوة منفردة ولكنها فشلت.

و– ظلت فرنسا الدول الوحيدة التي كانت علاقاتها مع حكام الجزائ ر متقلبة وغير مستقرة تماما غلب عليها إستعمال القوة منذ البداية، وفي حالة الفشل تلجأ إلى طلب الصلح، حتى إستطاعت في الأخير التمكن من الحكومة الجزائرية و إنهاء كاينها.

– على الرغم من تقلب المواقف الفرنسية، ظلّ القناصل الفرنسيون من المقربين لدايات الجزائر، بل وظلوا الوسطاء للقناصل الأوربين الآخرين عدا الانجيز بل وممثلوهم في الكثير من الأحيان، الأمر الذي تم إستغلالهم من طرف هؤلاء لصالح بلدهم فالمؤارات والدسائس والمكائد ظلت عادتهم الدائمة، مثل ذلك القنصل دوفال.

– لجأت إسبانيا بعد عدم قدرتها على توجيه حملة على مدينة الجزائر إلى محاولة توسيع إحتلالها بالغرب الجزائري بإحتلال مستغانم، وذلك بالتحالف مع المغرب.

– بعد فشل بايات تونس على التخلص من التبعية لحكام الجزائر عقدوا إتفاقات للتحالف العسكري مع داي طرابلس الغرب والملك المغربي للنيل من إيّالة الجزائر.

– تربص ملوك المغرب وخاصة المولى إسماعيل بالجزائر، لتحقيق أطماعه التوسعية كم من مرة، وتبعه المولى سليمان الذي إستطاع ضم مدينة وجدة أواخر القرن الثامن عشر.

– صرفت هذه الإعتداءات المتكررة على تراب الإيّالة حك ـامها على مزاولة حكمهم بأريحية تامة ، فكانت الضغوطات حاضرة دائما عندما يفشل حاكم ما في إدارة الأزمات الناتجة عن الحملات مثل ما حدث للداي بابا حسن عندما توالت الحملات الفرنسية في عهده فتم التخلص منه ، وكذلك فعل بالداي الحاج عمر عقب القصف الإنجليزي عام 1816م. وكذا شغلهم هذه الإعتداءات على تحرير وهران والمرسى الكبير أيضا.

– جعلت الحملات المتكررة من مجتمع مدينة الجزائر مجتمعا خبيرا بالحروب الأوربية وطبيعتها ، الأمر الذي لم يستغله العثمانيون في المقاومة بل على العكس زاد من الشرخ في العلاقة بين الحكومة والشعب ، حتى تخلى الأخير عن الدفاع عن بلده ضانا أن ما أصاب العثمانيين لن يصيبه.

– عجز حكام الجزائر في إدارة الأزمات الداخلية أدى بالمتربصين من الأعداء إلى تأليب الأوضاع الداخلية والدخول في تحالفات مع القوى الداخلية مثل ما حدث في ثورة ابن الاحرش بشرق الجزائر والشريف الدرقاوي بغربها.

– إستمرار محاولات سلاطين آل عثمان على إبقاء سيطرتهم على حكام الإيّالات المغاربية وخاصة منها الجزائر، فعديد من المرات أرغمت هـؤلاء على ربـــط أو قطع علاقاتهم بالدول الأ وربية، مـــثل ما حدث في عهد الداي مصطفى مع فرنسا. مستعملة أسلوب التهديد والوعيد بمنع التجنيد .

– تم تديول القضية الجزائر ية في أول المناسبات الأوربية التي إلتأم فيها شملهم في مؤتمري فيّينا و إكس لاشابيل، موجهين أصابع الإتهام للبحرية المغاربية، متناسين أعمال بحارتهم غير المقبولة.

– خضوع الولايات المتحدة الأمريكية إلى رغبة الجزائر ودفعها للضرائب لمدة عشرين عاما، لم تتنصل منها إلا بعد أنْ تمكنت من إغتيال الريس حميدو الذي أعاد للبحرية الجزائرية مجدها.

– تناوب الحملات الأوربية على لجزائر عند تراخي دولة ما في ضرب الجزائر ونكب بحريتها، مثل ما إستغلت انجلترا غياب فرنسا ووجهت حملتين متتاليتن عامي 1816- 1824م. الأمر الذي شجع فرنسا على توجية حملة ضخمة بذلك الشكل وإنهاء حكم الجزائر.

– إعتراف الفرنسيين في حد ذاتهم بزيف الأسباب المتخذة لغزو الجزائر و إقرارهم بأنّها لا تعدو أنْ تكون مؤامرة حيكت في فرنسا عندما كان الداي مشغولا بمفاهات اليهود.

– تمكن اليهود من الإستئثار بخيرات الجزائر والسّيطرة على تجارتها والمساهمة في إصدار قرارات حكمها وتدبير إغتيـــالات داياتها، وتوريط الحكومة الجزائرية في قضية الديون، والمساهمة في تسهيل مهمة الإحتلال.

– تدبير قضية حادثة المروحة، كحادثة قصف سفينة لابروفانس التي حدثت نتيجة لعمل إستفزازي دنيء آخر، فلم اذا لم يحدث مثل ذلك طيلة ثلاثة قرون وما رفع العلم الأبيض في حملة إنجلترا إلا دليل على صحة إعتقادنا.

– إستطاعت فرنسا تجهيز حملة بمساعدة العديد من الدول و بتواطؤ دولي منقطع النظير وأحتلت الجزائر وجعـــلت منها قاعدة لإحتلال القارة الإفريقية.

وعلى أية حال يبقى موضوع البحث مفتوحا للباحثين للنبش في ثنايا هذه الحروب التي لم نتمكن من الاحاطة بها كلها، لا سيما فيما يخص الحملات الفردية وبعض الثورات الداخلية المدعمة من الخارج كثورة ابن الصخري.

الملاحـــق

– عناوين الملاحق:

– الملحق رقم:01– سفن الأسطول المسيحي بقيادة الإمبراطور شارلكان في الحملة على مدينة الجزائر 1541م.

– الملحق رقم: 02– فرق الجيش المشاركة في حملة 1541م.

– الملحق رقم:03 – مهمة دفتري تخص أمر بايلرباي الجزائر بحراسة البلاد و الإنتباه لمخططات الأعداء.

– الملحق رقم:04– مهمة دفتري تخص التحذير من هجوم اسباني وشيك على الجزائر سنة1585م.

– الملحق رقم:5– مهمة دفتري تخص أمر للجزائريين لتسليم بعض الأسرى للفرنسيين.

– الملحق رقم:06– مهمة دفتري تخص أمر لحاكم الجزائر بإلحاق أسطول الجزائر بالأسطول الهمايوني سنة 1566.

– الملحق رقم:07– مهمة دفتري تخص أمر بضرورة الإنتباه للاعداء و حراسة البلاد سنة1566م.

– الملحق رقم:08– مهمة دفتري تخص أمر الإستعداد لأسطول الأعداء الذي خرج للغزو سنة 1568م.

– الملحق رقم:9– مهمة دفتر تخص أمر تجهيز بعض السفن للالتحاق بالأسطول الهمايوني لصد الأعداء سنة1582.

– الملحق رقم:10– مهمة دفتر تخص أمر للقائد رمضان لحماية البلاد و بعض نواحي تونس سنة 1572م.

– الملحق رقم:11– مهمة دفتري تخص أمر الالتحاق بالأسطول الهمايوني لمحاربة الأعداء س1572م.

– الملحق رقم:12– مهمة دفتر تخص التحري بشأن الخلاف مع الفرنسيين بسبب الأسرى.

– الملحق رقم 13: المعاهدة الجزائرية الإنجليزية التي وترت العلاقات الجزائرية الفرنسية لعقد من الزمن 1682م.

– الملحق رقم:14– خط همايون يخص شكاية الفرنسيين من موقف داي الجزائر من العلاقات الثنائية سنة 1802م.

– الملحق رقم:15– خط همايون يخص أمر النظر في النزاع الواقع بين الجزائريين و الفرنسيين 1803م.

– الملحق رقم:16– بعض من سفن الأسطول الحربي الانجليزي الهولندي بقيادة اللورد إكسماوث 1816م.

– الملحق رقم:17– خط همايون يخص التقرير الجزائري للسلطان العثماني حول حملة إكسماوث 1816م.

– الملحق رقم:18– خط همايون يخص طلب أوربا في مؤتمر اكس لاشابيل 1818م التوسط بينها و بين الجزائر .

– الملحق رقم: 19– خط همايون يخص الاستخبارات حول اجتماع حكام أوربا في لندن في أكتوبر1818م بخصوص اتخاذ خطوة عملية لإجبار حاكم الجزائر على منع مواصلة عمليات القرصنة، و عدم الاعتراف بقرارات المجتمعين.

الملحق رقم:01– سفن الأسطول المسيحي بقيادة الإمبراطور شارلكان في الحملة على مدينة الجزائر 1541م[1].

مواطن و ملكية السفن الحربية	
البابوية	4
مالطا	4
صقلية	4
البحار انطوان دوريا	6
نابولي	5
موناكو	2
الماركيز دو تير نوف	2
سيقالا	7
فرناند دو قونساقو	7
الإسبانية	15
اندري دوريا	14
المجموع	65
سفن النقل و الشحن	
مالطا	1
دو سبيزيا	100
فرناند قونساقو	150
الإسبانية	200
المجموع	451
مجموع عدد سفن الأسطول	516

(1) Venture de Paradis, Expédition…, Op, Cit, p p26-27.

الملحق رقم: 02– فرق الجيش المشاركة في حملة 1541م[1].

جنسيات الفرق العسكرية	عددها
حراس الإمبراطور	200
نابوليطان	150
فرسان مالطا	150
موظفين	400
الالمان	6000
الإيطاليين	5000
الفرق الإسبانية بنابولي وصقلية	600
فرق الإسبان بالبندقية	400
مالطا	500
قوات خاصة مغامرين	3000
فرسان ايطليا	1000
فرسان اسبان من صقلية	400
فرسان جنوة	700
المجموع	23900

(1) De Venture de Paradis, Op, Cit, p 27.

الملحق رقم: 03 – مهمة دفتري تخص أمر بايلرباي الجزائر بحراسة البلاد و الإنتباه لمخططات الأعداء[1].

DZ/ANA/2CA/0004/074

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الامانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 6 صحيفة 451 حكم رقم 972

بتاريخ 7/ 9/ 972

كتب عينا

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

هذا ايضا (اعلى لغلامه في 7 رمضان 972)

حكم الى حسن باشا اميرامراء جزائر الغرب

ورد الى عتبتنا العليا خطابك الذى تعلم فيه بأن عبد الله حاكم مراكش (فاس) قد نقض العهد والصلح الذى قام بعقده سابقا بعض الصلحاء بينه وبين اخواته عبد المؤمن وعبد الملك وعلمنا بأن المذكوران قد عادا الى الجزائر ثانية واحيط كل ما يتعلق بتلك المسالة وما جاء في خطابك المذكور بعلمى الشريف على التفصيل ولقد سبق ان احيلت امور تلك الديار الى فكرك الثاقب ورايك الصائب .

وامرت :

عند وصول حكمى الشريف الواجب الامتثال ، ان تجد في تنظيم امور البلاد وترفيه احوال العباد كما سبق بكمال فراسة وجمال كياسة وان تظهر كل انواع مساعيك الجميلة بشأن حفظ وحراسة البلاد وصون صيانة الرعيه لأجل دفع الأعداء وقمع اهل الفساد بمقتضى وفور جلادتك وشهامتك وشجاعتك الكامنة في جبلتيك وقد ارسل حكم همايونى عن طريقك الى شقيقي حاكم فاس المشار اليه (المقمين) والمقيمين طرفك فعليك مواساتهما بالوجه الذى تراه مناسبا .

ونظرا لاعلامك بوجوب ارسال اسطولي الهمايوني فقد تم ارساله تحت امرة الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم وزيرى (باشا مصطفى باشا ادام الله تعالى معاليه وقد عزم العزم على فتح تسخير جزيرة (قلعة) مالطة و حتى اتمام واجبات هذه الغزوة الشريفة بمشيئة الله الأعز فاذا اصر حاكم فاس المومى اليه على العداء والخلاف ، ولم يمل الى طريق الصلح والصلاح فان ردعه عن تصرفاته سيكون من واجبات السلطنة ويجب الامداد له حين اوان الوقت والفرصة المناسبة .

وعليك الا تغفل عن مكر الكفار اصابهم الدمار اثناء محاصرة اسطولي الهمايوني لتلك القلعة وعليك ايضا بذل مقدورك في سبيل حفظ وحراسة قلاع وبقاع الشواطىء التابعة لولايتك ولا تتردد في قلع وقمع النجدة الواردة الى اسطول الكفار هزمه الله والحق بالاعداء كل ضرر وخسران وعاون وظاهر عساكر اسطولي الهمايوني نصرهم الله وليكن ذلك معلومك .

تعريب محمد داود التميمي

(1) مهمة دفتري، رقم6، المصدر السابق.

الملحق رقم: 04– مهمة دفتري تخص التحذير من هجوم اسباني وشيك على الجزائر سنة1585م [1].

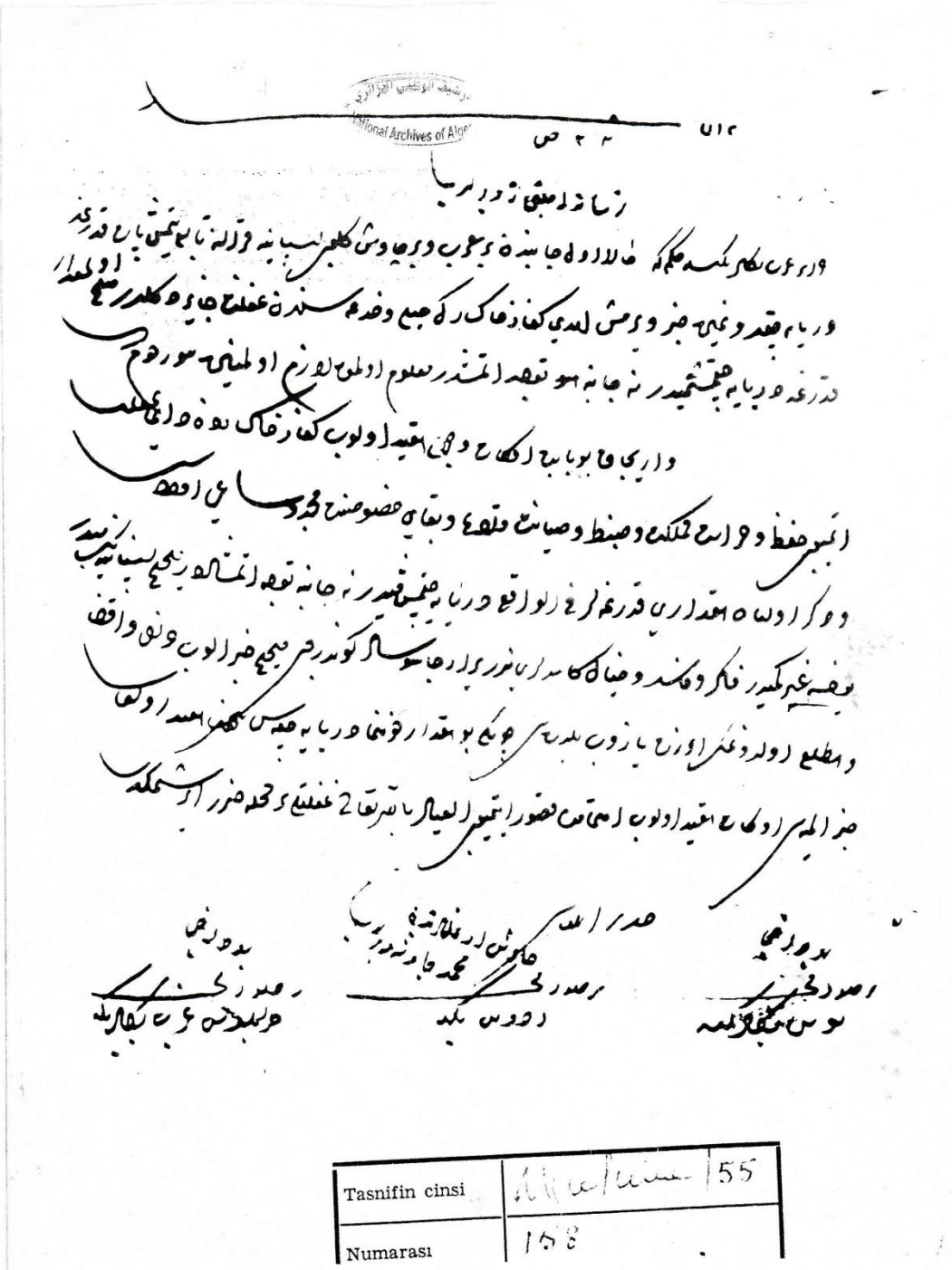

Tasnifin cinsi	Ahkâm defteri 155
Numarası	158

DZ/AN/2CM/011/022

دفتر: مهم 55

عدد: 158

تاريخ: 3

حكم الى اميرامراء جزائر الغرب

تفيد الاخبار التي وصلتنا من الرجلين الواردين الى طرفنا من جانبكم — احدهما عربي و والثاني — شاويش بان 70 سفينة من نوع القدوفة التابعة لملك اسبانيا قد خرجت الى المياه البحرية وان هذا الامر يقتضي اليقظة والانتباه لما سيقدم عليه العدو الصاغر من جراء هذه العملية كما يفرض علينا ايضا الانتباه الى كل الحيل والدسائس التي يمكن ان يلجأ اليه هذا العدو الشرس لان الغفلة عن ذلك لا يجوز ابدا ولذا قلت لكم : حال وصول امري اليكم بادروا الى الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الكفرة في كل وقت من الاوقات ولا تغفلوا لحظة واحدة عن حراسة الثغور وحماية الثغور وصيانة المملكة والبلاد من شرو تجاور العدو باذلين في ذلك كل ما يمكن بذله من جهد وتضحية ثم ارسلوا جواسيس الى تلك الناحية للتحقق فيما اذا كانت تلك السفن هي تابعة فعلا للاسبان ام لاوهل هي خرجت الى البحر ام لم تخرج ؟ واذا خرجت كما قيل واخبرفا اين تتوجه ياترى ؟

ثم اخبرونا كتابيا عن كل ما يتعلق بهذه السفن من الاخبار حتى نكون على يقين منها لان ذلك يهمنا جدا

اذ ان خروج مثل هذا العدد الضخم من الاسطول الى المياه شيء لا يمكن الاستهانة به وبتحركاته ولذا كونوا متيقظين امام هذه الاخبار المتعلقة بتلك القوة البحرية التي قيل عنها بانها تابعة لاسبانيا .

صورة	صورة	صورة
الى اميرامراء تونس	الى اميرامراء رودوس	الى اميرامراء جزائر الغرب

(1)دفتر مهم رقم55، المصدر السابق.

الملحق رقم: 5– مهمة دفتري تخص أمر للجزائريين لتسليم بعض الأسرى للفرنسيين سنة [1].

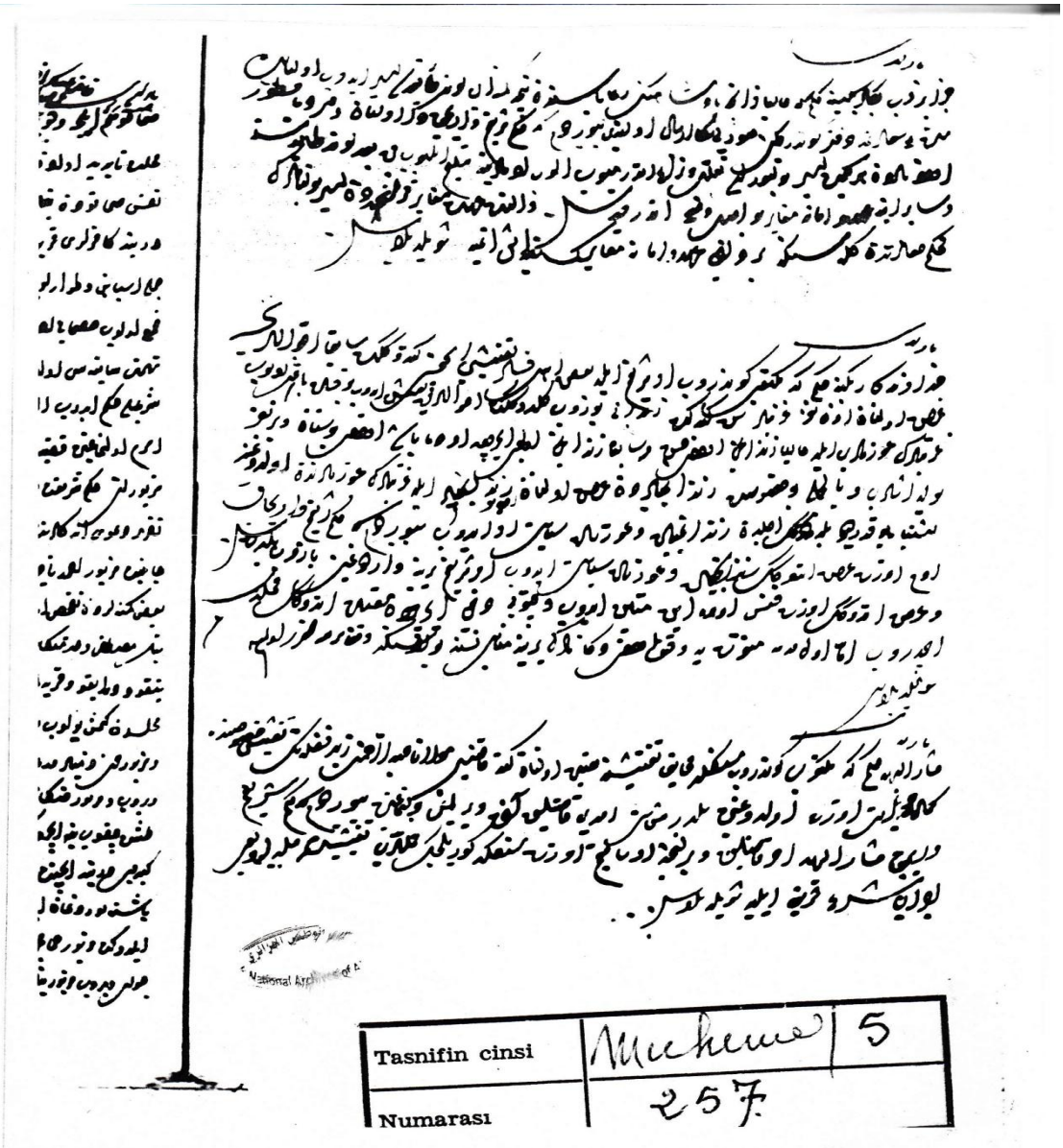

Tasnifin cinsi	Muhimme	5
Numarası	257	

DZIAN2CA1/001/058

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 5 صحيفة 657 حكم رقم 656

بتاريخ 20 / 5 / 973

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

حكم الى اميرامراء جزائرالغرب

نرسل لك صورة عن (الدفتر) الذى ارسله امبراطور (بادشاه) فرنسا والذى يحرب فيه عن ان طائفة (اللوند) قد اسرت العديد من رعاياه وقد امرت

حال وصول حكمى الشريف ان تسلم الى الفرنسيين كل من ورد اسمه في القائمة (الدفتر) كائن في يد من كان اسيرا دون تعلل و نزاع والا تسمح بعد ذلك لطائفة اللوند اوغيرها بأن تقدم على عمل يخالف العهد والامان وان تعاقب كل من يحتجز اسرى من الفرنسيين لديه.

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

تعريب محمد داود التميمي

(1)دفتر مهم رقم5، المصدر السابق.

الملحق رقم:06– مهمة دفتري تخص أمر لحاكم الجزائر بإلحاق أسطول الجزائر بالأسطول الهمايوني سنة 1566[1].

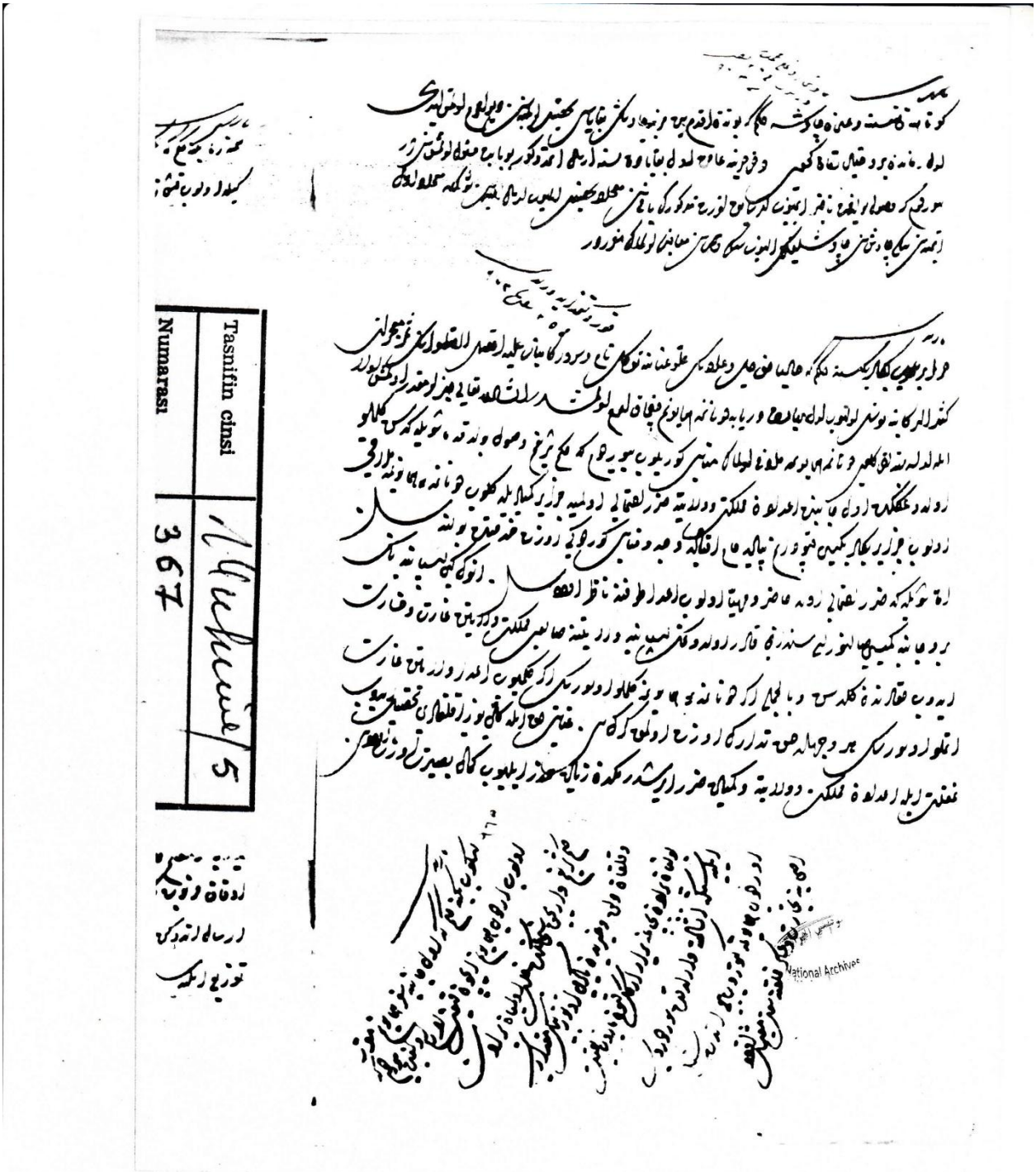

DZ/AN/2CA/004/063

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 5 صحيفة 367 حكم رقم 967

كتب

بتاريخ 19 / 7 / 973

اعطى الى الكخدا قورد في 25 رجب 973

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

حكم الى اميرامراء جزائر الغرب

بعد التوكل على عناية الحق جل وعلا والتوسل الى فخر الكائنات عليه افضل الصلوات ، فقد امرت اسطولي الهمايوني بالاجار في الربيع القادم داعين الله ان يكتب له الخير والنصر وقد رؤى من المناسب ملاقاتك للاسطول الهمايوني .

وامرت :

في حالة عدم ترتب اي ضرر من جانب الاعداء على ولايتك فعليك بملاقات اسطولي الهمايوني بسفن الجزائر والالتحاق بقوات بيالة باشا اميرامراء الجزائر (جزائر البحر الابيض المتوسط) وتقديم الخدملت التي يراها مناسبة .

اما في حالة توقعك الخطر فعليك الحذر من الاعداء ورصدهم وفيما اذا هاجمت سفن الاسبان ولايتك فقابلهم بالمثل واضرب بسفنك ولاياتهم التي تقدر على ضربها بعنف والحق بهم كل خسارة وسواء كنت ملاق للاسطول الهمايوني او كنت مغيرا على الاعداء فلتضع احقاق الحق نصب عينيك ، وليكن النصر خليفك وكن دائما على بصيرة من الامر وحاذران يلحق البلاد او الولاية اى ضرر من الاعداء على حين غفلة .

تعريب : محمد داود التميمي

(1)دفتر مهم رقم5، المصدر السابق.

الملحق رقم: 07– مهمة دفتري تخص أمر بضرورة الإنتباه للاعداء و حراسة البلاد سنة1566م [1].

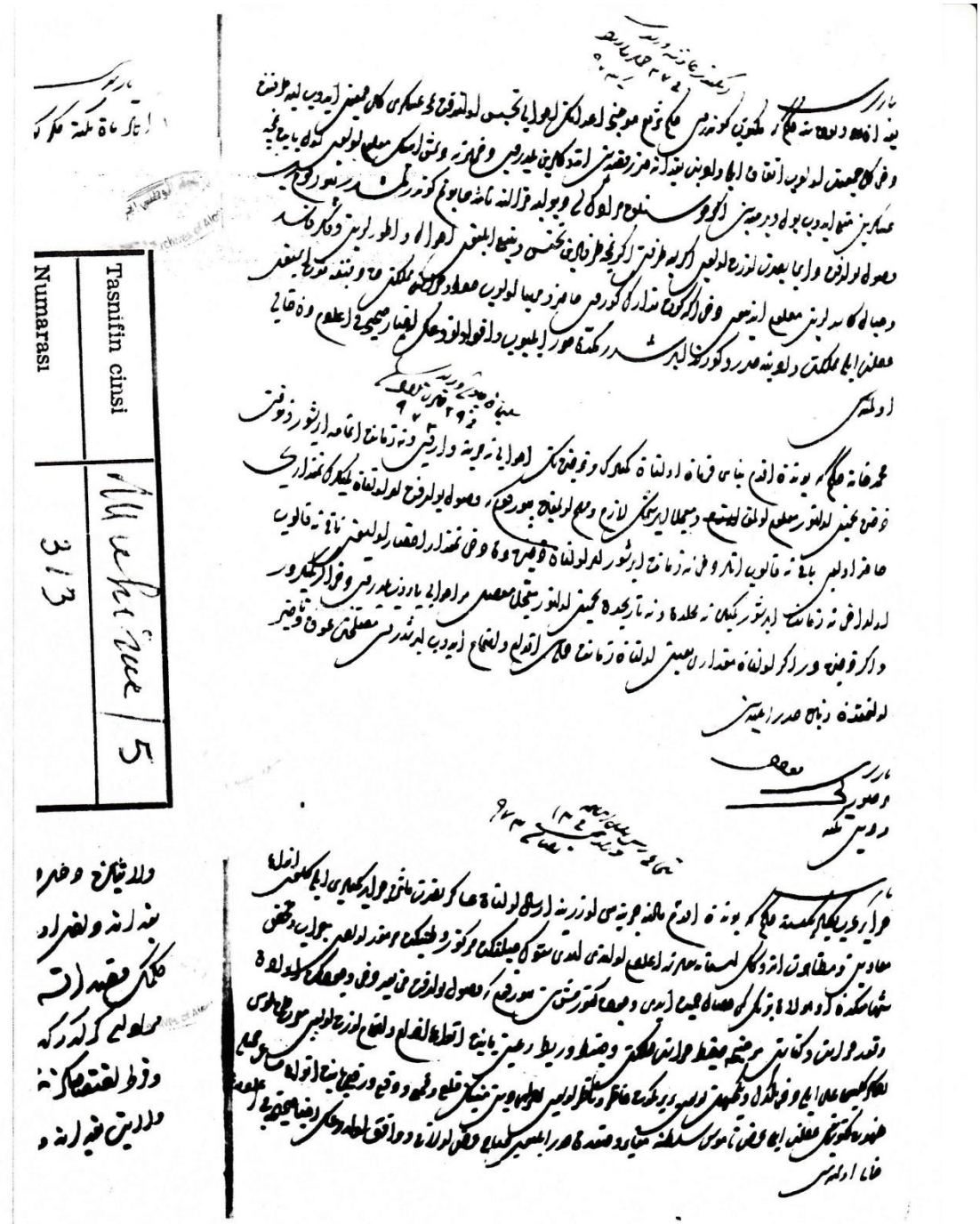

DZIAN/2C1/001/069

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفترى رقم 5 صحيفة 313 حكم رقم 817

بتاريخ 23 / 6 / 973

كتب

اعطى الى ابراهيم غلام الرئيس شجاع
في 13 رجب 973

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

حكم الى اميرامراء جزائر الغرب .

لقد سبق اعلام آستانة السعادة بمعاونتك و مظاهريك بانضمامك بسفن الجزائر الى العساكر المنصورة المرسلة الى جزيرة مالطة و لقد اظهرت خصالك الحميدة و شهامتك و حميتك في ذلك كما هو معروف عنك و مأمول منك .

وامرت

ان تبذل كل انواع الاقدام والاهتمام في سبيل ضبط و حراسة البلاد و ضبط و ربط الرعية وان تستمر على ما كنت عليه من الكفاءة واللياقة المتأصلة في نفسك وكذلك أن تظل على صلة بأمير امراء طرابلس الغرب علي حتى تكونوا يدا واحدة بشأن قلع و قمع و دفع و رفع اعداء الدين المتين ، والا تغفلوا عن صيانة و حماية عرض و شرف السلطنة وان تحافظ على توارد اخبارك و سمعتك المعهودة ايضا .

تعريب محمد داود التميمي

(1)دفتر مهم رقم5، المصدر السابق.

الملحق رقم:08– مهمة دفتري تخص أمر الإستعداد لأسطول الأعداء الذي خرج للغزو سنة 1568م [1].

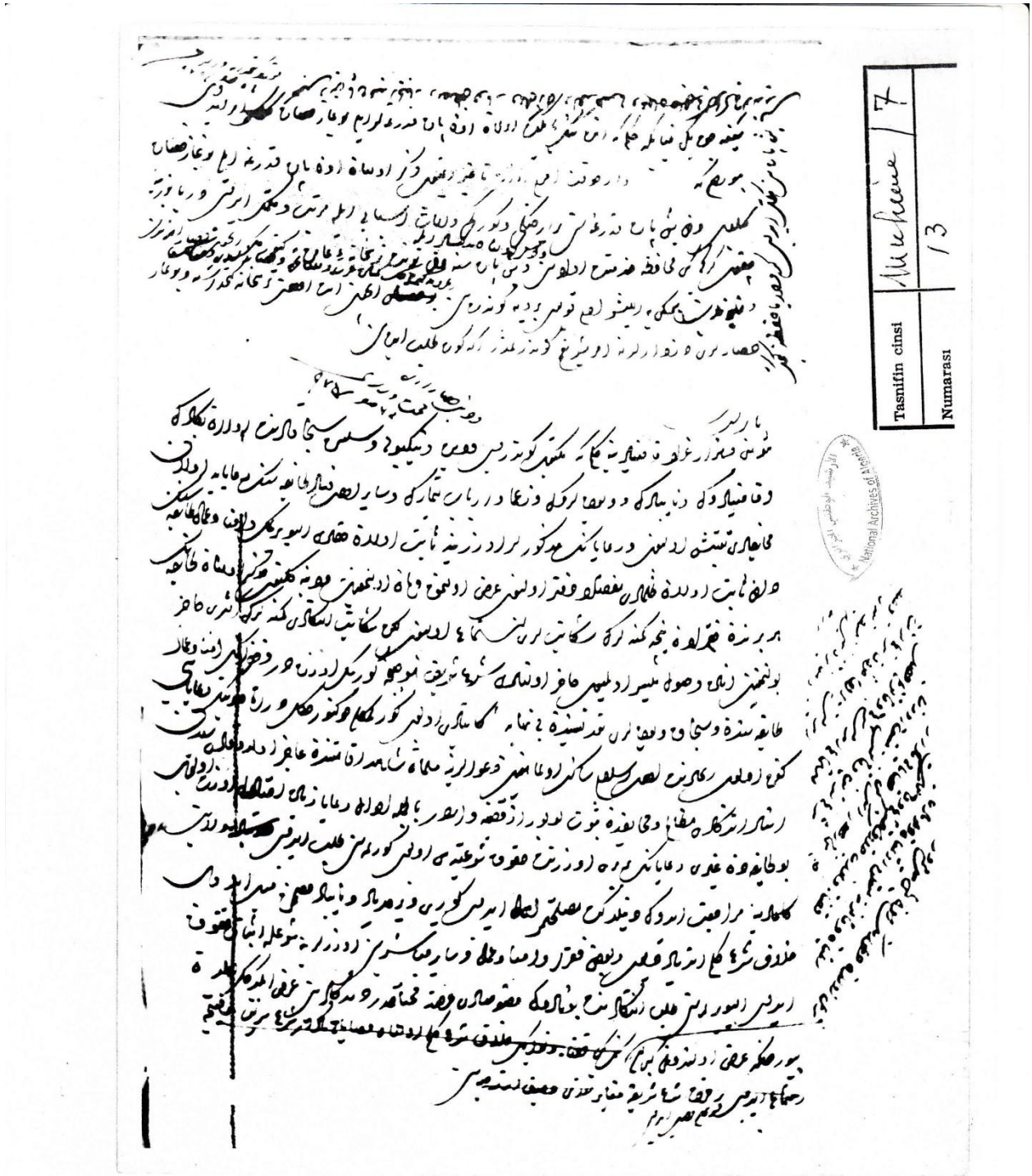

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 7 صحيفة 13 حكم رقم 51

بتاريخ 5 / 2 / 975

كتب

حكم الى اميرامراء جزائرالغرب

وردنا خطابك المتضمن بانه وردك في شهر ذى الحجة اخبار تفيد بأن الكفار قد جهزوا اسطولا مكونا من مئة وعشرين (قادرغة) وسبعين (بارجة) وكذلك (باشتارده) ذات خمس وثلاثين مقعد ويعتقد بانها اعدت ليركبها الامير الاسبانى القائم على اعدادا الاسطول ليتجه به الى جزائرالغرب .

وقد تحققنا صحة ذلك الخبر فامرت .

ان تستعد من وصوله (اي الفرمان) /// وان تحاذر من ان يلحق البلاد او الولاية اى ضرر من الاعداء والا تؤخذوا على حين غره .

تعريب محمد داود التميمي

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

DZIAN/CA/09/001

(1)دفتر مهم رقم7، المصدر السابق.

الملحق رقم: 9– مهمة دفتر تخص أمر تجهيز بعض السفن للالتحاق بالأسطول الهمايوني لصد الأعداء سنة 1582[1].

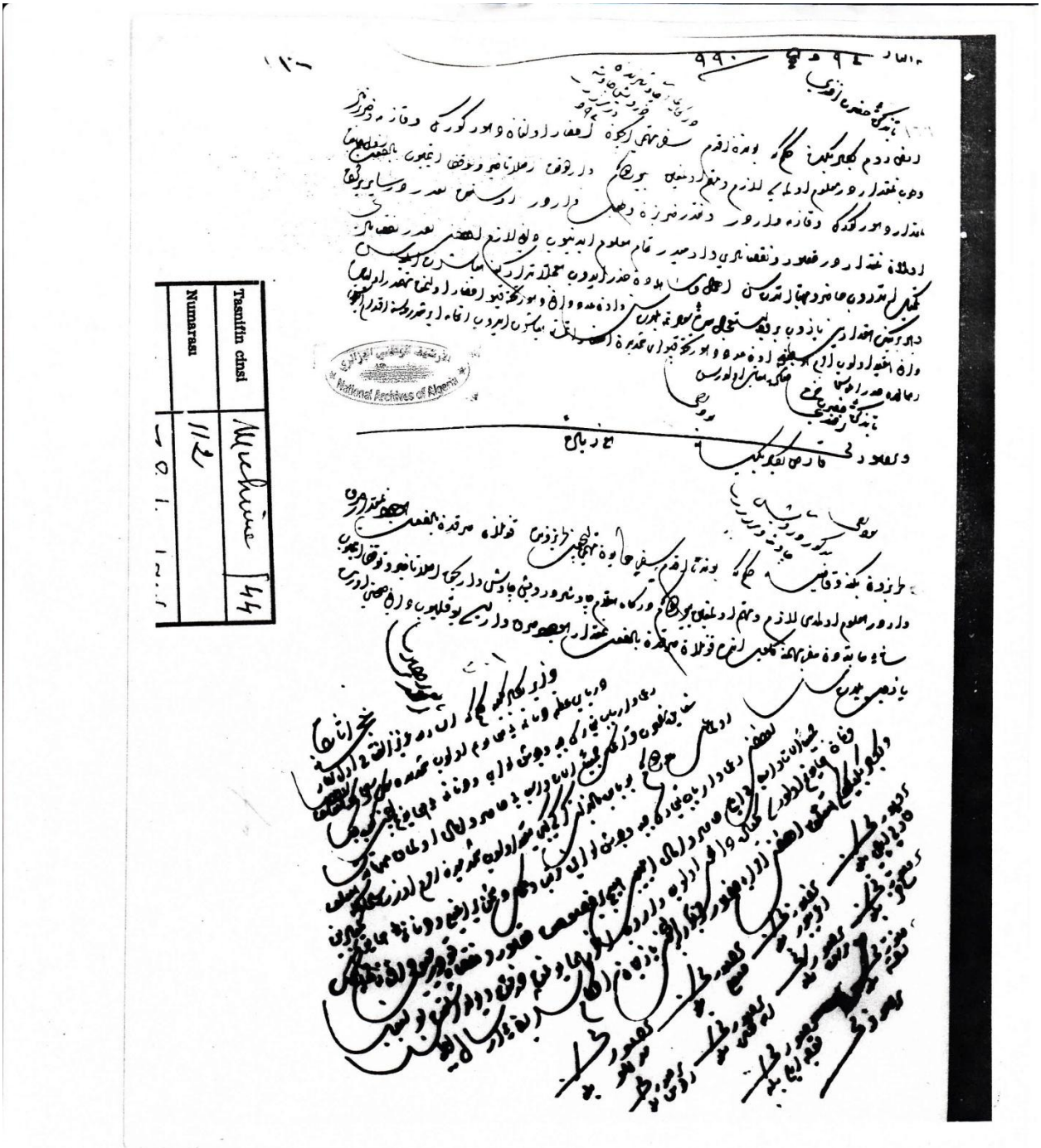

DZ/AN/2C1/010/028

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

دفتر : مهم 44
عدد : 1-12
تاريخ :
تعريب : فكري لونيسي .

حكم الى امير امراء جزائر الغرب

ان الاسطول الشاهاني سوف يخرج باذن الله تعالى الى البحر في اوائل الربيع للتجول في مياه بحر الابيض المتوسط تصد الامن والحماية وقصد ملاقات اسطول الكفار الذى يقال عنه بانه سوف يخرج ايضا .

ولذا امرت بما يلي : عند الوصول بادروا الى تجهيز[1] وتهيئة السفن التي سوف تغادر ميناء الجزائر للالتحاق بالاسطول الشاهاني الذى سيخرج الى البحر لتبقى معه حتى تقضى مهمته .

(1)دفتر مهم رقم44، المصدر السابق.

الملحق رقم:10– مهمة دفتر تخص أمر للقائد رمضان لحماية البلاد و بعض نواحي تونس سنة 1572م.

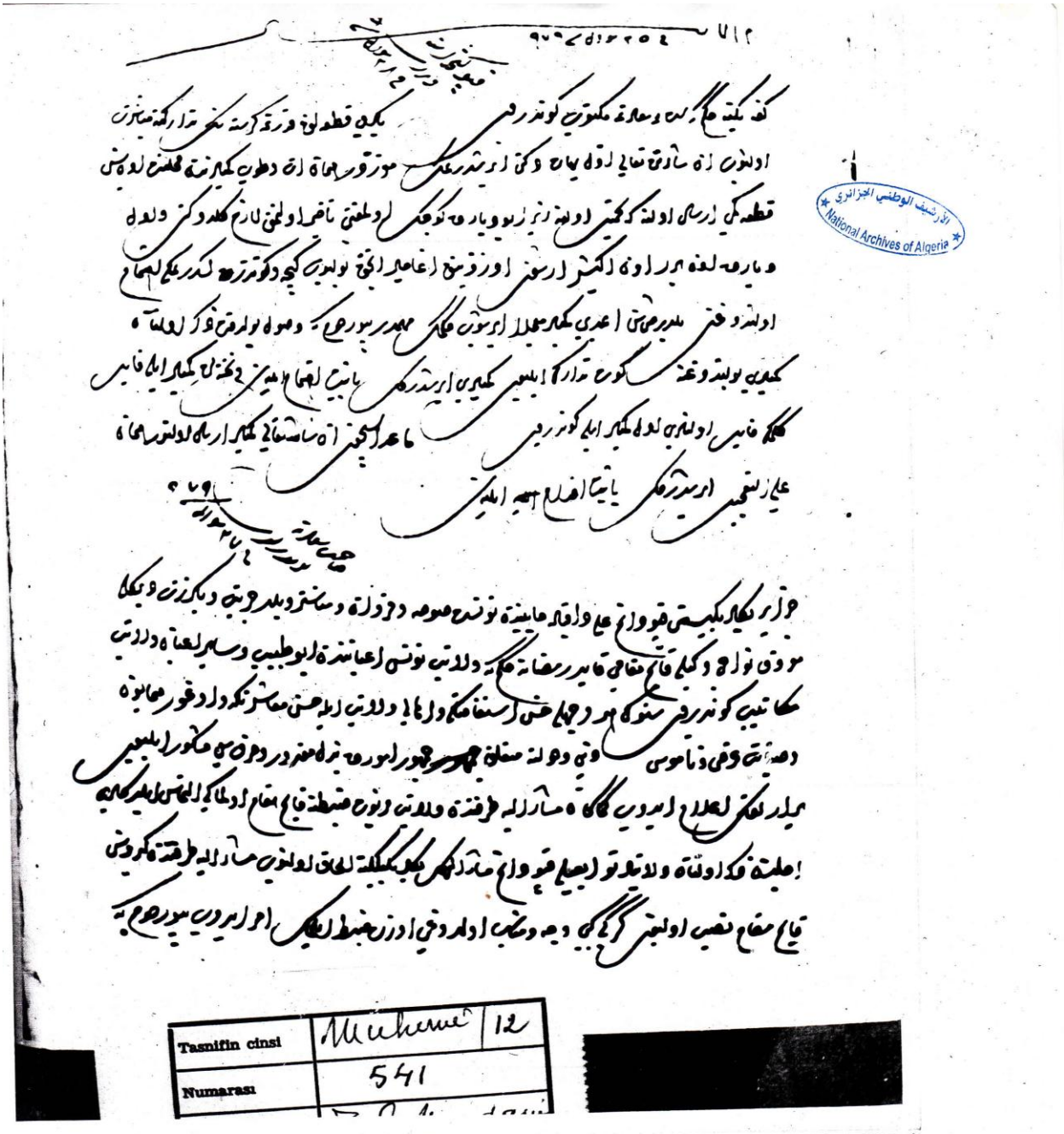

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

Tasnifin cinsi	Muhimme 12
Numarası	541

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 12 صحيفة 541 ـ 543 حكم رقم 1037

بتاريخ 25 / 10 / 979

ارسل الى صاحب السعادة في 28 شوال 979

حكم الى القائد رمضان قائم مقام ووكيل امير امراء الجزائر (جزر البحر الابيض) على ـ دام اقباله ـ في صوصه (سوسع) والقيروان (القيروان) ومناستر (منستير) وبلد حريت (كذا) وبكزرت (نزرت) من نواحي تونس .

بعث ابو الطيب وسائر اعيان ولاية تونس بخطابات يشيدون فيها بحسن استقامتك ومعاشرتك لاهالي الولاية من كل الوجوه ، ويشهدون بكفائتك وبذل قدراتك وسعيك المشكور في سبيل كافة الامور الهمايونية وصيانة عرض وناموس الدين والدولة .

وبما ان تلك الولاية مع نواحيها المذكورة قد الحقت بامره المشار اليه ، وبناء على التماسه باحتفاظك بمنصبك كقائم مقام له فيها فقد تم تعيينك في المنصب المذكور عن جانب المشار اليه والسعي كما كنت عليه سابقا وامر نال بضبط تلك النواحي على الوجه المناسب وامرت :

حال وصول الحكم ، عليك بموجب امري القيام بضبط تلك النواحي عن جانب المشار اليه والسعي لحفظها وحراستها وضبطها وصيانتها وعليك بالجد والحزم في سبيل ذلك لما فيه رفاهية واطمئنان الرعايا والبرايا وامن وامان البلاد والولاية وعياذا بالله تعالى ، فيما اذا حاول لاعداء اللئام الحاق الضرر والخسارة باي مكان فعليك انت ومن معك من عساكر المسلمين والجنود الموحدين واعيان الولاية واهل الراي باعداد العدة والعتاد والوقوف على اهبة الاستعداد فلتكن مع اولئك على اتفاق واتحاد ، ولتكن كلمتكم ووجهتكم واحدة وعليك بانواع السعي الاهتمام لدفع ورفع ضرر الاعداء وعدد اضاعة دقيقة واحدة في سبيل المحافظة على البلاد وعليك ايضا ببذل المقدور بحسب الامكان في سبيل كافة الامور المتعلقة بالدين المبين والدولة الابدية ـ المقرونة بسعادتي ـ وحاذران يلحق ضرر باي مكان على حين غفلة وابعث لنا بما يجب عرضه عن احوال واطوار تلك الديار .

لقد ارسلت لك احكام شريفة موجهه الى اعيان الولاية المزبورة بغرض تسليمها لهم فعليك بتسليمهم اياها ، والعمل على استمالتهم عن جناب جلالتنا وكذلك العمل على غيهم بالمحافظة على الولاية كما ينبغي ان تظل معهم على حسن المعاشرة لحفظ الولاية والرعايا والبرايا وليكن بعلمك

DZ/AN/2C1/010/028

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

دفتر : مهم 44
عدد : 12-1
تاريخ :
تعريب : فكري لونيسي .

حكم الى امير امراء جزائر الغرب

ان الاسطول الشاهاني سوف يخرج باذن الله تعالى الى البحر في اوائل الربيع للتجول في مياه بحر الابيض المتوسط تصد الامن والحماية وقصد ملاقات اسطول الكفار الذى يقال عنه بانه سوف يخرج ايضا .

ولذا امرت بما يلي : عند الوصول بادروا الى تجهيز[1] وتهيئة السفن التي سوف تغادر ميناء الجزائر للالتحاق بالاسطول الشاهاني الذى سيخرج الى البحر لتبقى معه حتى تقضى مهمته .

(1)دفتر مهم رقم12، المصدر السابق.

الملحق رقم:11- مهمة دفتري تخص أمر الالتحاق بالأسطول الهمايوني لمحاربة الأعداء س1572م.

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 14 صحيفة 199 حكم رقم 283

بتاريخ 979/2/3

حكم الى اعيان مندجل

ارسلتم الى سدة سعادتنا خطابا تعربون فيه عن عدم وصول الاسلحة المرسلة و ان المدعو حسين مربوط و اتباعه قد تظافروا على قتل محمد بك و انهم اغارواعلى ماله و منالـه ولم يبقوا على شيء من الزاد و انكم بذلك اصبحتم تواجهون(ظائعا) ضائقة في الذخيره و علمنا ايضا بان المذكور حسين جمع مبالغ و فيره بحجة تأمين قوة بحرية الا ان اثره قد اختفى و جاء في خطابكم ان الكفار تمكنوا من السيطرة على تلك الجوانب و لهذا السبب تعلمون عن حاجتكم لا رسال المعونه ولقد احاط الشريف بكل ماذكرتموه و ان انظار عنايتنا منصرفة تجاهكم كما و اننا نلحظ اهيمة ارسال الاسطول الهمايوني لنجدتكم غير ان ذلك لم يتيسر نظرا لتوقع غزوا اسطول البندقانيين اللعناء لممالكنا المحروسة في هذه السنة المباركة هذا الى جانب مهمة فتح جزيرة قبرص .

و قد ارسل حكم همايوني الى طي ام اقباله امير امراء الجزائر بشأن توجهه الى طرفكم على راس بضعة قطع من اسطولي الهمايوني لمعاونتكم اذا سنحت الظروف المذكورة بذلك في هذا العام المبارك كما امرناه بالقاء القبض على المذكور حسين و تأديبه و نأمل ان تتحقق هذه الامور بمشيئة الله الاعز و امرت :

حال وصوله (الحكم) عليكم بالاتفاق و الاتحاد و توحيد كلمتكم و و جهتكم لصد غارات الكفار اصابهم الدمار عن تلك الديار و عليكم بالتعاون و التظافر لدفع ورفع ضررهم مظهرين في ذلك كل انواع السعي و القوة و الاقدام متجنبين ايضا الوقوع في الغفلة و ان شاء الله الاعز فيما اذا و اتت الظروف فسيصل المشار اليه على رأس القوة المذكورة و سيعمل ما في وسعه لمعاونتكم و مظاهرتكم لدفع و رفع الكفار اصابهم الدمار بعناية الله تعالى و لا تتوانوا عن اعلامنا باوضاعكم و ابعثوا لنا باخبار الكفار اصابهم الدمار و بسائر الاخبار الصحيحة التي تردكم .

رئـاسـة الجمهـورية

الأمـانـة العـامـة

الجمهـوريـة الجـزائـريـة
الديمقـراطيـة الشـعبيـة

الجـزائـر فى :

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

تـابـع لمهـم 14

تحويـب : محمـد داود التميمـي

* فـي حكـم سـابـق قـرأت هـذه الكلمـة بشكـل (مـزدوجـل) و علـى مـا أظن ان هـذه (منـدجـل) اضح لـذا يـرجـى التـأكـد و ثبـت الصحيحـة منهـا .

(1)دفتر مهم رقم14، المصدر السابق.

الملحق رقم:12– مهمة دفتر تخص التحري بشأن الخلاف مع الفرنسيين بسبب الأسرى.

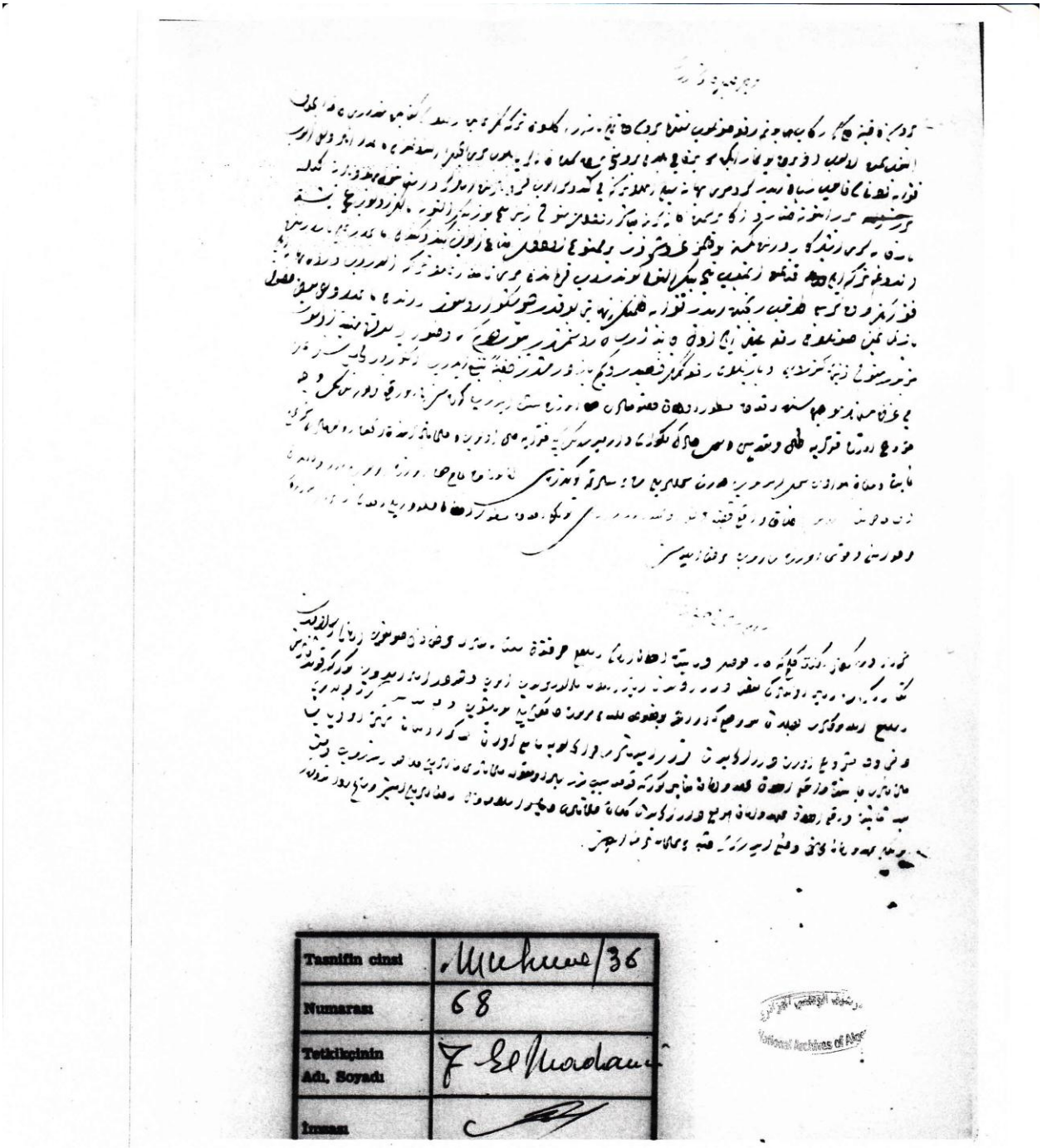

Tasnifin cinsi	Mühimme/36
Numarası	68
Tetkikçinin Adı, Soyadı	
İmzası	

National Archives of Algeria

DZIAN12C81091085

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفترى رقم 36 صحيفة 68 حكم رقم 205

بتاريخ 986/12/17

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives

حكم الى امير امراء جزائر الغرب

بعث بعض المسلمين الذين كانوا قد وقعوا في اسر الكفار بعرض حال الى استانة سعادتنا ، و اظهروا من خلال ذلك انهم بعد فرارهم من الاسر ووصولهم الى الاراضي الفرنسية ، قامت تلك السلطات باسرهم ثانية ووضعتهم على المجاذيف.

و إزاء ذلك ، فقد وجب ارسال خطاب للتحرى عن السبب في الاسر تلك الجماعات خلافا للعهد و الامان القائم بين دولتنا ، و من ناحية اخرى للعمل على اعادتهم و اموالهم الى الديار الاسلامية .

تعريب : محمد داود التميمي

نظرا لتعذر قراءة الوثيقة من الصورة المرسلة ، فقد ترجمت الملخص الوارد في فهرست تلك المهمة .

(1)مهمة دفتري رقم36، المصدر السابق.

الملحق رقم 13: المعاهدة بن الجزائر و إنجلترا التي تسببت في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية لعقد من الزمن1682م.

نص المعاهدة الأصلية:

The following is printed from the treaty which was
published by authority, in 1686. Articles of Peace and Commerce between the most Serene and Mighty Prince Charles the Second, by the Grace of Goody King of Great Britain, France, and Ireland , Defender of the Christian Faith, &c. and the most Illustrious Lords, the Bajhaw, Dey, Aga, and Governors of the famous City and Kingdom of Algiers, in Barbary : Concluded by Arthur Herbert, Esquire, Admiral of his Majesty Fleet in the Mediterranean Seas, on the Tenth Day of April, Old Stile, t682.

I. IN the first place, it is agreed and concluded, that from this day, and forever forwards, there be at rue, firm, and inviolable peace, between the most Serene King of Great Britain, France, and Ireland, Defender of the Christian faith, &c. and the most Illustrious Lords, the Bashaw, Dey, Aga, and governors of the city and kingdom of Algiers, and between allthe dominions and subjects of either fide and that the ships or other vessels, and the subjects and people, of both fides, shall not henceforth do to each other any harm, offence, or injury, either in word or deed, but shall treat one another with all possible respect and friendship.

II. That any of the {hips or other vessels belonging to the said King of Great Britain, or to any of his Majesty's subjects, may safely come to the port of Algiers, or to any other port or place of that kingdoms there freely to buy and fell, paying the usual customs of ten per cent, as in former times, for such goods as they fell ; and the goods they fell not, they shall freely carry on board, without paying any duties for die fame ;and that they shall freely depart from thence, whensoever's they please, without any flop or hinderance whatsoever. As to contraband merchandizes, as powder, brimstone, iron, planks, and all sorts of timber fit for building of ships, ropes, pitch, tar, fusils, and other habiliments of war, his laid Majesty's subjects shall pay no duty for the fame to those of Algiers.

III. That all ships and other vessels, as well those belonging to the said King of Great Britain, or to any of his Majesty's subjects, as those belonging to the kingdom or people of Algiers, shall freely pass the seas, and traffic without any search, hinderance, or mole station from each other and that all persons or passengers, of what country so ever , and all monies, goods, merchandizes, and moveable's, to whatsoever people or nation belonging, being on board of any of the said ships or vessels, shall be wholly free, and shall not be flopped, taken, or plundered, nor receive any harm or damage whatsoever from either party.

IV. That the Algiers ships of war or other vessels, meeting with any merchant ships or other vessels of his said Majesty's subjects, not being in any of the sea sap pertaining to his Majesty's dominions, may fend on board one single boat with two fitters only, besides the ordinary crew of rowers ; and that no more shall enter any such merchant ship or vessel, without express leave from the commander thereof, but the two fitters alone; and that upon producing a pass under the hand and seal of the lord high admiral of England and Ireland, or of the lord high admiral of Scotland, for the said kingdoms respectively, or under the hands and seals of the commissioners for executing the office of lord high admiral of any of the said kingdoms, that the said boat shall presently depart, and the merchant ship or vessel shall proceed freely on her voyage ; and that although, for the space of fifteen months next ensuing after the conclusion of this peace, the said commander of the merchant ship or vessel produce no such pass, yet, if the major part of the seamen of the said ship or vessel be subjects of the said King of Great Britain, the said boat shall immediately depart, and the said merchant ship or vessel shall freely proceed on her voyage ; but that after the said fifteen months, all merchant ships or vessels of his said Majesty's subjects shall be obliged to produce such a pass as aforesaid. And any of the ships of war or other vessels of his said Majesty, meeting with any ships or other vessels of Algiers, if the commander of any such Algiers ship or vessel shall produce a pass firmed

by the chief governors of Algiers, and a certificate from the English consul living there, or if they have no such pass or certificate, yet if, for the space of fifteen months next ensuing the con-r clusion of this peace, the major part of the ship's company be Turks, Moors, or slaves belonging to Algiers, then the said Algiers ship or vessel shall proceed freely j but that after the said fifteen months, all Algiers ships or vessels shall be obliged to produce such a pass and certificate as aforesaid.

V. That no commander or other person, of any ship or vessels of Algiers, shall take out of any ship or vessels of his said Majesty's subjects, any person or persons whatsoever, to carry them anywhere to be examined, or upon any other pretence; nor shall they use any torture or violence to any person, of what nation or quality soever, being on board any ship or vessel of his Majesty's subjects, upon any pretence what soever.

VI. That no shipwreck belonging to the said King of Great Britain, or to any of his Majesty's subjects, upon any part of the coast belonging to Algiers, shall be made or become prize, and that neither the goods thereof shall be seized, nor the men made slaves ; but that all the subjects of Algiers shall do their best Endeavour's to save the said men and their goods.

VII. That no hip, nor any other vessel of Algiers, shall have permission to be delivered up, or go to Sally, or any place in enmity with the said King, of Great Britain, to be made use of as corsairs or sea rovers against his said Majesty's subjects.

VIII. That none of the ships or other smaller vessels of Algiers shall remain cruising near or in fight of his Majesty's city and garrison of Tangier, or of any other his Majesty's roads, havens, or ports, towns, and places, nor any ways disturb the peace and commerce of the fame.

IX. That if any ship or vessel of Tunis, Tripoli, or Sally, or of any other place, bring 'any ships, vessels, men, or goods, belonging to any of his said Majesty's subjects, to Algiers, or to any port or place in that kingdom, the governors there shall not permit them to be fold within the territories of Algiers.

X. That if any of the ships of war of the said King of Great Britain do come to Algiers, or to any other port or place of that kingdom, with any prize, they may freely fell it, or otherwise dispose of it at their own pleasure, without being molested by any : and that his Majesty's said ships of war shall not be obliged to pay customs in any fort j and that if they shall want provisions, victuals, or any other things^ they may freely buy them at the rates in the market.

XI. That when any of his said Majesty's ships of war shall appear before Algiers, upon notice thereof given by the English consul, or by the commander of the said ships, to the chief governors of Algiers, public proclamation shall be immediately made to secure the Christian captives; and if after that any Christians whatsoever make their escape on board any of the said ships of war, they shall not be required back again, nor shall the said consul or commander, or any other his Majesty's subjects, be obliged to pay anything for the said Christians.

XII. That from and after the time that the ratification of this treaty by the King of Great Britain shall be delivered to the chief governors of Algiers, no subjects of his said Majesty shall be bought or fold, or made slaves, in any part of. the kingdom of Algiers, upon any pretence whatsoever. And the said King of Great Britain shall not be obliged, by virtue of this treaty of peace, to redeem any of his subjects now in slavery, or who may be made slaves before the said ratification -, but it shall depend absolutely upon his Majesty, or the friends and relations of the said persons in slavery, without any limitation or restriction of time,to redeem such and so many of them, from time to time, as shall be thought fit, agreeing of as reasonable a price as may be, with their patrons or masters, for their redemption, without obliging the said patrons or masters, against their wills, to set any at liberty, whether they be slaves belonging to the beylieque or galley, or such as belong to the Bashaw, Dey, Governor, Aga, or any other persons whatsoever. And all slaves, being his Majesty's subjects, shall, when they are redeemed, enjoy the advantage and benefit of. abatements of the duty due to the Royal House, and of the other

charges, by paying such reasonable sums as any slaves of other nations usually pay when they are redeemed, VOL. II,

XIII. That if any subject of the said King of Great Britain happen to die in Algiers, or in any part of its territories, his goods or monies shall not be seized by the governors, judges, or other officers of Algiers (who shall likewise make no enquiry after the fame) but the said goods or monies shall be possessed or received by such person or persons whom the deceased shall by his last will have made his heir or heirs, in case they be upon the place where the testator deceased. But if the heirs be not there, then the executors of the said will, lawfully constituted by the deceased, shall, after having made an inventory of all the goods and monies left,'
take them into their custody without any hindrance, and shall take care the fame be remitted, by some safe way, to the true and .lawful "heirs ; and in cafe any of his said Majesty's subjects happen to die, not having made any will, the English consul shall possess himself of his goods and monies, upon inventory, for the use of the kindred and heirs of the deceased.

XIV. That no merchants, being his Majesty's subjects, and residing in, or trading to the city and kingdom of Algiers, shall be obliged to buy any merchandizes against their wills ; but it shall be free for them to buy such commodities as they shall think fit ; and no captain or commander of any ship or vessel belonging to his said Majesty's subjects, shall be obliged against his will to lade any goods to carry them, or make a voyage to any place he shall not have a mind to go to : 'and neither the English consul, nor any other subject of the said King, shall be bound to pay the debts of any other of his Majesty's subjects, except that lie or they become sureties for the fame by a public act.

XV. That the subjects of his said Majesty in Algiers, or its territories, in matter of controversy, shall e liable to no other jurisdiction but that of the. Dey, or Duan, except they happen to be at difference between themselves, in which case they shall be liable 3to no other determination but that of the consul only.

XVI. That in cafe any subject of his said Majesty, being in any part of the kingdom of Algiers, happen, to strike, wound, or kill a Turk or a Moor,' if he be taken, he is to be punished in the fame manner, and with no greater severity, than a Turk ought to be, being guilty of the fame offence ; but if he escape, neither the said English consul, nor any other of his said Majesty's subjects, {hall be in any fort questioned and troubled therefore.

XVII. That the English consul now or at any time hereafter living in Algiers , shall be there at all times with entire freedom and safety of his person and estate, and shall be permitted to choose his own druggerman and broker, and freely to go on board any ships in the road, as often and when he pleases, and to have the liberty of the country; and that he shall be allowed a place to pray in, and that no man shall do him any injury in word or deed.

XVIII. That not only during the continuance of this peace and friendship, but likewise if any breach or war happen to be hereafter between the said King or" Great Britain -and the kingdom of Algiers, the said English consul, and all other his said Majesty's subjects inhabiting in the kingdom of Algiers, shall always, and at all times, both of peace and war, have full and absolute liberty to depart and go to their own or any other country, upon any ship or vessel, of what nation soever they {hall think fit, and to carry with them all their estates, goods, families, and servants^ without any interruption or hinderance.

XIX. That no subject of his said Majesty, being a passenger, and coming or going with his baggage from or to any port, {hall be any way molested or meddled with, although he be on board any ship or Vessel in enmity with Algiers j and in like manner no Algerian passenger, being on board any ship or vessel in enmity with the said King of Great Britain, shall be any way molested, whether in his person, or in his goods which he may have laden on board the said ship or vessel.

XX. That at all times, when any ship of war of the King of Great Britain's, carrying his said Majesty's flag at the main-top-mast-head, shall appear before Algiers, and come to an anchor in the road, that immediately

after notice thereof given by his said Majesty's consul, or officer, from the ship, unto the Dey and government of Algiers, they shall,- in honour to his Majesty, cause a salute of one-and-twenty cannon to be shot off from the castles and forts of the city, and that the said ship shall return an answer by shooting off the fame number of cannon.

XXI. That presently after the signing and sealing of these articles by the Bashaw, Dey, Aga, and Governors of Algiers, all injuries and damages sustained on either part shall be quite taken away and forgotten, and this peace shall be in full force and virtue, and continue forever. , And for all depredations and damages that shall be afterwards committed or done by either fide, before notice can be given of this peace, full satisfaction hall immediately be made, and whatsoever remains in kind, shall be instantly restored.

XXII. That in cafe it shall happen hereafter, that anything is done or committed contrary to this treaty, whether by the subjects of the one or the other party, the treaty notwithstanding shall subsist in full force, and such contraventions shall not occasion the breach of this peace, friendship, and good correspondence, but the party injured shall amicably demand immediate satisfaction for the said contraventions before it be lawful to break the peace ; and if the fault was committed by any private subjects of either party, they alone shall be punished as breakers of the peace, and disturbers of the public quiet. And our faith shall be our faith, and our word our word. Confirmed and sealed, in the presence of Almighty God, the tenth day of April, in the year of our Lord Jesus Christ one thousand fix hundred and eighty-two : and in the year of the Hegira one thousand .

---

(1) George Chalmers, A collection of treaties between great Britain and other powers, V II, London, Printed for John Stock Dale, Piccadilly1828, pp365-374.

الترجمة:

مخطط سلام و تجارة بين الأمير شارل الثاني ملك بريطانيا العظمى و فرنسا و ايرلندا و اللوردات(lord) و الأغا زعيم المملكة الجزائرية (Berbere)- تم الختم من طرف آرثر هربرت أميرال في منطقة البحر الأبيض المتوسط سنة 1682.

– معاهدة 1682م بين الجزائر و إنجلترا.

– تم التوقيع على معاهدة الصلح بين الجزائر و بريطانيا و قد تضمن 22 بندا و هي:

البند 1– في المقام الأول تم الإتفاق على أنّه من هذا اليوم فصاعدا و إلى الأبد هناك سلم دائم بين ملك بريطانيا العظمى– ايرلندا و حامي المسيحية و رجال الدولة الجزائرية من الباشا و الداي و الآغا و جميع المسيطرين على هذه الدول .

– إنّ السفن و الأشخاص و الأسرى لكل الطرفين لا يتعرضون لبعضهم بعض و يكون هناك سلم دائم بينهم. سواء بالضرر أو الجرم أو الإصابة بالكلمة أو الفعل.

البند 2– إنّ أيًا من السفن التابعة لملك بريطانيا العظمى أو لأي أحد من رعاياه ، و تصل بأمان إلى ميناء الجزائر أو إلى أي ميناء أو مكان آخر في تلك المملكات البحرية ليشتري أو يبيع يدفع الضرائب المعتادة من 10 في المائة ، كما في السابق ، لمثل هذه السلع المسرح بها و البضائع. كما يجب أنْ يعاملوا بحسن و تترك لهم حرية النقل السفن ، دون أنْ يدفعوا أي رسوم مقابل المنقولات المسرح بها، و أنّهم يجب أنْ يخرجوا بحرية من هناك متى أرادوا ذلك ، دون أي تقليب أو عرقلة على الإطلاق.

– بالنسبة للسلع المهربة مثل البارود (مسحوق) و الكبريت و الألواح الخشبية و كل أنواع الأخشاب الصالحة لبناء السفن و الحبال و القطران و الملاط (مادة تستعمل لصيانة السفن) فلا يدفع رعايا الملك أي رسوم مقابل ذلك للجزائريين.

البند 3– كل السفن التي تنتمي الى المملكة البريطانية و جلالته أو لأي أحد من رعاياها كتلك التي تنتمي لمملكة الجزائر ستأتي بكل سهولة و حرية إلى الموانئ الجزائرية، و كل الأشخاص الركاب على متنها و من أي بلد كان و في أي وقت كان، و كل الأموال و السلع و حتى منها المنقولة للأشخاص مهما كانوا على السفن المذكورة، يجب أنْ تتمتع بالحرية الكاملة و لا يتم عرقلتها أو حجزها و نهبها حتى لا تتعرض مصالح الطرفين لأي ضرر.

البند 4– إنّ أي سفينة حربية جزائرية و كذا السفن الأخرى عند التقائها مع سفن بريطانيا العظمى سواء التجارية أو غيرها لا تتعرض لها بأي سوء.

– إنّ ركاب السفن أو الزوارق و طاقمها العادي لا يحق لهم الصعود إلى أي سفينة أخرى دون إذن صريح من قائدها. و إذا كان يملك رخص مرور مختومة من قبل بض الممالك التابعة لجلالة الملك من أميرال أو أمير ايرلندا أو أسكتلندا أو مختومة من قبل المفوض الأعلى لأي من الممالك المذكورة فهذا القارب الذي يحمل الجواز يغادر إلى وجهته و كذلك السفن التجارية لها الحرية ذاتها، و على مدار الخمسة عشر شهرا القادمة ستبقى الأمور على حالها و لكن بعدها يجب

على السفن الحربية و التجارية على حد سواء القيام بنفس الإجراءات أما السفن الجزائرية التجارية أو الحربية أو التي تحمل الأتراك و العرب و العبيد و التي تحمل شهادة مرور من قبل حكام الجزائر و القنصل الإنجليزي ستتبع الإجراءات ذاتها أي ستتنقل بحرية تامة و الشيء نفسه بعد مرور خمسة عشر شهرا فإن السفن المعنية في الجزائر ستقدم رخص المرور المنصوص عليها في هذا الإتفاق.

البند 5– لا يحق لأي شخص حتى و إن كان قائدا يمتطي سفينة جزائرية إرغام أي شخص من ركاب السفن البريطانية لتفتيشه مهما كانت الأسباب، و لا يجوز استخدام أي عنف يفضي إلى التعذيب أو الازعاج و الإهانة من أي مملكة كان لأنّه في حماية جلالة الملك .

البند 6– لا تتعرض أي سفينة أو زورق تابع لمملكة بريطانيا أو لأحد من رعايا جلالة الملك تجنح على أي ساحل بمملكة الجزائر للغرق أو الحرق أو لنهب سلعها و أسر ركابها، و على جميع رعايا حاكم الجزائر بذل جهودهم لإنقاذ السفينة و ركابها و سلعهم.

البند 7– يحق لأي سفينة أو زورق تابع لبريطانيا أو لأحد من رعاياها تسليم البضائع في الموانئ الجزائرية حتى و إن لم يكن هناك تصريح بالاستلام أو التفريغ و إن لم يستطع يتجه إلى ميناء مدينة سلا أو أي ميناء حتى و إنْ كان معاديا لبريطانيا.

البند 8– لا يجوز لأي سفينة أو زورق جزائري الإبحار بالقرب من السفن البريطانية أو التابعة لها في مياه مدينة طنجة أو حتى كل الطرق و الموانئ و السواحل المهمة بالنسبة لجلالة الملك قصد تفادي الإزعاج و الضرر.

البند 9– مهما تكن السفن و حتى منها التابعة لتونس أو طرابلس أو سلا و تحمل المسافرين و السلع و البضائع ممن هم من رعايا جلالة الملك و يتجهون إلى الجزائر أو إلى أي ميناء تابع لهذه المملكة فلا يسمح لهم حكام الجزائر بالنزول على أراضيهم و خاصة في مدينة الجزائر.

البند 10– تكون السفن الحربية البريطانية المتجهة إلى مدينة الجزائر أو إلى أي ميناء آخر تابع لها يحق لها أن تفرغ حمولتها بحرية و سهولة دون التعرض للمضايقة و الإزعاج، وإذا أفرغت ما لديها لا يجوز إلزامها بدفع الرسوم الجمركية في أي مكان، و إذا رفض الجزائريون ذلك يجب أن يدفعوا مقابل السلع الثمن نفسه الموجود في السوق.

البند11– عندما تظهر أي سفينة من سفن جلالة ملك بريطانيا العظمي قبالة ميناء الجزائر سواء بأمر القنصل الإنجليزي أو القائد العام للمرسى أو حاكم الجزائر يجب أنْ يصدر إعلان عام لتأمين الأسرى المسيحيين. بعد ذلك أي مسيحي يهرب على متن السفن لا يجب أنْ يعاد مرة ثانية، و لا يجب أيضا على القنصل أو القائد أنْ يدفع مقابل ذلك أي شيء.

البند12– بعد مصادقة ملك بريطانيا العظمي على هذه المعاهدة يُعلم رئيس حكام الجزائر بأنّ لا شيء يخص جلالة الملك يباع أو يشترى و لا يُؤسر أي شخص هناك في أي جزء من مملكة الجزائر.

– بموجب هاته المعاهدة فإنّ ملك بريطانيا ليس مجبرا على تحرير عبيده و حتى أولئك الذين أصبحوا عبيدا قبل هذه المعاهدة فإنّهم غير مجبورين أيضا على تحريرهم، لكن يمكن تحريرهم برغبة من ملك بريطانيا أو من أسيادهم دون شرط أو وقت معين، سواء كان هؤلاء العبيد تحت سيادة الباشا أو الداي أو الآغا أو الحاكم أو غيرهم.

– لكن عبيد ملك بريطانيا عند تحريرهم فإنّهم يتمتعون بمزايا و فوائد و تخفيضات للمهام المكلفين بها للبيت الملكي و يدفعون مبالغ معقولة عن التي يدفعها العبيد الآخرين عند تحريرهم.

البند13– إذا حدث و أن مات أحد أتباع ملك بريطانيا العظمى في الجزائر أو في أي مقاطعة تابعة لها فإنّ سلعه و أمواله و أملاكه لا يجب أنْ تحتجز أو يُستولى عليها من طرف حكام الجزائر أو قضاتها أو ضباطها و الذين لا يحق لهم الاستعلام، و نفس الإجراء إذا حدث معهم الشيء نفسه.

– ممتلكات و أموال أتباع الملك تُملك للشخص أو الأشخاص الذين أوصى لهم المتوفي بإرثه إذا كانوا في نفس المكان الذي توفي به. لكن إذا لم يتواجدوا هناك فإن المنفذين الملكيين يحجزون(من دون أي عائق أو مانع) على ممتلكاته و أمواله بعد احصائها. و يقومون في المقابل أيضا بتأمين و تحويل الأموال و الممتلكات إلى ورثتها القانونيون أو الحقيقيون.

– و في حالة ما إذا توفي أحد أتباع الملك و لم يكن لديه وصية فإنّ القنصل الإنجليزي يجب عليه تمليك هاته الأموال و الممتلكات إلى الذين ينتسبون إلى المتوفي أو ورثته.

البند14 – بالنسبة للتجار أتباع الملك الساكنين أو المتاجرين في مدينة الجزائر أو مملكة الجزائر فإنّهم غير مجبرين على شراء أي سلع خارج رغبتهم بل هم أحرار في شراء أي سلعة يريدونها تكون مناسبة لهم.

– يكون قادة و قباطنة سفن الملك أيضا غير مجبرين على تحميل سلع و نقلها أو القيام برحلة على أي مكان لا يرغبون في الذهاب إليه.

– لا القنصل الإنجليزي و لا أي أحد من أتباع الملك مجبر على دفع دين شخص آخر من أتباع الملك إلا إذا كان تحت كفالته.

البند 15– أتباع جلالة الملك في الجزائر أو أي مقاطعة منها في حال النزاعات لا يخضعون لأي مسائلة قانونية إلا من الداي أو الديوان.

– لكن إذا كان النزاع بين طرفين من أتباع الملك فإنّهم يخضعون لمحاكمة القنصل فقط.

البند16– تسري هذه القوانين على أي جزء من مملكة الجزائر، فأي رعية يقوم بفعل مخل بالجرح أو القتل تركيا كان أو بربريا من طرف القنصل، فيؤخذ و يعاقب بنفس الطريقة بدون أي تفضيل على تركي أقدم على ارتكاب هذا الجرم، و إذا هرب القنصل أو أحد معاونيه فسيتعرض للمساءلة أو المتابعة.

البند17– يتمتع القنصل الإنجليزي المقيم في الجزائر بكل حرية و أمن لشخصه بالذات و يسمح له بإختيار معاونيه و حراسه الشخصيين، و له حرية التنقل إلى الخارج برا أو بحرا كلما دعت الضرورة إلى ذلك أو رغب هو في ذلك. و له الحرية في داخل المملكة كما يسمح له بإنشاء مكان للعبادة و لا يحق لأحد التعرض له أو الإساءة إليه.

البند18– لا تقتصر بنود هذه المعاهدة التي تخص حماية القنصل و حريته على هذه الفترة فقط بل تبقى معمول بها حتى و إن خرقت المعاهدة أو قامت الحرب بين الدولتين فللقنصل كامل الحرية في اصطحاب مقربيه و أمواله و الذهاب إلى أي وجهة يريد بواسطة الزورق أو السفينة دون أي ازعاج أو اعتراض.

البند19– أي رعية كان ذاهبا أو قادما من أي ميناء يلزم تفتيشه حتى و إن كان على متن السفينة أو على الحدود أو حتى زورق لدولة عدوة للجزائر و يفتش كذلك بالنسبة للمسافرين الجزائريين بالطريقة نفسها الذي يكون على الحدود أو على سفينة أو زورق حتى و إن كانت طريقة التفتيش تعد ازعاجا.

البند 20– في أي وقت تقدم فيه السفن البريطانية الحربية إلى الجزائر يجب أن تحمل علم المملكة البريطانية على قمة السارية الرئيسية و يجب أن تكون واضحة قبل وصولها لمرسى مدينة الجزائر، وتكون قد أبلغت القنصل البريطاني أو أحد معاونيه بقدومها و هو بدوره يعلم الداي بذلك فتستقبل بحفاوة و بطلقات المدافع العشرين الموجودة في القلعة أو أطراف المدينة و يجب أن ترد السفينة بنفس عدد الطلقات التي استقبلت بها.

البند21– بعد تلقي الإشارة و اختتام مراسيم الاستقبال من طرف الداي أو الأغا أو الباشا في الجزائر و هذا بعد التغاضي عن الخسائر و الدمار الذي لحق بالمدينة من أجل السلام الذي سيعقد بكل قوة كسرا للشر و يجب أن يدوم للأبد و هذا بعد ارجاع السلع و البضائع المسلوبة و التي تم الإستيلاء عليها بالقوة.

البند22– إن القيام بأي شيء منافي للمعاهدة سواء كان من الطرف الجزائري أو البريطاني يجعلها غير سارية المفعول و يجب استبدالها في حينها، و لا يجب أن تكون هذه المخالفات سببا في خرق السلام بين الجانبين و أي شيء سلب يجب أن يطلب بود قبل أن يكون خرقا للسلام.

أما الخطأ إن كان من رعية مجهول من كلا الطرفين فإنّه يعاقب لوحده لخرقه السلام و تسببه في الازعاج – إنّ إيماننا إيمان و كلمتنا كلمة، ختم و أكد بفضل الله في سنة الإله اليسوع المسيحي 1682م و ما يقابله1093 هجري.

---

(1)ترجمة الطالب وآخرون.

الملحق رقم:14– خط همايون يخص شكاية الفرنسيين من موقف داي الجزائر من العلاقات الثنائية سنة 1802م[1].

Tasnifin cinsi	H . H .
Numarası	5731
Tetkikçinin Adı, Soyadı	Zeki Arıkan
İmzası	

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

دفتر : خط همايون
عدد : 5731
تاريخ : 1836
المصدر: فكن طونا

ترجمة التقرير الذي تم دفعه الى السيد امدي افندي المحترم من طرف جناب السيد طاليران ناظر الامور الدول الاجنبية في فرانسة بـ : 16 من شهر تموز الماضي .

الترجمة التي تمت من طرفنا و في جهتنا للتقرير الذي قدمه السيد طاليران ناظر شوءن الدول الاجنبية بالجمهورية الفرنسية بالعبارة الفرنكية الى السيد امدي افندي المحترم .

للعلم الهمايوني ان الشكاية المقدمة هذه المرة من طرف الجمهور الفرنسي عبر رئيس قنصليتها ـ بالاسنانة ـ تتعلق بموقف اوجاق جزائر الغرب السلبي من المعاهدة القائمة بين والي الجزائر و الجمهورية الفرنسية و مضمون نصوصها المتعلق بقضية صيد المرجان في السواحل الجزائرية ، حيث اقدمت على منع السفن الفرنسية التي كانت تصطاد المرجان في السواحل المذكورة بموجب المعاهدة الموجودة بين الطرفين بهذا الخصوص ضاربة المعاهدة و شروطها عرض الحائط و مخالفة بذلك لمضمون نصوص المعاهدة المتفق عليه بين الطرفين المتعاهدين دون ان تعير اى اهتمام و لا اعتبار لهذه المعاهدة .

الا ان الشيء الذي يجب ان يعلم هو كون الشكوى الفرنسية غير مقتصرة بعملية منع السفن الفرنسية من اصطاد المرجان في السواحل الجزائرية من طرف الجوائريين لتناولها قضايا اخرى ايضا ما عدا هذه القضية المذكورة انفا كما ستبين ذلك من خلال مضمون الوثيقة التالية :

تاهت سفينة فرانسية و وقعت منجرة نحو السواحل الجزائرية في واجهة سواحل مدينة اوران و ذلك اثناء موسم الشتاء الماضي و المنصرم و بينما كان الفرنسيون الموجودون فيها يتاهبون للارتماء الى البحر تحريا للسلامة و الاستراحة ، اذا بعربان الوالي المشار اليه المكلفين بجباية الجزية يهاجمون عليهم هجوم الوحوشي و ينهبون و يسلبون منهم كل ما عندهم من الامتعة و الالبسة و الاشياء ثم ياخذونهم بعد ذلك الى الجبال التي يتمركزون و يقيمون فيها

و الجذير بالذكر انه لشدة ما تعرضوا فيها من ظلم و جور في المعاملة و برد شديد و جوع قاتل فقد هلك اكثرهم و مات لعدم قدرتهم على المقاومة اكثر من طاقتهم .

و على الرغم من تدخلات الموظفين الموجودين بالجزائر من اجل انقاذهم و ذلك

52/AN/2 CD/05/023

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

عن طريق تقديم الشكاوى المتعددة الى السلطات المعنية بالامر ، فانه لازال حتى الان اكثر من 150 نفر منهم يعيشون اسرى في ايدى اولائك العربان الخشان الغلاظ الذين لا يعرفون معنى الرحمة و الشفقة و لا انسانية تحت التعذيب و الالم و الاهانة .

و من جهة اخرى فان الاعلام الفرنسية لا تكاد تخلو من التجاوزات و التعرضات المستمرة للقراصنة الجزائريين ، كما اصبح والي الجزائر المشار اليه يهدد باعلان الحرب ضد الجمهور الفرنسي اذا لم يبادر هذا الاخير بتسديد المبلغ بالذكر ان مقدار المبلغ المطلوب من طرف الجزائر هو : مائتا الف فرنك ، و الغريب في الامر ان ان الوالي المشار اليه بدا يهدد بالحرب ضد الجمهور الفرنسي من موقف التحكم دون ان يعير اى اهتمام للاصول و الاداب الواجب رعايتها تجاه الجمهور الفرنسي بناء على المعاهدات و الاتفاقيات القائمة بين الطرفين .

و لما كانت الضرورة على هذا الوضع و المنوال قام رئيس القناصلة المشار اليه بايفاد شخص من خواصه و اتباعه الى الجزائر محملا اياه رسالة الى الوالي المشار اليه ، يبين فيها تصرفاته الغير المسؤلة و التي يمكن ان تجلب الاضرار للمصالح الملكية اذا بقيت مستمرة على هذه الوتيرة و هذا النمط .

غير انه اذا سلك الوالي المشار اليه مسلكا اخر من رئيس القناصلة بدل المبادرة الى اقناعه و ارضائه فان الامر لا محالة سوف يتغير و سوف يضطر رئيس القناصلة ان يلجا الى اتخاذ التدابير اللازمة لضبط الجزائر و ايقافها عند حدها من اجل ايقاف و منع التحديات الصادرة منها تجاه الجمهور الفرنسي و ضد مصالحه العامة فيما بعد منها كليا ، كما ابان رئيس القناصلة ايضا بانه من الممكن ان يفكر في هذا الصدد اذا ما اقتضى الامر في ارسال بعض الجنود البرية الى هنالك للتحكم على الموقف .

و من جهة اخرى فقد اهتم وزير الشؤن الخارجية للجمهورية الفرنسية بالامر اشد الاهتمام و قال مخاطبا لرئيس القناصلة : اذا كان المقصود من تقديم الشكوى للسيد المشار اليه الذي هو : السيد امدى افندى ـ هو التاكيد على ضرورة مقابلة القوة بالقوة و العمل من اجل ازالة و تنحية وال من ولات الدولة العلية الا و هو : الوالي الحالي للاوجاق الجزائرية التابعة اداريا للدولة العلية فان تقديم الشكوى بهذا الخصوص لم يبق له اى مبرر واى دافع .

اذ يمكن تقديم شكوى الى الدولة التي تعلق الحرب ضدها و ضد ولاية من ولاياتها .

اذ كان من المعتقد ان رئيس القناصلة لما اتجه الى جهة مصر قد قام بتقديم شكوى تتعلق بهذا الموضوع الا ان الوضع قد اكد لنا بان المشار اليه لم يدخر اى جهد من اجل اتخاذ التدابير اللازمة لحل المشكل في اطار المصالح العامة المتعلقة بالطرفين ، و على الاخص فانه لا يجب اطلاقا اتخاذ اى اجراء او قرار يؤدى في النتيجة الى ازعاج الدولة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

ـ 2 ـ

الجزائر في :

عن طريق تقديم الشكاوى المتعددة الى السلطات المعنية بالامر ، فانه لا زال حتى الان اكثر من 150 نفر منهم يعيشون اسرى في ايدى اولائك العربان الخشان الغلاظ الذين لا يعرفون معنى الرحمة و الشفقة و لا انسانية تحت التعذيب و الالم و الاهانة .

و من جهة اخرى فان الاعلام الفرنسية لا تكاد تخلو من التجاوزات و التعرضات المستمرة للقراصنة الجزائريين ، كما اصبح والي الجزائر المشار اليه يهدد باعلان الحرب ضد الجمهور الفرنسي اذا لم يبادر هذا الاخير بتسديد المبلغ بالذكر ان مقدار المبلغ المطلوب من طرف الجزائر هو : مائتا الف فرنك ، و الغريب في الامر ان ذلا الوالي المشار اليه بدا يهدد بالحرب ضد الجمهور الفرنسي من موقف التحكم دون ان يعير اى اهتمام للاصول و الاداب الواجب رعايتها تجاه الجمهور الفرنسي بناء على المعاهدات و الاتفاقيات القائمة بين الطرفين .

و لما كانت الضرورة على هذا الوضع و المنوال قام رئيس القناصلة المشار اليه بايفاد شخص من خواصه و اتباعه الى الجزائر محملا اياه رسالة الى الوالي المشار اليه ، يبين فيها تصرفاته الغير المسؤولة و التي يمكن ان تجلب الاضرار للمصالح الملكية اذا بقيت مستمرة على هذه الوتيرة و هذا النمط .

غير انه اذا سلك الوالي المشار اليه مسلكا اخر مع رئيس القناصلة بدل المبادرة الى اقناعه و ارضائه فان الامر لا محالة سوف يتغير و سوف يضطر رئيس القناصلة ان يلجا الى اتخاذ التدابير اللازمة لضبط الجزائر و ايقافها عند حدها من اجل ايقاف و منع التعديات الصادرة منها تجاه الجمهور الفرنسي و ضد مصالحه العامة فيما بعد منها كليا ، كما ابان رئيس القناصلة ايضا بانه من الممكن ان يفكر في هذا الصدد اذا ما اقتضى الامر في ارسال بعض الجنود البرية الى هنالك للتحكم على الموقف .

و من جهة اخرى فقد اهتم وزير الشؤن الخارجية للجمهورية الفرنسية بالامر اشد الاهتمام و قال مخاطبا لرئيس القناصلة : اذا كان المقصود من تقديم الشكوى للسيد المشار اليه الذى هو : السيد امدى افندى ـ هو التاكيد على ضرورة مقابلة القوة بالقوة و العمل من اجل ازالة و تنحية وال من ولات الدولة العلية الا و هو : الوالي الحالي للاوجاق الجزائرية التابعة اداريا للدولة العلية فان تقديم الشكوى بهذا الخصوص لم يبق له اى مبرر واى دافع .

اذ يمكن تقديم شكوى الى الدولة التي تعلق الحرب ضدها و ضد ولاية من ولاياتها .

اذ كان من المعتقد ان رئيس القناصلة لما اتجه الى جهة مصر قد قام بتقديم شكوى تتعلق بهذا الموضوع الا ان الوضع قد اكد لنا بان المشار اليه لم يدخر اى جد من اجل اتخاذ التدابير اللازمة لحل المشكل في اطار المصالح العامة المتعلقة بالطرفين ، و على الاخص فانه لا يجب اطلاقا اتخاذ اى اجراء او قرار يؤدى في النتيجة الى ازعاج الدولة

(1)خط همايون رقم 5731، المصدر السابق.

الملحق رقم: 15- خط همايون يخص أمر النظر في النزاع الواقع بين الجزائريين و الفرنسيين 1803م[1].

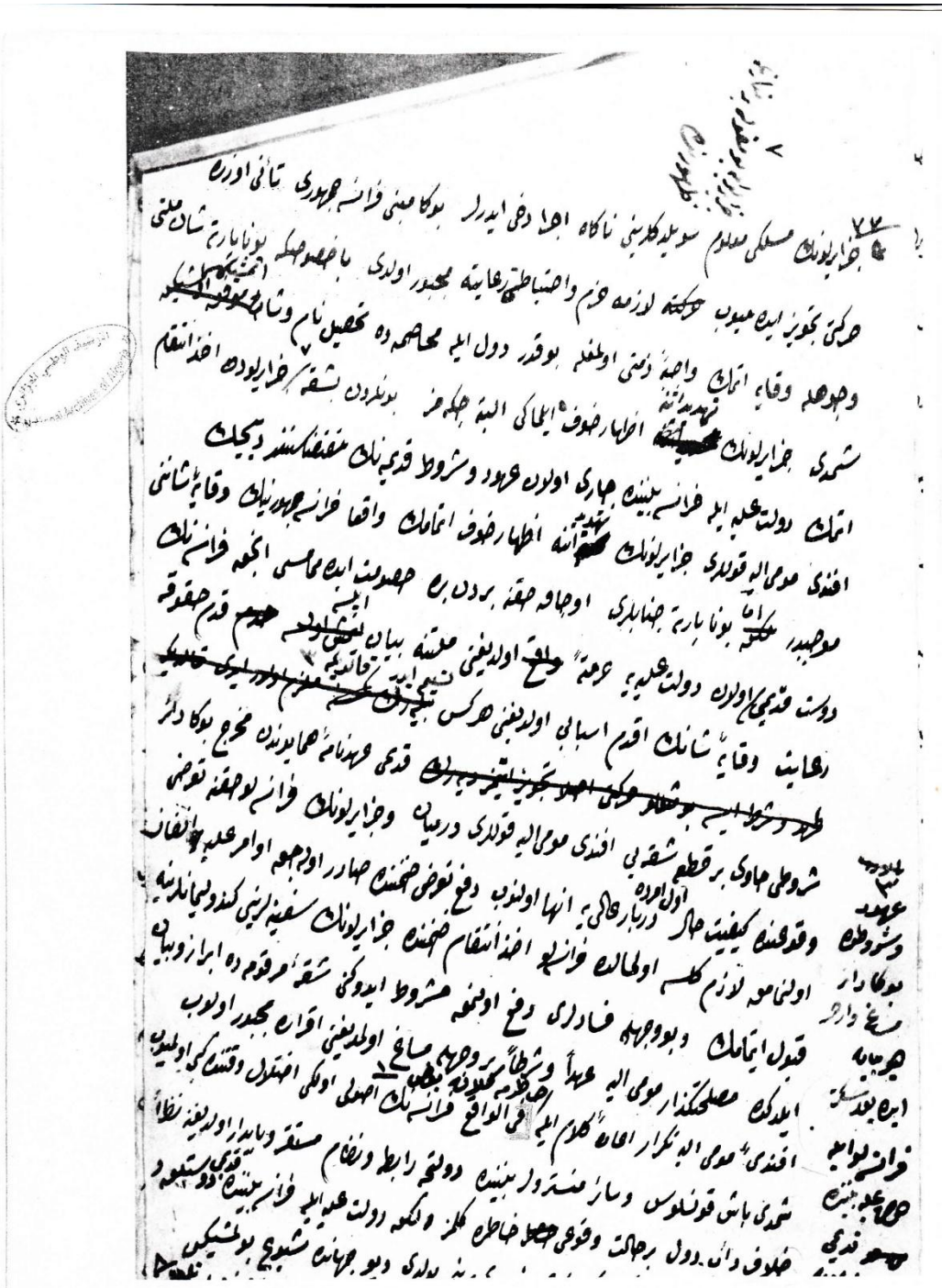

D2/An/2011/65/021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الرئاسة

الأمانة العامة

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

دفتر: خط همايون
عدد: 5118
تاريخ: 1217

النزاع مع الجزائريين .

عندما ينشب نزاع من هذا القبيل مع الجزائريين تجدهم يقدمون بسرعة الى تنفيذ ما يريدون لان سلوكهم و طبيعتهم معروفة فهم ممن يفعلون ما يقولون بكل حزم و باقصى السرعة ، و لذا انجبرت الجمهورية الفرنسية على ترك التاني في الحركة و المبادرة بحزم مع الرعاية على الاحتياطات اللازمة في هذا المجال .

لان بونابارته الذى يسعى و يعمل دوما ، ــ اذاء للواجب الذى في ذمته تجاه امته ــ من اجل حماية و وقاية شعبه مرفوع الرأس و معلو الشأن لا يمكن ان يخضع الآن لتهديدات الجزائريين بعد ان تغلب على جميع الدول التي دخل معها في حصومات و حروب و خرج منها ظافرا و منتصرا فرفع شأن شعبه و ابان شهرته في العالم بل لا يجوز ان يصدر ذلك منه .

و بقبع القبيل مع الجزائريين لا يمكن لفرنسة ان تتصرف بروح الانتقام و تعمل من اجل الانتقام من الجزائريين لان ذلك يكون مخالفا لروح المواثيق و المعاهدات و الشروط الجارية و القائمة بين فرانسة و الدولة العلية منذ القديم و التي يتعارض محتواها مع التحرك العدائي و الانتقامي من طرف فرانسة لا ريب ان عدم خوف بونابارته من تهديدات الجزائريين لمن مقتضيات الرفعة اللازمة بشأن الجمهورية الفرنسية و مستلزمات صيانة حريتها ، و مع ذلك فعدم تمكنه و اقتداره على اللجوء فورا الى اعلان الخصومة في الفور و الحين مع اوجاق الجزائر انما يرجع فقط الى الرضوح و الاحترام للصداقة القديمة المتينة مع الدولة العلية .

و لذا فان بونابارته لو بين لشعبه بان عدم لجوئه فورا الى اعلان الخصومة ضد اوجاق الجزائر العرب راجع فقط الى احترام صداقة الصديق القديم الذى هو : الدولة العلية ــ لان المحافظة على الصداقة القديمة من اوكد الاسباب و اقدمها في وقاية الشعب الفرنسي و رفع شانه ، لقبل ذلك منه و سلم له الامر راضيا و مقتنعا بالوضعية .

و خاصة حينما يعلم بان في الشروط و العهود القائمة بين الدولتين مساغا الى مثل هذه الحركة المطبقة من طرف بونابارته .

و من جهة اخرى فان السيد المومى اليه ــ اى الرئيس افندى ــ المذكور قد استخرج من (العهدنامة) اى المواثيق الهمايونية القديمة وثيقة تحتوى على مثل هذه الشروط اى الشروط التي تمنع فرانسة من التحرك بروح الانتقام لدى تعرضها لاعتداآت الجزائر دون ان تبلغ ذلك الى الدولة العلية اذ ان الوثيقة تبين ان فرانسة اذا تعرضت لاعتداآت الجزائريين يجب عليها اولا و قبل كل شيء ان تقوم بابلاغ ذلك الى الدولة العلية ، ففي الحالة التي لم يستجب الجزائريون الى الامر الصادر اليهم من طرف الدولة العلية بخصوص دفع الاعتداآت و انهائها تجاه فرانسة و ففي هذه الحالة فقط يحق لفرانسة ان تتحرك بروح الانتقام و تمنع السفن الجزائرية من الارساء بمينائها انتقاما منهم و دفعا للفساد .

و عندما ابرز السيد المومى اليه الوثيقة التي تحتوى على مثل هذه الشروط المذكور و المانعة لفرانسة من التحرك بروح الانتقام ضد الجزائر لدى تعرضها لاعتداآت الجزائريين

D2/mm/2002/05/021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الرئاسة

الأمانة العامة

الأرشيف الوطني الجزائري
Archives Nationales d'Algérie

بدن علم الدولة العلية الى السيد القائم بالاعمال في السفارة الفرنسية اجبر على الاعتراف امام الامر الواقع بان لامسلغ للتحرك بروح الانتقام دون الرعاية على هذه الشروط والمواثيق وعلى هذا الاساس اعاد السيد المومى اليه اى الرئيس افندى الحوار من جديد مع القائم بالاعمال .

(1)خط همايون رقم 5118 ، المصدر السابق.

الملحق رقم:16- بعض من سفن الأسطول الحربي الإنجليزي الهولندي بقيادة اللورد إكسماوث1816م[1].

أسماء السفن	عدد مدافعها	عدد قتلاها	عددجراحها
الأسطول الإنجليزي			
Queen Charlot	100	8	131
Impregnable	98	60	160
Superb	74	8	84
Niden	74	7	37
Albion	74	3	20
Lander	50	/	118
Severn	40	/	34
Glasgow	40	60	37
Granicus	36	16	42
Hebrus	36	4	15

الأسطول الهولندي			
Melanpus	40	3	15
Frederica	44	/	5
Dagaraad	36	/	4
Diana	40	6	22
Amstel	/	4	6
Andracht	24	/	/

(1)شالر وليام، المرجع السابق، ص ص311-312.

الملحق رقم: 17- خط همايون يخص التقرير الجزائري للسلطان العثماني حول حملة إكسماوث 1816م[1].

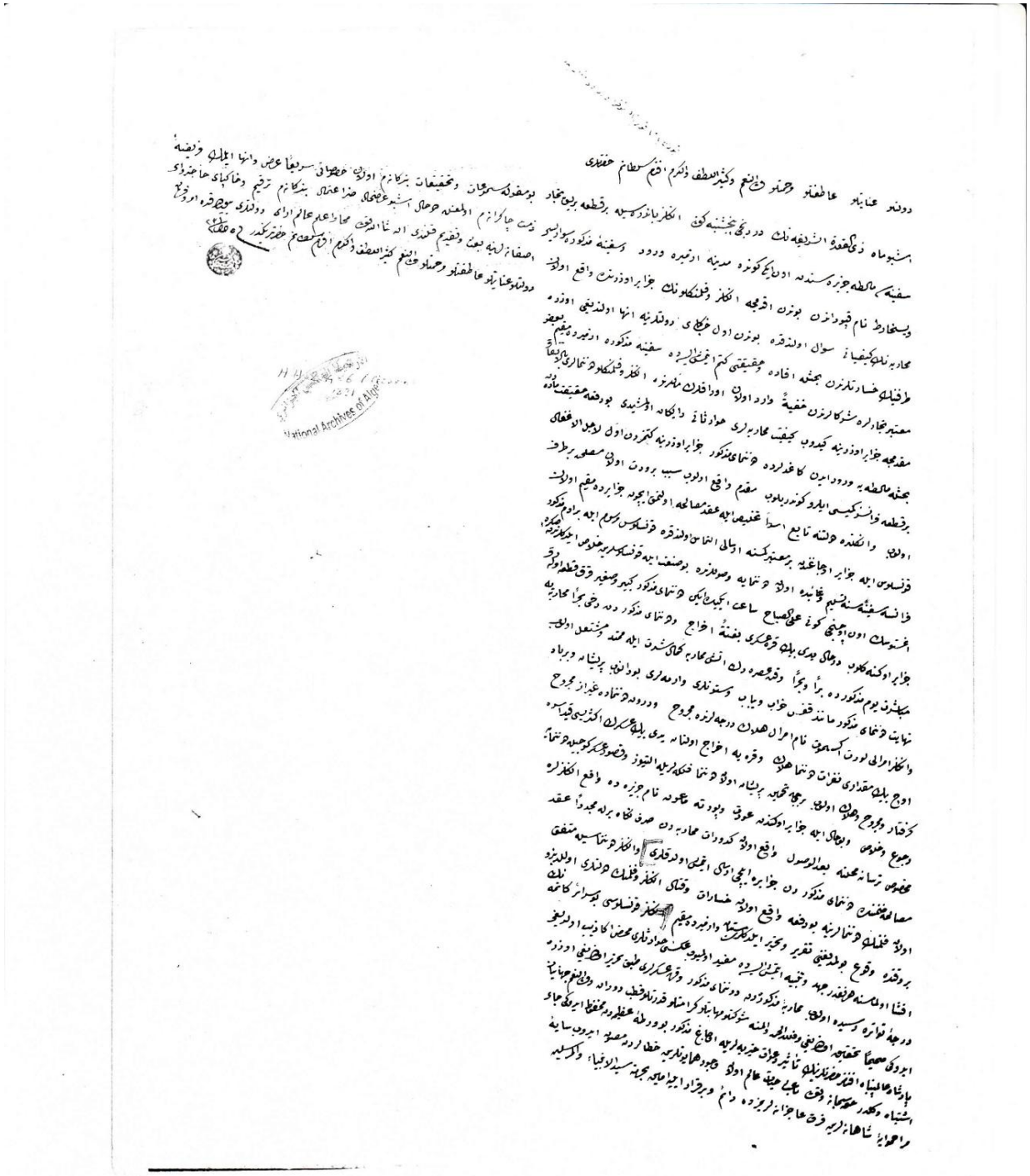

DCIAN/2C2/08/04

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الرئاسة

الأمانة العامة

دفتر : خط همايون
عدد : 22486
تاريخ : 1281

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

اه التقرير الذي تم تقديمه من طرف القبطان علي ، ريس الميناء حالا في الاوجاق الجزائرية و الذي وصل في هذه الاونة الى دار السعادة موفدا من طرف الاوجاق المذكورة حاملا معه مذكرات الاوجاق ليقوم بتقديمها الى المقام الهمايوني العالي .

على الرغم انه كان قد تمت المصالحة مقدما بين الانكليز و الفرنسيين و بين الجزائر للانتظار مدة ستة اشهر للبحث من جديد فيما يتعلق بقضية الاسرى فانهم ظهروا في المياه الجزائرية باسطول يتكون من ثلاثين قطعة من السفائن الاسطولية في اليوم الخامس عشر من شهر الاعسطوس الحال الموافق للدوم الثالث ـ الثلاثاء ـ من شهر شوال المبارك و ذلك قبل ان تنتهي المدة المتفق عليها في الاتفاق .

وبعد ان رفع الاسطول في وسطه العلم الابيض الذي يرمز بالبراءة الى الصلح و السلام ارسل الينا رسالة بواسطة فلوقة او زورق تتضمن التكليفات الموجهة الينا حولي تسليم الاسرى الموجودين لدينا طالبا منا الرد على الرسالة في مدة ساعة فقط ، وبينما نحن مقدمين على جميع الاراء حول التكليف المذكور قصد التدارس و التذاكر اذا بهم يتقدمون نحو الميناء دون ان يتحرموا الوقف المضروب من طرفهم و لا ينتظروا مرور الساعة المعينة المرد على الرسالة المرسلة الينا من منهم .

الامر الذي جعلنا متيقنين بان الغرض الذي كانوا يريدون تحقيقه من وراء الرسالة و الرد عليها في مدة ساعة من الزمن ليس الا الاستغفال و نقض العهد واللجوء الى الحيلة لاشعال نار الفتنة باشعال الحرب فجاة و في غفلة من الجزائريين ، و هذا ما حصل فعلا حيث انهم قبل ان ننتهي من اعداد الجواب اللازم لرسالتهم و قبل ان ننتهي كذلك المدة المضروبة لذلك تقدموا ببعض سفنهم نحو القلعة و الابراج حتى ما اذا وصلوا الى مدخل الميناء و قرب مرمى المدافع و البنادق توقفوا مرسين سفنهم ثم اشعلوا نار الحرب فجاة و عن غفلة منا و استمرت الحرب المشتعلة بكل ضراوتها و قساوتها من الساعة الثامنة نهارا الى منتصف الليل ، و كانت قساوة و ضراوة و فظاعة المعركة التي دارت بين الطرفين بعيدة كل البعد عن امكان وصفها و التعبير عن حقيقتها لهولها و فظاعتها .

وبعد الغروب كان العدو و يتمنى من كل قلبه ان ياخذ اسطوله و يبتعد عن ميدان المعركة كافا عن الضرب و الحرب غير ان ركود الجو و الهوا منع عن ذلك فاستمرت المعركة في الليل ايضا بكل شدتها و ضراوتها حتى الصباح .

ان كانت قد ادت هذه المعارك الضارية التي جسرت بين الاسطول الانكليزي المتحالف مع الاسطول الفلمنكي و بين الجزائر الى اصابة 300 نفر من الغزاة المجاهدين بين قتيل و جريح فان المصابين من طرف الاعداء كانوا اكثر بكثير حيث وصل عدد الهالكين منهم بين قتيل او جريح الى 3000 الاف نفر كما فقدوا كذلك 8 او 10 من القباطنة .

وفي تلك الليلة التي استمرت المعركة فيها بين الجانبين و ان كانوا قد تمكنوا لاقترابهم منا ان يلقوا الحيران الى الميناء و حرق اربعة سفينة من نوع الفرقتين و اربعة اخرى من نوع

DZIAN 12C2/05/04

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

قورويت ـ الا اننا احرقنا ايضا بغيليتين ليم من سفن الاسطول كما حرقنا قطعتين من النوع ذات المخازن القلاقة و قطعا اخرى ايضا من نوع القليون الكبار.

و في الليلة المذكورة و خاصة عندما كانت الرياح شديدة لاسطولهم السلاسل الحديدية لجميع السفائن التابعة لاسطولهم و بدات تسير و تتفتح نحو اعماق البحر انطلاقا من قرب البر.

الامر الذى ادى بلهم الى استعمال ما تبقى منها من القلع المكسورة و المقطعة في الصباح ، عندما كنا نحن نقوم الاستعدادات اللازمة من جديد و لذا فقد جاء الينا ترجمانهم في هذا الصباح ليقول لنا : اننا لم نكن نريد ما حصل بيننا ، لقد وقعت خسائر جسمية لكلا الطرفين ، غير اننا لا نتحمل وحدنا المسؤولية لاننا كلفنا للقيام لهذه المهمة تجاهكم من قبل جميع الدول المسيحية المتفقة على ذلك و هي التي دفعتنا الى القيام بما اتينا به من الاعمال الحربية ازائكم ، فاذا لم ترغبوا في الصلح و المصالحة معنا فاننا سوف نجبر على العودة الى الحرب معكم من جديد .

و امام هذا البيان الذى صدر من الترجمان الموفر من طرفهم ارتاينا جمع الديوان للنظر في الامر و التوصل الى قرارها بالاتفاق ، و بعد مداولة الافكار و مذاكرة الاحوال تقرر بالاتفاق العزم على مواصلة الحرب معهم و المقاومة امام قواتهم مهما كان وضعها و شانها دفاعا عن الدين و الوطن و ذودا عن حريم عصمة المقام الشاهاني املين الانتصار عليهم بفضل دعوات بادشاهنا الصالحة و احساناته الشاهانية المشجعة الينا .

الا اننا عدلنا بعد ذلك عن هذا القرار و استحسنا الميل الى التصالح معهم بالاستجابة الى مطالبهم التي تتمثل في رد الاسرى الموجودين عندنا اليهم و ذلك ~~بالاتفاق~~ نظرا الى الموقف الموجد الذى اتخذته الدول المسيحية عندنا بالاتفاق فيما بينها حيث انها لم تقدم على هذه الوحدة الا لكونها تنوى الشر للجزائر و تريد الانتقام منها حتى تنال ما تريد و لذا فليس من الممكن ايقافهم عند حدهم حتى لو تحطمت اساطيلهم الموجودة امامنا حاليا تماما و رجعوا مهزومين لحزمها على اعادة الكرة من جديد و هذا يتطلب منا الشباب مدة طويلة امامهم في حروب طاحنة ضارية كما يتطلب ايضا الاستعداد الكامل لهذه المعركة الطويلة الا التي تقودها الدول المسيحية المتحدة و المتعاونة بينها بعامل الروابط الدينية و الاواصر الجنسية اذ لا ينسى ان الكفر ملة واحدة اينما كانوا و كيفما كانوا . و نظرا كذلك الى ان هذا الامر يمكن ان يزعج الحضرة الشاهانية العليا و بظلعة ان تجاوز الحد و تفاهم الوضع و اصبحنا في حرب ضارية مع جميع هذه الدول ولذا اثرنا الصلح على الحرب.

و بعد ان تمت عملية تسليم الاسرى الذين كان يصل عددهم الى 1500 و الذين كانوا يشكلون المحور الاساسي في الحروب التي وقعت بين الطرفين اجريت المراسيم اللازمة و المالوفة من اجل تجديد العهد و الميثاق ضمن شروط معينة بين الطرفين و اما فيما يخص الاثار و النتائج التي خلفتها الحرب فهي و الحمد الله بفضل الدعوات الصالحة و التوجيهات الحسنة التي كانت تشملنا دائما من طرف الحضرة الملوكانية العظمى الذى هو ظل الله في ارضه لم تتكر

DZIAN/2C 2105/04

الرئاسة

الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

مديدة الى حد الهلال و الدمار فقد تركت القذائف المدفعية تغيرا في بعض المناطق من ارباض القلعة الا انها لم تهدم تماما كما احترقت السفائن الموجودة في الميناء تحت تاثير نيران المدفعية ، غير ان و الله الحمد لقد بقيت المخازن و المحلات و المواقع التي تقع خارج الترسانة دون ان تصاب باذى .

اما المساكن التي تقع في داخل القلعة وفي المدينة فانها تنزل على انها ليست من الاخشاب بل هي من ـ الكارگير ـ لم تصب باضرار جسيمة .

و هكذا فقد بقيت الاوجاق المنصورة بعون الله و بحمايته الغيبية و بفضل دعوات و توجيهات المقام الشاهاني الحسنة مصونة و سالمة من الخراب و التدمير رغم كون المعركة شديدة جدا و عن قفلة منا و لقد تحملت الاوجاق هذه المحنة ايضا دون اهتزاز او زلزال كما ستستمر في تحمل اكثر منها بفضل الاحسانات الشاهانية و التاييدات الهمايونية العظمى باذن الله تعالى و لهذا فالاوجاق تطلب من المقام الشاهاني العالي في التقرير الذى تم تقديمه من قبل رسولها الى المقام الشاهاني العالي الذى هو القبطان على رئيس الميناء الحالي للاوجاق ان تحظى العطف الشاهاني العالي و احسانه الهمايوني بان يامر باعطاء المهمات و الجبخانة و الجنود المطلوبة من طرفها حتى تحي من جديد و تبقى القوة المجاهدة في سبيل الله و سبيل المسلمين .

و المدافعة عن حريم عصمة الحضرة الملوكانية دائما و الى الابد تنكر عليها مكايد الاعداء وحيل المنافقين من الكفرة الفجرة و تتحطم امام سطوتها كل الحملات المسددة نحوها من طرف المسيحيين و الكفرة باذن الله تعالى ، و تنتقم من جديد بالتضحيات الروحية و المادية من جميع الاعداء و المتربصين لها و للدولة العثمانية العلية بتوجيه من المقام الشاهاني العالي .

بهذه الكيفية ختم قبطان على المرقوم تقريره .

(1)خط همايون رقم22486، المصدر السابق.

الملحق رقم:18– خط همايون يخص طلب الدول الأوربية في مؤتمر اكس لاشابيل1818م التوسط بينها و بين الجزائر

.

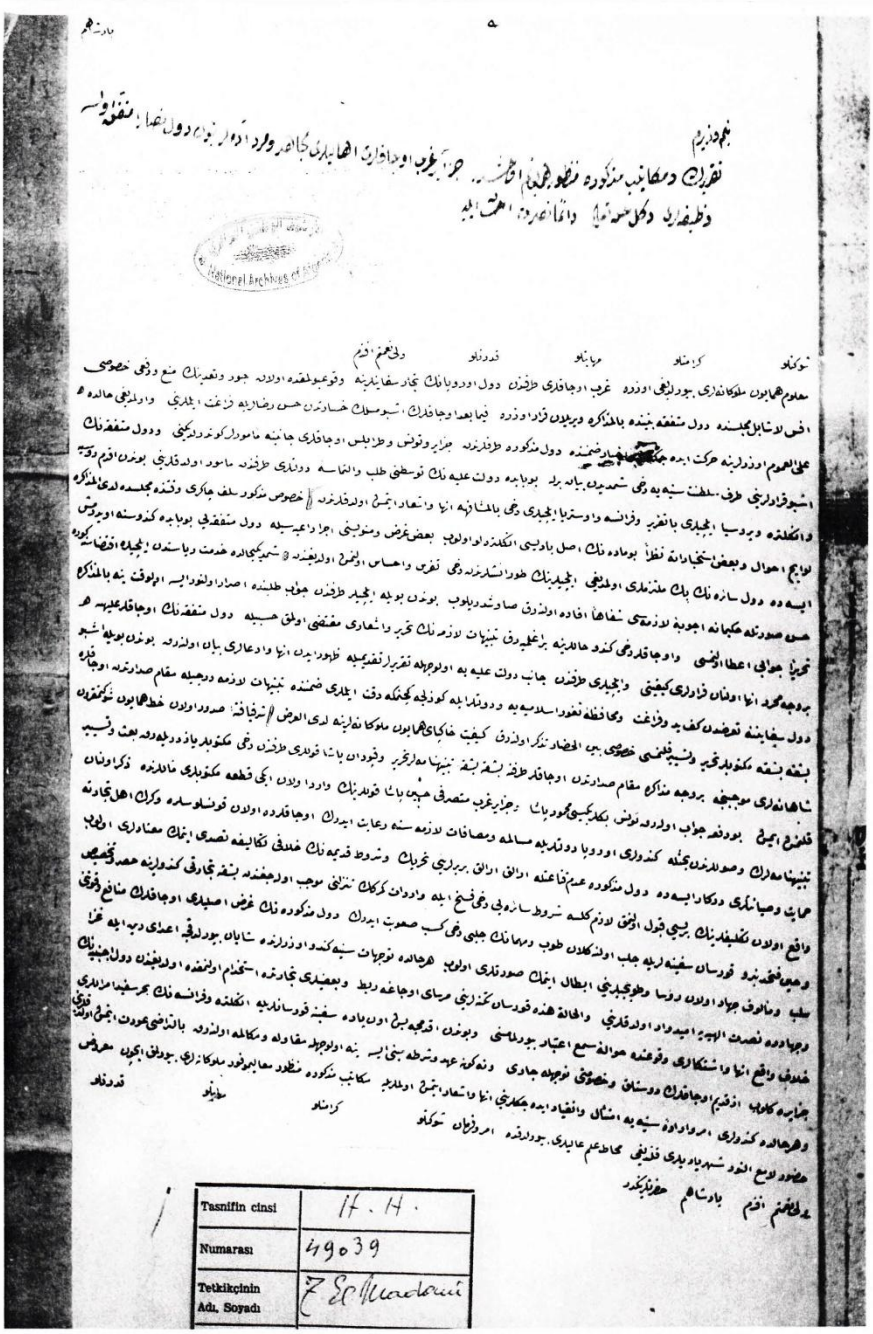

DZ IAN/2C2109 1020

دفتر: همايون خط
عدد : 49039
تاريخ : 1235
المعرب: فكري طونا

وزيرنا المحبوب .

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

لقد تم الاطلاع من طرفي على تقريرك و الرسائل المذكورة ، ان اهالي اوجاقات الغرب انام مجاهدون و شجعان فلو تأبت و اتفقت جميع الدول النصرانية ضدهم ، لا يهتمون و باتفاقهم نطلب من الله تعالى ان ينعم عليهم بالنصر المؤزر دائما .

الخط الهمايوني .

صاحب القوة و الكرامة و القدرة و المهابة سيدي و ولي نعمتي .

كما هو معلوم لدى المقام الشاهاني انه قد جرت مذاكرة و مباحثة بين الدول المتفقة في مجلس افرلا شابل بخصوص رفع و منع التعديات و التجاوزات الحاصلة من طرف الاوجاقات الغربية ازاء السفن التجارية للدول الاوروبية و بناء على استمرارية هذه التجاوزات و عدم توقفها لجأت الدول المتفقة المذكورة الى تخاذ قرار في المجلس المذكور ، و حسب هذا القرار : فان الدول المتفقة سوف تضطر ان تلجأ الى استعمال القوة تجاه الاوجاقات الغربية بالتحرك لغزوها ما لم تقلع هذه الاخيرة من تعدياتها و تجوزاتها على السفن التجارية الغربية برضاها و حسن ارادتها ، كما و ارسلت الدول المذكورة لتبليغ هذا القرار رسلا الى كل من اوجاقات الجزائر و تونس و طرابلس الغرب .

كما و كلفت الدول المتفقة هؤلاء الرسل لتبليغ القرار المتخذ من طرفها الى الدولة العلية ايضا و التماس التوسط منها بينها و بين الاوجاقات الغربية لحل المشكل .

و الجدير بالذكر ان موضوع توسط الدولة العلية هذا كان قد اثير من قبل من طرف سفراء روسية و انكلترة و بروسيا و فرنسا و اوستريا حيث تقدم سفراء الدول الثلاثة الاولى بتقرير الى الباب العالي بهذا الخصوص كما اثار الياقون المشكل عن طريق الحوار و المشافهة .

هذا ، و لما جرت مذاكرة بالمجلس في هذا الخصوص و ذلك اثناء وجود سلفي و في عهده بالمأمورية قد تبين لنا من خلال اللوائح الصادرة عنه و عن طريق الاستخبارات و الاستكشافات الخاصة بنا ان الدولة التي بدأت تتحرك اول مرة ضد الاوجاقات الغربية هي انكلترة لا غير .

فهي التي دفعت الدول الاخرى الى الوقوع في شراكها و المشاركة معها في موقفها من الاوجاقات المذكورة لتحقيق مصالحها الخاصة و الوصول الى مرامها المقصودة و الا فان الدول الاخرى منها لم تهتم بالموضوع هذا الاهتمام البالغ الذي نراه لدى الدولة الانكليزية و قد بدت لنا هذا عن طريق

DZIAN/12c2/09/1080

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

التفرس و من خلال المواقف المتخذة من طرف سفراء هذه الدول .

و من اجل هذا ، فان الموقف الذي يجب ان يتخذ من الآن فصاعدا في هذا الشكل يجب ان يتمثل في تقديم الاجوبة الشفهية الحكيمة و المقنعة من طرف الرئاسة للسفراء الذين يثيرون هذا الموضوع و دفعهم عن الموضوع بطريقة لبقة و مقنعة .

اما اذا اصر السفراء على الاستعجال الجواب المحرر فعند ذلك يعطى لهم الجواب المحرر بعد المذاكرة و المداولة للموضوع من جميع جوانبه .

كما لا تترك الاوجاقات الغربية على حالها تتصرف كما تشاء و تريد بل تحرر اليها رسائل التنبيه و الاشعار الى ما اقدمت عليه الدول الغربية في حضها من اتخاذ قرار لا ستعمال القوة معها اذا استمرت في تعدياتها للسفن التجارية الغربية و كذلك التماسها من الدولة العلية في التوسط بينها وبين الاوجاقات موضحة لها بواسطة سفرائها لدى الدولة العلية رغبتهم الملحة في انتهاء و امتناع الاوجاقات من تلك الاعمال العدوانية و التجاوزية ازاء السفن الغربية المذكورة .

و بناء على هذا يجب عليها ان تمتنع و تتجنب من الآن فصاعدا عن الاعمال العدوانية ازاء السفن الغربية و تعمل دائما في اطار الدفاع عن الثغور الاسلامية و المحافظة المستمرة على سلامة الدولة و الدين و المرابطة على الدوام جاهزة للجهاد المقدس ضد الاعداء المفسدين .

كما يجب عليها ان تعايش الدول الغربية في دائرة السلم و ترتبط معها بروابط صداقية جميلة ينبعث منها التفاهم و التعاضد و الصداقة .

هذا ما توصل اليه المجلس اثناء مداولته و مذاكرته للموقف المتعلق بالاوجاقات الغربية و بناء على هذا الاساس فقد اتخذ المجلس قرارا يقضي بلزوم تحرير رسائل ضمن التنبيهات لا العينة انفا الى كل من اوجاقات الجزائر و تونس و طرابلس الغرب من طرف الصدارة الهمايونية و قام المجلس بعد ذلك بتبليغ القرار المتخذ من طرفه الى المقام الشاهاني الكريم قصد النظر و الاحاطة .

و استنادا الى الخط الهمايوني المقرون باليافطة الشرفية نفذ المقام الصدارى القرار المتخذ حيث حرر رسائل مختلفة الى كل من اوجاقات الجزائر و تونس و طرابلس الغرب .

كما صدر امر الى حضرة القبطان باشا ليكتب بدوره الى الاوجاقات المذكورة بهذا الخصوص و قد نفذ فعلا ما طلب اليه .

هذا ... و قد تم ارسال جميع الرسائل المكتوبة الى الاوجاقات المعنية بالامر .

غير ان الجواب الذي ورد الينا هذه المرة من امير امراء تونس — محمود باشا — و كذلك الجواب الذي وصل من حسين باشا امير امراء الجزائر و اللذان يؤكدان وصول الرسائل المرسلة اليهما الى بخصوص الشكايات المقدمة الى المقام الشاهاني العالي من طرف الدول الغربية بشأن الاعتداآت الصادرة من الاوجاقات الى

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria
DZIAR/1Z/2 109 /080

السفن التجارية الاوروبية بفيدال بك وضوح وتأكيد على ان الاوجاقات الغربية مهتمة كل الاهتمام ببقاء العلاقات الطيبة والحسنة بينها وبين الدول العُربية ومستمرة بلا تغير وتبدل في رعاية وحفظ هذه الارتباطات الودية والصداقية بين الطرفين كما هي ماضية ايضا في حماية قناصل الدول الغربية الموجودين لدى الاوجاقات والتجارة الغربية كذلك حسب الشروط القائمة بينها وبين هذه الدول الا ان هذه الدول لعدم قناعتها واكتفائها بذلك اعتادت على وبتحريك وتحريض بعضها البعض على ان توجه الينا مرة بعد مرة شروطا ومطالب تخالف الشروط القديمة القائمة بين الطرفين حتى اذا قبلنا مطلبا من مطالبهم الجديدة اجبرنا على نفس الشروط القديمة الباقية بيننا وبالتالي اكرهنا على تغيير الرسوم الجمركية التي هي اصل وارداتنا وعلى تفويض وتسليم امور التجارة اليهم والى ادارتهم ليقوى نفوذهم بعد ذلك وتمتد وتزداد سيطرتهم اكثر مما هم عليه الان .

وفضلا عن كل ذلك فان هذه الدول تريد ان تمنع السفن القرصنة للاوجاقات من جلب المدافع وحظها اختلاقها عدة عراقيل امامها من ان هذه العملية تتم من طرف السفن التابعة للاوجاقات منذ الفتح .ولا شك ان غرضها في ذلك هو الاستيلاء على هذه العملية ايضا واضعاف الاوجاقات بحيث لا تتمكن من مواصلة عملية الجهاد المقدس ضدهم وضد جميع من يعادون الاسلام والمسلمين لان بفقدهم عملية جلب المدافع بانفسهم يفقدون القوة المدفعية فيخسرون الجهاد والكفاح ثم يقعون بذلك تحت رحمة الدول النصرانية .

والجدير بالذكر في هذا الميدان هو كون المراكب التابعة للقراصنة مرتبطة بميناء الاوجاق في هذه الايام واستخدام البعض منها في الامور التجارية الامر الذي يجعل الشكايات المقدمة من طرف الدول الغربية قد جاءت خلافا للواقع والحال ولذا يؤمل من المقام الشاهاني العالي عدم الاهتمام بها والاعتناء بمضمونها .

هذا... وقد افاد الجوابان ايضا بانه قد حضر الى الجزائر من قبل امراء بحر السفيد لفرانسا وانكلترة بعشرة قطعة من السفن القرصنية التابعة لهم واجروا معنا مباحثات ومذاكرات .

ثم عقدوا معنا اتفاقات ومعاهدات على اساس الشروط والمعاهدات القديمة القائمة بين الاطراف راضيين بها في ميداني الصداقة والخصومة وعادوا بعد ذلك راضين بالوضع وبما حققوه بالمعاهدات والمقاولات.

كما افادا بانهما وجميع الاوجاقات الغربية سوف تنقاد وتمتثل الاوامر الشاهانية العالية مهما كانت الاحوال والاوضاع مثبتة بذلك عهودها التامة واخلاصها المستمر .

وقد تم عرض الجوابين على الحضرة الطوكانية العالية قصد تحقيق التبليغ وتحصيل الخطر الشاهاني الكريم والاطلاع الهمايوني حتى يكون العمل بموجب ومقتضى الارادة السنية التي سوف تتجلى في هذا الميدان لصاحب القوة والفرمان حضرة البادشاه المعظم .

(1)خط همايون رقم49039، المصدر السابق.

الملحق رقم: 19– خط همايون يخص الاستخبارات حول اجتماع حكام أوربا في لندن في أكتوبر 1818م بخصوص إتخاذ خطوة عملية لإجبار حاكم الجزائر على منع مواصلة عمليات القرصنة، و عدم الاعتراف بقرارات المجتمعين[1].

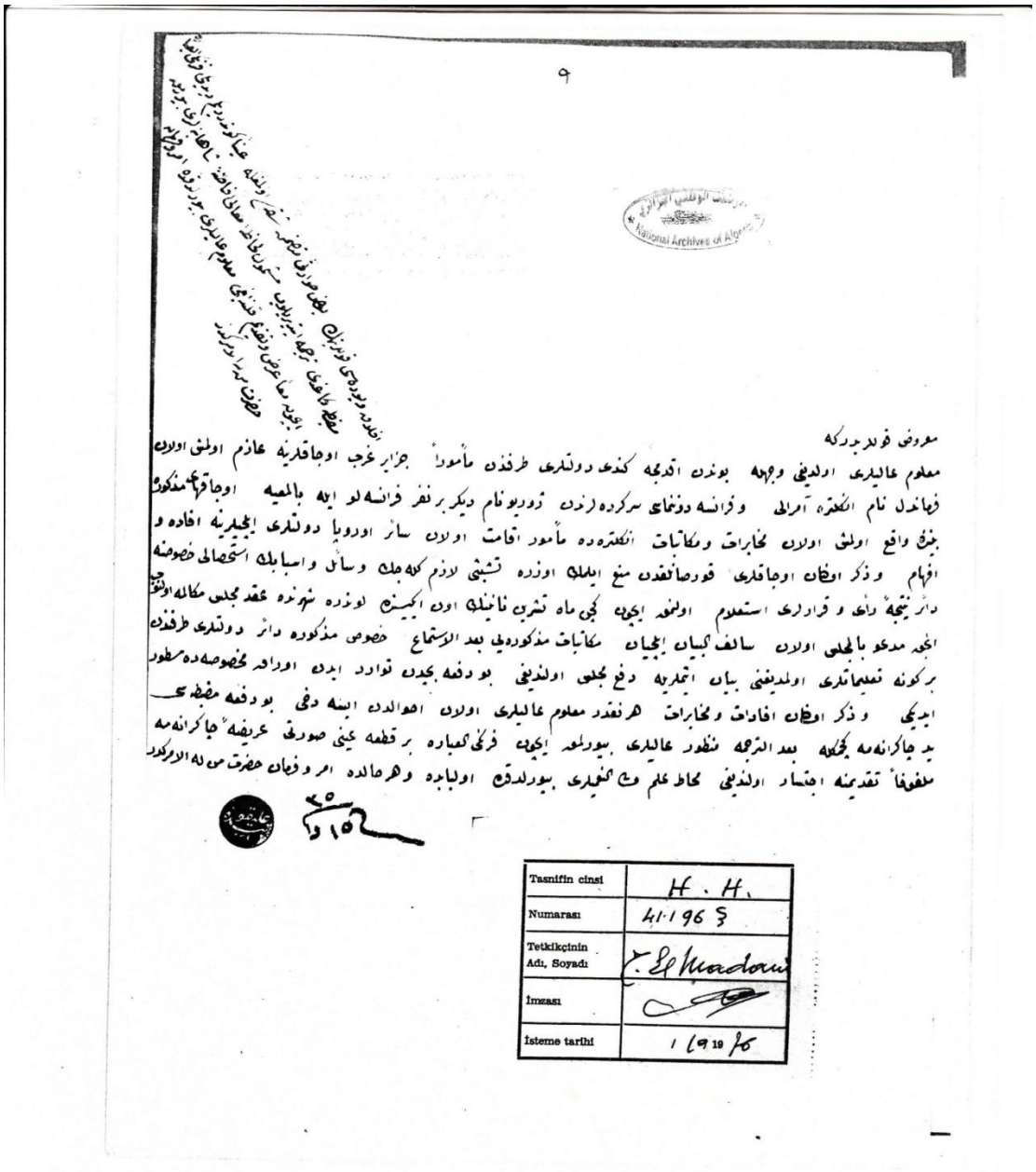

Tasnifin cinsi	H. H.
Numarası	41196 §
Tetkikçinin Adı, Soyadı	Y. El Madani
İmzası	
İsteme tarihi	1/6/19

F7/AN/2C 2/109 1018

دفتر : خط همايون

عدد : 41196

تاريخ : 1235

لديه تقرير مقدم الى المقام الشاهاني العالي بالحبارة الفرنكيسة من طرف سكان مطقسة افلاق و ضواحيها يتضمن بعض الحوادث التي وقعت هنالك .

و قد تمت ترجمة التقرير الى اللغة التركية لتقديمها مرفقة للاعلى الى المقام الهمايوني لتوقوف و الاحاطة حتى تتجلى الارادة الشاهانية العالية الخاصة بها و بمحتواها .

الارشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

و الامر و الفرمان

بعد ذلك لصاحب القوة و السلطان حضرة البادشاه المعظم .

عريضة مقدمة من طرف العبد الحاجز :

انه كما معلوم لدى المقام الهمايوني العالي قد تم اطلاع سفراء الدول الاوربية المقيمين بمدينة لندن عن طريق الاستخبار و الاستكشاف على المخابرات و المراسلات التي وقعت بين اوجاقات جزائر الغرب وبين الاميرال الانكليزي ـ فرماندل ـ و رئيس فرقة من الاسطول الفرنسي يدعى ( )

و كان هذان الرجلان قد عزما على الاتصال باوجاقات جزائر الغرب بتكليف من طرف دوليتهما اللتين ارسلتاهما الى المنطقة لتحقيق ذلك الغرض .

و من اجل ذلك فان سفراء هذه الدول الذين يقيمون في لندن بمهمة سفارية قد عقدو العزم على عقد اجتماع عام في لندن و قد تم الاجتماع فعلا بالمدينة المذكورة في 12 تشرين الثاني الماضي :ذي الحجة : لدراسة الوسائل و الامكانيات التي يمكن التوصل اليها لمنع اوجاقات جزائر الغرب من القرصنة .

غير ان الاخبار التي وردت الينا من ـ بجاية ـ تفيدبان السفراء المجتمعين بعد ان استمعوا الى محتوى المكانيات و المذكورة التي تمت بين الاوجاقات الجزائرية و الرجلين المذكورين اعلاه قد قضوا المجلس مدعين بانهم لا يمتلكون اية تعليمات من طرف دولتهم بخصوص هذه الاتصالات التي ادت الى انعقاد الاجتماع .

و بما ان تلك الاوراق التي تحتوى على تلك المراسلات و المكانيات التي جرت بين الاميرال الانكليز

DZIAN1RCA109/018

ورجل من الاسطول الفرنسي يرتبة رئيس فرقة ـ وبين اوساقات جزائر الغرب قد وقعت في يدي حاليا فانني ابادر الى تقديم هذه العريضة المهيئة من قبل الاطراف المعنية الى المقام الشاهاني العالي و ان كان محتواها معلوما للمقام الشاهاني من قبل المعلم و الاحاطة و ذالك بعد تمام ترجمتها من اللغة الاجنبية الى اللغة التركية مرفقة بالاصل .

حتى تتجلى الارادة السنية فيها و في محتواها و تحظ بعد ذلك الاجراءات اللازمة في القضية و الموضوع .

و لا شك ان الامر و الفرمان في هذه القضية و في جميع القضايا الاخرى لصاحب القوة و السلطان حضرة البادشاه المعظم .

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

(1)خط همايون رقم41196، المصدر السابق.

البيبليوغرافيا

- **القرآن الكريم**: برواية الإمامين رضي الله عنهما ورش عن نافع.

أولا– قائمة المصادر:

I– الوثائق الأرشيفية:

– دفتر مهم:

1- مهمة دفتري، رقم2، حكم538، تاريخ، 963هـ، تعريب فكري طونا الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم1.

2- مهمة دفتري، رقم3، حكم139، تاريخ 966هـ، تعريب فكري طونا، الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1.

3- مهمة دفتري، رقم6، حكم972، تاريخ 972هـ، تعريب مُحَّد داود التميمي، الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1.

4- مهمة دفتري، رقم5، حكم656، تاريخ 973هـ، تعريب داود مُحَّد التميمي، الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم1.

5- مهمة دفتري، رقم5، حكم817، تاريخ 973هـ، تعريب داود مُحَّد التميمي، الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1.

6- مهمة دفتري، رقم5، حكم967، تاريخ 973هـ، تعريب فكري طونا، الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 1.

7- مهمة دفتري، رقم7، حكم 51، تاريخ978، تعريب داود مُحَّد التميمي، الأرشيف الوطني التونسي، علبة 2.

8- مهمة دفتري، رقم22، تاريخ979، تعريب داود مُحَّد التميمي ، الأرشيف الوطني الجزائري، علبة 2.

–خط همايون:

1- خط همايون، رقم55760، بتاريخ1205هـ، تعريب فكري طونا،علبة3، الأرشيف الوطني الجزائري.

2- خط همايون، رقم 56499 بتاريخ 1206هـ، تعريب فكري طونا، علبة 4، الأرشيف الوطني الجزائري.

3- خط همايون، رقم 8086 بتاريخ 1205هـ، تعريب فكري طونا، علبة 3، الأرشيف الوطني الجزائري.

4- خط همايون، رقم 22518 بتاريخ 1230هـ، تعريب فكري طونا، علبة 7، الأرشيف الوطني الجزائري.

5- خط همايون، رقم19090، بتاريخ 1231هـ، تعريب فكري طونا، علبة 8، الأرشيف الوطني الجزائري.

6- خط همايون، رقم 22486 بتاريخ1231م، تعريب فكري طونا، علبة 8، الأرشيف الوطني الجزائري.

7- خط همايون، رقم 49039 بتاريخ 1235م، تعريب فكري طونا، علبة 9، الأرشيف الوطني الجزائري.

8- خط همايون، رقم 41196 بتاريخ 1235م، تعريب فكري طونا، علبة 9، الأرشيف الوطني الجزائري.

9- خط همايون، رقم 22547 بتاريخ 1238م، تعريب فكري طونا، علبة 10، الأرشيف الوطني الجزائري.

10- خط همايون، رقم 5731 بتاريخ 1216م، تعريب فكري طونا، علبة 5، الأرشيف الوطني الجزائري.

11- خط همايون، رقم 16237 بتاريخ 1245هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الأرشيف الوطني الجزائري.

12- خط همايون، رقم 5661 بتاريخ 1217هـ، تعريب فكري طونا، علبة 5، الأرشيف الوطني الجزائري.

13- خط همايون، رقم 39478 بتاريخ 1244هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الأرشيف الوطني الجزائري.

14- خط همايون، رقم 5118 بتاريخ 1217هـ، تعريب فكري طونا، علبة 5، الأرشيف الوطني الجزائري.

15- خط همايون، رقم 51324 بتاريخ 1236هـ، تعريب فكري طونا، علبة 9، الأرشيف الوطني الجزائري.

16- خط همايون، رقم 38548 بتاريخ 1237هـ، تعريب فكري طونا، علبة 10، الأرشيف الوطني الجزائري.

17- خط همايون، رقم 39478 بتاريخ 1244هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الأرشيف الوطني الجزائري.

18- خط همايون، رقم 22493 بتاريخ 1243هـ، تعريب فكري طونا، علبة 12، الأرشيف الوطني الجزائري.

-المجموعات:

1- المجموعة 1903، الملف1، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية.

2- المجموعة3190، الملف 1، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية.

3- المجموعة 3190، الملف 2، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية.

4- المجموعة3205، الملف3، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية.

5- السلسلة التاريخية، الملف384، الحافظة 223، الأرشيف الوطني التونسي.

II- المخطوطات:

1- ابن أحمد مُحَمَّد الطاهر، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح باي أمير بلد قسنطينة، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم، 00263.

2- ابن عبد العزيز حمودة بن مُحَمَّد، الكتاب الباشي، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، ج2، رقم 18666- A.MSS.

3- أبو راس مُحَمَّد الناصري، الحلل السندسية في تاريخ(شأن) وهران و الجزيرة الأندلسية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم3182.

4- برناز أحمد بن مصطفى، الشهب المحرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية رقم05849

5- خوجة حسان، تاريخ بايات وهران، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1634.

6- الرياش إبراهيم بن أحمد، العز و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب و المدافع، ترجمة الحجري أحمد بن قاسم، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1511.

7- مجهول، تاريخ مجيء إصبنيول في المرتين الثانية و الثالثة إلى الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2285.

8- مجهول، مكاتبات بين دايات الجزائر و الباب العالي، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم A-MSS-03180.

9- المنوي مُحَمَّد الفراتي الصفاقسي، تاريخ عروج رايس و أخيه خير الدين بمدينة الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم 02ع31.

10- مراسلات بايات قسنطينة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم1641.

-الوثائق المنشورة:

1- الشتيوي منصور عمر، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي و الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، مؤسسة الفرقاني طرابلس، ليبيا 1970م.

– المصادر المطبوعة:

1- أبكاريوس يوحنا أفندي، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، بيروت، لبنان 1885م.

2- ابن أبي الدينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس 1386هـ.

3- ابن أبي السرور مُحَمَّد، نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تح أبو جابر سليم، ط1، دار الهدى، مصر 2012م.

4- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، مج1، ج2 ، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس2004م.

5- ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج 2، ج3 ، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس2004م.

6- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر2001م.

7- ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري، رحلة ابن حمادوش (لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال)، تقديم و تحقيق سعد الله أبو القاسم، .الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007م.

8- ابن خلوف سيدي لخضر، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، جمع و تقديم بخوشة مُحَمَّد، دار ابن خلدون تلمسان، الجزائر 2001م.

9-ابن رقية الجديري بن مُحَمَّد التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق سعيدي خير الدين، ط1، دار أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر2017م.

10- ابن زاكور مُحَمَّد الفاسي، رحلة ابن زاكور، تحقيق مصطفى ضيف و محفوظ بوكراع، الناشر المعرفة الدولية ن ت، الجزائر 2011م.

11- ابن زرفة الرحلة القمرية، تحقيق حساني مختار، الجزء 2، مخبر المخطوطات، جامعة اجزائر2003م.

12- ابن زيدان عبد الرحمن العلوي ، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الإقتصادية بالرباط، المغرب1937م.

13- ، العلائق السياسية للدولة العلوية، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط1999م.

14- ابن عبد العزيز حمودة بن مُحَمَّد، الكتاب الباشي، تحقيق ماضور مُحَمَّد، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس1970م.

15- ابن عبد القادر مسلم، أنيس الغريب و المسافر(تاريخ بايات وهران المتأخر)، تحقيق بونار رابح، ش و ن ت، الجزائر 1974م.

16- ابن عذاري أبو العباس المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب، تحقيق مغروف عواد بشار و آخرون، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس2013م.

17- ابن العنتري مُحَمَّد الصالح، مجاعات قسنطينة، تح تق رابح بونار، ش و ن ت، الجزائر1974م.

18- ، تاريخ قسنطينة (فريدة منيسة..)، مراجعة و تحقيق بوعزيز يحي، دار البصائر، الجزائر 2008م.

19- ابن غلبون الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب (التذكار)، تعليق الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ.

20- ابن المبارك أحمد، تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ب ت.

21- ابن مُحَمَّد حسين الورتلاني، الرحلة الورتلانية (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، مج2، مكتبة الثقافة الدينية والمكتبة الصوفية، القاهرة 2006م.

22- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر و علمائها، دراسة و تحقيق فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، العلمة، الجزائر2009م.

23- ابن ميمون مُحَمَّد الجزائر، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق ابن عبد الكريم مُحَمَّد، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر2007م.

24- ابن يوسف الصغير، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تحقيق الطويلي أحمد، مج1، المطبعة العصرية، تونس2009م.

25- الزياني ابن يوسف مُحَمَّد ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق، المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، الجزائر 1978م.

26- أبو راس الناصري مُحَمَّد بن أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تحقيق مُحَمَّد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر 2005م.

27- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تحقيق بوركبة مُحَمَّد، ج1، ط1، م و ف م، الجزائر 2011م.

28- أبو سالم عبد الله بن مُحَمَّد العياشي ، الرحلة العياشية 1661- 1663م، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي للنشر و التوزيع، الامارات العربية 2006م.

29- الإدريسي أبي عبد الله مُحَمَّد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002م.

30- الإسحاقي الشرقي، ليبيا من خلال رحلة الاسحاقي1731م، تحقيق التازي عبد الهادي، منشورات جامعة مُحَمَّد الخامس، ب ت.

31- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا، ج1، تحقيق بوعزيز يحي، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر 2008م.

32- باي أحمد، مذكرات أحمد و حمدان خوجة و بوضربة، جمع الزبيري العربي، دار السهل م و ف م، الجزائر2009م.

33- بفاير سيمون، مذكرات سيمون بفايفر(لمحة تاريخية عن الجزائر)، ترجمة ابو العيد دودو، ش و ن ت، الجزائر1974م.

34- بيسونال جون أندري، الرحلة إلى تونس 1724، ترجمة وتحقيق السنوسي مُحَمَّد العربي، مركز النشر الجامعي، تونس 2003م.

35- التمقروتي علي بن مُحَمَّد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق الشاذلي عبد اللطيف، المطبعة الملكية الرباط، المغرب2002م.

36- الجامعي عبد الرحمن، أرجوزة الحلفاوي، تحقيق حساني مختار، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، الجزائر 2003م.

37- حاجي خليفة (كاتب جلبي)، تحفة الكبار في أسفار البحار، ترجمة و تحقيق مُحَمَّد حرب،ج1، ط1، دار البشير للثقافة و العلوم، مصر 2017م.

38- خوجة حسين، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق مُحَمَّد أسامة، ج1، دار ابن رجب، القاهرة 2014م.

39- ، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق مُحَمَّد أسامة، ج2، دار ابن رجب، القاهرة 2014م.

40- ، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق مُحَمَّد أسامة، ج3، دار ابن رجب، القاهرة 2014م.

41- خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة، تعريب مُحَمَّد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للشر والتوزيع، الجزائر 1982م.

42- ، مذكرات حمدان بن عثمان خوجة، تعريب ابن عبد الكريم مُحَمَّد، ط 1، دار الوعي، الجزائر2017م.

43- داون جورج، مشروع حملة مُحَمَّد علي على الجزائر(1829-1830م)، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، ط1، المركز القومي للترجمة، مصر 2010م.

44- دوصوريص دييقو، تاريخ الشرفاء، ترجمة حجي مُحَمَّد وآخرون، مطابع سلا، المغرب1988م.

45- الراشدي ابن سحنون أحمد بن مُحَمَّد، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر ب ت.

46- ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر2013م.

47- الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق المدني أحمد توفيق، دار البصائر، الجزائر 2009م.

48- الزياني أبو القاسم، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تحقيق الزاوية رشيد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب 1992م.

49- ، الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الاسماعيلية، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب ب ت.

50- شالر ويليام، مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر1816-1824م، تعريب العربي اسماعيل، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1982م.

51- الشقراني الراشدي أحمد، القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق سعيدوني ناصر الدين، ط2، دار البصائر، الجزائر2013م.

52- الضعيف مُحَمَّد الرباطي، تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق العماري أحمد، ط1، دار المأثورات، الرباط 1986م.

53- الغزال أحمد بن المهدي، نتيجة الجهاد في المهادنة و الجهاد، تح اسماعيل العربي، د م ج، الجزائر 1984م.

54- الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق تح تع سعد الله أبو القاسم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت1987م.

55- كاثكارت جيمس، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1982م.

56- كلابرتون و دنهام، رحلة لاستكشاف إفريقيا، ترجمة عبد الرزاق إبراهيم، ج2، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2003م.

57- مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة، مُحَّد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1989م.

58- ، إفريقيا، ج3، ترجمة، مُحَّد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1989م.

59- مارمول كاربخال ، وقائع ثورة المورسكيين، ترجمة جزر مُحَّد، ج1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2012م.

60- المبارك أحمد بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق نو الدين عبد القادر، الجزائر 1952م.

61- مجهول، إتحاف ملوك الزمان بتاريخ شارلكان، ترجمة افندي خليفة، ج2، ب ت.

62- مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر1999م.

63- مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربا روس، تحقيق وتعليق حمادي عبد الله، دار القصبة للنشر، الجزائر2009م.

64- مجهول، غزوة الطوسكانيين لبونة في سبتمبر1607م، تعريب مُحَّد لخضر بوبكر و سعيد دحماني، ط1، مؤسسة الرجاء للنشر، عنابة، الجزائر 2013م.

65- المحامي مُحَّد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان 1981م.

66- المسعودي أبي عبدا لله مُحَّد الباجي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، ط2، مطبعة بيكار، تونس 1323هـ.

67- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق تقديم مُحَّد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي الجزائر2017م.

68- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومُحَّد محفوظ، ط1، مج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م.

69- النائب أحمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، مكتبة الفرقاني، طرابلس، ب ت.

70- ناجي محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام الأدهم ومُحَّد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، ب ت.

71- الناصري أحمد السلاوي، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى(الدولة السعدية)، ج5، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب 1955م.

72- ، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري، ج7، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب 1955م.

73- هابنستاريت ج أو، رحلة العالم الالماني ج أو هابنستاريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ- 1732م)، ترجمة سعيدوني ناصر الدين، دار الغرب الاسلامي، تونس2008م.

74- الوزير السراج مُحَمَّد بن مُحَمَّد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم و تحقيق الهيلة مُحَمَّد الحبيب، ج2، القسم 2، دار الكتب الشرقية، تونس 1973م.

75- اليفرني مُحَمَّد الصغير، روضه التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف، تحقيق بن منصور عبد الوهاب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط1995م.

- المراجع:

1- ابن الخوجة مُحَمَّد، صفحات من تاريخ تونس، تق تح حمادي الساحلي و الجيلاني بن يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م.

2- ابن عبد الكريم مُحَمَّد، مقدمة رحلة مُحَمَّد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، ط1، دار عالم الكتب، القاهرة1969م.

3- ابن عبد الكريم، مقدمة كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، لبن ميمون الجزائري، تق تح مُحَمَّد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007م.

4- أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الحليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس1970م.

5- أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي(1792- 1837م)، ترجمة صالح نور، ط1، دار قرطبة الجزائر2010م.

6- الباروني مُحَمَّد عمر، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، طرابلس 1952م.

7- بسام العسلي، خير الدين بربروس، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان1980م.

8- بلانتي أوجين، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا1579-1700م، تحقيق مجموعة من الاساتذة، ج1، دار الوعي، الجزائر2013م.

9- بنور فريد، الجواسيس الفرنسيون بالجزائر17821830م، دار الواحة للكتاب، الجزائر2012م.

10- بوعزيز يحي، وهران، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1985م.

11- ، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، دار عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009م.

12- ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا 1500م - 1830م، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر2009م.

13- ، المراسلات الجزائرية الإسبانية في ارسيف التاريخ الوطني بمدريد، (1780-1798م)، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر 2009م.

14- التازي عبد الهادي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب الأقصى من أقدم العصور إلى اليوم، مج9، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، مصر 1988م.

15- التميمي عبد الجليل، بحوث وثائق التاريخ المغربي، توني الجزائر ليبيا، 1816-1871م، ط1، الدار التونسية للنشر،تونس 1997م.

16- الجمل شوقي عطاء الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1977م.

17- جوليان شارل اندري، تاريخ الجزائر المعاصرة(1827-1871م)، ترجمة مجموعة اساتذة، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر2008م.

18- حاطوم نورالدين، الموسوعة التاريخية الحديثة(تاريخ القرن السابع عشر في أوربا)، ط1، دار الفكر دمشق، سوريا 1986م.

19- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية(الأحوال السياسية)، ج1، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009م.

20- حساني مختار، تاريخ الدزولة الزيانية (الأحوال الإقتصادية و الثقافية)، ج2، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009م.

21- حسن عبد الوهاب حسني، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب، تونس2015م.

22- خنوف علي تاريخ منطقة جيجل قديما و حديثا، ط1، منشورات الانيس، الجزائر 2011م.

23- داهش مُحَمَّد علي، الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف، دار الكتب العلمية، بيروت 2011م.

24- دوفو ألبير، الريس حميدو، تع مُحَمَّد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ب ت.

25- رافق عبد الكريم، العرب و العثمانيون1516م-1916م، مطبعة ألف باء، دمشق1974م.

26- رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس1782م- 1814م، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980م.

27- روسو ألفونسو، الحوليات التونسية، من الفتح العربي حتى إحتلال فرنسا للجزائر، تر و تق مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ، ليبيا 1992م.

28- الزبيري مُحَمَّد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1985م.

29- ، التجارة الخارجية لشرق الجزائر قبل الإحتلال 1792 – 1830م، ش و ن ت، الجزائر 1972م.

30- شويتام ارزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره1800-1830م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر2011م.

31- غطاس عائشة وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر 2007م.

32- سالم أحمد، السّيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2011م.

33- سامح عزيز ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت1989م.

34- السبكي آمال، أوربا في القرن 19 فرنسا في 100 عام، ط 1 عالم المعرفة، جدة 1985م.

35- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع. تق عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر و التوزيع الجزائر 2006م.

36- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب زبادية عبد القادر، دار القصبة للنشر، الجزائر2007م.

37- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، ط2، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر2012م.

38- سي يوسف مُحَمَّد، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2009م.

39- شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510م - 1540م، ترجمة جمال حمادنة، د م ج، الجزائر 2007م.

40- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوربا والعالم من ظهور البرجوازية إلى الحرب الباردة، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر 1997م.

41- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي و الأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر1992م.

42- ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر(1815 – 1919م)، دار المعرفة الجامعية، مصر 2000م.

43- عميراوي أحميدة، علاقات بايليك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، ب د ن، ب ت.

44- الغنام سليمان، سياسة مُحَمَّد علي باشا التوسعية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب2004م.

45- فارس مُحَمَّد خير و عامر محمود على ، تاريخ المغرب العربي الحديث(المغرب الاقصى و لبيبيا، ج1، منشورات جامعة دمشق 2000م.

46- فيرو شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي،تر تق مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ليبيا 1994م.

47- قنان جمال، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 _1830م، دار هومة، الجزائر 2007م.

48- ، معاهدات الجزائر مع فرنسا1619-1830م، المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار، الجزائر2007م.

49- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 م – 1792م، مج5، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010م.

50- مروش لمنور، أبحاث ودراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة بين الأساطير و الواقع، ج2، دار القصبة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009م.

51- المطوي مُحَمَّد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م.

52- نايت بلقاسم مولود بلقاسم، شخصية الجزائر و هيبتها الدولية قبل 1830م، ج1، ط1، دار الامة، الجزائر 2007م.

53- نوار سليمان عبد العزيز، محمود محمّد جمال، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر1999م.

54- هلايلي حنيفي، التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر2010م.

55- ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلية الجزائر 2009م.

56- ، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2007م.

57- ، العلاقات الجزائرية الأوربية و نهاية الإيّالة 1815-1830م، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر.

58- هنية عبد الحميد، تونس العثمانية بناء الدولة و المجال، منشورات تبر الزمان، تونس2012م.

59- وولف جون ب، الجزائر وأوربا 1500- 1830م، تر تع أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر2009م.

60- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ج1، مؤسسة فيصل للتموين، تركيا 1988م.

– باللغة الأجنبية:

– الوثائق المنشورة:

– باللغة الإنجليزية:

1- Pradt (M), Congress of Vienna, Philadelphia, published BY-M .Carey, U S A, 1820.

2 - Carey(M), Europe after the congress of AIX-LA- Chappell forming the Sequel to the , published BY-M Carey, U S A, 1820.

- باللغة الفرنسية:

3-De Grammont(H-D), Correspondance Des Consuls D'Alger (1690-1742), Paris, Ernest Leroux Libraire-éditeur, 1890.

4 -Plantet (Eugène), Correspondance Des Deys D'Alger avec la cour de France, T1,(1579-1700), Paris, 1889.

5-plantet (Eugène), Correspondance Des Beys de Tunis et des consuls de France avec la coure, T3, (1770-1830), paris, ancienne librairie, 1899.

– المصادر:

1 -Camille Rousset, la Conquête D'Alger, Paris, E-Plon et C^{ie}, imprimeurs - éditeurs,1879.

2-De Haedo (Fray Diego), Histoire des Rois D'Alger, traduit et annoté par H-De Grammont, Alger, Adolphe Jourdan libraire, 1881.

3- De Haedo Diego, de la captivité a Alger, tradu Moliner Violle, Alger, typographie Adolphe Jourdan,1911.

4- Dupias Alexandre, Expédition D'Alger, Paris, leva Vasseur libraire, 1830.

5- Edmond Pélissier, Annales Algériennes, T1, Paris, libraires pour l'art militaire, 1836.

6- Fey Henri Léon, Histoire de Oran, Oran- Alger, Typographie Adolphe Perrier, 1858.

7-Gaudin(M - A), conquêt D' Alger par les Français, Paris, Benjamin Duprat, 1864.

8- Gilchrist John, history of the Turks, London, James Blackwood, 1856.

9- Laugier de Tassy (J.P), Histoire du royaume d'Alger, Henri du Sauzet, Amsterdam, 1725.

10 -Maggil (M,Thomas), nouveau voyage a Tunis, publié en 1811, Paris, éditeur de dictionnaire des sciences médicales, 1981.

11-Pierre Dan, histoire de Barbarie et de ses Corsaires, Paris, libraire Ordinaire du Roi, T1, 2eme édition1646.

12- Perrot(M - A), la conquêt D'Alger ou relation de la campagne D'Afrique, Paris, H Langlois fils éditeur, 1830.

- المراجع:

1-Belhamissi Mouilay, Alger la ville aux mille canons, Alger, E.N.L,1990, p93.

2-Belhamissi Moulay ,Histoire de la marine Algérienne 1515-1830, Alger, Enterprise nationale de livre,1983.

3- Belhamissi, M. Histoire de la marine algérienne (1516-1830), 2e éd., ENAL, Alger, 1986.

4-Berbrugger (Adrien), Le Pégnon d'Alger ou les origines du Gouvernement Turc en Algérie, Alger , Imprimerie Hasnaoui, 2013.

5-Braudel (Fernande), La Méditerranée et le monde méditerrané a' l'époque de PhilippeII, 2eme éd, Paris, librairie Armand colin,T2, 1966.

6- Braudel (Fernand), Les Espagnols et la Berbérie de 1492 à 1577, Alger, l'imprimerie Hasnaoui, 2013.

7- Charles Roux, France et Afrique du Nord avant 1830. Les précurseurs de la Conquête , T1, Paris, Librairie Félix Alcan, 1932.
8 -De Gramont(H-D), LA FRANCE & LA RÉGENCE D'ALGER au XVII siècle, Alger, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur,1879.

9- De Grammont(D-H) Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle, 4ème partie(1646-1690), Alger, Adolphe Jourdan libraire, 1885.

10- De Grammont (H, d), Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), paris, Ernest Leroux Editeur. 1887.
11-De la Roncière (M-CH), le bombardement d'Alger en 1683 d' après une relation inédite, Paris, I.N.F, 1916.

12- De Venture de Paradis, Expédition contre Alger, Alger, Imprimerie Hasnaoui,2013.

13-Devoulx (Albert), Tachrifat, Recueil De Notes Historiques, Alger, Imprimerie du Gouvernement,1852.

14-Edgad Rouard (De Card), Traités de la France avec les pays de L'Afrique du Nord, Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Paris, A.PE'DONE, Editeur, 1906.

15- Eugene Sue, histoire de la marine française, T4, E2, paris, entièrement revue par l auteur, au depot de la librairie,1845.

16- Garrot Henri, Histoire générale de l'Algérie, Alger, imprimerie P. Grescenzo, 1910.

17- Jeronimo Conestaggio, relation des préparatifs fiats pour surprendre alger, tradui de Grammont(H-D), Alger, Adolphe Jourdan, libraire,1882.

18- Julien (Charles André), Histoire de l'Afrique du nord de la conquête arabe a 1930, Alger, 2eme édition, 1978.

19-Krieken van(G), Corsaires et marchands Les relations entre Alger et les Pays-Bas1604-1830, Paris, Éditions Bouchène, 2002.

20- Levasseur(E), histoire commerce de la France, V2, Paris, librairie nouvelle de droit..,1912

21-Mercier (Ernest), Histoire de L'Afrique Septentrionale, 3T, Paris, Ernest leroux, édition,1891, T3.

22-Monchicourt(CH),L Expédition de Djidjelli 1664, Paris, librairie Militaire de L. Baudoin, 1898.

23- Moke(H-G), la bataille de Navarin ou le renégat, Paris, Dufour et Cie, libraires.

24-Paul(Masson), histoire des établissements et du commerce Français, dans l'Afrique Barbaresque, 1560-1793 Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Paris, librairie Hachette, 1903, p157.

25-Viollet Alphonse, Histoire des Bourbons D' Espagne, Paris, Lacour et maistrasse imprimeurs libraires, 1843.

- بالإنجليزية:

- Prince sixte de Bourbon, la Dernière Conquête du Roi - Alger1830,T2, Paris, nouvelle collection historique, calmann -lévy éditeurs, 1930.

- بالإسبانية

-Franch Benavent Ricardo, el comercio en el Mediterraneo Espanol Durante la edad moderna, univ- Valencia, Obradoiro Hist. Mod, N°17, 2008.

– المجلات:

1- بخدة الطاهر، دور الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة، مجلة عصور الجديدة عدد 11-12، جامعة وهران 2013- 2014م.

2- بلبروات بن عتو، التحرير الثاني و النهائي لوهران و المرسى الكبير1206هـ-1792م، مجلة عصور، العدد5، جامعة وهران، الجزائر 2003م.

3- بلحميسي مولاي، غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر 1541م، مجلة الاصالة، العدد8، الجزائر 1972م.

4- بوشنافي مُحَّد، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط، 1512م - 1518م، مجلة عصور، العدد 5/4، جامعة وهران، الجزائر جوان 2004م.

5- تابست علي، مذكرة سيدني سميث ضد النشاط البحري لدول الغرب، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7، جامعة الجزائر، الجزائر 1993م.

6- التميمي عبد الجليل، رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية ق16، م ت م ، عدد29-30 تونس1983م.

7- جعني زينب، ثور ابن الأحرش في بايليك الشرق(1800-1807م)، مجلة عصورة الجديدة، العدد18، جامعة وهران، الجزائر 2015م.

8- حكمت ياسين، الغزو الإسباني للجزائر في ق16، مجلة الاصالة، عدد14- 15، الجزائر1973م.

9- الساحلي خليل، وثائق عن المغرب العثماني، اثناء حرب مالطا1565م، م ت م عدد7-8، تونس 1977م.

10- الساحلي خليل، إحداث لواء جديد في الجزائر في أواخر ق 16م يتركب من بلد العناب و باستيون و متبارقة وقلعة باجة، مجلة الأصالة، المجلد14، العدد34، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 2011 م.

11- سعيدوني ناصر الدين، معركة نافارين 1827م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 6، جامعة الجزائر 1992م.

12- سعيدوني ناصر الدين، المعاهدة الجزائرية الإسبانية1791م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، جامعة الجزائر 1993م.

13- سلفاتور بونو، العلاقات بين الجزائر و إيطاليا خلال العهد التركي، مجلة الأصالة، العدد6، الجزائر 1972م.

14- شقرون جيلالي، إتفاقية السلام و الصداقة الامريكية الجزائرية الأولى 05 سبتمبر 1795م، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية، العدد2، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر 2010م.

15- شوتيام أرزقي، مواقف الدول من الإحتلال الفرنسي للجزائر، م د ت، العدد 6، جامعة الجزائر، الجزائر1992م.

16- صحراوي عبد القادر، ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد15- 16، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس2017م.

17- صحراوي عبد القادر وعطية مُحَّد، مشروع توحيد الإيّالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688-1695م، مجلة الحوار المتوسطي، العدد15- 16 جامعة سيدي بلعباس، الجزائر2017م.

18- عطية مُحَّد، محن الجزائر في عهد الداي عمر1815-1817 ومواقفه منها، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، العدد13، الجزائر 2017م.

19- ، الظروف المحيطة بنكبة الاسطولين الجزائريو التونسي في فالونا 1638م، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد55- 56، تونس 2017م.

20- الغالي الغربي، ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري ابان القرن التاسع عشر، م د ت، عدد 10، جامعة الجزائر، الجزائر1997م.

21- غطاس عائشة، معاهدة 1746م أول حلقة في العلاقات الجزائرية الدانماركية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 3، جامعة الجزائر1987م.

22- فكاير عبد القادر، علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، العدد1، جامعة معسكر2007م.

23- ، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، مجلة كان التاريخية، العدد18، 2012م.

24- ، الحملة الإسبانية على مدينة شرشال و فشلها1531م، مجلة دفاتر البحوث العلمية، العدد2، المركز الجامعي تيبازة 2013م.

25 - ، معاهدتا الجزائر مع إسبانيا 1786 – 1791م ظروفهما و انعكاساتهما على العلاقات بين البلدين، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات، العدد5، جامعة الوادي 2015م.

26- قنان جمال، معركة سطاوالي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد8، جامعة الجزائر1993- 1994م. -

27 - لعريبي اسمهان، الباستيون الفرنسي بالقالة من خلال مراسلات محلية مخطوطة، مجلة عصور، العدد17، جامعة وهران الجزائر2012م.

28- الهويدي سلوى، أعوان الدولة للإيّالة التونسية1735م-1814م، مجلة إيبلا، العدد205، تونس2010م.

– باللغة الأجنبية:

1- Belhamissi Moulay, Course et contre-course en méditerranée ou comment les algériens tombaient en esclavage
(XVIe siècle – 1er tiers du XIXe siècle), C.M.M.C, C.M, n°65,2005.

2- Benguetaf **A**- Hafid, The Barbary Treaties between the USA and Algiers(1795 -1816), riviwe oussoure, n°16, university Oran,2008.
3-Berbrugger Andrie, Reprise D'oran par Les Espagnols en 1732, R.Af,Alger, N°8, 1864.

4-Berbrugger André, Expédition du comte O' reilly conter Alger au 1775, R. Af, n°8, 1864.

5- Braudel Fernand, Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 à 1577, Alger, R. Af, n°69, 1928.

6- Brogini Anne, L'esclavage au quotidien à Malte au XVIe siècle, C.M.M.C, C.M, n°65, 2002.

7-Charles Féraud, trios attaques des Espagnols conter Alger au XIII siècle, R. Af, n°20, 1876.

8- De Grammont(H-D), Document Relatif A La Second Expédition de Don Angelo Barcelo contre Alger1784, R-Af, n°26, Alger1882.

9-Devoulx (Albert), La Marine de la régence d'Alger, R.Af, n°13, septembre, 1869.

10-Emerit Marcel, Mémoires de thédenat natif d'Uzès en lange doc écrites à Zurich n°92 1785, R Af, 1948.

11- Emerit Marcel, les aventures de Thédenat esclave et ministre d'un Bey D'Afrique XIII siècle, RAf, n°92, 1948.

12- Gsell (Stéphane), notes chronologiques pour l'histoire de Constantine, Raf, n°39, 1895.

13-Jacques Caillé, Le consul Jean-Baptiste Estelle et le commerce de la France au Maroc à la fin du XVIIe siècle, R.F.H.O.M, paris1959, n°162,V46.
14-Major Dalarymp, Expedition D O'Reilly 1775, R Af, n°5, 1861.

15- Monnere au et Watbled, négociations enter Charles Quint et Khair-Eddine 1538-1540, RAf, n°15, 1871, p139.

16- Paul(Masson), histoire des établissements et du commerce Français, dans l'Afrique Barbaresque, 1560-1793 Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Paris, librairie Hachitte, 1903.

17- Pieere (Boyer), Le Problème Kouloughli dans la Régence d'Alger, R.O.M.M, 1970, n° spéciale.

18- Pierre Boyer, Historique Des Benie Amer D'Oranie Des Origine Des Senatus Consulte, Paris,R M M M, n° 1, V24, 1977.

19-Watbeld, E. Expédition du duc de Beaufort contre Djidjeli 1664, R.Af.n° 17, 1873.

– بالإسبانية:

-José Antonio Martinez Torres, un Mediterraneo en movimiento esclavos y comercio en el continente Africano(S16-17-18),revista Historia y Politica, Madrid, no20, 2008.

– الرسائل الجامعية:

1- بن صحراوي كمال ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة معسكر، الجزائر 2007- 2008م.

2- بيشي رحيمة العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية 1494 – 1574م، مذكرة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي غرداية، الجزائر2012م.

3- تجاجنة بوحفص، الحملات العسكرية لدول غرب أوربا المتوسطية على الجزائر، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، 2010-2011م.

4- تومي الطاهر، العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنيين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر 2015م.

5- ثابت جميلة، دور الاعلاج في العلاقات بين الجزائر و دول جنوب غرب أوربا خلال القرنيين 16-17م، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، الجزائر 2010-2011م.

6- خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى و إلتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر 2006-2007م.

7- سعيد مُحَّد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن 12هـ/ 18م (1708- 1792م)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، الجزائر 2011م.

8- سهيل جمال، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية 2010 -2011م.

9- طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700- 1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر2003- 2004م.

10- غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن17م(1619-1694م)، مذكرة ماجستير غير منشوة، جامعة الجزائر1988م.

11- محرز أمين، الجزائر في عهد الاغوات1659-1671م، مذكرة ماجستير، منشورة، الجزائر2007/2006م.

12- مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792- 1830م، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر2010/2009م.

– الاطالس و الموسوعات:

- Encyclopedia of the Ottoman Empire Gábor Ágoston Georgetown : University, Washington, D.C.

الفهـــارس

– فهرس الأعلام:

- أبراهام دوكين : 133 – 133.

- ابراهيم باشا: 117 – 166 – 181 – 185 – 186 – 189 – 190 – 191 – 271 – 274.

- ابراهيم المليايني: 203.

- ابن الأحرش: 234 – 235 – 240.

- ابن زاكور: 133.

- ابن الشريف الدرقاوي: 236 – 237 – 238- 239.

- ابن محرز: 120 – 135.

-أبو حمو: 28.

- أبو الربيع سليمان: 241.

- أبو زيان الثالث: 28.

- أبو عبد الله: 240.

- أبو عبد الله السعدي: 120.

- أبو مزراق: 285.

- أحمد آغا: 253.

- أحمد بن فرحات: 152.

-أحمد الثالث الزياني: 28.

- أحمد الثالث العثماني: 173.

- أحمد الثاني: 147.

- أحمد الداي: 146 – 154.

- أحمد شاوش: 246.

- أحمد طوبال:246.

- إدوارد سبارغة: 112 – 126.

- آرثر هربرت: 129.

- أرسلان: 49.

- اسحاق: 28 – 29.

- اسكندر السادس: 23

- اسماعيل باشا: 108 – 111 – 110 – 109.

- إسماعيل العلوي: 120 – 125 – 121 – 122 – 131 – 135 – 140- 142- 151 - – 152

– 154 – 238.

- أشتورا: 24.

- إكسماوث: 248 – 254 – 255 – 257- 268.

- ألكسندر دي لاموتي: 179.

- ألن: 111.

-الياس: 26.

- اليزابيث: 73.

- آن الملكة: 156.

- أندري اكسندر لومير: 194 – 195.

-أندري دوريا: 32 – 34 – 42 – 47 – 51 – 53 – 58 – 61 – 66.

- أنطونيو بارسلو: 197 – 209 – 214 - 216 – 218 – 219.

- أوريلي:197 – 199 – 201 – 202 – 207 – 218.

- أوزون حسن: 158.

- انيقودي طوليدو: 119.

- ايزابيلا: 23.

-ايقوفريسكو: 92.

-ايمانويل دي غوندي: 58.

(ب)

- بابا حسن: 115 – 129 – 135 – 137 – 138 – 139 – 154 – 265 .

- باكري: 232 - 236 – 279 – 287.

- بالشين: 170.

- بنزيت: 188.

- بواسون القسيس: 190.

- بوتان: 267.

- بورل: 268.

- بوشناق: 236 -267.

-بول: 94 – 95.

-بولس الثالث: 41 – 47 – 51.

- بولیناك: 270 – 271 – 273.

- بونشتارترین : 154 – 157.

- بیار دوفال: 277 – 279 – 283.

- بیدرو دو كاستیفون: 202.

-بیدرونفارو: 25.

- بیدي بیرج: 266.

-بیر ماثیو: 75 - 76 – 77.

- بیندیتكس الرابع عشر: 192.

- بینو لومیر:192.

-بیوس الثالث: 67.

- بیوس الثامن: 281.

-بییر دو رومنیاك: 95.

- بییر لوفاشي: 126 – 132.

(ت)

-تاج العارفین : 89.

- تروبیر: 108

- توماس بیكي: 96.

- توماس فریما تسل: 262.

- تیدان : 266.

(ث)

- ثابت بن شنوف: 88.

(ج)

- جارماني: 78.

- جان أرنو: 110.

-جان أندري دوريا: 73.

- جان كامبون: 288.

- جان لوفاشي: 131.

- جوان الفيكي: 62.

- جور ديان دي لاغرافيير: 262.

- جون بول سان اندري:266.

- جونفيل: 192.

- جونيفيل: 130.

(ح)

- حاج باشا الصوردو: 51.

- الحاج باشا: 49.

- الحاج علي: 253 – 254.

-الحاج مامي: 49.

- حاج مُحَمَّد: 213 – 218.

- حسين داي: 288.

- حسين بن صالح: 241 – 243 – 244 – 260.

- حسين خوجة:167.

- حسين داي: 115 – 263 - 265 – 269 – 275 – 277 – 282 – 283 – 287 – 286.

- حسين ميزمورتو: 116 – 125 – 138 – 139 – 140.

-حسن آغا: 44 – 45 – 49 – 50 – 51 – 52 – 54 – 55 – 56- 57 – 58 - 59.

-حسن باي: 88.

- حسن بن خير الدين: 103- 104.

- حسن التريكي: 113.

- حسن شاوش: 148 – 150.

-حسن فورصو: 61 – 66 – 86.

- حسن وكيل الخرج: 222 – 223 – 230 – 244.

- حمودة: 234 –240 – 243 – 244 – 246 – 249.

- حميدو: 226 – 242 – 255.

(خ)

- الخضر باشا: 75.

- خليل الارناؤوطي: 142 – 144 - 145 – 151 – 152.

- خليل آغا: 93 – 94.

- خير الدين: 26 – 28 – 29 – 30 – 31 – 32 – 33 – 34 – 39 – 40

– 41 – 42 – 43 – 44 – 45 – 49 – 50 – 53 – 54 – 56 – 66 – 67 .

(د)

- دالكودايت: 54 – 56 – 58 – 60 – 62 – 63 – 66.

- دالي ابراهيم: 188.

- دالي حسن أبو رتيبة : 75.

- دامفريفيل: 137.

- درغوث باشا: 42 - 65 – 69 .

- دروفتي: 269.

- دوبيري: 284.

- دو توت: 264.

- دو تورفيل: 139.

- دورويتر: 92.

- دوسارتين: 204.

- دوستري: 140.

- دوسوردي: 91.

- دوسول: 160 – 171.

- دوفال: 272.

- دوفلوريدا بلانكا: 220 – 223.

- الدوق داركو: 91.

- دوق دوميدينا: 67.

- دو قي تروين:191.

- دوكاستري: 225.

- دو كلير فيل:101.

- دوكور دو لابرويار:188.

- دوكيرسي: 264 – 267.

- دوكين : 131 – 128 – 134 – 136 – 135 – 137 – 138 – 139 – 171.

- دولومب: 137.

- دوماريني: 192.

- دوموريباس: 181 – 189.

- دونالدصون: 233.

-دون جوان: 70 – 71 – 73.

- دون خوسيه: 179.

- دون لورينزو: 54 – 56.

- الدون مارتان: 63.

- ديباردا: 183.

- دي برمون: 248 – 277 – 280 – 284 – 287.

- دي بوانتافيل: 267.

- دي بوفور: 102 – 105 – 107 – 115.

- دي سيبي: 222.

- دي مارتل: 113.

- دي مونتمار: 181 – 182 – 184 – 179.

(ر)

-الريّس رجب: 58.

- رشيد المولى: 120.

-رمضان: 49.

- رمضان آغا:93- 115 – 143 – 149 – 150.

- رمضان تشولاق: 86.

روبرت بلاك:107.

- روميرو: 54 - 185.

- رونسون: 33.-

- رويتر: 97 – 128.

- ريباردا: 175.

- الريس مُحَمَّد: 189 - 190 – 192.

- ريشيليو: 91- 98.

- ريبولي: 137.

- ريكو دو لامونت: 194.

- رينكو: 53.

(ز)

- زيدان المولى: 120.

- زيقل: 256.

(س)

-سافاري دوبراف: 78.

-سالم بن التومي: 26 – 27.

- سانسون نابليون: 86 – 91.

- سعيد شريف: 49 – 50.

- سليمان باشا: 75.

-سليمان القانون: 53 – 41 – 33 – 32 – 65 – 68.

- سليم الثاني: 68 – 69.

- سومرديك: 217.

- سنان باشا: 65 – 85.

- سنتريون: 93.

- سيباستيان: 224.

- سيدني سميث: 251 – 252 – 254 – 256.

- سيمون ابو قاية: 232.

- سيمون بفايفر: 281 – 285.

- سيمون دانسا: 96 .

(ش)

- شارل الثالث: 176 – 201.

- شارل الثاني: 116 – 129 – 176.

- شارل الخامس: 32 – 33 – 39 – 40 – 41 – 43 – 45 – 46 – 47 – 48 – 49 – 51

– 52 – 53 – 54 – 55 – 56 – 57 – 58 – 59 – 60 - 61 – 65 – 66- 70- 82 – 103

– 168 – 183 – 198 – 199- 203 – 207. – 167 – 179 – 183 – 198 – 199 – 203

– 205 – 207.

- شارل الرابع: 228.

- شعبان آغا:93 103 – 106.

- شعبان داي: 122 – 140 – 141 – 142 – 144 – 145 – 146 – 148 – 149 – 151 – 154 – 166.

- شعبان الزناقي: 119.

- شوفالي بول: 96.

(ص)

- صالح باي: 203 - 205.

- صالح رايس: 42 - 60 – 61 – 62 – 65 – 66 -120 .

- صوقلي باشا: 70

(ط)

- طاهر باشا: 271 – 272 – 284.

(ع)

- عبد الرحمن أمير كوكو: 77.

- عبد الرحمن الحفصي: 24.

- عبد الله: 24.

- عثمان باي: 235 – 246.

- عرب أحمد : 72.

- عروج: 26 – 27 – 28 – 29 – 50 – 56.

- علج علي: 67.

- علي آغا: 106 – 108 – 111 – 110 – 112 – 113 – 109 – 115.

- علي الباي: 149 – 192 .

- علي بن الحاج مصطفى انجليز: 240 – 261.

- علي خوجة : 150.

- علي شاوش: 166 – 170 – 171 – 173.

- عمر باشا:147- 239- 253 – 254 – 255 – 261 – 268- 278.

(غ)

- غودين: 159.

(ف)

- فان كابلن: 248- 253 – 254.

-فرانسواالأول: 32 – 33 - 41 – 51 – 53.

- فرانسوا إيفيان: 192.

- فرانسوا دو تروبير: 126.

-فرج: 65.

-فرحات باي: 87.

- فرديناد: 23.

- فرناند ديقونزاف: 57.

- فرديناند دي ميدسيس: 92.

- فيفون: 112.

- فيلو زولف: 281.

- فيليب الثاني:62- 66- 224.

- فيليب الخامس: 176 - 177 - 178 – 179 – 184.

- فيوليت ألفونس: 179.

(ق)

- القائد مُحَّد: 54.

- قريمالدي: 92.

- قيتو مينو: 270.

(ك)

- كاثركات: 233.

- كاعس: 199 – 209.

- كارلوس الثالث: 216 – 221 – 222.

-كجك علي: 52.

- كرد عبيدي: 159 – 172 – 174 – 173 – 175 – 181 – 182 – 185 – 186 – 188.

-كلج علي: 51.

-كلمنس فون دو مترنيخ: 268 - 273.

- كلوبير:100 – 134.

-كورتيز: 58.

- كومودور بول: 115.

- كومودور بينك : 154 - 155 - 156 .

(م)

- مارسيل قيوم: 166.

- مازاران: 98.

- ماركي: 183.

- الماركيزأندروجان: 62.

- ماريا الثانية : 226.

- مازاريدو: 222.

- ماغلانيز : 118.

- ماكدونال: 277.

-مانسيل: 74.

- مُحَمَّد ابن شكر: 143 – 145 – 146 – 147 – 148.

- مُحَمَّد الإمام داي : 142 – 147.

- مُحَمَّد بك: 184.

- مُحَمَّد بكداش: 158 – 167 – 168 – 175 – 176.

- مُحَمَّد بكير: 193.

- مُحَمَّد بن حسن باشا: 171 – 173.

- مُحَمَّد بن عبد الله: 200 – 212.

- مُحَمَّد بن عثمان: 199 – 200 – 204 – 207 – 209 – 210 – 212 – 220 – 221 – 228

– 227 – 226 – 222 – 223 – 229 – 230 - 283.

- مُحَمَّد بن المقلش: 238 – 2239.

- مُحَمَّد الشيخ : 120.

- مُحَمَّد علي باشا: 269 – 270 – 271 – 272 – 273 – 278.

- مُحَمَّد الغزال: 200.

-مُحَمَّد قوصة : 75.

- مُحَمَّد المرادي الباي: 140 – 142 – 143 – 144- 147 – 148.

- محمود الأول: 174.

-مراد الأول: 90.

- مراد الثالث: 149 – 151.

- مصطفى أهجي: 151 – 152 – 154.

- مصطفى انجليز: 235 – 240 – 241.

- مصطفى باي: 181 – 184 – 186.

- مصطفى بن يوسف المسراتي: 175.

- مصطفى بو الشلاغم: 158- 167 – 175- 183 – 184 – 185 – 186.

- مصطفى خان الثاني : 153 .

- مصطفى داي: 266 – 267.

- مصطفى العجمي: 2237 – 238.

- المهدي سرسرى الشريف: 175.

- المنصور بن غانم: 62 – 63.

- ميراس: 116.

- ميشين: 160 – 171.

-مونتاغو: 93.

-مونتيساش: 92.

-موسينقو: 92.

- المولى سليمان: 238.

- المولى عبد الرحمان: 288.

- ميمو: 270.

(ل)

- لافاييت: 224.

- لوفاشي: 127 – 137 – 138.

- لوقران: 105.

- لويس البربوني: 177.

- لويس التاسع: 264.

- لويس الخامس عشر: 181 – 193 – 194.

- لويس الرابع عشر: 96- 98 – 99 – 100 – 101 – 104 – 106 – 108 – 109 – 114 – 125 – 126 – 131 – 132 – 129- 134 – 136 – 137 – 139 – 167 .
- لويس السادس: 204 – 220.
-لوسي كاميون: 94 – 95.
- ليسغ: 266.
(هـ)
- هاري نيل: 277.
- هايت : 128 – 137 .
-هايدو: 26 – 48 – 49.
- هنري الثالث: 78.
- هودر: 270.
(ن)
- نابليون بونابارت الأول: 234 – 266 – 267 – 268 – 269.
- ناربورو: 116.
- نوريس: 170.
- نوي الفارس: 137.
(و)
- وورد: 256.
- وليام شالر: 259 – 260.
(ي)
- يحي آغا: 286.
- يعقوب: 26.
- يوسف باشا: 69.
- يوسف داي: 87.

– فهرس البلدان و الأماكن:

(أ)

- أبي الرقراق: 131.

- أزفون: 76.

- إسبانيا: 22 – 23 – 24 – 26 – 28 – 33 – 40 – 43 – 44 – 46 – 48 – 52 – 53 – 55 – 61 – 62 – 66 – 68 – 71 – 75 – 76 – 78 – 84 – 85 – 116 – 117 – 164 – 168 – 169 – 172 – 173 – 175 – 176 – 177 – 178 – 179 – 188 – 178 – 191 – 194 – 195 – 198 – 199 – 200 – 201 – 202 – 204 – 209 – 210 – 213 – 214 – 215 – 216 – 217 – 219 – 220 – 221 – 223 – 224 – 225 – 226 – 228 – 230 – 231 – 232 – 245 – 283 – 288.

- إسطنبول: 40 – 43 – 45 – 53 – 54 – 86 – 120 – 147 – 153 – 173 – 188 – 209 – 275 – 288.

- آسيا: 278.

- إشبيلية: 46.

- إقليم الصرب: 272.

- إقليم فلاشيا: 272.

- إقليم مولدا فيا: 272.

- إكس لاشابيل: 277 – 278.

- ألبانيا: 41 – 71.

- إمارة جبل كوكو: 21 – 31 – 75 – 76 – 77 – 78 – 282.

- إمارة هابسبورغ: 232.

- إنجلترا: 75 – 84 – 85 – 93 – 94 – 97 – 110 – 112 – 115 – 116 – 154 – 155 – 156 – 165 – 169 – 170 – 177 – 192 – 195 – 201 – 209 – 210 – 214 – 217 – 226 – 230 – 231 – 232 – 233 – 249 – 252 - 254 – 255 – 256 – 262 – 263 – 265 – 268 – 269 – 270 - 273 - 274 – 275 – 281 – 282 – 288.

- الأندلس: 20 – 21 – 23 – 28 – 33 – 39 – 40 – 46 – 55 – 68 – 82 – 182 – 200 – 224.

أوربا: 22 – 27 – 32 – 33 – 39 – 41 – 42 – 44 – 45 – 46 – 47 – 54 – 70 – 73– 74 - 96 – 98 – 104 – 113 – 114 – 116 – 126 – 131 – 143 – 154 – 157 – 172 – 176 – 177 – 178 – 191 – 195 – 197 – 210 – 225 – 233 – 250 – 251 – 252 – 255 – 256 – 261 – 263 – 264 – 268 – 272 – 273 - 278 .

- الأوسكريال: 72.

- إيران: 53.

- إيطاليا: 40 – 43 – 44 – 52 – 53 – 93 – 172 – 177 – 194 – 214 – 282.

- أوترانتو: 113.

- أوترنتو: 40 – 41.

- باريس: 282.

- الباستيون: 78 – 86 – 91 – 94 – 95 – 100 – 110 – 132 – 154 – 265.

- بجاية: 24 – 25 – 26 – 31 – 52 – 54 – 58 – 61 – 65 – 66 – 93 – 112 – 115.

- البرتغال: 212 – 214 – 224 – 225 – 226 – 231 – 233.

- برج مرجاجو: 118.

- بروزة: 42.

- بروفانس: 91.

- بريفيزا: 40 – 42 - 43.

- بلجيكا: 202.

- بلد العناب: 86.

-بني زناسن: 135.

- بونة: 92.

-بهجة: 64.

- البندقية: 40– 53 – 69 – 70 – 71 – 93 – 113 – 193 – 232.

- بني موسى: 28.

- البحر الأدرياتيكي: 40 - 113.

- البحر المتوسط: 20 – 39 – 40 – 52 – 60 – 68 – 71 – 72 – 84 – 94 – 106 – 107 – 114 – 127 – 128 – 129 – 130 – 138 – 156 – 158 – 159 – 174 – 177 – 178 – 185 – 193 – 200 – 214 – 225 – 231 – 232 – 250 – 252 – 255 – 256 – 266 – 268 – 269 – 273 – 274 – 278 – 288.

- البحر الأيوني: 40.

(ت)

- تامنفوست: 58.

- تسالة: 117.

- تلمسان: 21 – 27 – 28 – 30 – 49 – 60 – 62 – 63 – 66 – 80 – 117 – 118 – 119 – 120 – 121 – 132 – 135 – 175 – 185.

- تنس: 229 – 266.

- التوسكان: 22 – 80 – 83.

- تونس: 20 – 25 – 27 – 30 – 31 – 39 – 40 – 45 – 52 – 55 – 65 – 68 – 69 – 70 – 73 – 80 – 86 – 87 – 88 – 89 – 90 – 92 – 94 – 95 – 100 – 107 – 108 – 122 – 124 – 125 – 141 – 142 – 143 – 144 – 145 – 146 – 147– 148 – 149 – 151 – 152 – 153 – 154 – 156 – 165 – 174 – 192 – 195 – 197 – 228 – 231 – 233 – 234 – 235 – 240 – 241 – 242 – 243 – 244 – 245 – 246 – 263 – 269 – 273 – 288.

(ج)

- جبل الحافة: 90.

- جبل طارق: 85 – 92 – 97 – 130 – 157 – 165 – 209 – 224 - 226 – 256 – 257.

- جبل ماكرا: 117.

- جبل هيدور: 151.

- جيجل: 26 – 31 – 80 – 81 – 82 – 83 – 84 – 94 – 96 – 97 – 99 – 100 – 101 – 102 – 103 – 104 – 105 – 106 – 107 – 110 – 125 – 132 – 136.

- الجزائر: 18 – 20 – 21 – 22 – 24 – 25 – 26 – 27 – 28 - 29 – 30 – 31 – 32 – 33 – 34 - 35 – 37 – 38 – 39 – 40 – 41 – 44 – 45 – 46 – 48 – 49 – 50 – 51 – 52 – 53 – 54 – 55 – 56 – 57 – 59 – 60 – 61 – 62 – 63 – 64 – 65 – 66 – 67 – 68 – 69 – 70 – 71 – 72 – 73 – 74 – 75 – 76 – 77 – 78 – 80 – 81 – 82 – 83 – 84 – 85 – 86 – 87 – 88 – 89 – 90 – 91 – 92 – 93 – 94 – 95 – 96 – 97 – 98 – 99 – 100 – 101 – 103 – 104 – 105 – 106 – 107 – 108 – 109 – 110 – 111 – 112 – 113 – 114 – 115 – 116 – 117 – 118 – 120 – 121 – 122 – 124 – 125 – 126 – 127 – 128 – 129 – 130 – 131 – 132 – 133 – 134 – 135 – 136 – 137 – 138 – 139 – 140 – 141 – 142 – 144 – 145 – 146 – 147 – 148 – 149 – 150 – 151 – 152 – 153 – 154 – 155 – 156 – 157 – 158 –159 – 160 – 162 – 163 – 164 – 165 – 166 – 167 – 168 – 169 – 170 – 171 – 172 – 173 – 174 – 175 – 176 – 178 – 181– 182 – 183 – 184 – 185 – 186 – 187 – 188 – 189 – 190 – 191 – 192 - 193- 194 – 195 – 196 – 197 – 198 – 199 – 200 – 201 – 202 – 203 – 204 – 206 – 207 – 208 - 209 – 210 – 211 – 212 – 213 – 214 – 215 – 216 – 217 – 218 – 219 – 220 – 221 – 222 – 223 – 224 – 225 – 226 – 227 – 228 – 230 – 231 – 232 – 234 – 235 - 236 – 237– 238- 240 – 241 – 242 – 243 – 244 – 245 – 246 – 248 – 249 – 250 – 251 – 252 – 253 – 254 – 255 – 256 – 253 – 260 – 261 – 262 – 263 – 264 – 265 – 266 – 267 – 268 – 269 – 270 – 271 – 272 – 273 – 274 – 275 – 276 – 277 – 278 – 279 – 280 – 281 – 282 – 283 – 284 – 286 – 287 – 288.

- جزر البليار: 44 – 55 – 67 – 73 – 281.

- جزر النابولي: 44 – 52 – 67 – 73 – 113 – 208 - 214 – 216 – 254.

- جزيرة بارما: 73.

- جزيرة البروطان: 73.

- جزيرة توسكانيا: 73 – 78 – 82.

- جزيرة جربة: 30 – 67 – 87.

- جزيرة رودس: 65.

- جزيرة صقلية: 30 – 67 – 134.

- جزيرة كرورفو: 40.

- جزيرة كريت: 71 – 269.

- جزيرة مايوركا: 55.

- جزيرة مودينا: 73.

- جمعة الصهريج: 75.

- جنوة: 34- 93 – 116 – 129 – 193 – 208 – 231 – 280.

(ح)

- حجر بادس: 30 - 81 - 87.

(خ)

خليج سالرنو: 67.

- خليج القرن الذهبي: 61.

- خليج ليبانت: 71.

- خليج ليون: 85.

- خليج ملاقة: 157.

(د)

- دار ابن مشعل: 135.

- الدانمارك: 165 – 193 – 199 – 214 – 232 – 249.

- الدولة الزيانية: 20 - 21 – 25.

- دولة بني عبد الواد: 21.

- الدولة الحفصية: 21.

- الدولة العثمانية: 20 - 38 – 43 – 52 – 53 – 61 – 68 – 69 – 70 – 88 – 90 – 93 – 110 – 114 – 141 – 147 – 153 – 158 – 165 – 166 – 172 – 173 – 174 – 220 – 224 – 228 – 249 – 253 – 269 – 272 – 274 –276– 277 – 281 – 282 – 288.

- الدولة العلوية: 125.

- الدولة المرينية: 21.

- الدولة الموحدية: 21.

(ر)

- الراين:281.

- روسيا: 269 – 273 – 275 -281 - 288.

- روما: 41 – 71.

(س)

- السطارة: 88 – 89 – 144.

- سطاوالي:285 – 286 – 287.

- سطيف:151 – 235.

- سواحل بروفانس: 160.

- سبته:177.

- ساحل روسيلون:191.

- سوسة: 144 – 148.

- سويسرا :202.

- السويد:160 – 172 – 191 – 193 – 232 – 233 – 250 – 259.

- سان ايتان:80 - 82 – 83.

- سلا: 129 – 131 – 225.

- سالرنو:67.

- سردينيا:67 – 73 – 91 – 254 – 255 – 288.

- الساحل الدلماشي: 43.

(ش)

- شرشال: 39 – 42 – 83 – 132 – 154.

-شمال إفريقيا: 20 – 23 – 24 – 53 – 70 – 88 – 96 – 106 – 103 – 147 – 165 – 177 – 200 – 224.

(ط)

- طبرقة : 91 – 144 – 146 – 170 – 192.

- طرابلس: 20 – 24 – 25 – 53 – 60 – 62 – 65 – 67 – 70 – 81 – 87 – 88 – 92 – 94 – 95 – 107 – 122 – 124 – 125 – 141 – 142 – 147 – 149 – 151 – 165 – 174 – 178 – 228 – 233 – 261 – 2263 – 269 – 273.

- طليطلة: 23 – 46.

- طنجة: 108 – 268.

- طولون: 59 – 107 – 132 – 136 – 189 – 192 – 280 – 282 – 284.

(ع)

- العلمة: 255.

- عنابة: 22 – 30 – 31 – 78 – 82 – 86 – 101 – 142 – 169 – 170 – 255 – 259– 262 – 268 – 286 – 288.

- عين ماضي: 2239.

(غ)

- غرناطة: 23.

(ف)

- الفاتيكان: 71 – 281.

- فاس: 140 – 148 – 268.

- فالونا: 90 - 274 – 276.

- فرنسا: 33 – 53 – 63 – 65 – 67 – 68 – 70 – 76 – 78 – 81 – 85 – 89 – 91 – 92 – 94 – 95 – 96 – 97 – 98 – 99 – 101 – 102 – 106 – 108 – 109 – 113 – 115 – 116 – 125 – 126 – 127 - 128 – 129 – 131 – 132 – 133 – 134 – 136 – 139 – 142 – 144 – 146 – 154 – 155 – 156 – 157 – 160 – 165 – 166 – 169 – 171 – 177 – 181 – 186 – 188 – 189 – 191 – 192 – 193 – 194 – 195 – 198 – 200 – 201 – 204 – 209 – 210 – 211 – 214 – 224 – 225 – 230 – 231 – 232 – 233 – 234 – 249 – 250 – 251 – 252 – 253 – 254 – 261 – 262 – 264 – 265 – 267 – 268 – 269 – 270 – 271 – 272 – 273 – 274 – 275 – 276 – 277 – 279 – 280 – 281 – 282 – 284 – 285 – 287 – 288.

- فيينا: 33 – 39 – 249 – 250 – 251 – 252 – 253 – 254 – 261 – 262 – 268 – 274 – 278.

(ق)

- قادس: 201.

- قارس: 211.

- القالة: 96 – 101 – 107 - 146 - 169 – 170 – 268.

- قبرص: 69 – 269.

- قرطبة: 46.

- قسنطينة: 21 – 31 – 49 – 51 – 86 – 87 – 88 – 121 – 150 – 151 – 190 – 197 – 235 – 240 – 241 – 242 – 243 – 244 – 247 – 265 – 282.

- قلعة باجة: 86 – 287.

- قلعة بني راشد: 28 - 168.

- قلعة حلق الوادي: 69 .

- قلعة سان جون : 69.

- قلعة سطح المنصورة : 86 – 241.

- قلعة فماقستوتا: 69.

(ك)

- الكاف: 87 – 89 – 142 – 143 – 241 – 243- 244 – 246.

- الكرش: 90.

- كورسيكا: 67.

(ل)

- لندن: 253 – 254 – 261 – 262 – 261 – 263 – 281.

- لوهافر: 169.

- ليبانت: 68 – 69 – 71 – 114 - 274.

- ليفورنة: 59 – 78 – 116 – 208.

- ليون: 85.

(م)

- مازونة: 167 – 168 – 175.

- مالطا: 42 – 45 – 46 – 57 - 62 – 63 – 65 – 67 – 69 – 80 – 92 – 99 – 102 – 112 – 124 – 159 – 160 – 164 – 173 – 185 – 186 - 191 – 192 - 193 – 211 – 214 – 252 – 256.

- متبارقة: 86.

- مدريد: 41.

- المدية: 285.

- مرسى غار الملح: 107 – 143- 145.

- المرسى الكبير: 20 – 22 – 24 – 25 – 61 – 66 – 117 – 118 – 119 – 120 – 124 – 156 – 158 – 159 – 165 – 167 – 172 – 173 – 176 – 177 – 178 – 179 – 184 – 185 – 186 – 199 – 204 – 208 – 219 – 222 – 223 – 224 – 230 – 249 – 264.

- مرسيليا: 67 - 85 – 91 – 116 – 169 – 171 – 232 – 280 – 282 .

- مزغران: 40 – 60 – 62 – 63 – 64 – 120 – 184.

- مستغانم: 62 – 63 – 66 – 168 – 184 – 186 – 187.

- مسرغين: 117.

- مصر: 234 – 252 – 264 – 265 – 266 – 268 – 269 – 270 – 271 – 272 – 275 – 278.

- معسكر: 28 – 237 – 238.

- مليلية: 177.

- المهدية: 65 .

- موريطانيا: 99.

- ميناء أرزيو: 83 – 167 – 168 – 183.

- ميناء ألكانت: 181.

- ميناء بالما: 281 - 284.

- ميناء بليتموث: 257.

- ميناء حلق الوادي: 107.

- ميناء سيدي فرج: 205 – 284 – 285.

- ميناء ليفورنا : 94.

- ميناء هنين: 22.

- مينورقا: 67.

- ميورقة: 76 – 77 – 78.

- المشرق: 20 – 43 – 48 – 73 – 141 – 169.

- المغرب الأدنى: 21.

- المغرب الإسلامي: 20 – 21 – 22 – 23 - 24 – 25 – 26 – 26 – 30 – 44.

- المغرب الأقصى: 21 – 53 – 156 – 216 – 268.

- المغرب الأوسط: 20 – 21 – 22 – 23 – 24 – 31 – 62.

(هـ)

- هولندا: 75- 85 – 94 – 97 – 110 – 112 – 127 – 128 – 155 – 157 – 159 – 160 – 165- 172 – 191 – 193 – 232 – 249 – 253 – 254 – 255 – 256 – 259.

(ن)

- نافرين: 248 – 269 – 274 – 276 – 278.

- نابولي: 44 - 67– 73 – 113 – 208 – 214 – 216 – 254.

- نيس: 41 – 59.

(و)

- وادي الحراش: 30 – 58 – 112 – 205 – 207 - 285.

- وادي الرمل: 246.

- وادي الزهور: 235 – 246.

- وادي سراط:87 – 244.

- وادي سيرات: 90.

- وادي ملاق: 90.

- وادي ملوية: 140.

- الولايات المتحدة: 249 – 250 – 251 – 255 – 278.

- وهران: 20 – 22 – 23 – 24 – 25 – 26 – 32 – 52 – 54 – 55 – 56 – 60 – 61 – 62 – 63 – 65 – 66 – 81 – 87 – 116 - 117 – 118 – 119 – 120 – 124 – 140 – 151 – 156 – 158 – 159 – 160 – 164 – 165 – 167 – 168 – 169 – 171 – 172 – 173 – 174 – 175 – 176 – 177 – 178 – 179 – 181 – 182 – 183 – 184 – 185 – 186 – 187 – 188 – 190 – 191 – 193 – 194 – 197 – 198 – 199 – 200 – 201 – 204 – 205 – 208 – 209 – 210 – 215 – 219 – 220 – 221 – 222 – 223 – 224 – 227 – 228 – 229 – 230 – 235 – 237- 238- 249 – 255 – 259 – 264 – 265 – 282 – 286 – 288.

(ي)

- اليونان : 71 – 269 – 272 – 274 – 275 – 276 – 278.

– فهرس القبائل و الجماعات:

(أ)

- الأتراك: 56 – 126 – 141 – 237 – 283.

الإخوة بربارروس: 20 – 26 – 30 – 39.

- الأساقفة: 24.

- الإسبان: 19 – 20 – 22 – 23 – 24 – 25 – 27 – 28 – 30 – 31 – 32 – 33 – 34 – 38 – 39 – 40 – 41 – 43 – 44 – 45 – 48 – 49 – 51 – 52 – 54 – 56 – 57 – 59 – 60 – 61 – 63 – 65 – 66 – 67 – 68 – 69 – 70 – 73 – 74 – 75 – 76 – 77 – 78 – 80 – 81 – 82 – 83 - 84 – 85- 87 – 95 – 100 – 101 – 114 – 116 – 117 – 118 – 119 – 120 – 121 –122 – 131 – 157 – 160 – 167 - 168 – 169 – 172 – 174 – 175 – 176 – 177 - 179- 180- 181 – 182 – 183 – 184 – 185 – 186- 187 - 189 – 190 - 191 – 193 – 198 – 199 - 200 – 201 – 202 – 203 - 204 – 205 - 206 – 207 – 208 – 209 – 210 – 211 – 212 – 213 – 214 – 215 – 216 – 217 – 218 – 219 – 220 – 221 – 222 – 223 - 226 – 227 – 228 – 229- 230 – 237 – 281 – 283 – 285.

- الأسرة المرادية: 90.

- الأمريكان:233 – 288.

- الأندلسيين: 28 – 49.

- الإنجليز:73 – 82 – 84 – 85 – 93 – 94 – 99 –102 – 106 – 107 – 108 – 110 -111 – 112 – 114 -115 – 116 – 118 – 125 -127 – 128 – 129 – 130 – 139 – 140 – 146 – 155 – 156 -157 – 160 -166 -169 – 170 – 171 -178 -181 – 186 -188 – 191 – 192 – 204 – 211 – 226 – 230 – 231 – 232 – 234 – 250 – 252 – 254 – 255 – 256 – 257 – 258 – 259 – 260 -266 – 267 – 268 – 286.

- الإنكشارية: 29- 51- 77 – 82- 95 – 244 – 245 – 246 – 261.

- الأوربيين: 82 – 85 – 96 – 101 – 107 – 108 – 116 – 137 – 141 – 146 – 155 – 165 – 166 – 168 – 172 – 173 – 188 – 194 – 215 – 241 – 250 – 253 – 261 – 263 – 268 – 274 – 275 -277 – 286 – 287.

- أولاد سعيد: 89 – 142.

- الإيطاليين: 39 – 95 – 255.

(ب)

- البابوات: 24.

- البرتغاليون: 224.

- البنادقة: 40 – 43 – 69 – 90 – 92 – 93.

- بن شنوف: 89.

- بني عامر: 22 – 80 – 117 – 121 – 122 – 135 – 140 – 181 – 184 – 186 – 187.

- بني عبد الواد: 21.

- بني مرين: 22.

(ت)

- التوسكانيين: 82.

- التونسيون:151.

- التونسيين: 85 – 88 – 150 - 240 – 242 – 244 – 246.

(ث)

- الثعالبة:21.

(ج)

- الجزائريون: 57 - 59 – 85- 89- 90 – 91 – 92 – 94 – 113 – 137 -144 – 184 - 188 – 194 – 208 -209- 212 – 213 – 217 – 219 - 223 – 227 – 244 – 250- 257 – 272 - 284 – 286.

- الجزائريين: 32 – 52 – 57 – 58 – 62 – 63 – 73 – 76 – 82 – 83 – 84 – 85 – 89 – 92 – 93 – 94 – 96 – 102 – 104 – 105 – 106 – 109 – 110 – 111- 112 – 113 – 116 – 125 – 126 – 127 – 128 – 129 – 130 – 132 – 136 – 138 – 141 – 150 – 151 – 153 – 158 – 159 – 160 – 167 – 168 – 170 – 178 – 182 – 183 – 184 – 186 – 188 – 189 – 191 – 194 – 198 – 199 – 200 – 202 – 203 – 204- 205 – 206 – 207 – 208 – 212 – 213 – 217- 219 - 249 – 252 – 256 – 258 – 260 – 283 – 285.

(ح)

- حرس والون:202.

- الحفصيين: 20- 21- 24 – 27 – 31 – 148.

- الحنانشة:86 – 87.

(د)

دريد: 89.

(ز)

- الزيانيين: 20 – 21 – 25- 27 – 28.

(س)

- السعديين: 12- 20.

(ط)

الطرابلسيين: 125 - 141.

(ع)

- العثمانيون:27 – 40 – 41 – 72 – 260.

- العثمانيين: 20 – 29 – 33 – 39 – 40 – 42 – 43 – 45 – 49 – 53 – 60 – 62 – 65 – 67 – 68 – 69 – 70 -71- 72 - 86 – 89 – 98 – 120 – 140 – 147 – 165 – 166 – 168 – 172 – 175- 187- 210 – 234- 237 – 239 - 246 – 253 – 274- 288.

- العرب: 51 – 141 – 261 – 285.

- العربان: 110.

(ف)

- الفرس: 40.

- فرسان سان إتيان: 80 – 82 – 83.

- فرسان مالطا: 57 – 65 – 67 – 80 – 92 – 99- 102 – 112 – 124 – 159 -160- 164- 173 – 185 – 186 – 191 – 192 – 193 - 211 – 224.

- الفرنسيون: 41 – 74 – 85 – 95 – 98- 101 -102 – 105- 107 – 108 – 109 -110 - 113 – 114 -116- 125- 129 – 144 - 154 – 156 – 157 – 169 -171- 172- 181 - 182 -185- 188 – 189 – 190 -192- 198- 200 – 207 -231- 256 – 268 -277- 281 – 282 - 284 – 285 - 286.

- الفرنسيين: 32 – 33 – 41 – 57 – 59 - 65- 67 – 68 – 69 – 76 – 82 – 85 - 86 – 89 – 90 – 91 -92 - 94 – 96 – 99 - 101 – 102 – 103 – 106 – 109 – 110 – 111- 112 – 113 – 114 – 115 – 116 - 117 – 124 – 125 – 126 - 128 – 129 – 130 – 131 – 134 – 137- 138 – 139 – 146 – 154 – 155- 157 – 159 – 160 -164 – 169 – 170 – 171 – 172- 181 – 182 -183- 186 – 187- 188 -189 – 190 – 191 – 192 – 198 – 200 - 201 - 204 – 225 – 230 – 231 – 234 – 256 – 264 – 266 – 267 – 270 – 277 – 279 – 280 – 283 – 284 – 285 – 286- 287 – 288.

(ق)

- القبائل العربية: 117 – 118 – 119.

- قبيلة: بني شنوف: 89.

- قبيلة دريد: 89.

(ك)

- الكراغلة: 90.

- الكورسيكيين: 255.

(م)

- المالطيين: 187.

- المرينيين: 21.

- المسلمين: 20 – 23 – 24 – 39 - 46 - 48 – 54 – 59 – 68 – 78 – 82 – 99 – 120 – 158 – 165 – 178 – 200 – 22 – 224 – 252.

- المسيحيين: 39 – 40 – 42 – 44 – 48 -57 – 59 – 72 - 83 – 96 – 99 – 102 – 104 – 110 – 131 – 203 - 207 – 214 – 215 – 230 – 251 – 259 – 260 – 278 – 285.

- المغاربة: 135 – 152 – 224.

- المورسكيين: 54 – 78.

(هـ)

- الهولنديون:74 – 84 – 92 – 99 – 107 – 114 – 125 – 127 – 139 – 140 – 159 – 260.

- الهولنديين: 74 – 82 – 84 – 85 – 97 - 106 – 107 – 127 – 128 – 130 – 131 – 154 – 155 – 159 – 166 -169- 254- 260.

(ن)

- النصارى: 20.

(و)

- الوطاسيين:21.

(ي)

- اليونانيين:269.

– فهـــــرس المحتـــــــويات:

– البســـــملـــــــة.

– الاهـــــــــــداء.

– شـــــكر و تقدير.

– قائمة المختصرات.

– مقدمـــــــــــــة.....أ.

– مدخل تاريخي:أهم التطورات السياسية والعسكرية في الجزائر قبل حملة عام 948هـ/1541م. 18.

– تمهيد.....20.

أولا– أوضاع المغرب الأوسط نهاية القرن 9هـ– 15م و بداية 10هـ– 16م.....21.

1– الأحوال العامة بالمغرب الأوسط نهاية ق 15م و بداية ق16م.....21.

2– الإحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأوسط.....23.

3– الجزائر إيّالة عثمانية..... 26.

ثانيا – التهديدات العسكرية ضد التواجد العثماني بالجزائر ما بين سنتي 1519–1541م.....30.

1– حملة هوقو دو مونكادا على مدينة الجزائر سنة 925هـ/ 1519م..... 30.

2– تحالف ابن القاضي مع الحفصيين ضد خير الدين سنة927هـ/ 1521م.....31.

ثالثا– تحطيم المقيمية الإسبانية بمدينة الجزائر سنة935هـ/ 1529م.....32.

رابعا- محاولات الإسبان لاستعادة نفوذهم.....33.

1- الصلح بين شارل الخامس و فرانسوا الأول سنة 1529م.....33.

2- حملة أندري دوريا على مدينة شرشال سنة1531م.....34.

- البـاب الأول التحالفات الإقليمية و الدولية ضد إيّالة الجزائر خلال القرنين العاشر و الحادي عشر هجري السادس عشر و السابع عشر ميلادي.....35.

- الفصل الأول: حمـــــــلات التحـــــــالف ضاد الإيّالة ما بين سنتي 948-1011هـ الموافق لـ 1541- 1603م..... 37.

- تمهيد.....39.

أولا- الحملة الصليبية بقيادة شارل الخامس على مدينة الجزائرskm 948 هـ/ 1541م.....40.

1- أسباب الحملة.....40.

2- الاستعدادات الحربية لشن الحملة.....45.

3- بعض الآراء الأخرى حول التحضيرات المادية للحملة.....48.

4- إستعدادات الجزائر لمواجهة الحملة..... 49.

5- تحصين المدينة.....50.

6- تقارير شارل الخامس حول المدينة.....51.

7- عناد شارل الخامس و تصميمه على شنّ الحملة.....51.

8- محاولات شارل الخامس شراء ذمة حكام الجزائر.....52.

9- سير الحملة.....55.

10- المواجهة الكبرى.....57.

11- نتائج الحملة الصليبية لعام 1541م.....59.

ثانيا- التحالف الإسباني المغربي ضد الجزائر في مزغران سنة 965هـ/ 1558م.....60.

ثالثا- التحالف الصليبي لغزو الجزائر سنة 966هـ/ 1559- 1560م.....65.

رابعا- التحالف المسيحي ضد الدولة العثمانية و الجزائر في ليبانت سنة 978هـ/ 1571م.....68.

1- العوامل المختلفة للمعركة..... 68.

2- الاستعدادات الحربية لكلا الجانبين.....70.

3- مجريات الموقعة.....71

4- أسباب الهزيمة..... 72.

خامسا - الحملة الصليبية على مدينة الجزائر سنة1009هـ/ 1601م.....73.

سادسا- تحالف أمير كوكو مع الإسبان ضد الإيّالة 1011 سنةه/ 1603م.....75.

1- أسباب الحملة.....75.

2- تجهيز الحملة و سيرها.....76.

3-نتائج الحملة..... 78.

- الفصل الثاني: حملات التحـــالف ضد الإيّالة ما بيـــن سنتي 1018- 1087هـ الموافق لـ1609- 1676م.....79.

- تمهيد.....81.

أولا- حملتي فرسان سان إتيان و التوسكان على مدينة الجزائر و جيجل سنة 1018هـ/ 1609م.....82.

ثانيا- الحملة الصليبية على مدينة جيجل بقيادة دي بو فور سنة 1025هـ/ 1616م.....84.

ثالثا تكتل الدول الأوربية ضد الجزائر سنة 1029هـ/ 1620م.....85.

رابعا- تحالف بايات تونس مع قبائل الشرق الجزائري ضد الإيّالة سنة 1614- 1628م.....86.

- معركة الحدود سنة 1037هـ/ 1628م.....88.

1 – أسبابها.....88.
2– أحداثها.....89.
3– نتائجها على الإيّالتين .....90.
خامسا– التهديدات الفرنسية الإيطالية للجزائر في عامي 1046هـ/ 1636– 1637م.....91.
سادسا– حملة الأميرال رويتر الهولندي و فرسان مالطا على الإيّالة ما بين سنتي 1654– 1657.....92.
سابعا– التحالف الايطالي الانجليزي ضد الإيّالة سنة 1072هـ/ 1662م.....93.
ثامنا– الحملة الصليبية على مدينة جيجل بقيادة دي بوفور سنة 1074هـ/ 1664م.....94.
1– ظروف توجيه الحملة.....94.
2– عوامل الحملة.....98.
3– مظاهر التحالف.....99.
4– سير الحلمة.....101.
5– نتائج الحملة.....104.
تاسعا– التهديدات الأوربية للجزائر سنة 1078هـ/ 1668م.....110.
عاشرا– الحملة الصليبية على مدينة الجزائر سنة 1081هـ/ 1670– 1671م:.....112.
حادي عشر– تحالف الإسبان و المغرب مع القبائل ضد الإيّالة سنة 1675 – 1679م.....114.
1– ظروف التحالف.....114.
ثاني عشر– تحالف الإسبان مع قبائل بني عامر لاحتلال تلمسان سنة 1086هـ/ 1675م.....117.
1– أسباب الحملة.....118.
2– سير الحملة.....119.
3– نتائجها.....119.
ثالث عشر– تحالف المولى إسماعيل مع قبائل الغرب الجزائري ضد الإيّالة سنة 1087هـ/ 1676م.....120.

1- عوامل الحملة.....120.

2- سير الحملة.....121.

3- أسباب الهزيمة.....122.

4- نتائج الحملة.....122.

- الفصل الثالث: حمـلات التحـــــــالف ضد الإيّالة ما بين سنتي1091-1120هـ الموافق لـ1679- 1708م.....123.

- تمهيد .....125.

أولا- التنافس الأوربي ضد الجزائر سنة 1679- 1682م.....126.

1- الاتفاق الجزائري الهولندي سنة 1091هـ/ 1680م.....127.

2- الاتفاق الجزائري الإنجليزي سنة 1093هـ/ 1682م.....129.

ثانيا- التحالف الفرنسي المغربي ضد الإيّالة سنة 1093هـ/ 1682م.....131.

1- دور فرنسا.....132.

- نتائج الحملة.....134.

2- دور المغرب.....135.

3- التعنت الفرنسي و توجيه الحملة الثانية سنة 1094هـ/ 1683..... 136.

ثالثا- التحالف المغربي التونسي و الدعم الأوربي لهما ضد الجزائر سنة 1102هـ/1691م..... 140.

رابعا- التحالف التونسي المغربي و الدعم الفرنسي لهما ضد الإيّالة الجزائرية سنة1105هـ/ 1694م..... 141.

1- أسباب التحالف و مجريات الهجوم..... 142.

2- نتائج المعركة.....143.

3- حصار مدينة تونس سنة 1105هـ/ 1694م..... 143.

4- نتائج حصار مدينة تونس.....144.

5- نهاية الحرب سنة 1106هـ/ 1695م.....147.

خامسا- تحالف تونس و طرابلس ضد الجزائر سنة 1111هـ/ 1699م- 1700م.....149.

1 - الحملة التونسية الطرابلسية المغربية لغزو الجزائر..... 150.

2 - موقعة العلمة سنة 1112هـ/1700م.....151.

3- تدّخل الدولة العثمانية و فرض الصلح سنة 1112هـ/1700م.....153.

سادسا- التحالف الإنجليزي الهولندي ضد الإيّالة سنة 1114هـ/ 1703م.....154.

سابعا- التحرير الأول لمدينة وهران و المرسى الكبير سنة 1120هـ/ 1708م.....158.

ثامنا- استيلاء فرسان مالطا و الفرنسيين على سفينتين جزائريتين سنة 1141هـ/ 1729م.....159.

البـــاب الثاني: التحالفات الإقليمية و الدولية ضد الإيّالة خـــلال القرنين الثـــاني عشر و الثالث عشر هجري الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي .....161.

- الفصل الرابع: حمـــــلات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي 1123- 1162هـ الموافق لـ 1711- 1749.....163

- تمهيد.....165.

أولا- التحالف و التنافس الأوربي على الإيّالة سنة 1711- 1714م.....166.

ثانيا- التحالف الإسباني الفرنسي لإعادة احتلال وهران سنة 1144هـ/ 1732م.....172.

1- أوضاع البلدين قبيل الاحتلال الثاني لوهران.....172.

2- أسباب إعادة احتلال وهران و المرسى الكبير.....178.

3- الاستعدادات الإسبانية لاحتلال وهران و المرسى الكبير..... 179.

4- مظاهر التحالف الإسباني الفرنسي لاحتلال وهران.....181.

5- سير الحملة.....182.

6- نتائج الاحتلال..... 186.

ثالثا- وشاية الفرنسيين بسفينتين جزائريتين لإسبانيا سنة 1154هـ/ 1741م.....188.

رابعا- تحالف الفرنسيين و فرسان مالطا ضد الجزائر سنة 1157هـ/ 1744م.....191.

خامسا- التحالف الصليبي ضد الجزائر سنة 1162هـ/ 1749م.....193.

1- أسباب التحالف.....193.

2- مظاهر التحالف.....194.

3- نتائج التحالف.....195.

- الفصل الخامس: حمـلات التحـــــــالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي 1189- 1222هـ المـــــــــوافق لـ 1775- 1807م..... 196.

- تمهيد.....198.

أولا- حملة التحالف الصليبي بقيادة الضابط أوريلي سنة 1189هـ/ 1775م.....199.

1- أسباب الحملة.....199.

2- الاستعدادات الحربية للحملة.....201.

3- إشارات تورط فرنسا في الحملة..... 204.

4- سير الحملة.....205.

5- أسباب الهزيمة..... 207.

6- نتائجها.....208.

ثانيا- حملة التحالف الصليبي الأول بقيادة الدون أنطونيو سنة 1197هـ/ 1783م..... 209.

1- مشروع الدّاي مُحَمَّد بن عثمان لاسترجاع وهران.....209.

2- ترتيبات الإسبان لشن حملة..... 211.

3- استعدادات الجزائر لمواجهة الحملة.....212.

4- نتائج الحملة..... 213.

ثالثا- حملة الصليبي الثاني بقيادة الدون أنطونيو و تداعياته سنة 1198هـ/ 1784م.....214

1- أسباب الحملة.....215.

2- الاستعدادات المختلفة للحملة..... 216.

3- المواجهة.....218.

4- نتائج الحملة.....219.

رابعا- مشروع التحالف البرتغالي الفرنسي ضد الجزائر سنة 1199هـ/ 1785م..... 224.

خامسا - تحرير وهران الأخير سنة 1205هـ/ 1791م.....227.

سادسا- التنافس الأوربي على الجزائر بعد سنة 1206هـ/ 1792م.....231.

سابعا- مؤامرات أوربا حيال السلام الجزائري الأمريكي سنة 1209هـ/ 1795..... 233.

ثامنا- تحالف باي تونس مع ابن الأحرش ضد الجزائرسنة 1219هـ/ 1804م.....234.

تاسعا- تحريض المغرب للدرقاوي ضد الجزائر سنة 1805م.....236.

عاشرا- تحالف باي تونس مع باي قسنطينة ضد الجزائر و تداعياته سنة 1222هـ/ 1807م.....240.

1- حصار مدينة قسنطينة 1222هـ/1807م.....241.

2- معركة سُلاطة 1222هـ/1807م.....243.

3- نتائجها.....245.

- الفصل السادس: حمـــــلات التحالف ضد إيّالة الجزائر ما بين سنتي1229- 1246 هـ الموافق لـ 1814-1830م..... 247.

- تمهيد.....249.

أولا- التحالف الأوربي في مؤتمر فيّينا ضد الجزائر سنة 1229هـ/ 1814- 1815م.....250.

1- مذكرة سيدني سميث لمؤتمر فيّينا بخصوص الجزائر سنة 1814م.....251.

2- موقف الدولة العثمانية من قرارات مؤتمر فيّينا سنة 1815م.....253.

ثانيا- حملة التحالف الصليبي بقيادة اكسموث و فان كابلن ضد الإيّالة سنة 1231هـ/ 1816م.....254.

1- أسباب الحملة.....254.

2 - قصف المدينة.....258.

3- نتائج الحملة.....259.

ثالثا - مؤتمر إكس لاشابيل و التآمر على الجزائر سنة 1233هـ/ 1818م.....261.

رابعا- المشروع الفرنسي المصري لضرب الجزائر سنتي 1245- 1246هـ/ 1829-1830م.....264

1- نابليون و مشروع غزو الجزائر.....266.

2- مشروع مُحَمَّد علي لاحتلال الجزائر..... 269.

خامسا- التحالف المسيحي في موقعة نافارين ضد الدولة العثمانية و الجزائر سنة 1242هـ/ 1827م.....274.

سادسا- التحالف الدولي بقيادة دي برمون لغزو الجزائر عام 1830م.....277.

1- الظروف العامة قبيل الغزو الفرنسي للجزائر.....277.

2- عوامل الغزو المختلفة.....279.

3- الاستعدادات الفرنسية للحملة و مظاهر التحالف.....280.

4- الاستعدادات الجزائرية..... 282.

5- سير الحملة.....284.

6- عمليات الإنزال.....285.

7- أسباب الهزيمة..... 286.

8- نتائج الحملة..... 287.

9- المواقف المختلفة من الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م.....288.

- **خاتمة**..... 289.

- **الملاحق**..... 293.

- **البيبلوغرافيا**..... 347.

- **الفهارس**..... .368.

- **فهرس الاعلام**..... 369.

- **فهرس البلدان و الأماكن**..... 386.

- **فهرس القبائل و الجماعات**.....398.

- **فهرس المحتويات**.....406.